

رماح للبحوث والدراسات

مجلة دولية علمية محكمة

تصدر عن دار رماح للنشر والتوزيع

رماح / الأردن

وجامعة القرآن وتاصيل العلوم / السودان

العدد (165) المجلد الثالث

الجزء الخامس

اب 2026

مجلة ربع سنوية

ISSN الورقي: 2392- 5418

ISSN الالكتروني: 2520- 7423

DOI: 10.59799/SQZH5356

معامل التأثير: 2.56 Impact Factor

الايداع القانوني 243



رماح

للبحوث والدراسات

مجلة دولية علمية محكمة

تصدر عن دار رماح للنشر والتوزيع - رماح / الأردن

وجامعة القرآن وتاصيل العلوم / السودان

العدد (165) اب 2026

المجلد الثالث

الجزء الخامس

الورقي 5418- 2392 ISSN :

الالكتروني 7423- 2520 ISSN:

الإيداع القانوني 243

رماح للبحوث والدراسات مجلة دولية علمية محكمة

تصدر عن دار رماح للنشر والتوزيع - رماح / عمان - الأردن

بالتعاون مع

جامعة القرآن وتأصيل العلوم / السودان

الرئيس الشرفي للمجلة: الأستاذ الدكتور محمد عبدالله سليمان

مدير المجلة: الأستاذ الدكتور خالد راغب الخطيب

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور سعادة الكسواني

نائب مدير تحرير المجلة: أ.د. هاشم صالح مناع

هيئة تحرير المجلة

الأردن	جامعة البلقاء التطبيقية	أ.د. خليل الرفاعي (رئيس هيئة التحرير)
فلسطين	جامعة القدس المفتوحة	أ.د. يوسف أبو فارة
العراق	المديرية العامة لتربية صلاح الدين وزارة التربية والتعليم	أ.م.د. مصدق أمين عطيه
الجزائر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	أ.د. دراجي سعيد
الأردن	جامعة العلوم الإسلامية العالمية	أ.د. هناء الحنيطي
السودان	جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم	أ.د. محمد الفاتح زين العابدين
فلسطين	أكاديمية القاسمي والكلية العربية	أ.د. خالد سنداوي
الأردن	جامعة الزرقاء الاهلية	أ.د. زياد عبد الحليم عبد المنعم الذبيبة
السودان	جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم	دكتور برير سعد الدين الشيخ السماني

الهيئة الاستشارية للمجلة

الأردن	جامعة الزرقاء	أ.د. نضال الرمحي (رئيس الهيئة الاستشارية)
الأردن	جامعة مؤتة	د. ماجدة خلف السبوع
الجزائر	جامعة بليدة	أ.د. كمال رزيق
الجزائر	جامعة ورقلة	أ.د. سليمان الناصر
الجزائر	جامعة عنابة	أ.د. هوام جمعة
مصر	جامعة القاهرة	أ.د. سالي محمد فريد
مصر	جامعة عين شمس	أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس
لبنان	جامعة جنان	أ.د. رامز طنبور
السعودية	جامعة القصيم	أ.د. عبد الرحمن صالح الغفيلي
ليبيا	جامعة عمر المختار	أ.د. وائل جبريل
فلسطين	جامعة القدس المفتوحة	أ.د. شاهر عبيد
الأردن	مركز رماح	أ.د. عماد الصعيدي
الإمارات العربية المتحدة	جامعة الفلاح	أ.د. سمير البرغوثي
موريتانيا	جامعتي حائل / نواكشوط	أ.د. عبد الله سيدي محمد أبنو
السودان	الهيئة الاستشارية	بروفيسور محمد الفاتح زين العابدين

الدكتورة حليلة إبراهيم محمد الفيلكاوي	الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب	الكويت
د. قيس مهدي البياتي	دكتوراه علاقات اقتصادية دولية	العراق
د. خديجة عبدالكريم خيري	جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم	السودان
د. مزمل حسن يوسف	جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم	السودان
د. حسن الفاتح الشيخ	جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم	السودان
د. محمد الطيب	جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم	السودان
د. جمال محمد البشري	جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم	السودان
الدكتورة صفراوي فاطمة	استاذة محاضرة بكلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة الشلف	الجزائر
أم خالدة جمال فرج الشافعي	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجامعة التقنية الوسطى	العراق
أ.م.د محمد عدنان شاكر الزبيدي	وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجامعة التقنية الوسطى	العراق
أ.د مزاحم مهدي ابراهيم النجار	جامعة تكريت	العراق
الأستاذ الدكتور هاشم صالح مناع	أستاذ الأدب والنقد والبلاغة جامعة باشن العالمية بأمريكا	الأردن

شروط النشر

إن إدارة المجلة لا تتحمل أية مسؤولية عن أصالة البحوث ولا تتحمل أية مسؤولية قانونية، وأن الباحثين هم من يتحملوا المسؤولية الكاملة.

- ❖ تقديم تعهد بعدم إرسال البحث لمجلة أخرى وعدم المشاركة به في مؤتمرات علمية.
 - ❖ ألا تتجاوز صفحات البحث 20 صفحة ويكون ملخص البحث بلغتين لغة البحث بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية ان لم تكن هي لغة البحث، ويكتب عنوان البحث باللغة الانجليزية رفقة إسم الباحث والكلمات المفتاحية.
 - ❖ تقدم الأبحاث مطبوعة على ورق من حجم A4 وتكون المسافة مفردة بين الأسطر مع ترك هامش من كل الجوانب لمسافة 4.5 سم، وأن يكون الخط (Simplified Arabic) قياس 14 باللغة العربية ويكون الخط (Times New Roman) قياس 12 باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وفق برنامج (Microsoft Word)
 - ❖ يرقم التمهيش والإحالات ويعرض في أسفل الصفحة: المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، الطبعة، البلد، السنة، الصفحة أو ضمن البحث مع ذكر المؤلف وسنة النشر والصفحة .
 - ❖ تتمتع المجلة بكامل حقوق الملكية الفكرية للبحوث المنشورة.
 - ❖ على الباحث أن يكتب ملخصين للبحث: أحدهما بلغة البحث والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا يزيد عدد كلمات الملخص عن 150 كلمة.
 - ❖ منهج العلمي المستخدم في حقل البحث المعرفي وإستعمال أحد الأساليب التالية في الإستشهاد في المتن والتوثيق في قائمة المراجع، أسلوب إم إل أي (MLA) أو أسلوب شيكاغو (Chicago) في العلوم الإنسانية أو أسلوب أي بي أي (APA) في العلوم الإجتماعية، وهي متوفرة على الأنترنت.
 - ❖ نظام التوثيق في الحاشية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة) حسب المنهج العلمي المعمول به في توثيق الدراسات الشرعية، مثاله: المغني، ابن قدامة (435/6).
 - ❖ المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها .
 - ❖ يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدّمة متى لزم الأمر دون المساس بمحتوى الموضوع
- ترسل الأبحاث على البريد الإلكتروني التالي:

khalidk51@hotmail.com أو remah@remahtrainingjo.com

إلى العنوان البريدي: شارع الجاردنز عمان الأردن

هاتف: 00962799424774 أو 00962795156512 موقع المجلة: <http://www.remahresearch.com>

موقع المجلة بقواعد البيانات العالمية:

❖ قاعدة ISI الماليزية على الموقع:

http://isindexing.com/isi/journaldetails.php ? :

❖ قاعدة ebsco الأمريكية على الموقع: http /www. ebsco.com

❖ قاعدة ULRICHs الألمانية على الموقع:

http://ulrichsweb.serialssolutions.com/title/1536488677317824429

❖ محرك البحث العلمي جوجل سكولار google scholars على الموقع:

http://www.google.com

❖ قاعدة EcoLink المتواجدة على الموقع // www.mandumah.com

❖ قاعدة بيانات المنهل www.almanhal.com

❖ قاعدة ASKZED على الموقع: http://www.ASKZED.com

❖ قاعدة معرفة على الموقع: http://www.maarifa.com

❖ قاعدة بوابة الكتاب العلمي: http://www.theleambook.com

❖ معامل التأثير العربي، قاعدة البيانات العربية الرقمية (أرسيف) 2019.

❖ قاعدة أرسيف (Arcif).

❖ قاعدة بيانات:

https://www.citefactor.org/journal/index/25867/ramah-journal-of-economic-research#.XzPCkCgzZPY

أخلاقيات النشر العلمي بمجلة رماح للبحوث والدراسات

منذ تأسست مجلة رماح للبحوث والدراسات وتألقت بعددها الأول عام 2005م وهي تأخذ على عاتقها الاجتهاد والاستمرارية لبلوغ العالمية بدخولها العديد من محركات البحث العلمي وقواعد البيانات الدولية والالتزام بأخلاقيات النشر العلمي الهادف، حيث تعد أخلاقيات النشر العلمي (Scientific Publication Ethics) بمجلة رماح للبحوث والدراسات الركيزة الأساسية لضمان موثوقية البحث العلمي ونزاهة البحث الأكاديمي. فالالتزام بهذه المعايير ليس مجرد خيار مهني، بل هو واجب أخلاقي يقع على عاتق جميع الأطراف المشاركة في عملية النشر في ضوء المحاور الأخلاقية لمجلة رماح للبحوث والدراسات.

مسؤوليات الأطراف المشاركة في عملية النشر بمجلة رماح للبحوث والدراسات:

1. مسؤوليات الباحث:

حيث يتحمل الباحث المسؤولية الكاملة عن المحتوى العلمي المقدم، ويجب عليه الالتزام بالأمانة العلمية، والأصالة ومنع الانتحال، وتجنب النشر المتعدد، وتحديد أسماء المشاركين بالبحث بشكل دقيق وصريح.

2. مسؤوليات المحكمين:

فبالنسبة لمجلة رماح للبحوث والدراسات يتطلب الأمر من المحكمين الالتزام التام بالموضوعية والحياد وتقييم البحث بناءً على جودته العلمية بكل شفافية وموضوعية، والسرية بعدم الكشف عن محتوى البحث أو استخدام أفكاره قبل النشر، والإفصاح بالاعتذار عن التحكيم في حال وجود علاقة قرابة أو زمالة مع الباحث.

3. مسؤوليات هيئة التحرير

وفقاً لسياسة مجلة رماح للبحوث والدراسات يعد المحرر هو الفيصل في عملية النشر، اذ يجب أن يتمتع بالاستقلالية التامة عند اتخاذ قرارات القبول أو الرفض بناءً على أهمية البحث وأصالته ووضوحه، اضافة الى الشفافية وذلك في غاية الأهمية بهدف توضيح إجراءات التحكيم والمدة الزمنية المتوقعة للباحث.

قواعد النشر والتوثيق بمجلة رماح للبحوث والدراسات

أولاً. أهداف المجلة ومجالاتها:

مجلة رماح للبحوث والدراسات مجلة دورية علمية محكمة تصدر عن مركز البحث وتطوير الموارد البشرية ، بهدف تعميق البحث العلمي واثرائه بنشر البحوث العلمية المقدمة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المرموقة ، والتي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية العلمية ، وذلك بنشر البحوث العلمية الأصيلة والمحكمة وفق معايير أكاديمية رصينة ، و دعم حركة البحث العلمي وتطوير المعرفة في المجالات التربوية والإنسانية بهدف إتاحة منصة علمية للباحثين لنشر إنتاجهم العلمي محلياً وعربياً ودولياً و تعزيز الجودة والالتزام بأخلاقيات البحث والنشر العلمي و الإسهام في معالجة القضايا المعاصرة من خلال دراسات علمية متخصصة.

وقد جاءت مجالات نشر المجلة لتتنوع بين:

1. العلوم التربوية .
2. العلوم الإنسانية والاجتماعية.
3. الدراسات النفسية.
4. الدراسات الإدارية والاقتصادية ذات البعد الإنساني والتربوي.
5. الدراسات الشرعية والقانونية ذات الصلة بالمجالات الإنسانية.

ثانياً. شروط واجراءات النشر في المجلة:

تستند مجلة رماح للبحوث والدراسات إلى قواعد لجنة أخلاقيات النشر (COPE - Peer-reviewed Journals) (Committee on Publication Ethics) ، التي تتبع عملية النشر في المجلات العلمية المحكمة (Peer-reviewed Journals) مساراً منهجياً دقيقاً يهدف إلى ضمان جودتها قبل وصولها إلى الباحث القارئ. حيث تبدأ عملية النشر بمجلة رملح للبحوث والدراسات بمرحلة الإعداد والتقديم (Submission Phase) فتبدأ العملية بإعداد الباحث للبحث (Manuscript) وفقاً لسياسات المجلة التي تهتم بـ:

1. التنسيق والفحص المبدئي:

- التنسيق والالتزام بدليل المؤلف من حيث نوع الخط ، ونظام التوثيق (مثل APA أو IEEE)، وطريقة عرض الجداول والرسوم البيانية.
- خطاب التقديم (Cover Letter) وفقاً لرسالة موجهة لرئيس تحرير مجلة رماح للبحوث والدراسات ، توضح أهمية البحث وأصالته وعدم نشره مسبقاً.
- الفحص الأولي: حيث يخضع البحث وفقاً لسياسة المجلة فور استلامه لفحص متسلسل للتأكد من اكتمال الملفات ونسبة الاقتباس (Plagiarism Check) عبر برامج محددة.

2. مراجعة هيئة التحرير:

قبل إرسال البحث للتحكيم، يقوم رئيس التحرير أو المحرر المختص بعمل تقييم أولي للبحث للتأكد من الملاءمة ومدى توافق موضوع البحث مع تخصص المجلة ، والتأكد من الجودة المبدئية من حيث هل البحث مكتوب بلغة علمية رصينة ومنهجية واضحة بشكل أكاديمي يرتقي إلى مستوى مجلة رماح للدراسات والبحوث. وفي هذه المرحلة، قد تتم الموافقة المبدئية على البحث لاستكمالته والسير بباقي الاجراءات أو يتم الرفض إذا لم يستوفِ البحث الشروط الأساسية، مما يوفر وقت الباحث والمحكمين لاعادة النظر بالبحث بما يناسب سياسة المجلة.

3. عملية التحكيم العلمي:

وهي بالنسبة لمجلة رماح للدراسات والبحوث جوهر النشر العلمي، حيث يُرسل البحث إلى خبيرين أو ثلاثة في نفس التخصص حيث لا يعرف المحكم هوية الباحث ولا يعرف الباحث هوية المحكم لضمان الحياد. وبعد ذلك وبشكل سري يقوم المحكمون بتقييم الأصالة، المنهجية، تحليل البيانات، وقوة الاستنتاجات. وبناءً على تقارير المحكمين، يتخذ المحرر أحد القرارات التالية:

1. القبول كما هو.

2. تعديلات طفيفة تتطلب تعديلات بسيطة لا تمس جوهر النتائج.

3. تعديلات جوهرية تتطلب إعادة صياغة أجزاء رئيسية أو إجراء تحليلات إضافية.

4. الرفض في حالة وجود خلل منهجي جسيم أو عدم إضافة علمية جديدة.

وبمجرد كانت التقارير ايجابية وتم قبول البحث نهائياً يتم الطلب من الباحث أن يقوم ضمن فترة زمنية محدد بالتدقيق اللغوي ومراجعة البحث ومراجعة نهائية

4. الجدول الزمني لإجراءات النشر بمجلة رماح للدراسات والبحوث:

تتبع مجلة رماح للدراسات والبحوث منذ نشأتها جدولاً زمنياً لإجراءات النشر حفاظاً على

وقت الباحث والمحكم والمجلة، وفقاً للآتي:

التحكيم الأولي للتحريز 2 - 3 أسابيع

عملية التحكيم العلمي 3 - 6 أشهر (تختلف حسب التخصص)

مراجعة الباحث للتعديلات 3 - 5 أسابيع

النشر النهائي 4 - 6 أشهر بعد القبول

افتتاحية العدد

نسعى في مجلة "رماح للبحوث والدراسات" مواكبة التطورات البحثية في عالمنا العربي، وذلك من خلال نشر الأبحاث الجديدة في مجالها، والتي تعالج قضايا تربوية وأدبية وشرعية متنوعة، وتتيح مجلة "رماح" المجال واسعاً لأساتذة الجامعات وطلبة الدراسات العليا للنشر فيها مساهمة منها في تشجيع البحث العلمي الرصين، وتقديم وعاء للنشر العلمي يخلو من التعقيد في إجراءاته مع التمسك بالمنهجية العلمية الرصينة المتبعة في كتابة الأبحاث.

وتسعى المجلة للحصول على مزيد من التصنيفات العلمية والعربية المعتبرة، لذا سوف تصدر المجلة اعتباراً من سنة (2025) بشكل ربع سنوي، حيث سوف يصدر المجلد الأول رقم (115) في شهر كانون ثاني ويغطي الأبحاث المقبولة في المجلة لشهر كانون ثاني، شباط، وآذار، وسوف يصدر عدد الربع الثاني لهذه السنة في شهر نيسان ويغطي الأبحاث المقبولة للنشر في المجلة لأشهر نيسان، آيار، وحزيران، بينما سيصدر المجلد الثالث في شهر تموز ويحتوي الأبحاث المقبولة للنشر في المجلة لشهور تموز، آب وأيلول، بينما سيصدر المجلد الرابع لهذه السنة في شهر تشرين الأول.

وما هذا التعديل في تاريخ إصدار المجلدات إلا تحقيقاً لمتطلبات الانضمام لمستوعبات عربية وعالمية مرموقة، وسوف تغطي المجلة العلوم الاجتماعية كما هي عاداتها بكل فروعها المختلفة ونود أن نؤكد للباحثين العرب أننا نسعى للتطوير تماشياً مع متطلبات النشر العلمي الرصين للحفاظ على مكانة المجلة، ونرحب بأبحاثكم ودراساتكم العلمية.

رئيس التحرير

الاستاذ الدكتور سعادة الكسواني

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
A	هيئة تحرير المجلة
B	الهيئة الاستشارية للمجلة
D	شروط النشر
E	موقع المجلة بقواعد البيانات العالمية
F	أخلاقيات النشر العلمي
H	قواعد النشر والتوثيق
K	افتتاحية العدد
L - P	فهرس المحتويات
22 - 44	النتائج المحلي الإجمالي المعدل بيئياً خارطة خضراء للنمو المستقر إعداد: أ.م.د. احمد أياد إبراهيم / أ.د. سهيلة عبد الزهرة مستور / أ.د. منى يونس حسين كلية الادارة والاقتصاد / الجامعة المستنصرية
45 - 70	الادب النسوي العربي بين الموروث الثقافي والحراك الاجتماعي الحديث إعداد: م.م. أسراء عبد الحسن عبد الكريم مديرية التربية في محافظة النجف الاشرف
71 - 86	المحسنات البديعية في شعر عمير بن شليم التغلبي (ت101هـ) إعداد: م.م. آلاء فاضل عبد القادر مديرية التربية في محافظة النجف الأشرف / وزارة التربية / العراق
87 - 113	تجليات الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة دراسة تحليلية في رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد السعداوي إعداد: م.م. انتصار صالح مصطفى جامعة كركوك / كلية التربية للبنات

الصفحة	الموضوع
114 - 145	التكامل بين النحو والبلاغة في توجيه الدلالة القرآنية: دراسة لسانية معاصرة. إعداد: م.م. انتصار عبد حسين صايل المديرية العامة لتربية النجف الأشرف
146 - 173	تمثيلات الفضاء المكاني في ديوان مرثي الفراشات لنجم عذوف إعداد: م.م أنوار جاسب غالب كشيل الغزالي
174 - 206	التوجيه القرآني في معالجة مشكلات المجتمع المعاصر إعداد: م.م. ثائر لفته مجيد مردان الدهش المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة
207 - 232	الأخري في شعر أبي الفرج الببغاء (٣٩٨هـ) إعداد: م.د. حيدر كاظم محمد مديرية التربية في محافظة بابل
233 - 263	أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي إعداد: أ.م.د لمياء جبار عبد الوهاب الجامعة المستنصرية/كلية التربية /قسم علوم القرآن
264 – 283	النظم التجارية في أسواق الاندلس إعداد: م.م. رواء حمزة يوسف المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الاشرف

الصفحة	الموضوع
284 - 320	الكيمياء في حياتنا اليومية (استخدام البوليمرات العضوية في تنقية المياه) إعداد: م.م. سعاد عكموش شناوه كاطع المديرية العامة للتربية في محافظة القادسية
321 - 342	بيع الأصوات الانتخابية دراسة فقهية مقاصدية في ضوء أحكام الولاية والرشوة، وتداعياتها على المجتمع والدولة إعداد: م.د. سلام عباس أحمد الاحبابي مديرية تربية صلاح الدين
343 - 362	قصص النقد الأدبي عند العرب -دراسة في مسارتطور النقد في العصر الجاهلي- إعداد: م.م. ضرار كاظم مظلوم الكيماوي مديرية التربية في محافظة النجف الأشرف / وزارة التربية / العراق
363 - 392	شعر الطبيعة في شعر نازك الملائكة إعداد: م.م. غفران محمد عباس المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف
393 - 411	الشخصية المأزومة نفسيًا في الرواية العربية الحديثة دراسة تحليلية في البنية والدلالة إعداد: م.م. فلاح حسن صالح حسن كلية الامام الاعظم الجامعة/ اقسام كركوك

الصفحة	الموضوع
412 - 424	حقوق الموظف العام في القوانين العامة والخاصة إعداد: م.م. شذى سامي ياسر المديرية العامة لتربية النجف الأشرف
425 - 447	دور الإعلام في تسويق الخدمات الأمنية دراسة ميدانية إعداد: م.م. حيدر عبد الكاظم عباس السعدي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
448 - 466	مرويات همّ يوسف عليه السلام في كتب التفسير: جمع، تخرّيج، ودراسة نقدية في ضوء قواعد التفسير والحديث إعداد: م. م. سلطان حميد ندى جامعة كركوك _ كلية التربية للبنات
467 - 486	الاستجابة الفسيولوجية لنظام الإضاءة المتقطع على إفراز الكورتيزول والتنظيم الحراري في القوارض الليلية إعداد: م.م. لمعان رزاق ساجت مديرية تربية بغداد الكرخ الأولى / م. الجعيفر للبنين
487 - 510	جماليات التشظي والمحاكاة في روايات أمير بولص إبراهيم إعداد: م.م. نوال محمد بتور الغانمي جامعة القادسية / كلية الطب

الصفحة	الموضوع
511 – 531	سبل الكشف عن وسائل مقاصد الشريعة د. سَعْدُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ السَّكْنُدراني
532 – 554	The Role of Audit Committee Characteristics in Enhancing Financial Transparency and the Quality of Accounting Reports: A Practical Guide from Iraqi Banks Listed On the Iraq Stock Exchange By: Dr. Nadia Talib Salman 1st Middle Technical University / Administrative Polytechnic College – Baghdad, Iraq Fatimah Fezea hadab 2nd Aliraqia University / Economics and Administration College, Baghdad, Iraq
555 – 564	Performing Propriety: Gender as Ritual and Repetition in Edith Wharton's The Age of Innocence By: Assistant. Lecture Muna Mohammed Hasan General Direction of Education in Najaf Ashraf Shajarat AL-Durr / Secondary School for girls

الناتج المحلي الإجمالي المعدل بيئياً

خارطة خضراء للنمو المستقر

Environmentally Adjusted Gross Domestic Product

A Green Roadmap for Stable Growth

أ.م.د. احمد أياد إبراهيم أ.د. سهيلة عبد الزهرة مستور ا.د. منى يونس حسين
كلية الادارة والاقتصاد / الجامعة المستنصرية كلية الادارة والاقتصاد / الجامعة المستنصرية
كلية الادارة والاقتصاد / الجامعة المستنصرية

mahmadayad1980@uomustansiriuah.edu.iq

sohayla1973@uomustansiriyah.edu.iq

munayounis09@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى التعرف على الطريقة المناسبة والأسلوب الملائم لحساب الناتج المحلي الإجمالي المعدل بيئياً أو المستدام كهدف من أهداف تحقيق نمو مستقر ومستدام من خلال إعطاء قيمة حقيقية لاقتصاديات الناتج حيث إن طريقك بناء هذا المؤشر تختلف بصوره كليه وكاملة عن الطريقة التي كان يبنى بها الناتج المحلي الإجمالي إذ يفترض هذا الأسلوب إن الناتج المحلي الإجمالي المعدل يجب إن يتضمن ضمناً حساب كل من تكاليف استهلاك رأس المال الثابت وتكاليف استنزاف الموارد الطبيعية الناتج عن سوء استغلال تلك الموارد أو الاستخدام بمستويات اعلي من مستوى تواجدتها الطبيعي أضافه إلى ضرورة احتساب تكاليف الإضرار البيئية الناتجة عن مزاوله أنشطه اقتصاديه تمتاز بالارتفاع مستوى الانبعاث الكربوني أو الملوثات على حد سواء

مما تحدث هذه المتغيرات مجعنا أو بصورة فردية على حد سواء تغيرات غاية في الأهمية على مجمل النشاط الاقتصادي ومستويات الرفاهية والمستوى الصحي والإضرار البيئية وتغيرات المناخ فاثراً تلك المتغيرات لاقتصر على النشاط الاقتصادي فحسب وإنما تكون مرافقة للمجتمع وتوثر على سلوكه واستقرار نشاطاته الاقتصادية

الكلمات المفتاحية: الناتج المحلي الإجمالي المعدل التلوث تكاليف استنزاف الموارد الطبيعية استهلاك رأس المال الثابت

Abstract:

This research aims to identify the appropriate method and approach for calculating the environmentally adjusted—or sustainable—Gross Domestic Product (GDP). This serves the goal of achieving stable and sustainable growth by assigning a true value to economic output. The methodology for constructing this indicator differs fundamentally from the traditional method used for GDP; the adjusted approach necessitates the implicit inclusion of costs associated with fixed capital consumption and the depletion of natural resources—whether caused by mismanagement or by utilization rates exceeding natural availability—as well as the costs of environmental damage resulting from economic activities characterized by high levels of carbon emissions or other pollutants.

Whether acting in combination or individually, these variables bring about significant changes affecting overall economic activity, welfare levels, public health, environmental degradation, and climate change. Their impact is not limited to economic activity alone; rather, it extends to society, influencing its behavior and the stability of its economic activities.

Keywords: Pollution-adjusted Gross Domestic Product (GDP), natural resource depletion costs,

المقدمة

يتمحور هذا البحث حول موضوع قد يكون مهم لدى الكثير من الباحثين في المجال البيئي ودراسة التغيرات المناخية والدراسات الاقتصادية التي تعنى باستقرار المتغيرات الاقتصادية الكلية والقياسية ودراسات النمو والتنمية

إذ يبحث على سبيل المثال معالجه إشكاليه اعتماد قيم الناتج المحلي الإجمالي على حساب مجموع القيم الايجابية المضافة نتيجة مزاوله الأنشطة الاقتصادية والزراعية والصناعية والتعدين والقالع والتجارة إلى أخره تلك الطريقة التي أحالت دون الأخذ بالنظر الاعتبار مجموع الإضرار البيئية الناتجة من مزاوله تلك الأنشطة إذ لابد من إن ترافق تلك الأنشطة الاقتصادية مخلفات مرافقة للإنتاج تتمثل تلك المخلفات بإضرار بيئية عبارة عن انبعاث الغازات الدفينة مثل الميثان والثاني أكسيد الكربون هذا نتيجة لمحاوله تحقيقها معدلات مرتفعه من النمو في تلك البلدان بدون علم وفي كثير من الأحيان يتم استنزاف الموارد الطبيعية خاصة إذا كان معدل الاستخدام اعلي من معدلات التوليد الطبيعي

أضافه إلى ذلك فان مشكله الحصول على معدلات مرتفعه افزره أيضا ارتفاع في معدلات استهلاك رأس المال الثابت دون إن يتم حساب ذلك ضمن الناتج المحلي الإجمالي لذلك جاء هذا البحث كمحاولة بتوصيات احتساب كل من تكاليف استهلاك رأس المال الثابت ومعدلات ضمن معدلات الأندثار المعمول عليها أضافه إلى تكاليف استنزاف الموارد الطبيعية على اختلاف مواردها وإشكالها وكذلك احتساب تكاليف الإضرار البيئية الناتجة عن ارتفاع معدلات التلوث البيئي بسبب اللجوء إلى أنشطه اقتصاديه ذات محتوى كربوني مرتفع تحقق في بادئ الأمر معدلات مرتفع من النمو المرغوب لكنها تسبب كذلك تراكم في معدلات التلوث البيئي فيما بعد مسببا مجموعه من المشاكل التي يعاني منها المجتمع مستقبلا كارتفاع نسب التلوث والتغير المناخي وتغيرات درجات الحرارة وارتفاعها وكذلك مواجهه التصحر في بعض المناطق أو الفيضانات في مناطق أخرى

مشكله البحث

تتمثل مشكله البحث في بناء آلية لاحتساب مؤشر الناتج المحلي المعدل بيئياً أو المستدام وذلك بعد تحديد أهم المتغيرات الداخلة في حسابه كمؤشر استنزاف الموارد الطبيعية وكيفية قياس ذلك المؤشر وبنائه وكذلك مؤشر استهلاك رأس المال الثابت وحسابه ومؤشر تكاليف الإضرار البيئية الناتج عن ارتفاع معدلات التلوث الكربوني وغيرها من الملوثات والغازات الدفينة ثم تحديد مقدار الفرق بين الاثنين

فرضيه البحث

تتمحور الدراسة حول افرضيه أساسيه مفادها إن احتساب قيم التلوث البيئية واستنزاف الموارد الطبيعية الاقتصادية والبشرية وكذلك قيم استهلاك رأس المال الثابت ضمن حسابات الناتج المحلي الإجمالي يعطي صوره حقيقية و واضحة ومختلفة جدا المعمول بها إضافة إلى تحقيق معدلات نمو حقيقي وفعالية وكذلك قيم حقيقية للناتج المحلي المعدل الذي تختلف قيمه كليا عن قيم الناتج المحلي الإجمالي بصورته الحالية إذ تكون تلك النواتج أكثر استقرارا واستدامة

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى بناء مؤشر الناتج المحلي الإجمالي المعدل أو المستدام وتحديد اهم المتغيرات الداخلة في بنائه والذي قد يعطوا صوره حقيقية للقيم المضافة الفعلية الصافية دون مبالغه في حسابات الناتج وذلك للوقوف على ما قد يصيب المجتمع من أثار التلوث أو ما قد يواجهه الأجيال المستقبلية من هدر واستنزاف في الموارد الطبيعية لذلك جاء هذا البحث لغرض بناء والحصول على مؤشر للناتج المحلي الإجمالي المعدل ليعطينا صوره حقيقية لمعدلات النمو المستقرة والمستدامة

أهميه البحث

تكمّن أهمية هذا البحث من خلال إمكانية الاعتماد على مؤشر الناتج المحلي الإجمالي المعدل أو المستدام في الاعتماد عليه بديلا لمؤشر الناتج المحلي في الدراسات الاقتصادية فضلا عن أهميته كدراسة حديثة ضمن التوجهات العالمية التي تشير إلى وتؤكد على ضرورة بناء واعتماد مثل هذه المؤشر وغيره من المؤشرات المعدلة بيئياً كمؤشرات بديله لمؤشرات الناتج أو الدخل أو الادخار المعمول عليها حاليا

هيكلية البحث

لقد تم اعتماد البحث على مبحثين إذ تناول المبحث الأول المطلب الأول تعريف الناتج المحلي الإجمالي وجوانب القصور والإخفاقات التي رافقته على مر السنين كحساب اغفل في الغالب الأعم حساب الآثار السلبية المرافقة له مثل استهلاك رأس المال والتلوث واستنزاف الموارد إما المطلب الثاني فقد أكد على الكيفية التي يتم بها بناء المؤشرات المعدلة بالآثر البيئي أو نظام الحسابات الايكولوجية ومبررات اللجوء لها

اما المبحث الثاني فقد تناول متطلبات بناء المؤشر في المطلب الأول والمطلب الثاني تناول آلية حساب المؤشر وكذلك التعرف على المتغيرات الأساس في بنائه المتمثلة باستهلاك رأس المال الثابت والاستنزاف الموارد الطبيعية وتكاليف الإضرار البيئية الناتجة عن ارتفاع معدلات التلوث وانبعاثات غاز ثاني اوكسيد الكربون بأعلى من معدلاته الطبيعية

المبحث الأول

المطلب الأول: الناتج المحلي الإجمالي وأهميته وتعريف على نواقصه

يعرف GDP باعتباره يمثل مجموعه القيم السوقية لكافة السلع والخدمات المنتجة داخليا ضمن حدود البلد المالي خلال فصل واحد وفي الأغلب سنه كاملة إذ يعتبر عن أهم المتغيرات الاقتصادية التي تشير إلى طبيعة النشاط الاقتصادي وحجمه ويمكن النظر إليه أيضا

باعتبار يمثل مجموع إجمالي الإنفاق الكلي على مختلف السلع والخدمات أو انه يمثل مجموع دخول الأفراد في اقتصاد ذلك البلد بافتراض تعادل معاملات الإنفاق والدخل

(MANKIW ,FIRST Edition P 21-23) إذ كان يؤكد في دراسات على أهميه الناتج المحلي الإجمالي Cross Domestic product في قياس وحساب مؤشرات النمو الاقتصادي وتحديد السياسات الاقتصادية الكلية

إلا انه بالرغم من ذلك فان GDP لا يمكن له من إن يخلو من بعض العيوب حيث ظهرت العديد من الدراسات التي تؤكد على ضرورة تطوير مؤشرات GDP للحصول على مؤشر واضح ولطيف ولكن من الممكن أن يكون أكثر شمول للجوانب الاجتماعية والبيئية والاقتصادية ليعطي صورته أكثر وضوحا للرفاه الاقتصادي وحماية حقوق الأجيال المستقبلية بالتمتع بالموارد فمنذ الستينيات من القرن الماضي تعرض GDP إلى انتقادات من المؤسسات العلمية كونه لا يعكس مقدار الرفاهية الاقتصادية إذ كانت الدعوات تتمحور حول إنشاء مؤشر أكثر صحة وتعافي من الناتج المحلي الإجمالي الذي واجه المزيد من الدعم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية

إذ اعتبر حينها مؤشرا لقياس التقدم والتطور الاقتصادي لتعزيز الاستقرار والرفاهية العالمية كونه مؤشر غاية في الأهمية لدى الأمم المتحدة للمقارنة ما بين معدلات النمو الاقتصادي لدى البلدان وقد لاق أهميه

كبيره من قبل كل من كنز وساملسون والكثير من الكتاب لما له من أهميه في قياس ومقارنه معدلات النمو الاقتصادي أن ذاك (Kate Crowell and others P34)

هذا النمو الذي لاقى الكثير من الانتقادات خاصة وانه لا يعبر عن مقدار تغيرات الثروة القومية حيث يمكن النظر إلى النمو بمفهومه هذا يجب أن يكون شامل في حجم الاقتصاد ككل وبالتالي حجم الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي لينعكس على إجمالي نمو إنتاجيه الموارد المطلوبة لهذا الناتج . لذا يمكن أن يرتفع كل ما يمكن إنتاجه بنفس النسبة المئوية لكن ما يحدث حالياً من نمو هو عمليه أعاده تخصيص للموارد حيث نلاحظ ارتفاع معدلات نمو بعض القطاعات في حين نلاحظ انخفاض في إنتاجيه القطاعات الأخرى حتى وان تم أعاده تخصيص الإنتاج نحو المنتجات الأقل كثافة في استخدام الموارد الطبيعية وبما إن الناتج المحلي الإجمالي يقاس بالقيمة السوقية لهذا ك فهو لا يخضع لحدود الموارد الطبيعية

هذا وان مؤشر الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي يمكن أن يعتبر أكثر أهميه نظرا للتغيرات التي تحدث في مستويات الأسعار بسبب انخفاض بحجم الموارد الطبيعية وارتفاع الأسعار إذ قد ينمو كل من الأسعار والناتج المحلي الإجمالي معا مسببا حاله من التضخم ولكن عندها يكون الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي لا يطرأ عليه أي نمو في معدلاته لذلك يمكن اعتبار مؤشر الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي والذي ياخذ في نظر الاعتبار تغيرات الاسعار أكثر أهميه لحساب معدلات النمو من الناتج المحلي الإجمالي أضافه إلى انه بالرغم من إن الناتج المحلي الإجمالي يشير إلى العمليات السوقية التي تجري بين طرفين لكن هذا الأخير قد تغافل عن وجود طرف ثالث وهم الفقراء الأشخاص الغير قادرين على القيام بعمليات الشراء بسبب افتقارهم للمال إذ لا يمكن له من إن يعبر عن تفصيلاته

أضافه إلى ما يرافق نمو GDP من انه يسارع في استهلاك رأس المال الطبيعي تحت ذريعة أن كل ما هو متاح لرفع معدلات نمو GDP هو أمر مرغوب في لتحقيق حاله التشغيل الكامل التي اعتبرت من الأهداف الرئيسية للاقتصاد الأمريكي ابتداء من عام 1946 حيث كان يعتبر النمو الاقتصادي هو المحرك الرئيسي لتحقيق حاله التشغيل الكامل هذا وقت أغفلت الحسابات السوقية للناتج المحلي الإجمالي المنتجات السيئة باعتبار لا قيمه لها إذ اعتبر إن الأشخاص لا تشتري المنتجات ذات الضرر

فكلما زاد الناتج المحلي الإجمالي زادت معه المنتجات السيئة المرافقة GDP وهي عبارة عن الملوثات الناتجة عن تلك الأنشطة أقتصاديّه (HERMAN DAIY P 20-24)

حيث يرى العديد من المحللين الاقتصاديين أن من استفاد من معدلات النمو الاقتصادي المرتفع هي مجموع الدول الصناعية والشركات الكبرى إذ من خلال ارتفاع معدلات أنشطتها الاقتصادية وعلى الأساس ذلك يتم اختيار أعضاء مجموع السبعة / الثمانية أو مجموعه العشرين وفقاً للمعدلات نمو إنتاجهم ذلك النموذج من النمو الذي تجاهل استهلاك الموارد باعتبار أنه يتم الحصول عليه من موارد مجانية وكذلك فهو أيضاً لا يهتم لتكاليف التدهور البيئي والتلوث وهي عواقب ناتجة عن التنمية الصناعية أضافه إلى أن إغفاله النشاط الأسري الذي قد بلغ معدل 30% من الناتج في الولايات المتحدة الأمريكية كإعمال تربيته الأطفال ورعاية كبار السن والضعفاء هذا أضافه إلى إعمال المتاجرة غير الرسمية والتبادل بالخدمات التي تعد مصدر حياة الملايين من الأفراد

إذ أدى التأكيد على ارتفاع معدلات النمو تلك إلى ارتفاع معدلات الصناعات الملوثة على حد سواء وارتفع معه أيضاً سوء استخدام الموارد الطبيعية بشكل أعلى من معدلات التجديد الطبيعي لكل من الموارد المتجددة وغير المتجددة وهذا ناتج عن بسب الإفراط في استهلاك تلك الموارد من قبل البلدان الراغبة بتحقيق معدلات نمو مرتفعه (Borowy, & Schmelzer, 2017P 96-102)

كما يمكن ملاحظ أن هدف تحقيق معدلات نمو مرتفعة قد يكون سببا في حدوث كوارث طبيعية كما أفرضته التجارب كما وأن الواقع قد أثار مجموعه من التساؤلات حول إهمال الناتج المحلي الإجمالي مسائل التدهور البيئي واستنزاف الموارد الطبيعية كما يؤكد أن التوجه نحو تحقيق معدلات مرتفعه من النمو كان مقترنا بالتجاهل الاحتياطات الموارد الطبيعية والتي أكدت عليها نظريات حدود النمو إذ أكدت أنه لا يمكن الحصول دائما على معدلات نمو مرتفعه دون الأخذ بنظر باعتبار محدودية الموارد والتي أثارت تلك النظريات جدلا واسعا في مسائل تحقيق معدلات نمو مرغوبة و قد أشارت أيضا إلى إشكاليه التي وقع بها سيمون كوزنتس بعد أن قام بتطوير مؤشرات الثروة والدخل القومي إذ تمكن حينها في إجراء حسابات مستويات الدخل القومي والناتج القومي للولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من البلدان ومقارنه مستويات الإنتاج والدخل فيما بين تلك الدول

لكن سرعان ما لاحظ أن مسائل سوء توزيع الدخل والتفاوت بالثروة والفقر كلها ظهرت وزادت مع تحقيق معدلات نمو مرتفعه عندها اعتبر سيمون كوزنتس أن طريقة حساب الناتج كانت بمثابة آلة غسيل إحصائي أطلق عليها حرفيا (statical laundry) حيث أضفت حسابات الناتج المحلي حاله من عدم المساواة وهذا ما أكد عليه تقرير منظمه التعاون الاقتصادي والتنمية في 2008 وأطلق عليه النمو غير المتكافئ إذ أشار ذلك التقرير من إن حاله عدم المساواة أصبحت مرتفعه حتى في معظم البلدان المتقدمة كحال لم

تشهدها تلك الدول منذ منتصف فترة الثمانينيات من القرن الماضي والتي أكد عليها مره أخرى تقرير منظمة التعاون الاقتصادي و التنمية عام 2011 إذ توصل إلى انه لا يمكن حساب مقدار الرفاهية اعتمادا على مؤشر الدخل القومي أو الناتج القومي (Fioramonti L 2013 p50-80)

وكذلك يرى ديبري من أن الناتج المحلي الإجمالي لم يبنى لحساب الرفاهية بل هو مقياس لمستوى وقدره البلد الإنتاجية والنمو ومع ذلك ما زال صناع القرار السياسي يتعاملون مع متوسط نصيب الفرد من الناتج كمؤشر لبناء السياسات الملائمة التي تحدد سياسات وتوجهات السياسة التنموية

لكنه ومع ذلك فهو يقتصر على حسابات التأثيرات البيئية والتغيرات المناخية ويؤكد في ورقته البحثية من أن من مبررات كنز لرفع معدلات نمو الناتج المحلي هو إدخال الإنفاق الحكومي خاصة في فترة الحرب وذلك لرفع معدلات الناتج الذي استمر الأخذ به إلى يومنا هذا حتى وبعد انتهاء الحروب حيث ارتبط معدل النمو بزيادة الإنتاج من السلع والخدمات متغافلا عن الإضرار البيئية المترتبة على زيادة ذلك الإنتاج لكن الوقت حان للاقتصاد الحديث إن يحتاج إلى بناء مقاييس أفضل لقياس الآثار الخارجية الناتجة عن مزاوله أنشطه اقتصاديه ذات تأثيرات بيئية

(Amit Kapoor & Bibek Debroy oct 4 2019)

وهو الأمر الذي نحاول إثباته في بحثنا هذا وذلك من خلال بناء مؤشر للناتج المحلي الإجمالي يأخذ في نظر الاعتبار مقدار استهلاك رأس المال الثابت وتغيراته حتى انه يمكن الاعتماد على مؤشر الهجرة خاصة لتلك البلدان التي تعتمد في تطورها على مجال البحث والتطوير أو تلك التي تكون في بدايات مراحل نموها يكون البحث والتطوير أساسا في بناء مثل تلك الدول التي تعتمد في بدايات تطورها على المستويات التعليمية ومخرجات البحث والتطبيق

وكذلك يرى البنك الدولي يجب أن يشتمل الناتج المحلي الإجمالي على مقدار التدهور البيئي الناتج من نمو تلك القطاعات كذلك وإن يتضمن التلوث البيئي أضافه إلى استنزاف الموارد الطبيعية المتمثل بالإسراف في استخدام تلك الموارد على من معدلات التجديد الطبيعي لها لذا فإن هذا المنهج المعتمد في حساب الناتج المحلي الإجمالي للمعدل يعتمد على دمج المؤشر السابق بأسلوبه التقليدي مع نظام المحاسبة البيئي المرتبط بقياس استنزاف الموارد الطبيعية والبشرية وتدهور البيئي وحساب قيم التلوثات لاستحداث مؤشر يعطي صوره أكثر دقه للآثار الخارجية الناتجة عن الأنشطة الاقتصادية (World 2008 , P125-129) (Bank , وقد أوضحت العديد من الدراسات والتقارير التابع للأمم المتحدة من إن كون المؤشرات التقليدية

بالاقتصاد الكلي كانت قد أغفلت وما زالت في حسابها حساب كل من الاستنزاف الموارد الطبيعية والبشرية والتدهور البيئي الذي يؤثر سلباً على مجمل الأنشطة الاقتصادية الكلية حيث يمكن تلافي مثل تلك السلبات من خلال إجراء مجموعه من التعديلات على نظام الحسابات القومية والذي سيؤدي إلى حدود تغييرات حقيقية وجذرية في كل من القيم الاقتصادية لتحقيق استقرار وتوازن اقتصادي بصورة حقيقية (World Bank Group , the changing wealth of Nation 2018, P 200)

إذ من الممكن أن تحقق تلك الاقتراحات التعديلية تطوراً في مجال البحث العلمي خاصة للباحثين في مجال الاقتصاد الكلي والتنمية إذ ما زالت العديد من البلدان المتقدمة أمثال روسيا رغم تحقيقها معدلات عالية من النمو الاقتصادي لكنها تعاني من اعتمادها على نظام الحسابات التقليدي الذي يعبر عن مجموع قيم السلع المعدل للاستهلاك وأيضاً فإن الإشكال امتد أيضاً إلى صافي الصادرات ولذي يعبر عن ضعف من وجهه نظر الاستدامة والاستقرار وعلى صافي القيمة الحقيقية نظراً لكونه لا يشمل على تكاليف التلوث والاستنزاف البيئي والتكاليف البيئية التي من الممكن أن تظهر على شكل أمراض أو مخاطر مثل التصحر وأيضاً ارتفاع في درجات الحرارة وتغيرات المناخ وقد اتضح تلك الدراسات أنه بالرغم من ارتفاع تلك المعدلات النمو في هذه البلدان خاصة المنتجة للنفط والغاز إلا أنها شهدت انخفاض في معدلات الادخار الحقيقي إذ تشير المتغيرات المعدلة إلى ضرورة إدخال العوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية ضمن نظام الحسابات التي ستؤثر إدخالها في مستويات الاستثمار والادخار والإنتاج الحقيقيين (korobitsyn , Boris. 2015, P) أضافه إلى تأثيرها على وضع ميزان المدفوعات لأنه وبعد احتساب قيم الملوثات المرافقة لإنتاج الصناعي المصدر فإن ذلك سيؤثر على قيمته الحقيقية خاصة تلك المنتجات ذات المحتوى الكربوني العالي التي يتم المتاجرة إذا ما تم احتسابه تكاليف تلك الملوثات المرافقة للإنتاج ضمن حساب ميزان المدفوعات لتحديد مقدار التغيرات التي من الممكن أن تحدث في أسعار السلع المتداولة دولياً وبالأخص إن معظم تلك البلدان غير قادرة على إنتاج وتصدير منتجات ذات محتوى كربوني منخفض لذا وبعد إدخال تلك التكاليف سوف تؤثر بشكل حقيقي على أسعار السلع المتداولة مما يؤثر بصورة واضحة على وضع ميزان المدفوعات ليعطي صورة أكثر حقيقية بعد احتساب تكاليف الملوثات المرافقة لتلك المنتجات المصدرة والتي ينعكس أثرها على شكل أمراض وأوبئة وتصحر ومن الممكن حتى تغيرات في المناخ ستظل تعاني منها تلك البلدان ولسنوات (Dr. Ahmed, Iyad 2023)

المطلب الثاني الناتج المحلي المستدام أو الناتج المعدل بيئياً

يعد التخوف من استنزاف الموارد الطبيعية والاستقلال البيئي أمر في غاية الأهمية وذلك لغرض المحافظة على التنوع البيئي والبيولوجي لمصادر النمو المتمثلة بالموارد الطبيعية والبشرية

تلك المخاوف التي بدا تتجسد في نظام الحسابات البيئية وتدهور البيئي آذ ساعدت تلك الأنظمة على حساب مقدار الهدر البيئي والتلوث واستهلاك رأس المال وإدخالها ضمن نظام الحسابات القومية الكلية والتي أجرتها العديد من البلدان لغرض تحديد مقدار الهدر والاستنزاف ومقدار انعكاس تلك المتلوثات واستهلاكها على الناتج المحلي الحقيقي البيئي أو المستدامة أو الأخضر كلها مصطلحات تتطوي حول محاوله احتساب تلك التأثيرات ضمن نظام المحاسبة ليعكس صورته اقرب إلى الحقيقة لتكشف عن الأوضاع الاقتصادية الصريحة لذا يتطلب مثل تلك الأمور القيام بإنشاء مثل تلك الحسابات والمؤشرات ضمناً أولاً (Mary Vimochana, 2017, p247) لهذا فقط وجهت توصيات مؤتمر الإحصائيين الأوروبيين بشأن قياس التنمية المستدامة إلى ضرورة عمل الإجراءات الملائمة بشأن حساب مؤشر الناتج المحلي الإجمالي لكي يتسم مع أهداف التنمية المستدامة خاصة ما بعد عام 2015 حيث قرر المجمع على إن التحسين في المؤشرات تلك بعد أمر ضروري ولا بد منه والأخذ به لكي تعمل تلك المؤشرات على ملائمة المتغيرات الاقتصادية مع قرارات السياسات الاقتصادية لتحقيق الاستقرار الاقتصادي في تلك البلدان التي من الممكن أن تأخذ بتلك المتغيرات المعدلة

لذلك فهو طالب وبشده هيئه الأمم المتحدة على ضرورة إطلاق برامج الإصلاح لتشمل أيضاً برامج الخاصة بإنشاء وإصلاح وتطوير وتعديل تلك المؤشرات مثل مؤشر الناتج المعدل وكذلك مؤشر الاستهلاك ليشمل أيضاً الإصلاح في قضايا الدخل والاستهلاك الأمر الذي بدا يعطي أهميه للجوانب الصحية والتغذية والتحصيل العلمي ومجالات أوسع من مجرد اعتماد الاستهلاك على مستويات الدخل UN, Conference (of European, 2014, p120)

فبعد التعديل الممكن إجراءه على مؤشراً لدخل القومي المستدام كمتغير مستقل مؤثر على الاستهلاك حصلنا على نتائج غاية في الأهمية هي أولاً الحصول على مستويات مستقره من الاستهلاك استقرار حقيقي يمكن من تحقيق اعلي معدلات من الرفاهية الاقتصادية وهو مؤشر طالما حلم العديد من تحقيقه إضافتها إلى ذلك فقد أعطى ذلك المؤشر إمكانية التحكم وتوجيه الحد العشوائي كمسار واتجاه للسيطرة والتحكم بأوضاع الاستهلاك مستقبلاً وأيضاً أعطى أهمية بالغة لرأس المال البشري في تحقيق معدلات غير متوقعة

من الاستهلاك وهو أمر تم التأكد منه من خلال النماذج القياسية ليحقق ولأول مرة على مستوى النظرية الاقتصادية المساواة ما بين الميل الحدي للاستهلاك والميل المتوسط للاستهلاك والذي يمكن الاعتماد عليه على المستوى العالمي

إذ يؤكد العنوان على الحصول على معادلة وليست دالة وهذا يشير ويؤكد من انه قد تم اخذ كافة المتغيرات المؤثرة على الاستهلاك النوعية منها والكمية وتصفير الخطأ العشوائي والتحكم به لذا فهذا المؤشر المعدل يعطي لصانع السياسة الاقتصادية صوره حقيقية لأحوال الاقتصادية وبيبين التأثيرات الكلية والجزئية المؤثرة على المجتمع من خلال إتباع تلك السياسات ولا يعطي مجالا للشك أو التخوف من تلك السياسات في حال تم اعتماد ذلك المؤشر المعدل الخاص بالدخل (احمد إياد التنبؤ بالأثر الايكولوجي على معادلة الاستهلاك المستدام , 2019, ص 111)

لذا فهذا البحث يوضح كيفية إمكانية بناء مؤشر معدل وهو مؤشر الناتج المحلي الإجمالي المعدل أو المستدام

المبحث الثاني

المطلب الأول: متطلبات بناء مؤشر الناتج المحلي الإجمالي المعدل

يمكن تعريف الناتج المحلي الإجمالي المعدل أو المستدام من انه هو ذلك الناتج الذي يجب ان يأخذ في نظر الاعتبار تكاليف استهلاك رأس المال الثابت وتكاليف استنزاف المواد الطبيعية وغير الطبيعية وتكاليف الإضرار البيئية الناتجة عن التلوث البيئي بمعدلات أعلى من المسموح بها عالمياً ومن متطلبات أقامه مثل هذا النظام هو أولاً الاعتراف الضمني بوجود ضغوطات بيئية وتسليط الضوء عليها وعلى الأسباب والنتائج المترتبة على مثل تلك الآثار من أوبئة وتصحر وإمراض وتغيرات مناخية وفقدان لفرص العمل وانتشار أمراض الربو والحساسية والسمنة وتغيرات في سطح التربة والعديد من النتائج المترتبة من التلوث والضرر البيئي

وكذلك الاحتياج إلى نظام معلومات متطور وقاعدة من البيانات المتقدمة والمتطورة إذ يجب ان تحتوي على مجموع القيم الخاصة بالمتغيرات موضوع البحث حيث يتطلب ذلك تحديد تكاليف التلوث البيئية التي تكون اعلي من الحدود المقرر لها وكذلك حساب تكاليف استنزاف الموارد الطبيعية الناجمة عن مزاوله الأنشطة الاقتصادية الملوثة للبيئة أضافه إلى احتساب تكاليف استهلاك قيم رأس المال الثابت لنتمكن من حساب صافي الناتج المحلي المعدل حيث يجب أولاً تقدير تكاليف استنزاف تلك الموارد المذكورة أعلاه

ومن ثم يجري عملية تقدير الناتج المحلي الإجمالي المعدل والذي يمثل قيمه الناتج المحلي الإجمالي ناقص تكاليف استنزاف الموارد الطبيعية وكذلك يطرح منه استهلاك رأس المال الثابت أضافه إلى طرح تكاليف التلوث البيئي أو التدهور البيئي (OECD , 2025 ,p213)

المطلب الثاني : أولاً: آلية حساب المؤشر ومحدداتها

قبل كل شيء وباختصار يجب التنويه أن من موجبات تحديث آلية حساب الناتج المحلي الإجمالي هو توقيع العراق لاتفاقية التغير المناخي والحد من آثار التلوث المناخي في عام ١٩٩٢ حيث دخلت تلك الاتفاقية حيز التنفيذ وذلك لغرض مواجهه التهديدات المناخية والتصدي لها وتقليل من انبعاثات الغازات الدفيئة ليتمكن العراق من تقليل الآثار المترتبة لهذه الانبعاثات باعتباره طرفاً في اتفاقية الأمم المتحدة بشأن المناخ وذلك اعترافاً منه بنتائج التأثيرات التي ممكن أن يواجهها من اثر ارتفاع مستويات التلوث وأمن تلك التي سيواجهها من جراء آثار التدابير المتخذة للحد منها والذي يعد عملاً مشتركاً لجميع الدول الداخلة بالنفاق للمحافظة على مستويات إنتاج ملائمة ومستويات استهلاك تحد من الفقر

وقد تمثلت أهم تلك الأهداف أيضاً بالبقاء على مستويات درجات الحرارة من دون ارتفاع عن مستوى الذي كانت عليه إبان الثورة الصناعية بدرجتين وكذلك تعزيز القدرة على التكيف والتحمل للحد الذي لا يؤثر على الإنتاجية والاستهلاك

وتحويل التدفقات المالية بالشكل الذي يؤكد تخفيض مستويات التلوث من خلال العمل على التوقف عن ارتفاع نسب التلوث عن الحدود التي نصت عليها الاتفاقية

والعمل على اتخاذ إجراءات محليه بالعمل على وقف ارتفاع الانبعاث بأسرع وقت ممكن مع التشجيع على تحقيق تلك المساهمات الوطنية مع إمكانية تقديم الدعم للمساهمة في الحد من الانبعاث مع فسح المجال إمام تبادل الخبرات وتحديد الإجراءات والممارسات التي تتول للحد من إضرار التلوث مع إمكانية العمل على تحقيقها بشكل جماعي عبر المنظمات الدولية وذلك لتعزيز القدرة على التكيف والتحمل للحد من الآثار ويعد هذا إقرار من قبل الأطراف من أن التكيف لمثل تلك الإجراءات يعد تحدي لتلك البلدان الداخلة بالاتفاقية مع إقرار جميع الأطراف بضرورة إجراء ممارسات تكيفيه من شأنها أن تقيم آثار التلوث ونظم تخفيفه مع أن تراعي تلك الإجراءات تلك النظم الايكولوجية والجنسية للبلد الداخل مع تبادل المعلومات والإجراءات والخبرات (4618 الوقائع العراقية) في انه كان قد أشار مجمل الاتفاقية الأصل والمنصوص عليها في المرفق من أن الشروط التي تنطبق على دول المجموعة الأولى قد لا تسري على باقي الدول

المنظمة لاتفاقية المناخ حيث ان اغلب البلدان في المجموعة الأولى أو المرفق الأول ان هذه البلدان لها الحق بالتخفيض بنسبة 10% من حدود الانبعاثات لمجموع تلك الغازات (والمتمثلة بغاز ثاني أكسيد الكربون CO₂ وغاز الميثان CH₄ وأكسيد النيتروز N₂O الضاحك ومركبات الكربونية الفلورية الهيدروجينية HFCs والتي تعتبر عائلة متكاملة من المركبات مثل CHF₃ ومركبات الكربونية الفلورية المشعة مثل مركبات الكربون الفلورية CFCs أو الهيدروكربونات المشبعة بالفلور PFCs وكلاهما يندرج تحت الغازات الدفيئة وتعرف في الكيمياء بأنها مشتقات يتم استبدال ذرات الهيدروجين في الألكانات الفلور وأخيراً سادس فلوريد الكبريت (SF₆) من عام 1995 بمعنى أن لها الحق بالتخفيض بنسبة 10% من مقدار التلوثات التي كانت عليها في عام 1995 كسنة أساس

أما باقي البلدان والداخلية في الاتفاقية فلها الحق بتخفيض 5% من مقدار التلوثات لعام 1990 كسنة أساس وإذا كانت هذه البلدان ناشئة ممكن لها من أن تقدم مذكرة في بداية السنة من تغير سنة الأساس بشكل يتم الاتفاق به مع باقي الأطراف كما وان هذه النسبة تتغير حيث يجب ان تتضاعف بمقدار خمس مرات وذلك لمرور خمس سنوات على الاتفاقية أي ان التخفيض الذي يجب يقوم به العراق هو بنسبة 25% من مقدار التلوثات التي كانت عليه في عام 1990 حسب المادة الثالثة من الاتفاقية في الملحق والفقرة السابعة من المادة أعلاه (4114 الملحق الوقائع العراقية)

لكونه لم يتم بتقديم طلب لتغير سنة الأساس ولكن فيما بعد تم تعديل الاتفاقية ليكون التخفيض على شكل تكييفي يتم الاتفاق عليها بين الدولة المعنية ونادي باريس لتغير المناخ تلك الاتفاقات التكييف التي دخلت حيز التنفيذ منذ عام 2016 والرامية للمحافظة على عدم ارتفاع درجات الحرارة عن مستوى درجتين إلى ما كانت عليه في فتره 1914 من خلال العمل على أالمحافظه قدر الإمكان للبقاء على مستوى 1.5 درجة حرارية بعد الارتفاع في درجات الحرارة والتي هي عليه الآن وذلك من خلال السعي إلى خفض مستوى الانبعاثات بنسبه 43% عن مستوى عام 2024 والذي اعتبر حينها انه يمثل أعلى مستوى للتلوث يجب ان يصل لها العالم عندها وحتى عام 2030 والذي يعتقد أنها ستكون قد وصلت إلى على ذروتها في عام 2025 وعندها قدم العراق مساهمته المزعومة على خفض انبعاثات بمعدل 15% دون مستوياتها المعتادة نسبتاً لعام 2025 حتى حلول عام 2035 وذلك من خلال ما يسمى تحالف المناخ والهواء النظيف عام 2012 (مسارات خطة الاستثمار العراقي في المناخ 2025)

ثانياً استهلاك رأس المال الثابت واستنزاف الموارد

يشير استهلاك رأس المال الثابت إلى الانخفاض الحاصل في قيمه الأصول نتيجة الاستهلاك الطبيعي والمتوقع بسبب الاندثار استنفاد تلك الأصول قيمتها مع مرور الزمن وبمعدل طبيعي نتيجة للإضرار العرضية إلا إن التقادم غير المتوقع بسبب الكوارث واستنزاف الموارد الطبيعية لا يمكن التأكد منه بسهولة وذلك لصعوبة تقديره لذلك يبقى التقادم أو الاقتصاد ملازماً لمعنى الاستهلاك في الأصول المحاسبية ولذا يعرف من أنه انخفاض القيمة المستقبلية للأصل نتيجة الاستخدام الطبيعي في عمليات الإنتاج (statistics explained)

إضافة إلى ارتباط هذا المؤشر بنظام الحسابات القومية الذي يعتبر الأساس لفهم وتحليل الأداء الاقتصادي في أي بلد كان في العالم وذلك من خلال تقدير الإنتاج المحلي والدخل وغيرها من المؤشرات الاقتصادية اللازمة لصنع السياسات الحكومية والتي تعد أداة أساسية في يد متخذ القرار الاقتصادي المالي والنقدي وتنموي كما ويمكن استخدامه من قبل الشركات للوقوف على طبيعة المناخ الاستشاري وكذلك تحديد ألقدر التنافسية كما ويمكن استخدامها في إجراء المقارنات لأقتصاديه المختلفة كما ويمكن استخدام تلك المؤشرات في تحديد نسب المخاطر والربحية والعائد المتوقع

إما استنزاف الموارد الطبيعية فهو يشير الحد الذي ترتبط به اقتصاد وخطط تنمية تلك البلدان على ما يتضمنه البلد من موارد اقتصادية ناضبة والتي تعد هي المصادر الأساسية في الدخل القومي وتحديد مقدار الإيرادات في الموازنة العامة بصورة أساسية إذ غالباً ما اعتمدت تلك البلدان على إتباع سياسات ترمي إلى استنزاف تلك الموارد وذلك من خلال ارتفاع معدلات الاستخراج أو الاستخدام بأعلى من معدلات الإنتاج الطبيعي إذ يشهد العراق ارتفاعاً في معدلات استنزاف الموارد الطبيعية ففي المدة الزمنية ابداء من عام 2002 ولغاية 2025 فقد العراق 22 هكتاراً من الغطاء النباتي من جراء الحرائق 120 هكتاراً من جراء التجريف والحروب وكان عام 2003 هو العام الذي سجلت فيه أعلى معدلات حرائق للغطاء النباتي إذ سجل 7 هكتار

وهو ما يمثل رقم كبير إذ شكل نسبة 38% من استنزاف الغابات على مستوى العالم إذ سجلت المحافظات الرئيسية اربيل ونيوى وميسان مسؤوليتها عن استنزاف الغطاء النباتي بنسبة 57% اعتباراً من عام 2010

GLOBAL FOREST WATCH)

جدول رقم (1) يوضح أسلوب حساب المؤشرات المعدلة أو المستدامة

السنوات	2012	2013	2014	2015	2016
قيمة الإضرار البيئية	4008036262	4496461397	4513228036	4630696236	5107700212
استهلاك رأس المال الثابت	29026399084	29403816732	28280104612	17182904725	17085401014
استنزاف الطاقة	21659198790	21971607858	24358707399	16422126352	15962046420
استنزاف الموارد الطبيعية كنسبة من الدخل	0.1	0.09	0.11	0.1	0.1
استنزاف الغابات كنسبة من الدخل	0.004	0.004	0.005	0.005	0.004
مجموع استنزاف الموارد الطبيعية كنسبة من الدخل	0.104	0.094	0.115	0.105	0.104
الدخل القومي \$	219,061,676,129	233,577,245,129	227,112,056,175	165,257,898,274	165,182,357,748
قيم استنزاف الموارد الطبيعية	22,806,681,880	21,875,624,470	26,049,341,976	17,421,553,780	17,140,221,027
مجموع قيم الاستنزافات	44,465,880,670	43,847,232,328	50,408,049,376	33,843,680,132	33,102,267,447
النتائج القومي \$	218,002,476,129	234,637,675,129	228,415,656,175	166,774,104,959	166,743,557,748

السنوات	2017	2018	2019	2020	2021
قيمة الإضرار البيئية	5802642823	6392012113	7118368311	6488174535	7070302767
استهلاك رأس المال الثابت	20302434146	27188539598	26646050322	19700796859	21331370500
استنزاف الطاقة	21277739425	30176622632	28047051860	13331730777	23752299146
استنزاف الموارد الطبيعية كنسبة من الدخل	0.11	0.13	0.12	0.07	0.12
استنزاف الغابات كنسبة من الدخل	0.005	0.003	0.004	0.004	0.003
مجموع استنزاف الموارد الطبيعية كنسبة من الدخل	0.115	0.133	0.124	0.074	0.123
الدخل القومي \$	185,776,960,051	225,613,469,034	232,469,897,800	179,091,897,517	207,627,745,713
قيم استنزاف الموارد الطبيعية	21,321,621,480	30,100,920,067	28,831,245,534	13,228,035,455	25,594,007,870
مجموع قيم الاستنزافات	42,599,360,905	60,277,542,699	56,878,297,393	26,559,766,233	49,346,307,015
الناتج القومي \$	187,217,660,051	227,367,469,034	233,636,097,800	180,898,797,517	209,691,945,713

النتائج المحلي الإجمالي المعدل بيئيا خارطة خضراء للنمو المستقر

السنوات	2022	2023	2024	2025
قيمة الإضرار البيئية	7,525,815,017	8,015,228,714	8,531,089,622	1,514,762,282
استهلاك رأس المال الثابت	20614357347	19920831592	19851146655	19781705483
استنزاف الطاقة	2397245686	26369668254	26817952615	27280245708
استنزاف الموارد الطبيعية كنسبة من الدخل	0.12	0.12	0.12	0.12
استنزاف الغابات كنسبة من الدخل	0.003	0.0030	0.0040	0.0032
مجموع استنزاف الموارد الطبيعية كنسبة من الدخل	0.123	0.123	0.124	0.123
الدخل القومي \$	286,426,032,138	269,854,351,644	280,972,257,615	292,492,120,178
قيم استنزاف الموارد الطبيعية	35,344,972,366	33,192,085,252	34,840,559,944	36,035,029,206
مجموع قيم الاستنزافات	37,742,218,052	59,561,753,506	61,658,512,559	63,315,274,914
النتائج القومي \$	287,372,232,138	268,881,051,644	279,641,257,615	290,832,070,474

WORT BANK GROUR اما بالنسبة للسنوات المفقودة فقد تم اللجوء إلى حساب قيمها من خلال معدل

النمو المركب ((قيمة المتغير في آخر المدة / قيمته في أول المدة)¹ الفرق بين المدتين) -1

أما بالنسبة لاستنزاف الموارد فقد تم احتساب قيمها نسبتا إلى الدخل القومي وقد تم جمع قيم استنزاف

الغابات والموارد الطبيعية مع قيم استنزاف الطاقة وتم التوصل إلى مجموع استنزافات الموارد الطبيعية

وكذلك تقدير قيم الإضرار البيئية الناجمة عن ارتفاع معدلات التلوث بمقدار \$2 لكل طن مكعب من

التلوث بغاز ثاني اوكسيد الكربون

جدول (2) يوضح طريقة حساب الناتج المحلي الإجمالي المعدل أو المستدام القيمة \$ أمريكي أسعار
جارية

السنوات	الناتج المحلي الإجمالي	قيمة الإضرار البيئية	استهلاك رأس المال الثابت	مجموع قيم الاستنزافات	الناتج المحلي المعدل أو المستدام
2012	218,002,476,129	4008036262	29026399084	44465880670	140,502,160,114
2013	234,637,675,129	4496461397	29403816732	43847232328	156,890,164,672
2014	228,415,656,175	4513228036	28280104612	50408049376	145,214,274,151
2015	166,774,104,959	4630696236	17182904725	33843680132	111,116,823,866
2016	166,743,557,748	5107700212	17085401014	33,102,267,447	111,448,189,074
2017	187,217,660,051	5802642823	20302434146	42599360905	118,513,222,177
2018	227,367,469,034	6392012113	27188539598	60277542699	133,509,374,625
2019	233,636,097,800	7118368311	26646050322	56,878,297,393	142,993,381,774
2020	180,898,797,517	6488174535	19700796859	26559766233	128,150,059,891
2021	209,691,945,713	7070302767	21331370500	49346307015	131,943,965,430
2022	287,372,232,138	7,525,815,017	20614357347	37742218052	221,489,841,722
2023	268,881,051,644	8,015,228,714	19920831592	59,561,753,506	181,383,237,831
2024	279,641,257,615	8,531,089,622	19851146655	61,658,512,559	189,600,508,779
2025	290,832,070,474	1,514,762,282	19781705483	63,315,274,914	206,220,327,795

الناتج المعدل المستدام = الناتج المحلي - قيمة الاضرار البيئية - استهلاك راس

المال الثابت-مجموع قيم الاستنزافات

جدول رقم (3) يوضح الفرق بين معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي والناتج المعدل المستدام

السنوات	الناتج المحلي الإجمالي	معدل النمو %	الناتج المحلي المعدل أو المستدام	معدل النمو المستقر أو المستدام %
2012	218,002,476,129		140,502,160,114	
2013	234,637,675,129	7.63	156,890,164,672	11.66
2014	228,415,656,175	-2.65	145,214,274,151	-7.44
2015	166,774,104,959	-26.99	111,116,823,866	-23.48
2016	166,743,557,748	-0.02	111,448,189,074	0.30
2017	187,217,660,051	12.28	118,513,222,177	6.34
2018	227,367,469,034	21.45	133,509,374,625	12.65
2019	233,636,097,800	2.76	142,993,381,774	7.10
2020	180,898,797,517	-22.57	128,150,059,891	-10.38

الناتج المحلي الإجمالي المعدل بيئياً خارطة خضراء للنمو المستقر

2.96	131,943,965,430	15.92	209,691,945,713	2021
67.87	221,489,841,722	37.04	287,372,232,138	2022
-18.11	181,383,237,831	-6.43	268,881,051,644	2023
4.53	189,600,508,779	4.00	279,641,257,615	2024
8.77	206,220,327,795	4.00	290,832,070,474	2025

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ اختلافا في معدلات النمو مابين نمو الناتج المحلي الإجمالي ونمو الناتج المستدام وهذا الاختلاف ناتج عن تغيرات في معدلات استهلاك رأس المال الثابت واستنزاف الموارد حيث نلاحظ على سبيل المثال انه في عام 2013 كانت معدلات النمو المستدامة من المعدلات الطبيعية بفارق 4% وهو نسبة غير قليلة تعود إلى انخفاض في استنزاف الموارد الطبيعية رغم ان ذلك الانخفاض كان بسيط في عام 2013 الى انه اثر بشكل ايجابي على قيم نمو الناتج المعدل (والمقصود بالمعدل هو الناتج المعدل بالأثر البيئي أي يأخذ في الحسبان التأثيرات البيئية ضمن الحساب)

ويعرف استنزاف الموارد الطبيعية بأنه يمثل مجموع صافي الاستنزاف كنسبة من الناتج إذ يمكن ملاحظة ذلك عبر جدول رقم (1) واستنزاف الموارد الطبيعية ويحسب ذلك الاستنزاف الغطاء النباتي من خلال ضرب قيمة الربيع لكل وحدة من وحدات الموارد مع مقدار الزيادة في قطع الأشجار وفرق ذلك عن معدل نمو تلك الأشجار طبيعياً إما استنزاف مصادر الطاقة فيسحب بقسمة قيمة مخزون الموارد على قيمة المتبقي من الاحتياطيات مرفوع لفترة 25 سنة وهو عمر النضوب او الانتثار ويسري ذلك الحساب على كل الموارد من فحم ونفط خام وغاز طبيعي

وأيضاً يسري الأمر على استنزاف المعادن بقسمة قيمة مخزون الموارد على العمر المتبقي 25 سنة اذ يحسب كنسبة مؤوية من الدخل القومي لاحظ الجدول (1) وكذلك الحال يمكن التأكد من انخفاض قيم استنزاف الموارد الطبيعية له انعكاس واضح وصريح ودافع لرفع معدلات النمو الحقيقية لأعلى من معدلات لم يكن من الممكن التفكير بها وهذا الأمر أن دل يدل على أهمية الموارد الطبيعية واستخدامها بصورة صحيحة دون اللجوء الى استنزافها له اثر اقتصادي غاية في الأهمية مما مما ينعكس على استقرار الاقتصاد ورفاهية المجتمع

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

1 إن احتساب تأثير تكاليف استهلاك رأس المال الثابت وتكاليف استنزاف الموارد الطبيعية مثل التجريف واستخراج النفط والمعادن بأعلى من معدلات إنتاجها الطبيعية يؤثر بصورة مباشرة على قيم الناتج المحلي الإجمالي فضلاً عن أثارها على الإنسان من خلال انخفاض في توفير فرص العمل الملائمة إذ إن الاستمرار في اعتماد الاقتصاد على نشاط التعدين والذي يحتاج إلى يد عاملة ذا مستوى عالي من الخبرة يعيق الكثير من الحصول على فرص عمل ملائمة

2 أن اعتماد الاقتصاد على نشاط اقتصادي عالي المحتوى الكربوني يؤثر سلباً على حياة السكان إذ فضلاً عن تأثيراته المباشرة على الصحة وذلك بانتشار أمراض الربو والتحسس والسمنة المفرطة والعصبية فإن له آثار غير مباشرة لكنها أكثر حدة من الآثار المباشرة فالتلوثات تؤثر على تغيرات مناخية خطيرة

3 الشيء الملفت للانتباه أنه بالرغم من إتباع النظام البيئي المعدل فإن ذلك النظام يضمن الحصول على معدلات مرتفعة من النمو الحقيقي وليس الوهمي وهو أمر في غاية الأهمية لاحظ الفرق بين معدلات النمو بالأخص عام 2019 فبرغم من ارتفاع معدلات الناتج المحلي الإجمالي والذي انعكس على شكل ارتفاع في معدل نموه

إلى أن انخفاضاً بسيطاً في معدلات استهلاك رأس المال الثابت التي تم إدخالها في الحساب انعكس على شكل ارتفاع في القيمة الحقيقية للنمو الاقتصادي المستدام وهو ما يؤكد عليه البحث

4 لذلك لا توجد مخاوف من استخدام الحسابات البيئية كونه المتخوفون منها يشيرون إلى أنها تعطي معدلات سالبة أو منخفضة من النمو لكن هذا البحث قد أوضح أنه بالرغم من إتباع النظام البيئي المعدل فإنه يعطي معدلات نمو حقيقية مرتفعة هذا لأنه لا بد من أن تنعكس تلك الاستهلاكات والتلوثات على الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى وإن لم يتم الأخذ بها

التوصيات

- 1 يوصي البحث بإمكانية الأخذ بنظام الحسابات البيئي المعدل
- 2 احتساب تكاليف التلوث أمر ضروري كون المجتمعات لا يمكنها بعد تحمل التأثيرات الناتجة عن تلك التلوثات
- 3 إدخال النظام المعدل ضمن الدراسات الاقتصادية وذلك لأهميته الاجتماعية والبيئية والاقتصادية على حد سواء وتحقيق الاستقرار الاقتصادي والاستدامة.

مصادر البحث

- 1 MANKIW N. GREGORY ,MACROECONOMICS ,FIRST EDITION , worth publishers 41 Madison Avenue , New York 2009 P 21/23
- 2 Kate Crowell and others , Updating the Genuine Progress Indicator for the State of Hawaii, HAWAII PACIFIC UNIVERSITY / https://files.hawaii.gov/dbedt/economic/reports/gpi_report_july_2022.pdf
- 3Herman Daly , A further critique of growth economics , Ecological Economics , VOLUM 88April 2013 P 20-24 https://www.sfu.ca/~poitras/Daly_Economic.pdf
- 4 Borowy, Iris & Schmelzer, Matthias. (2017). History of the Future of Economic Growth: Historical Roots of Current Debates on Sustainable Degrowth. 10.4324/9781315543000
- 5 Fioramonti L. *Gross Domestic Problem : The Politics behind the World's Most Powerful Number.* Zed Books; 2013. Accessed June 17, 2026. https://doi.org/10.5040/9781350220560?locatt=label:secondary_bloomsburyCollections
- 6 Amit Kapoor & Bebek Debroy , GDP Is Not a Measure of Human Well-Being , Harvard Business Review Digital Article , Oct 4, 2019
- 7 World Bank , Where is the Wealth of Nation ? et al <https://documents.worldbank.org/en/publication/documents-reports/documentdetail/650181468323693957p125-129>
- 8 World Bank Group , the changing wealth of Nation2018 <https://documents1.worldbank.org/curated/en/727941517825869310/pdf/123137-Replacement-PUBLIC.pdf>
- 9- korobitsyn , Boris. (2015). Methodological Approaches to Accounting the Depletion of Natural Resources, Changes in the Environmental and Human Capital in the Gross Regional Product. R-Economy. 1. 505-514. 10.15826/recon.2015.3.013.
- 10 Ahmed Iyad Ibrahim & Iqbal Hashem , Measuring the Environmental Impact and its Reflection on the Balance of Payments in Iraq, Journal of Marketing and Emerging Economics , <http://eprints.umsida.ac.id/11347>
- 11 Mary Vimochana , Green GDP calculations in developed and developing countries International Journal of Multidisciplinary Research and Development Online ISSN: 2349-4182, Print ISSN: 2349-5979, Impact Factor: RJIF 5.72 www.allsubjectjournal.com Volume 4; Issue 6; June 2017; Page No. 244-251
- 12 UN, Conference of European Statisticians Recommendations on Measuring Sustainable Development , New York and Geneva, 2014
- 13 احمد إياد التنبؤ بالأثر الايكولوجي على معادلة الاستهلاك المستدام في العراق لغاية 2025الجامعة المستنصرية أطروحة دكتوراه
- 14 OECD, Measuring Natural Resources in the National Accounts: A Compilation Guide, OECD Publishing, Paris, (2025) <https://doi.org/10.1787/420c7c2a-en>.

15 الوقائع العراقية العدد ٤٦١٨ في ٢٢ شباط ٢٠٢١ السنة الثانية والستون

16 الوقائع العراقية العدد 4114 في 23 آذار 2009 السنة الخمسون

وزارة البيئة مسارات خطة الاستثمار العراقي في المناخ 2025

Statistics Explained Europe17-

<https://ec.europa.eu/eurostat/statistics->

18- GLOBAL FOREST WATCH <https://www.globalforestwatch.org/dashboards/global/>

WORT BANK GROUR19-

<https://data.worldbank.org/indicator>

WORT BANK GROUR

<https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GNP.MKTP.PP.CD?l>

ocations=IQ

الادب النسوي العربي بين الموروث الثقافي والحراك الاجتماعي الحديث

م. م أسراء عبد الحسن عبد الكريم

مديرية التربية في محافظة النجف الاشرف

sraalmmar761@gmail.com

Arabic Feminist Literature: Between Cultural Heritage and Modern Social Movements

Assistant Lecturer. Israa Abdel Hassan Abdel Karim

General Directorate of Education in Najaf Al-Ashraf

sraalmmar761@gmail.com

المخلص:

يُمثل الأدب النسويُّ العربيُّ أحدَ أكثرِ الحقولِ الأدبية إثارةً للجدلِ والدراسة، حيث يجسّد صراعَ المرأة بينَ ثقلِ التراثِ وضغوطِ الحداثة، ويُبرزُ محاولاتها لإعادة تشكيل هويتها في ظلِّ مجتمعاتٍ تتأرجح بين التمسُّكِ بالموروث والانفتاح على المعاصرة. وقد شكَّلت الروايةُ العربيةُ المكتوبةُ بواسطة النساءِ فضاءً خصبًا لاستكشافِ هذه الإشكاليات، حيثُ مزجتُ بينَ الأصالة والتجديد، بينَ السردِ التقليديِّ والتقنياتِ الحديثة، وبينَ قضايا الذاتِ والجماعة .

في هذا السياق، يأتي هذا البحثُ لدراسةِ الأدبِ العربيِّ النسويِّ بوصفه جسرًا بينَ التراثِ والحداثة، مع التركيزِ على أعمالِ الروائياتِ العربياتِ اللواتي استطعنَ توظيفَ الموروثِ الثقافيِّ والدينيِّ والاجتماعيِّ لإنتاجِ خطابٍ أدبيٍّ يُعيدُ قراءةَ التاريخِ والواقعِ من منظورٍ نسويٍّ نقدي. كما يتناولُ البحثُ كيفَ تعاملتُ هؤلاءِ الكاتباتُ مع مفاهيمٍ مثلَ الهوية، الجسد، الحرية، والذاكرة الجمعية، في محاولةٍ لكسرِ الصورةِ النمطيةِ للمرأةِ في الأدبِ التقليدي .

تكتسبُ هذه الدراسةُ أهميتها من كونها تُساهم في إضاءة جانبٍ حيويٍّ من الأدبِ العربيِّ الحديث، الذي ظلَّ لسنواتٍ طويلةٍ يُقرأ عبرَ منظورٍ ذكوريٍّ مهيمن. كما تُقدِّمُ تحليلًا نقديًا لاستراتيجياتِ الكتابةِ النسويةِ التي تتراوحُ بينَ توظيفِ التراثِ كسلاحٍ نقديٍّ أو هدمه كليًا، وبينَ تبني تقنياتِ السردِ الحداثيِّ وما بعدَ الحداثة .

بالتالي، يُحاولُ هذا البحثُ الإجابة عن أسئلةٍ محوريةٍ، مثل: كيفَ تعاملتِ الروائياتُ العربياتُ مع إرثِ التراثِ السردِيِّ والدينيِّ؟ وما هي الآلياتُ التي استخدمتها لتفكيكِ الخطابِ الذكوريِّ أو إعادة إنتاجه؟ وكيفَ تجلَّتْ مفاهيمُ الحداثةِ وما بعدَ الحداثةِ في نصوصهنَّ؟

من خلالِ منهجٍ تحليليٍّ يزاوِجُ بينَ النقدِ الثقافيِّ والسردِيِّ، ستكشفُ هذه الدراسةُ عن تحولاتِ الأدبِ النسويِّ العربيِّ وانزياحاته عن المألوف، مُقدِّمةً قراءةً جديدةً لأعمالِ روائيَّةٍ تُعتبرُ علاماتٍ فارقةً في مسيرةِ الأدبِ العربيِّ المعاصر .

دور الروائيات العربيات في تطوير الأدب النسوي وربطه بمسائل التراث والحداثة

شكلت الروايات العربيات على مدار العقود الأخيرة صوتاً أدبياً جريئاً، استطاع أن يفرض نفسه في المشهد الثقافي العربي، ليس فقط كأدب نسوي يُعبر عن هموم المرأة، وإنما أيضاً كأدب يحمل رؤية نقدية للتراث والحداثة معاً. لقد نجح في تحويل الرواية إلى فضاء لإعادة قراءة التاريخ والهوية والذاكرة الجمعية من منظور يُواز بين الأصالة والمعاصرة، بين الموروث الثقافي والتحرر الفردي .

1- تفكيك التراث وإعادة بنائه

قامت الروايات العربيات بمراجعة النصوص التراثية (الدينية، التاريخية، والأسطورية) لا لرفضها كلياً، بل لتفكيك الخطاب الذكوري المهيمن عليها وإعادة تفسيرها بوعي نسوي جديد. على سبيل المثال :
-رضوى عاشور في رواية غرناطة: أعادت كتابة سقوط الأندلس من خلال صوت المرأة المهمّش تاريخياً، لتبين كيف يُمكن للتراث أن يكون حاملاً لقيم المقاومة والهوية .
أحلام مستغانمي في "ذاكرة الجسد": استخدمت التراث الأدبي العربي (كالمعلقات) كإطار لسرد حكاية المرأة الجزائرية بين الاستعمار والتحرر .

2- نقد الحداثة وزيف شعاراتها

لم تتبن الروايات العربيات الحداثة بلا وعي نقدي، بل كشفت عن تناقضاتها، خاصة حين تتحول إلى استعارة جديدة لقمع المرأة. مثلاً :
-حنان الشيخ في "حكاية زهرة": عرضت صدمة المرأة العربية بين تقاليد المجتمع الشرقي ووعود الحداثة الغربية الكاذبة .

الكلمات المفتاحية : الادب النسوي، الموروث الثقافي، الحراك الاجتماعي

Abstract

Arabic feminist literature represents one of the most controversial and widely studied literary fields. It embodies women's struggles between the weight of heritage and the pressures of modernity, highlighting their attempts to reshape their identity within societies oscillating between adhering to tradition and embracing contemporaneity. The Arabic novel written by women has formed a fertile ground for exploring these dilemmas, blending authenticity with innovation, traditional narrative with modern techniques, and personal issues with collective concerns.

In this context, this study examines Arabic feminist literature as a bridge between heritage and modernity. It focuses on the works of Arab female novelists who successfully utilized cultural, religious, and social heritage to produce a literary discourse that re-reads history and reality through a critical feminist lens. The research also addresses how these writers tackled concepts such as identity, the body, freedom, and collective memory in an effort to shatter the stereotypical image of women in traditional literature.

The significance of this study stems from its contribution to shedding light on a vital aspect of modern Arabic literature, which for many years was read through a dominant masculine perspective. Furthermore, it offers a critical analysis of feminist writing strategies that range between employing heritage as a critical tool or dismantling it entirely, and adopting modern and postmodern narrative techniques.

Consequently, this research attempts to answer central questions, such as: How did Arab female novelists engage with the legacy of narrative and religious heritage? What mechanisms did they employ to deconstruct or reproduce masculine discourse? How were the concepts of modernity and postmodernity manifested in their texts?

Through an analytical methodology combining cultural and narrative criticism, this study reveals the transformations of Arabic feminist literature and its departures from the conventional, offering a fresh reading of novelistic works considered milestones in the journey of contemporary Arabic literature.

The Role of Arab Female Novelists in Developing Feminist Literature and Linking it to Heritage and Modernity

Over recent decades, Arab female novelists have formed a bold literary voice that has established itself in the Arab cultural landscape—not merely as feminist literature expressing women's concerns, but as literature bearing a critical view of both heritage and modernity. They have succeeded in transforming the novel into a space for re-reading history, identity, and collective memory from a perspective that balances authenticity with contemporaneity, and cultural heritage with individual liberation.

1. Deconstructing and Reconstructing Heritage

Arab female novelists reviewed heritage texts (religious, historical, and mythological) not to reject them entirely, but to deconstruct the dominant masculine discourse within them and re-interpret them with a new feminist awareness. For example:

Radwa Ashour in *Granada*: Re-wrote the fall of Andalusia through the historically marginalized voice of women, showing how heritage can serve as a vessel for values of resistance and identity

Ahlam Mosteghanemi in *Memory in the Flesh*: Used traditional Arabic literary heritage (such as the *Mu'allaqat*) as a framework to narrate the story of Algerian women between colonialism and liberation.

2. Criticizing Modernity and the Falsity of Its Slogans

Arab female novelists did not adopt modernity blindly; rather, they exposed its contradictions, especially when it turns into a new metaphor for the oppression of women. For instance Hanan al-Shaykh in *The Story of Zahra*: Depicted the shock of the Arab woman caught between the traditions of Eastern society and the false promises of Western modernity.

Laila al-Othman (Kuwaiti author): Exposed in her works how modernity is used as a false façade to perpetuate the very same masculine mindset.

Keywords: Feminist Literature, Cultural Heritage ,Social Movement / Social Dynamics

الفصل الأول: الإطار النظري

مفهوم الأدب النسوي: لغةً واصطلاحاً

أولاً: التعريف اللغوي

-النسوي في اللغة مشتق من الجذر (ن س و)، الذي يرتبط بـ:

- النساء (جمع امرأة)

- التأنيث (ضد التذكير)

- النسيء (التأخير في الزمن، وقد يُشير رمزياً إلى تأخير الاعتراف بأدب النساء تاريخياً)

ثانياً: التعريف الاصطلاحي

ينقسم المفهوم إلى اتجاهين رئيسيين:

1.التعريف الضيق (الكلاسيكي)

-أدب يكتبه النساء فقط

-يركز على قضايا المرأة (الاضطهاد، الجسد، الحرية)¹

-مثال: كتابات نوال السعداوي في "المرأة والجنس"

2.التعريف الموسع (ما بعد الحداثي)

-أدب يكتبه الجنسان لكن بوعي نسوي

-يهتم بتفكيك الخطاب الذكوري في النصوص التراثية

-يستخدم استراتيجيات سردية خاصة مثل:

- كتابة الجسد (كما في "فسيفساء دمشقية" لسمر يزبك)

- إعادة كتابة التاريخ ("أطياف الأندلس" لرضوى عاشور)²

النقد النسوي منهج تحليل النصوص من منظور جندي قراءة جمالية الذكورة في الشعر الجاهلي³

¹ هالة كمال الرواية النسوية العربية، ص 19

² فاطمة المرنيسي الحريم السياسي، ص 77

³ هالة كمال الرواية النسوية العربية، ص 14

رابعاً: التطور التاريخي للمفهوم

1- المرحلة الأولى (الستينات):

- التركيز على المساواة (مطالبات حقوقية)

- مثال: "المرأة والصراع النفسي" لأمنية السعيد

2- المرحلة الثانية (التسعينات):

- التحول إلى التفكير (نقد البنى الذكورية)

- مثال: "الأنثى هي الأصل" لنوال السعداوي

3- المرحلة المعاصرة (ما بعد 2010)

- تبني مفاهيم ما بعد الكولونيالية

- مثال: "زرايب العبيد" لنجوى بن شتوان¹

يظل الأدب النسوي حقلاً ديناميكياً يعيد تعريف نفسه باستمرار، حيث تحوّل من مجرد "أدب احتجاجي" إلى:

-أداة لقراءة التراث

-مشروع لتجديد السرد

-فضاء للهويات المركبة

"ليس المهم أن نكتب كنساء، بل أن نكتب العالم كما نراه"²

-التراث والحدثة في الأدب العربي

1- التعريف بالمفهومين

- التراث الأدبي:

¹ فاطمة المرنيسي الحريم السياسي، ص 87

² أدونيس في حوار عن أدب النساء، مجلة "نزوى"، العدد 45، ص 12

يشمل النتاج الثقافي التاريخي من شعر ونثر وأساطير وفقه، وهو ما يُعرف بـ "الموروث" الذي يشكّل الهوية العربية.¹

- الحداثة الأدبية:

حركة تجديدية تقوم على القطيعة مع الأشكال التقليدية، باستخدام تقنيات مثل:

- تيار الوعي

- الانزياح اللغوي

- تفكيك الزمن السردى²

2- مظاهر الصراع بينهما

- اللغة و التمسك بالفصحى الكلاسيكية و تبني العامية أو "الفصحى الجديدة

- الشكل السردى و الحكمة المغلقة (ك"ألف ليلة") والسرد المفتوح (مثل روايات صنع الله إبراهيم)

- دور المؤلف و الراوى العليم و تعدد الأصوات والرواة³

3- نماذج للتوفيق بينهما

- أدب التفعيلة:

مزج بين عمود الشعر العربي والانزياحات الحديثة (نازك الملائكة، "قرارة الموجة")⁴

- الرواية التاريخية الجديدة:

ك"الزيني بركات" لجمال الغيطاني: توظيف السير التراثية بأسلوب حداشي.⁵

- تجارب ما بعد الحداثة:

مثل "وراق الغيطان" لبهاء طاهر: تفكيك المخطوطات التراثية بسرد معاصر.

4- إشكالات رئيسية

¹ عبد الله الغزامي، الخطيئة والتكفير، ص 23

² جابر عصفور، زمن الرواية، ص 112

³ أدونيس، "الثابت والمتحول"، ج3، ص 77

⁴ كامل صالح، "حداثة الشعر العربي"، ص 145

⁵ سيد البحراوي، "الرواية والتاريخ"، ص 62

- نقد التراث:

اتهام الحداثيين بـ"الخروج عن الأصالة"¹

- نقد الحداثة:

اتهامها بـ"التبعية للغرب"

5- مواقف الأدباء (مقارنة)

- طه حسين تراثي مُجدد في كتابة "في الشعر الجاهلي"

- يوسف زيدان توافقي "عزازيل" (مزج الوثيقة التاريخية بالسرد الحر) |

- رضوى عاشور نقدي توفيق "الطنطورية" (ربط التاريخ الفلسطيني بالحداثة السردية)²

- تأثير على المرأة

1- التأثير الاجتماعي (العادات والتقاليد)

نوال السعداوي: كشفت في "امرأة عند نقطة الصفر" عن ارتباط تقاليد مثل "جرائم الشرف" بالفقه الذكوري .

ليلي العثمان (الكويت) عرضت في "المرأة والقطعة" كيف تُستخدم العادات كأداة لقمع المرأة³ .

2 - اتجاهات التعامل مع التراث

أ. الاتجاه النقدي

-رواية "البراري الحامية" لحنان الشيخ :

تُظهر كيف يُورث المجتمع اللبناني النساء أدواراً جنسانية عبر الأمثال الشعبية⁴ .

ب. الاتجاه التوفيق (إعادة القراءة)

-جثينة العيسى في "سعار :

¹ محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي، ص 201

² علي حرب، "نقد النص"، ص 88

³ د. فاطمة المرنيسي في "الحريم السياسي"، ص 112

⁴ نازك سابا يارد، "المرأة في الرواية العربية"، ص 76

مزجت بين التراث الكويتي (كحكايات البحر) والخيال العلمي .

مقابلة معها في مجلة "الدوحة"، ديسمبر 2020

ج. الاتجاه الثوري (القطيعة)

-سمر يزبك في "دليل عنفوان":

رفضت توظيف التراث الديني تمامًا لصالح خطاب جسديّ حرّ¹ .

4. إشكالات التوظيف

-المخاطرة بالانزياح عن السياق التاريخي :

كما في رواية "عزازيل" ليوسف زيدان (على الرغم من كونه رجلاً، إلا أن النقاش حولها طال الروائيات أيضاً² .

-اتهامات بـ"تشويه التراث":

كما واجهت رضوى عاشور من بعض النقاد بسبب تصويرها شخصية ابن خلدون في "ثلاثية غرناطة"³ .

5- أهم الدراسات النقدية

1-الأنثى والتراث" لفاطمة الوهبي (دار نينوى، 2017) - تحليل توظيف الأساطير في روايات سحر خليفة .

2- الموروث وصناعة المتخيل الروائي لسمر روجي الفيصل (اتحاد الكتاب العرب، 2019) - دراسة نماذج من روايات الجزيرة العربية .

3- المرأة تقرأ التراث لمجموعة باحثات (مركز المرأة للدراسات، القاهرة، 2020) .

التراث ليس سجنًا تُحاكم إليه، بل حقل ألغام تُفجّره لنصنع دربنا

هكذا يصبح التراث في الكتابة النسوية

-ساحة صراع مع الذاكرة الجمعية

¹ د. محمد برادة في "الرواية والتابو" ص 143

² التراث والاختلاف لسعيد يقطين، ص 67

³ سحر خليفة حوار معها في مجلة "أدب ونقد"، العدد 312، 2002

-مختبرًا لإنتاج هويات جديدة

- جسراً بين الماضي والمستقبل¹

-تعامل الروايات العربيات مع قضايا الحداثة والتجديد: استراتيجيات وتقنيات

1- تحديث الشكل السردي

-خرق التتابع الزمني:

- أميمة الخميس في "الروائح" (2019): استخدام تقنية "الزمن الدائري" لسرد أحداث متداخلة بين الماضي والحاضر.

- هدى بركات في "ملكوت هذه الأرض" (2019): تفكيك التسلسل التاريخي للحرب الأهلية اللبنانية².
-تعدد الأصوات والمنظورات:

- ليانة بدر في "بوصلة من أجل عباد الشمس" (2018): تقديم 5 روايات لحكاية فلسطين واحدة.

- إنعام كجه جي في "طشاري" (2014): صوت جماعي للنساء العراقيات المهجرات.

2- تجديد اللغة والأسلوب

-الانزياح اللغوي:

- بثينة العيسفي "سعار" (2017): مزج الفصحى بالعامية الكويتية واللغة العلمية.

- سمر يزبك في "الرقص على الجروح" (2019): لغة شعرية مكثفة تقترب من "النثر الغنائي".

-توظيف التناص الحداثي:

- أحلام مستغانمي: حوار مع نصوص أدونيس الشعرية في "أسود بخلكته" 2012.

- منصور عز الدين: تفاعل مع الأساطير العالمية في "وراء الفردوس".

3-تفكيك المفاهيم التقليدية

-الجسد الأنثوي كفضاء تحرري:

- نوال السعداوي في "سقوط الإمام" (1987): جسد المرأة كموقع للمقاومة.

¹أقوال الروايات العربيات، إعداد هدى الدغار، 2021، ص 22

² د. منى طلبة، "الزمن في الرواية النسائية"، 2021، ص 89

- سحر خليفة في "صورة وأيقونة" (2002): تحرير الجسد من التابلوهات الدينية¹.
دراسات نقدية مرجعية

1. الرواية العربية الجديدة: النسخة النسائية - فريال غزول (دار العين، 2015)
 2. ما بعد الحداثة في الرواية العربية النسوية - ميرال الطحاوي (دار ميريت، 2017)
 3. التجريب السردى عند الروائيات العربيات - مجموعة باحثين (منشورات ضفاف، 2019)
- اعتمدت معظم الروائيات على التراث كمنصة انطلاق لا كسقف نهائي، كما يوضح
-الرواية الرقمية التفاعلية: كما بدأت تجارب مثل "خاتم تراب" لرشا عبد الله 2022.
-الرواية عبر الوسائط المتعددة: دمج النص مع الفنون البصرية كما في أعمال فاطمة عبد الحميد.
هكذا تتحول الرواية العربية من "ناقلة تراث" إلى:

-مخترفة تابوهات

-مبتكرة أشكال

الفصل الثاني: الروائيات العربيات والتراث

-استلهام التراث في الرواية النسوية العربية: آليات وتجليات

1- مفهوم الاستلهام التراثي

عملية إبداعية تعيد الروائية من خلالها تشكيل الموروث الثقافي (تاريخي/ديني/أدبي/شعبي) لخدمة رؤيتها الفكرية والفنية².

2- أشكال الاستلهام

أ. استعادة الشخصيات التاريخية

-رضوى عاشو كان العمل الخاص به هو "ثلاثية غرناطة" و لسان الدين بن الخطيب تقديمه عبر
عيون زوجته وأخته|

¹ د. عبد الفتاح كيليطو في كتابه "الأدب والغربة" ص 156

² عبد الله إبراهيم، المتخيل السردى، 1990، ص 117

- أحلام مستغامي كان العمل "فوضى الحواس" و المتنبي و حوار مع أشعاره عن المرأة¹
- ب. توظيف النصوص التراثية
- الخباء" لسحر خليفة :
- إعادة كتابة حكاية "عنتره وعبله" من وجهة نظر عبله .
- نقد د. محمد شاهين في "التراث وإشكاليات الكتابة"، 2008، ص 89
- مقامات العشق "لسلوى النعيمي :
- محاكاة ساخرة لمقامات الهمذاني بأسلوب نسوي .
- ج. إحياء الحكايات الشعبية
- بننت من شاتيللا" لليانة بدر :
- توظيف أسطورة "زرقاء اليمامة" في سياق مخيم فلسطيني .
- مقابلة معها في "مجلة الآداب"، مارس 2019
- نواره" لمنصورة عز الدين :
- تحويل حكاية "سندريلا" إلى واقع مصري معاصر.
- 3-استراتيجيات التوظيف
- أ. التفكير النقدي
- نوال السعداوي في "جنات وإبليس :
- نقد تفسيرات آدم وحواء عبر منظور علمي نسوي² .
- ب. إعادة التركيب
- بنينة العيسى في "أرواح كليمنجارو :
- دمج أسطورة "جلجامش" مع قضايا التقنيات الحيوية .
- ج. التهجين الثقافي

¹ د. سوزان القليني، المرأة تقرأ التاريخ، 2015، ص 63-70

² د. فاطمة الوهبي، "الأنثى والتراث"، 2017، ص 132

-أميمة الخميس في مسرى الغرائيق :

مزج الموروث الصوفي مع السرد البوليسي .

4- دوافع الاستلهام

1- كسر الاحتكار الذكوري للتراث .¹

2- إيجاد جذور تاريخية للقضية النسوية

3- تحديث الأشكال السردية عبر الجمع بين الأصالة والمعاصرة

5- إشكالات نقدية

-اتهامات بالتزييف التاريخي :

كما واجهت رواية "عزازيل" ليوسف زيدان (مقارنة بموقف الروائيات)

-الانزياح عن السياق الثقافي :

نقد توظيف أحلام مستغانمي للمعلقات في "ذاكرة الجسد".²

6- أهم الدراسات

1- الرواية النسائية والتراث - هدى الصدي (دار الشروق، 2012)

2- استعادة الموروث في الكتابة النسوية - مجموعة باحثين (مركز دراسات المرأة، عمان، 2018)

3- الأنثى تقرأ التراث - فاطمة المحسن (دار المدى، 2020)

لسنا ننقل التراث، نستدعيه إلى محكمة الحاضر لينطق بالحقائق المغيبة

مقولة لرضوى عاشور في ندوة "المرأة والتراث"، القاهرة 2005

من الاستلهام إلى الابتكار

تحول الاستلهام التراثي عند الروائيات العربيات من :

نقل سلبي → إنتاج معرفي

تجليل الماضي → حوار مع التاريخ

¹ ندى حسين، "الأنثى تقتحم المقدس"، 2020، ص 45

² د. شكري عزيز، "التراث بين التوظيف والتشويه"، 2006، ص 77

-إحياء الذاكرة → صناعة ذاكرة جديدة¹

-نماذج لروايات عربيات استندن إلى الموروث التاريخي والديني

1- رضوى عاشور: التاريخ كفضاء للمقاومة**

- ثلاثية غرناطة (1994-1995): توثيق سقوط الأندلس عبر عائلة مورييسكية (مسلمة تحت الحكم المسيحي).

- الاستلهام

- شخصية ابن خلدون (كمؤرخ) تُعاد قراءته عبر حوارات مع الشخصيات النسائية.

- استخدام وثائق تاريخية عن محاكم التفتيش.

- الانزياح النسوي: جعل النساء (مثل: مريم، حليلة) روايات للتاريخ بدلاً من ضحايا.

- توظيف التراث الشفوي الفلسطيني (الحكايات، الأغاني) لسرد النكبة.

2- أحلام مستغانمي: الموروث الأدبي كمتخيل جمالي-ذاكرة الجسد (1993):

- حوار مع المعلقات العربية (خاصة معلقة عنتره).

الرمزية:

- الجسد الأنثوي (خالدية) ك"معلقة" جديدة تُنقش على جدران الذاكرة الجزائرية.

- توظيف بيت الشعر: هل غادر الشعراء من مترد كإطار للرواية.²

فوضى الحواس (1997): استعادة شخصية المتنبي وشعره لمواجهة السلطة السياسية.

3- سحر خليفة: تفكيك النصوص الدينية صورة وأيقونة (2002)

- قراءة نسوية لقصص الأنبياء (خاصة سيدنا يوسف).

- إبراز دور زليخة كشخصية فاعلة لا مجرد إغراء.³

الخباء (2011): إعادة كتابة حكاية عنتره وعبلة من وجهة نظر عبلة.

¹ د. سامية أسعد، "الرواية والتاريخ"، 2005، ص 112

² د. هالة كمال، أدب المرأة والهوية، 2018، ص 145

³ د. فاطمة المحسن، المرأة والخطاب الديني، 2010، ص 89

4- ليانة بدر: توظيف التراث الشعبي الفلسطيني - بنت من شاتيل (2013)

- دمج أسطورة زرقاء اليمامة مع واقع المخيمات الفلسطينية.

الرمز عيون الزرقاء كناية عن صمود المرأة الفلسطينية.¹

5. منصور عز الدين: الحكايات الشعبية كأداة ثورية- وراء الفردوس (2009)

- تحويل حكاية السندباد إلى رحلة أنثوية في عالم الذكورة.

- استخدام الأمثال الشعبية المصرية بنبرة ساخرة.²

6- بشينة العيسى: الأساطير والعلوم الحديثة- أرواح كليمنجارو (2021):

- مزج أسطورة جلجامش مع قضايا الاستنساخ البشري.

- الرسالة: الخلود ليس حكرًا على الأبطال الذكور.³

من التوثيق إلى التحرير

تحول توظيف التراث عند هؤلاء الروائيات من:

- نقل التاريخ → تثوير التاريخ

- تبجيل النصوص → مساءلتها

- إحياء الماضي → صناعة مستقبل مختلف

التراث ليس متحفاً نزوره، بل ورشة نعمل فيها

- نقد التراث الذكوري في الرواية النسوية العربية: مقاربات نقدية⁴

1- مفهوم التراث الذكوري

يشير إلى المنظومة الفكرية والاجتماعية التي رسّخت عبر التاريخ:

- هيمنة الرجل كمُنتج وحيد للخطاب الثقافي

¹ مقابلة مع الكاتبة في "مجلة الدراسات الفلسطينية"، العدد 97، 2014

² د. منى طلبة، التراث والسخرية، 2016، ص 67

³ مقال لرضوى عاشور في مؤتمر اتحاد الكتاب، 2007

⁴ د. نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، 1989، ص 34

- تهميش دور المرأة في صياغة الموروث
- تحويل النصوص الدينية والتاريخية إلى أدوات لشرعنة السلطة الذكورية¹
- 2- آليات النقد في الأعمال الروائية
- أ. تفكيك النصوص الدينية
- امرأة عند نقطة الصفر " لنوال السعداوي:
- قراءة جديدة لقصة "آدم وحواء" تبرز حواء كضحية لتأويلات ذكورية.
- نقد مفهوم "الشرف" المرتبط بجسد المرأة.
- صورة وأيقونة " لسحر خليفة:
- إعادة تفسير قصة "يوسف والعزيزة" من وجهة نظر زليخة.
- كشف ازدواجية المعايير في تفسير "الإغراء".
- ب. مساءلة التاريخ الرسمي
- ثلاثية غرناطة " لرضوى عاشور:
- الكشف عن دور النساء المنسي في الحضارة الأندلسية.
- مواجهة سردية "الفردوس المفقود" الذكورية².
- زرايب العبيد لنجوى بن شتوان - :توثيق تاريخ العبيد النساء في ليبيا - .تفنيد ادعاءات "العبودية الطيبة.
- ج. تحليل البنى الاجتماعية
- الخباء لسحر خليفة - :نقد نظام "الثأر" كآلة لطحن النساء.
- كشف كيف تحوّلت العادات إلى دين مقدس.
- وراء الفردوس لمنصورة عز الدين - :تفكيك "الحكايات الشعبية" كأداة لغرس الأدوار النمطية³.
- 4- إشكالات النقد

¹ د. نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل، 1989، ص 36

² د. فاطمة المرنيسي، الحريم السياسي، 1994، ص 122

³ د. هدى الصدة، أدوات الكتابة النسوية، 2017، ص 89

-اتهامات بالإلحاد: كما واجهت نوال السعداوي بسبب "سقوط الإمام".
 -المقاومة المؤسسية: منع رواية "صورة وأيقونة" في بعض الدول العربية.
 -الانزياح عن السياق التاريخي

انتقادات لتفسير أحلام مستغانمي للمعلقات في ذاكرة الجسد¹.

5-تأثير النقد النسوي على الدراسات التراثية أدت هذه الأعمال إلى:

1-ظهور مدرسة نسائية في قراءة التراث

2-مراجعة المناهج الأكاديمية (مثل مقررات جامعة القاهرة الجديدة)

3-إحياء نصوص نسائية منسية كشعر الخنساء²

2-المرأة واللغة - عبدالله الغدامي 1996

3-النسوية والدراسات الدينية - مجموعة باحثات مركز المرأة للدراسات، 2018

-من النقد إلى البناء تحوّل نقد التراث الذكوري من:

-هدم الصور النمطية → بناء تراث نسوي موازٍ

-كشف الآليات → تقديم بدائل إبداعية

-المقاومة → التأسيس لمشروع ثقافي جديد

-تعامل الروائيات العربيات مع النصوص التراثية المهمّشة للمرأة: استراتيجيات التفكير وإعادة البناء:

1- مدخل منهجي: النصوص التراثية كساحة صراع

اعتمدت الروائيات على ثلاث استراتيجيات أساسية:

- التفكير النقدي لكشف الآليات الذكورية

- إعادة التفسير من منظور نسوي

- الانزياح الإبداعي لخلق سرديات بديلة³

¹ د. محمد عابد الجابري، المتفقون في الحضارة العربية، 2005، ص 167

¹ فاطمة المحسن الأنثى تقرأ التراث - دار المدى، 2016م ص 55

³ د. فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، 2006، ص 45

2- نماذج تطبيقية

أ. نوال السعداوي: تفجير المقدس الديني - جنات وإبليس (1992):

- إعادة كتابة قصة الخلق:

- حواء كأول متمردة ضد سلطة الإله الذكوري

- تفنيد فكرة الخطيئة الأصلية

- التقنية: حوار ساخر بين الشخصيات الدينية¹

- سقوط الإمام (1987): ليلي العثمان

- نقد تفسيرات آيات الحجاب والطلاق - كشف ازدواجية رجال الدين

- وسمية تخرج من البحر (1986):

- تحويل أسطورة "عروس البحر" إلى رمز للتحرر²

3- أدوات التفكير الفنية

أ. أدوات لغوية

- اللغة الساخرة: كما في سردية نوال السعداوي

- المفارقة التاريخية: وضع النص التراثي في سياق معاصر

ب. أدوات سردية

- تعدد الأصوات: إعطاء صوت للشخصيات النسائية المهمشة

- الانزياح الزمني: خلط الماضي بالحاضر لكشف الثبات الذكوري.³

- قضايا المرأة بين المحلية والعالمية في الأدب النسوي العربي

1- الثنائية الجدلية

تتقاطع قضايا المرأة العربية في النصوص الأدبية بين :

¹د. سوزان القليني، المرأة والخطاب الديني، 2015، ص 112

²د. محمد العناز، الرواية الكويتية، 2010، ص 78

³د. هالة كمال، استراتيجيات الكتابة النسوية، 2018، ص 133

- الخصوصية المحلية (التقاليد، الدين، البنى الاجتماعية)
- التأثيرات العالمية (الحركات النسوية، العولمة، حقوق الإنسان)
- 2- تظاهرات المحلية
- قيود العرف الاجتماعي (جرائم الشرف، الولاية الذكورية)
- الصراع مع الخطاب الديني المحافظ
- تأثير الحروب والاحتلال على جسد المرأة (كما في الرواية الفلسطينية)¹
- 3- تجليات العالمية:
- تبني مفاهيم مثل: الجندر، التمكين، الاستقلال المالي -التفاعل مع الحركات النسوية العالمية، النسوية الإسلامية
- توظيف تقنيات سردية عالمية (الرواية البوليفونية، السيرة الذاتية الجريئة)
- 4- إشكالية الترجمة الثقافية
- صعوبة نقل القضايا المحلية (ك"جريمة الشرف") للقارئ الغربي
- اتهام بعض النصوص باسترضاء الغرب (جدل حول روايات أحلام مستغانمي)²
- 5- نماذج روائية
- محلية صرفة: "البراري الحامية" لحنان الشيخ (صراع المرأة اللبنانية في الحرب الأهلية)
- عالمية الطرح: "فسيفساء دمشقية" لسمر يزبك (الجسد الأنثوي بين الثورة السورية والخطاب الدولي)
- 6- مستقبل القضية
- تتجه الكتابات النسوية العربية اليوم إلى :
- توطين العالمية: تطويع المفاهيم الغربية لتناسب السياق العربي
- عولمة المحلي: تقديم القضايا العربية بصيغ تتناسب مع الحوار العالمي.³

¹ د. هدى الدغار، أقوال الكاتبات العربيات، 2022، ص55

² د. هدى الدغار، أقوال الكاتبات العربيات، 2022، ص77

³ د. هدى الدغار، أقوال الكاتبات العربيات، 2022، ص79

الفصل الثالث : دراسة تطبيقية لنماذج روائية

تحليل نماذج روائية عربية نسوية: صراع التراث والحداثة وتكاملها

1- رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي (1993)

الصراع:

- التراث: توظيف المعلقة العربية (خاصة معلقة عنتر) كرمز للهوية الجزائرية المقاومة.

- الحداثة: تفكيك هذه المعلقة عبر جسد أنثوي (خالدية) يروي تاريخاً شخصياً بدلاً من بطولات ذكورية.

التوفيق:

تحويل الشعر الجاهلي من نصب تذكاري إلى "جسد حي" ينزف جراح الثورة الجزائرية.¹

2- ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور (1994-1995)

الصراع:

- التراث: سردية سقوط الأندلس التاريخية.

- الحداثة: تقديم الحدث عبر عيون نساء موريسكيات (مريم، حليلة).

التوفيق:

تحويل الفردوس المفقود من حكاية بطولية ذكورية إلى ملحمة مقاومة يومية تقودها النساء.²

3. رواية وراء الفردوس لمنصورة عز الدين (2009)

الصراع:

- التراث: حكايات "ألف ليلة" الشعبية.

- الحداثة: تقنيات سرد ما بعد حداثي (كسر الزمن، الميتاسرد).

التوفيق: تحويل شهرزاد من راوية إلى "مخرجة" تمسك بخيوط السرد وتفكك سلطة الراوي الذكوري.³

التراث والحداثة ليسا قطبي نقيض، بل هما دائرتان متداخلتان في جغرافيا الرواية النسوية

¹ د. هالة كمال، أدب المرأة والهوية، 1998م ص 148

² د. سامية أسعد، المرأة وتاريخ الأندلس، 1990م ص 203

³ د. منى طلبة، الحكاية الشعبية والنسوية، 1989م ص 91

تحليل رواية "غرناطة" لرضوى عاشور: تفكيك التراث التاريخي وإعادة بناءه

1. المادة التراثية: التاريخ الرسمي ضد التاريخ المنسي
- المصدر الأساسي: سقوط غرناطة (1492) كحدث مركزي في التاريخ الأندلسي.¹
- الانزياح النسوي:
- تحويل بؤرة السرد من:
- الرواية الرسمية: (بطولات الملوك - معارك الجهاد)
- الرواية البديلة: (حياة الموريس كيين اليومية - معاناة النساء تحديداً).²
- 3- تقنيات توظيف التراث
- التداخل الزمني:
- خط أحداث القرن الخامس عشر بالحاضر العربي (إشارات للاحتلال الإسرائيلي).
- الوثيقة التاريخية:
- إدراج فقرات من "نفح الطيب" للمقري مع تعليقات نسائية هامشية.
- اللغة:
- مزج الفصحى بالعامية الأندلسية (إحياء تراث لغوي منسي).
- 4- الشخصيات النسائية كحارسات للتراث
- مريم:
- ناسخة المخطوطات التي يحاول المسيحيون إحراقها (رمز لحفظ الذاكرة).³
- حليلة: حافظة الأغاني الشعبية (توازي دور الراوية في التراث العربي).
- نور: الطيبة التي تجمع بين الطب العربي والحديث (توفيق معرفي).
- 5- الإحالات التراثية البارزة

¹ د. فاطمة الوهبي، الأنثى والتراث، 2000م ص 77

² د. سامية أسعد، المرأة وتاريخ الأندلس، 2010، ص 67-68

³ د. سامية أسعد، المرأة وتاريخ الأندلس، 2010، ص 73

- 1- قصر الحمراء: - تحويله من رمز المجد الزائل إلى فضاء للحياة اليومية (وصف غرف الخدم - المطابخ).
- 2- محاكم التفتيش: تسليط الضوء على تعذيب النساء بتهمة "السحر" (توثيق اضطهاد مزدوج).
- 3- الموريسكيون: إبراز هويتهم الهجينة (مسلمون بالسر - مسيحيون بالعلن).¹
6. النقد التاريخي في الرواية
- الأخطاء المتعمدة: تغيير تواريخ بعض الأحداث (كحرق المخطوطات) لتأكيد ذاتية الرواية.
- الصمت الأرشيبي: ملء الفراغات حول أدوار النساء (مثل: صناعة الحرير - تعليم البنات).²
- هذه ليست رواية عن الماضي، بل امرأة حاضرتنا المعلقة على جدران التاريخ
- 7- ردود الفعل النقدية فيها دور ايجابي اعتبارها "أول رواية عربية تكتب التاريخ من منظور نسوي في مجلة نزوى، العدد 22.
- وإما الدور السلبي اتهامها بتشويه التاريخ من قبل بعض المؤرخين³
- الخاتمة الرواية كمشروع ثقافي تحويل التراث من ماضي مقدس إلى مختبر لقراءة الحاضر و سلاح لمقاومة التهميش.
- إثبات أن التاريخ يُكتب دائماً بيد المنتصر، لكن الرواية تستطيع أن تعيد الكتابة.

¹ لخالد البلوي الأندلس في الرواية العربية ، 2015 ، ص 132

² رضوى عاشور في حوار أخبار الأدب، 1996، ص 88

³ ندوة اتحاد المؤرخين العرب، 1997

المصادر والمراجع:

1. أدونيس (علي أحمد سعيد). (الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والاتباع عند العرب". ج3. بيروت: دار الساقي، 2002م.
2. أدونيس. "في حوار عن أدب النساء". مجلة "نزوى". ع 45. (يناير 2006م).
3. إبراهيم، عبد الله. "المتخيل السردي: مقاربات نقدية في تناص المعرفة والادب". بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990م.
4. البحراوي، سيد. "الرواية والتاريخ". القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2005م.
5. البلوي، خالد. "الأندلس في الرواية العربية المعاصرة". عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2015م.
6. برادة، محمد. "الرواية والتابو: الرواية المغربية من خلال محمد زفزاف ومحمد شكري". الدار البيضاء: الفنك، 1994م.
7. الجابري، محمد عابد. "نقد العقل العربي (1): تكوين العقل العربي". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984م.
8. الجابري، محمد عابد. "المتقفون في الحضارة العربية: محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد". بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م.
9. حرب، علي. "نقد النص". بيروت: المركز الثقافي العربي، 1993م.
10. حسين، ندى. "الأنثى تقتحم المقدس: سيميائية الجسد في الرواية النسوية العربية". عمان: دار الأيام، 2020م.
11. خليفة، سحر. "حوار معها". مجلة "أدب ونقد". ع 312. (أغسطس 2002م).
12. الدغار، هدى (معدة). "أقوال الروائيات العربيات". القاهرة: دار المعارف، 2021م.
13. الدغار، هدى. "أقوال الكاتبات العربيات". القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2022م.
14. الغدامي، عبد الله. "الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريرية". جدة: النادي الأدبي الثقافي، 1985م.
15. القليني، سوزان. "المرأة تقرأ التاريخ: دراسات في الرواية والوعي". القاهرة: دار النهضة، 2015م.

16. القليني، سوزان. "المرأة والخطاب الديني". القاهرة: دار المعارف، 2015م.
17. كمال، هالة. "الرواية النسوية العربية". القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013م.
18. كمال، هالة. "أدب المرأة والهوية". (ط1: القاهرة، 1998م، ص 148)؛ (ط2: القاهرة: دار التنوير، 2018م).
19. كمال، هالة. "استراتيجيات الكتابة النسوية". القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2018م.
20. كيل يطو، عبد الفتاح. "الأدب والغربة: دراسات بنيوية في الأدب العربي". الدار البيضاء: دار توبقال، 1982م.
21. المرنيسي، فاطمة. "الحريم السياسي: النبي والنساء". ترجمة: عبد الهادي عباس. دمشق: دار الحصاد، 1994م.
22. المرنيسي، فاطمة. "شهرزاد ترحل إلى الغرب". ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل. بيروت: المركز الثقافي العربي، 2006م.
23. المحسن، فاطمة. "المرأة والخطاب الديني". بيروت: دار المدى، 2010م.
24. المحسن، فاطمة. "الأنثى تقرأ التراث". بيروت: دار المدى، 2016م.
25. الوهبي، فاطمة. "الأنثى والتراث". (ط1: الرياض، 2000م. (ط2: الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2017م).
26. أسعد، سامية. "الرواية والتاريخ". القاهرة: دار الفكر العربي، 2005م.
27. أسعد، سامية. "المرأة وتاريخ الأندلس". (ط1: 1990م، ص 203)؛ (ط2: القاهرة، 2010م).
28. الصدة، هدى. "أدوات الكتابة النسوية". القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، 2017م.
29. السعداوي، نوال. "الأنثى هي الأصل". بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1989م.
30. طلبة، منى. "الزمن في الرواية النسائية". القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2021م.
31. طلبة، منى. "التراث والسخرية". القاهرة: دار العين، 2016م.
32. طلبة، منى. "الحكاية الشعبية والنسوية". القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1989م.

33. عاشور، رضوى. "مقال في مؤتمر اتحاد الكتاب". (أعمال مؤتمر اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007م).
34. عاشور، رضوى. "حوار في أخبار الأدب". جريدة أخبار الأدب. القاهرة، ع 152، (يونيو 1996م).
35. عصفور، جابر. "زمن الرواية". دمشق: دار المدى، 1999م.
36. عزيز، شكري. "التراث بين التوظيف والتشويه". بيروت: دار الطليعة، 2006م.
37. العناز، محمد. "الرواية الكويتية: دراسة في التشكيل والرؤية". عمان: دار جرير، 2010م.
38. صالح، كامل. "حادثة الشعر العربي". بيروت: دار الحداثة، 1980م.
39. يارد، نازك سابا. "المرأة في الرواية العربية". بيروت: دار الساقى، 2000م.
40. يقطين، سعيد. "التراث والاختلاف". الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1991م.

المحسنات البديعية في شعر عمير بن شبيب التغلبي (ت101هـ)

م.م آلاء فاضل عبد القادر

مديرية التربية في محافظة النجف الأشرف/ وزارة التربية/ العراق

alaa28bbalaa@gmail.com

الملخص

إن هذا البحث الموسوم بـ(المحسنات البديعية في شعر عمير بن شبيب التغلبي) تهدف إلى الوقوف على استعمال الشاعر لهذه المحسنات في أغراضه وصوره التي عبّر عنها ، وكيف كانت المحسنات البديعية في شعره ؟ وهل استطاع الشاعر أن يجعل المحسنات متناسبة مع غرضه أو معناه الذي يبحث عنه أم كانت محسناته متنافره مع أسبقتهما النحوية أو البلاغية ؟

الكلمات المفتاحية (المحسنات-البديع -التغلبي)

Abstract

This research, entitled "Rhetorical Devices in the Poetry of 'Umayr ibn Shayyim al-Taghlibi," aims to examine the poet's use of these devices in his themes and the imagery he expressed. It explores the nature of these rhetorical devices in his poetry, and whether the poet was able to make them consistent with his intended purpose or meaning, or whether they clashed with their grammatical or rhetorical context

Keywords (almuhsinati- albadie -altaghlibi)

التمهيد

البديع في اللغة والاصطلاح

البديع في اللغة : إن البديع مشتق من الفعل (بدع) الذي يعطي معنى الإنشاء فيقال: بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه أنشأه وبدأه، وبدع الركبة استنبطها وأحدثها، والبديع والبدع الشيء الذي يكون أولاً¹ وفي قوله تعالى: ((ما كنتُ بدعاً من الرُّسل))² أي ما كنت أول من أرسله الله سبحانه وتعالى لهداية البشر، بل قد كان قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم³، وقال أيضاً ((وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون بديع السماوات والأرض وإذا قضي أمراً فإنما يقول له كن فيكون))⁴؛ فقد جاءت كلمة بديع؛ لتدل على المبالغة وهي على صيغة (فعل) ⁵ وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له مبدع، وقد سميت البدعة بدعة؛ لأن صاحبها قد جاء بها على غير وجود سابق لها⁶

البديع اصطلاحاً: إن لعلم البديع تعريفات كثيرة ومنها:

١- هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة⁷

٢- النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق⁸

٣- علم البديع هو أحد فروع البلاغة يهتم بتحسين الكلام لفظاً أو معنى بطريقة فنية⁹

٤- هو علم وجوه مخصوصة لقصد تحسين الكلام¹⁰

-ينظر لسان العرب (بدع)، مختار الصحاح (بدع)¹

-الأحقاف:²

-ينظر تفسير الطبري: 5/89³

٤ -البقرة: 116-117

-ينظر المذهب في علم التصريف: 238⁵

٦ -ينظر تفسير القرطبي: 1/129

-الإيضاح في علوم البلاغة: 238⁷

-المقدمة: 1066⁸

-علم البديع:⁹

-مفتاح العلوم: 423¹⁰

٥- هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقتها لمقتضى الحال مع وضوح الدلالة على المراد لفظاً ومعنى¹

المبحث الأول (علم البديع النشأة والتطور)

كان العرب يهتمون بلغتهم اهتماماً كبيراً جداً فتطورت اللغة عندهم تطوراً ملحوظاً حتى بلغوا فيها مرتبة رفيعة من الكمال وأخذوا يتقنون في الكلام تفناً وكانوا يعيرون على العربي إن أخطأ في الكلام وكان من عادات العرب في العصر الجاهلي إقامة وليمة وفرح إذا نشأ فيها شاعر هذا دليل قوي على حبهم للغتهم ومن يتقن هذه اللغة يقدمونه عليهم في كل مناسبة وكان لكل قبيلة خطيب أو شاعر يتقدم فيهم ويعبر عن ما يريدوا خاصة في الحرب حيث يأخذ الشاعر أهمية عظيمة في تشجيع المقاتلين على القتال وبث العزيمة في نفوس أبناء قبيلته وفي المقابل يسعى إلى جعل أبناء القبيلة الأخرى يتراجعون عن القتال من خلال تخويفهم في الكلام أو ذكر البطولات السابقة لأبناء القبيلة والتي حازوا فيها على الانتصار كذلك يذكر الشاعر القيم الخلقية الأخرى لأبناء قبيلته² وقد كان هذا الفخر على نوعين

أولاً- الفخر الفردي وذلك حين يفخر الشاعر بنفسه أو بأبائه وأجداده ولأن نفس العربي كانت تهوى العز والمجد فقد شاع الفخر الفردي عندهم شيوعاً كبيراً³ ومن أمثلة ذلك قول عنترة بن شداد العبسي⁴ :

بطلٌ كأنَّ ثيابهُ في سرحٍ يُحذى نِعالُ السَّبَبِ ليسَ بتوَعَمٍ

لَمَّا رَأَى قَدِ قُصِدْتُ أَرِيدُهُ أبدى نواجذه لغيرِ تَبَسُّمٍ

فطعنَتْهُ بالرَّمَحِ ثُمَّ علَوَتْهُ بمهذَّبِ صافي الحديدِ مَخْدَمٍ

-جواهر البلاغة: 367¹

-ينظر العمدة: (1/51)، الأدب الجاهلي: 40²

-دراسات في الأدب العربي: 58³

-ديوانت عنترة: 2114⁴

وقول حاتم الطائي¹:

وإنا نهين المال في غير ظُـنَّةٍ وما يشتكينا في الســـــــــــــــــنين ضريرُها
إذا ما بخيل الناس هَرَّتْ كلابُه وشق على الضيفِ الضعيف عقورها
فإني جبان الكلب بيتي موطأً أجود إذا ما النَّفسُ شَحَّ ضـــــــــــــــــميرُها
وإن كلابي قد أُهرت وعُودت قليلٌ وعلى من يعتريني هـــــــــــــــــريرُها

ثانيا -الفخر الجماعي أو القبلي وفي هذا النوع من الفخر يسعى الشاعر الى بيان الصفات الحميدة عند قومه وكذلك شجاعتهم وقدراتهم القتالية التي يستطيعون بها مواجهة الأعداء وهذا النوع كثير في العصر الجاهلي وما بعده لأن العربي كان يعتز بقبيلته اعتزاز كبير لأن القبيلة هي الوحيدة القادرة على حمايته من المخاطر التي تواجهه في ظل طبيعة الحياة بالإضافة الى إنه يرتبط مع أبناء قبيلته برابطة الدم والنسب² ومن أمثلة ذلك قول عمرو بن كلثوم³ :

ألا أبلغ بني الطمـــــــــــــــــاح عَنَّا ودعمياً فكيف وجدتمونا
إذا ما المَلِكُ سَامَ الناسَ خسفاً أبينا أن نَقـــــــــــــــــر الذلَّ فينا
لنا الدنيا ومن أــــــــــــــــسى عليها ونبطشُ حين نبطشُ قادرينا
بغاةً ظالمينــــــــــــــــنا وما ظلمنا ولكنّها ســـــــــــــــــبداً ظالمينا
ملأنا البحر حتى ضاق عَنَّا ونحنُ البحرُ نملأه ســـــــــــــــــفينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً تخرُّ له الجبابرُ ساجدينَا

-ديوان حاتم الطائي:91

-ينظر رؤية العالم عند الشعراء السود في العصر الجاهلي:90-95

-شرح المعلقات العشر:130-131

وقول معاوية بن مالك¹:

إنني امرؤ من عصابة مشهورة حشد لهم مجدّ أشمّ تليدُ

ألفو أباهم سيداً وأعانهم كرم لهم وأعمام وجدودُ

ومن كل ما تقدم تظهر المحسنات البديعية من أهم أدوات الشعر العربي بحيث كانت صورة من صور اهتمام العرب بلغتهم وكذلك حين نزل القرآن الكريم كانت المحسنات من أهم الأمور التي وردت فيه مثل قوله تعالى ((ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة))² حيث وردت لفظ ساعه مرتين والمعنى مختلف وهو ما يسمى بالجناس وقوله تعالى ((تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء)) وهو ما يعرف بالطباق لأنه جمع بين المتضادين (تؤتي تنزع) و (تعزو تذل) ومن يقرأ القرآن الكريم يجد فيه الكثير من المحسنات البديعية التي تتصف بالروعة والجمال والدقة والصورة المعبرة والألفاظ الموحية الى عظمة الخالق حيث أراد سبحانه وتعالى أن تكون لغة القرآن دليل على نبوة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ومعجزته الخالدة ومن خلالها يستطيع مواجهة المعاندين والكافرين وكذلك جعله وسيلة لتحدي العرب ((قل لو اجتمعت الإنس والجن على أن تأتي بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً))³

ومن هنا نعرف أن علم البديع نشأ عند العرب منذ القدم وأخذ مساحة كبيرة من القرآن الكريم وبعد ذلك جاء الاهتمام به من خلال الكلام والكتب التي تحدثت عن البلاغة ومن أهم الذين تحدثوا عن البديع

أولاً- الجاحظ في كتابه البيان والتبيين

ثانياً- أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين

ثالثاً- الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة

رابعاً- ابن المعتز في كتابه البديع

-المفضليات :¹

-الروم:55²

-آل عمران :26³

خامساً -أحمد مطلوب في كتابه البلاغة والتطبيق

سادساً -أحمد الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة

سابعاً - شوقي ضيف في كتابه البلاغة تطور وتاريخ

المبحث الثاني : (الشاعر عمير بن شليم عصره وحياته)

بعد أن انتهى عصر صدر الإسلام سنة 41 للهجرة بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) بدأ العصر الأموي وفق نظام ابتدعه معاوية بن أبي سفيان وهو الحكم الوراثي وفي هذا العصر شهدت الحياة تغيرات كثيرة ومن أهمها ظهور الأحزاب وكان لكل حزب اتجاه فكري معين انعكس على الأدب والحياة فمن الشعراء من تبني الفكر الرسمي للدولة وجعل قصائده مدافعة عن الدولة ضد خصومها مثل الاخطل وجريير ومنهم من دافع للفكر الزبيري في مواجهة الأمويين مثل عبد الله بن قيس الرقيات

ومنهم من ساند الفكر الشيعي مثل الكميت وهناك قسم من الشعراء مال مع الخوارج وأفكارهم مثل معاذ بن جوين الطائي

كل ذلك كان كافياً لأن يعيد الأدب نهضته بعد أن أصابه الفتور في عصر صدر الإسلام والانشغال بالقرآن و مبادئ الاسلام¹

أما شاعرنا هو عمير بن شليم بن عمرو بن عباد بن بكر بن عامر بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب الملقب بالقطامي²

الذي جاء له هذا اللقب من قوله:³

يصكهن جانباً فجانباً صك القطا ما قطا قواربا

-ينظر الاتجاهات الفكرية في القصيدة الأموية: 21-100¹

-ينظر معجم الشعراء: 244، جمهرة أنساب العرب: 388، خزنة الأدب: (1/392)

-ينظر خزنة الأدب: (1/392)

وقيل إن لقبه مأخوذ من النشاط والطموح كما أن له لقب آخر هو صريع الغواني¹ والقطامي هو ابن اخت الشاعر الأخطل المشهور وكذلك هو فقد كان نصرانياً، ثم دخل الإسلام وقد قدم إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية في أيام خلافة الوليد بن عبد الملك فأخذ يمدحه وقيل دخل دمشق في زمن عمر بن عبد العزيز² الأغراض الشعرية

لم يقتصر شعر القطامي على غرض شعري واحد، بل من يقرأ شعره يجد فيه أغراضاً متنوعة معروفة عند العرب ومن أهمها:

المدح

إن غرض المدح يعني تعداد الصفات الحسنة في الشخص الذي يريد الشاعر مدحه وقد كان القطامي جيداً في مدحه³ وقد اتجهت مدائح القطامي نحو مدح الملوك والأمراء ومن يوالون الدولة⁴ ومن ذلك قوله في مدح زفر بن الحارث⁵:

من مبلغ زفر القيسي مدحته عن القطامي قولاً غير افناد
إني وإن كان قومي ليس بينه وبين قومك الا ضربة الهادي
مثنٍ عليك بما أسلفت من حسنٍ وقد تعرّض مَنّي مثقلاً وبادي

الهجاء

مثل ما كان القطامي في مدائحه شاعر جيداً كان فيه هجائه أيضاً قاسياً⁶ من ذلك قوله:
أبان بن تعلقة بن مسافر⁷:

-ديوان القطامي 14¹

-ينظر ديوان القطامي 14-125، شعراء النصرانية: 98²

-ينظر المديح: 43³

-ديوان القطامي: 440⁴

-ديوان القطامي: 208⁵

-ديوان القطامي: 443⁶

-ديوان القطامي 376⁷

ما دام يملكها علي كرامُ

وطعام عمران بن أوفى مثلها

ما دام يسلك في البطون طعامُ

إن الذين يسوغ في أعناقهم

زادَ يمنٌ عليهم اللئامُ

لعن الله تعله بن مسافر

لعناً يشنُّ عليه من قدام

الحكمة

وهو غرض ورد في شعر القطامي أيضاً¹ ومنه قوله:

والعيش لا عيش إلا ما تقر به

عينا ولا حال إلا سوف تنتقلُ

والناس من يلقي خيرا قائلون له

ما يشتهي ولأم المخطئ الهبلُ

قد يترك المتاني بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجل الزللُ

الغزل:

وهو غرض شعري معروف عند العرب أيضاً وقد ورد ذكره عند القطامي في شعره ومنه² قوله:

ما ريح قاع ذي خزامى وحنوة

له أرج من طيب النبت عازب

-ينظر ديوان القطامي: 441¹

-ينظر ديوان القطامي: 438²

بأطيب من مي اذا ما تقلبت

من الليل وسنى جانب بعد جانب

الوصف

وهو من الاغراض التي برع فيها القطامي أيضاً¹ من ذلك قوله في وصف النوق :

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة

ولا الصدور على الأعجاز تتكل

مكانته الشعرية

تحدث كثيراً من الدارسين عن مكانته الشعرية ومنهم

1- ابن سلام حيث قال ((كان القطامي شاعراً فحلاً رقيق الحواشي حلو الشعر))²

2- قال ابن قتيبة عنه ((حسن التشبيب رقيقه))³

3- وقال ابن طباطبا ((من الأشعار المحكمة المتقنة المستوفات المعاني الحسنة الوصف السلسلة الألفاظ

التي خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً فلا استكراه في قوافيها ولا تكلف في معانيها ولا عي لأصحابها

فيها))⁴

وقال المرزباني ((كان شاعراً فحلاً رقيق حواشي الكلام كثير الأمثال في شعره))⁵

وكل ذلك يدل على أن الشاعر القطامي من الشعراء المجيدين قد تميز شعره بجمال اللفظ والأسلوب

والجودة

- ينظر ديوان القطامي: 437¹

- طبقات فحول الشعراء: 723²/2

الشعر والشعراء 248-3

- عيار الشعر: 9⁴

- معجم الشعراء: 9⁵

المبحث الثالث

المحسنات البديعية في شعر عمير بن شبيب

تنقسم المحسنات البديعية بشكل عام على قسمين القسم الأول يسمى المحسنات المعنوية وسميت بهذا الاسم لكون المتكلم حين يريد تحسين أساليب الكلام يراعي المعنى دون اللفظ فيبقى المعنى ثابتاً حتى لو تغير اللفظ من كاتب أو شاعر لآخر¹

القسم الثاني المحسنات اللفظية

وقد سميت بهذا الاسم لأنها تتبع الى اللفظ دون المعنى ومن أهم المحسنات البديعية التي وردت في شعر القطامي

أولاً- التورية

التورية في اللغة تعني الستر فيقال وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره²
أما في الاصطلاح فتعني أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان الأول قريب غير مقصود وهو ما يفهم من اللفظ وهذا المعنى يفهمه القارئ، أو السامع من خلال الدلالة التي يعطيها اللفظ فمثلاً لو قال شخص ما (جرحت) فيفهم من خلال المعنى أن القصد أنه تعرض هذا الشخص لجرح نتيجة لتعرضه لشيء ما أو آلة معينة
الثاني- المعنى البعيد وهذا المعنى يفهم من خلال تدقيق النظر في القول؛ لأن دلالة اللفظ عليه خفية فيتوهم القارئ والسامع أن الكاتب أو الشاعر يريد المعنى القريب ولكنه على وجه الحقيقي يريد المعنى البعيد فيعطي إشارة تدل على ما يريده من قصده³ مثال ذلك في قوله تعالى ((هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار)) ففي قوله جرحتم معنيان الأول قريب وهو الجرح الثاني بعيد وهو ارتكاب الذنوب ومثال ذلك أيضاً قول الشاعر
أصون اديم وجهي عن أناس

-ينظر جواهر البلاغة: 264¹-ينظر جواهر البلاغة: 263²-ينظر جواهر البلاغة: 246³

لقاء الموت عندهم الأديبُ

وربُّ الشعر عندهم بغيضٌ

ولو وافى به لهم حبيبُ

فلفظ حبيب له معنيان أيضاً:

المعنى القريب هو الحبيب

المعنى البعيد هو الشاعر حبيب بن اوس

وقد وردت التورية في شعر القطامي بقوله¹:

أهل المدينة لا يحزنك شأنهم

إذا تخطأ عبد الواحد الأجلُ

أما قريش فلن تلقاهم أبداً

إلا وهم خير من يحفى وينتعلُ

ففي قوله (يحفى وينتعل) معنيان:

الأول قريب وهو غير مقصود (ارتداء الحذاء) وعدم ارتدائه

الثاني بعيد مقصود وهو قريش أفضل الناس في كل حال في الرخاء والشدة كذلك في قوله²:

كنية الحي من ذي الغضبة احتملوا

مستحقين أسيراً ماله فادي

ففي قوله (أسير) معنيان:

الأول قريب غير مقصود الأسر المعروف الذي يحدث نتيجة الحروب الثاني بعيد مقصود وهو القلب

الذي يصبح كالأسير حين يودع ما يحب أو يرغب به

ثانياً الاستطراد

-ديوان القطامي: 119

-ديوان القطامي: 204²

وهو موضوع يكثر في النثر ويتضح فيه اتساحاً كبيراً على أن أول من استخدمه وبرع فيه الجاحظ وقد أعطى سبب استخدامه الكثير لهذا الأسلوب وهو منع الملل عند السامع والقارئ¹ وتتلخص فكرته في الشعر في أن يخرج الشاعر من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر ثم يرجع إلى الموضوع الأصلي ويتم الكلام فيه وذلك يمثل قول الشاعر السموأل²:

وإنّا لقوم لا نرى القتل سبةً

إذا ما رأته عامر وسلولُ

يقرب حب الموت آجالنا لنا

وتكرمه آجالهم فتطولُ

فقد كان غرضه الأول هو الفخر بقومه ثم انتقل إلى موضوع آخر هو الهجاء تحديداً هجاء قبيلتي عامر وسلول ثم رجع بعد ذلك إلى مدح قومه وقد ورد في شعر القطامي مثل ذلك كما في قوله³:

إنّا محيوك أيها الطللُ

وإنّ بُليت وإن طال بك الطُّولُ

فقد كنت مأهولاً في الدهر ذا أنسٍ

لا يبلى عليك ولا تُطوى لك الخُلُ

يبدأ الشاعر بالوقوف على الطلل (ديار الأحبة) ثم ينتقل للحديث عن حال هذه الديار في الزمن الماضي فيصف الحنين ثم ينتقل لوصف الخراب الذي حل بالدار بعد أن كان فيها أنس وفي قوله⁴:

أمن آل مية رائح أو مغتدي

عجلان ذا زاد وغير مزود

تزودت من ليلى بقلبٍ معلٍ

-ينظر البيان والتبيين: (1/43)

-ينظر جواهر البلاغة: 265²

-ديوان القطامي: 591³

-ديوان القطامي: 498⁴

ومن دونها ستر من الليل مُسهد
فبدأ في الحديث عن الرحلة ثم انتقل للحديث عن نفسه

ثالثا الافتتان

وهو ان يقوم الشاعر بجمع اكثر من فن او غرض في شعره كان يجمع بين الغزل والفخر والحماسة والمدح والهجاء¹ ومثال ذلك قول القطامي²
زوروا أميمة طال ذا هجرانا
وحقيقة هي أن تزار أوانا
حيث بدأ الحديث عن الأحبة ثم انتقل للحديث عن الشجاعة
فلبينما هو غافل إذ راعه
لحمون سرحهم بنو نبهانا
معهم ضوار من سلوق كأنها
حصنٌ تجول تُجرر الأرسانا
وقوله³:
ترحل جيرانني بقلبي إنني
أكلفُ قلبي كلَّ جار أجاوره
ثم ينتقل فيقول :
إذا الحربُ شالت للتلقيح لم تجد
لنا جانباً إلا به من يصابره

-ينظر جواهر البلاغة: 265¹

-ديوان القطامي: 215-221²

ديوان القطامي: 226-231³

نطيع ونعصي كلّ ذاك أميرنا

وما كلّ حين لا نزال نشاوره

رابعاً الطباق

ويطلق عليها عيال المطابقة أو التضاد أو التتابع أو التكافؤ ويعني أن يجمع المتكلم بين معنيين من المعاني يمتنع وجودهما في شيء واحد ويكونان كالضد مثل الليل والنهار الأسود والابيض الاول والآخر الحلو والمر وغيرها من الصفات المتضادة¹

مثل قول الشاعر:

حلو الشمائل وهو مر باسل

يحمي الذمار صبيحة الإرهاق

فتقابلت لفظه حلو مع لفظة مر² قد ورد هذا الفن عند القطامي بقوله:³

قد يدرك المتأني بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجل الزلّ

فقد ورد التتابع في قوله (التأني) و(المستعجل)

وفي قوله⁴:

أخو الحرب أما صادرٌ فوسيقه

جميل وأما وارداً فمغامسٌ

فظهر التتابع في لفظة (صادر) ولفظة (وارد)

وعلى ما مرّ ذكره يمكن القول إنّ المحسنات البديعية في شعر القطامي كانت حاضرة ، وقد ذكرتُ قسمًا منها على سبيل المثال لا الحصر ، ، وهذا إنّ دلّ على شيء فإنّه يدل على براعة الشاعر وقدرته البلاغية

-جواهر البلاغة :266¹

² جواهر البلاغة :266

-ديوان القطامي:592:³

-ديوان القطامي:241:⁴

المصادر والمراجع

القرآن الكريم*

- مفتاح العلوم ، يوسف بن ابي بكر السكاكي ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، 1987 م بيروت
- اثر الاتجاهات الفكرية في القصيدة الاموية ، د . عبد الكريم النفاخ، دار تموز ط 1 ، 2016 م دمشق
- الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، دار النهضة ، ط 1، 1998 ، القاهرة مصر
- المفضليات ، المفضل بن محمد الضبي ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر عبد السلام محمد هارون ، ط 6 ، دار المعارف القاهرة
- المقدمة ، ابن خلدون ، دار الكتاب البياني و ط3 ، 1967 ، بيروت
- المذهب في علم التصريف ، د . صلا الفرطوسي ، د. هشام طه شلاش ، مطابع بيروت الحديثة ، ط 1، 2011 م ، بيروت
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل اي قران) محمد بن جرير الطبري ، تحقيق د . عبدالله التركي ، مركز الحوث والدراسات العربية
- تفسير القرطبي (الجامع الحكام القران) محمد بن احمد القرطبي ، تحقيق احمد البردوني وابراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية . ط ، 1964 م ، مصر القاهرة
- جمهرة انساب العرب ، علي بن سعيد الاندلسي ، تحقيق عبد السلام محمد هاون ، دار المعارف ، ط 2 ، 1962 ، بيروت
- ديوان القطامي - عمير بن شميم التغلبي ، دراسة وتحقيق ، محمود الربيعي ، الهيئة المصرية ، 2001م
- ديوان عنتره (تحقيق ودراسة) ، محمد سعيد مولود ، المكتب الاسلامي ، ط 1 ، 1970 م
- روية العالم عند الشعراء السود في العصر الجاهلي ، م .م ضرار كاظم فتلي ، دار المبادرة ، ط 1، 2021 الاردن عمان

- شعراء النصرانية بعد الاسلام ، لويس شيخو ، دار المشرق ، ط 2 ، 1991 م بيروت
- علم البديع ، أ . د عبد العظيم أبراهيم ، مقالة منشور في الانترنت
- العمدة في نقد الشعر ،الحسن بن رشيق القيرواني ،شرح وضبط عفيف نايف، دار صادر ،ط2، 2006م، بيروت.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، احمد الهاشمي ، دار احياء التراث العربي ، ط 1 ، 2014 م ، بيروت
- خزانه الادب ولباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه ، محمد نبيل الطريفي ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، 2009 م ، بيروت
- دراسات في الأدب الجاهلي ، د . عبد العزيز نبوي، مؤسسة المختار ، ط3، 2004م ، القاهرة.
- دراسات في الادب العربي ، ضرار كاظم الفتلي ، دار المبادرة ، ط 1 ، 2025 الاردن عمان
- لسان العرب ، ابن منظور الافريقي ، دار احياء التراث العربي ، ط 1 ، 1985 بيروت
- مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر الرازي ، دار الرسالة ، 1983 ، الكويت
- معجم الشعراء ، المرزباني ، تصحيح وتعليق د . كرنكو ، مكتبة القدس ، ط 2 ، 1982 م بيروت

"تجليات الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة دراسة تحليلية في رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد

السعداوي"

م.م. انتصار صالح مصطفى

جامعة كركوك/كلية التربية للبنات

intisarsallih@uo.kirkuk.edu.iq

ملخص البحث

نتناول في هذا البحث موضوع "تجليات الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة" من خلال دراسة تحليلية تطبيقية في رواية "فرانكشتاين في بغداد" للروائي أحمد سعداوي انطلقت الدراسة من إشكالية رئيسة تتمثل في كيفية تحويل الذاكرة من مجرد استرجاع ذهني للماضي إلى أداة مادية وسردية قادرة على تفكيك الواقع العراقي المتشظي بعد عام 2003. وقد قُسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث؛ تناول الأول المرجعيات النظرية لمفهوم الذاكرة (الفردية والجمعية) وعلاقتها بـ Trauma (الصدمة)، بينما ركز المبحث الثاني على التجليات المادية والمكانية للذاكرة، متمثلة في جسد الشخصية العجائبية "الشسمه" بوصفه أرشيفاً لأشلاء الضحايا، وفي فضاء مدينة بغداد بوصفه مستودعاً للهوية الجريحة. واختتم البحث في المبحث الثالث بتحليل التقنيات السردية كبنية الزمن والفانتازيا وتعدد الأصوات وأثرها في استحضار الذاكرة المسكوت عنها. وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، أهمها أن الذاكرة في الرواية المعاصرة لم تعد تكتفي بالتوثيق، بل أصبحت تمارس دوراً نقدياً وفلسفياً تجاه العنف والعدالة، وأن توظيف "الفانتازيا" كان ضرورة جمالية لاستيعاب واقع "غير معقول". وتكمن أهمية الدراسة في كشفها عن الآليات التي يعيد بها الأدب صياغة الهوية الوطنية من خلال ترميم الذاكرة الجمعية المبعثرة.

الكلمات المفتاحية :

الذاكرة (الجمعية والفردية) - الرواية العربية المعاصرة - فرانكشتاين في بغداد - الفانتازيا السردية.

Abstract

Research explores the theme of "Manifestations of Memory in the Contemporary Arabic Novel" through an applied analytical study of the novel "Frankenstein in Baghdad" by the Iraqi novelist Ahmed Saadawi. The study originates from a central problem concerning how memory is transformed from a mere mental recollection of the past into a physical and narrative tool capable of deconstructing the fragmented Iraqi reality post-2003. The research is structured into three chapters: the first examines the theoretical frameworks of the concept of memory (both individual and collective) and its relationship with trauma. The second chapter focuses on the material and spatial manifestations of memory, embodied in the physical form of the fantastical character "Whatsitsname" (The Creature) as a living archive of victims' remains, and in the urban space of Baghdad as a repository of a wounded identity. The research concludes with a third chapter that analyzes narrative techniques such as temporal structure, fantasy, and polyphony and their impact on invoking the "silent memory." The study reached several key conclusions, most notably that memory in the contemporary novel is no longer confined to documentation but has evolved to play a critical and philosophical role regarding violence and justice. Furthermore, the employment of "fantasy" was an aesthetic necessity to comprehend an "irrational" reality. The significance of this study lies in revealing the mechanisms through which literature reforms national identity by restoring the scattered collective memory.

Keywords:

Memory (Collective and Individual) – Contemporary Arabic Novel –Frankenstein in Baghdad –Narrative Fantasy –Trauma –Identity.

المقدمة:

تعد الذاكرة واحدة من أهم المرتكزات الجمالية والمعرفية التي قامت عليها الرواية العربية المعاصرة في مطلع الألفية الثالثة بعد التنوع والانفتاح وخروج الشكل الروائي على صور متعددة من السرد العربي، إذ لم يعد استحضار الماضي مجرد استرجاع حنيني (نوستالجي) لأحداث انقضت، بل أضحي فعلاً مقاوماً ومحاولة لإعادة ترميم الهويات المنشطية التي شوهتها الحروب والتحويلات السياسية الكبرى. وفي السياق السردى العربي، برزت الحاجة ملحة لاستنطاق الذاكرة بوصفها "المخزن" الذي يحفظ تفاصيل الهامش والمنسي أمام طغيان الروايات الرسمية للتاريخ. إن الذاكرة في الرواية المعاصرة ليست كياناً ساكناً، بل هي صيرورة متجددة تتجلى من خلال تقنيات سردية معقدة، تهدف إلى الكشف عن المسكوت عنه وتفكيك البنى الاجتماعية والنفسية للشعوب التي عانت من ويلات الأزمات الوجودية المستمرة.

وفي هذا الإطار، يبرز المشهد الروائي العراقي ما بعد عام 2003 كنموذج استثنائي لدراسة تجليات الذاكرة، حيث واجه الروائي العراقي واقعاً متطشياً يفوق في غرائبيته حدود الخيال. ومن هنا، تأتي رواية "فرانكشتاين في بغداد" للروائي أحمد سعداوي* لتشكل انعطافة فارقة في توظيف الذاكرة السردية؛ فهي لا تكتفي باستعادة الأحداث، بل تعمل على "تجسيد" الذاكرة مادياً. إن اختيار هذه الرواية كنموذج للدراسة التحليلية ينبع من قدرتها الفائقة على دمج الذاكرة الفردية بالذاكرة الجمعية ضمن إطار فانتازي عجائبي، حيث يتحول الجسد المشوه إلى أرشيف حي يختصر ذاكرة وطن بأكمله، مما يطرح تساؤلات جوهرية حول ماهية الهوية، ومعنى العدالة، وقدرة الذاكرة على الصمود أمام محاولات المحو المنهجي¹. فمن أمثلة صمود الذاكرة حيث جاء في الرواية من خلال قول الراوي: - يولد ويموت ها هنا في هذا الفناء الصغير داخل بيت ام سليم العتيق، ولا يغادر عتبة الباب الى الزقاق. في الخارج يرى الكثيرون ، أن

*أحمد سعداوي: روائي وشاعر وكاتب سيناريو عراقي من مواليد بغداد 1973 عمل في العديد من الصحف والمجلات والمؤسسات في بغداد ، ثم عمل مراسل في قناة bbc

¹ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ط1، منشورات الجمل، بيروت/ بغداد، 2013، ص 15-18.

هذه العجوز ليست سوى امرأة مصابة بالخرف والنسيان، والدليل أنها لا تحتفظ في ذاكرتها لوقتٍ طويل بأسماء الرجال¹.

كما إن تجليات الذاكرة في رواية سعداوي تتخذ أبعاداً متعددة، لعل أبرزها "الذاكرة الجسدية" تحديداً في شخصية (الششمه) ويطلق في اللهجة العراقية على من لا أصل له ولا جذور وليس له عنوان ولا هوية ولا وطن، ولكن السعداوي جعله رمزاً في عقول وقلوب الذين سلبوا الحرية والعدالة والكرامة فهو يمثلهم جميعاً، بالرغم من أنه جمع في آن واحد بين نمطين من الشخصية (المعنف والضحية)، وفي الحقيقة إنه جُمع من أشلاء ضحايا الانفجار بوساطة المدعو هادي العتاك كما موضح في سرد الرواية يقول السارد: -ولم يكن هادي العتاك سوى ممر ومعبّر لهذه الأشياء. مثل أب وأم جاهلين وساذجين ينبجان نبياً أو مخلصاً أو قائداً شريراً². أحد الشخصيات البارزة في الرواية يقول السارد: -ظل هادي يراقب المشهد بتركيز شديد. كان يبحث عن شيء ما وسط مهرجان الخراب والدمار هذا. وبعد ان تأكد من مشاهدته، رمى سيجارته على الأرض وانطلق مسرعاً ليلتقطه من الأرض قبل أن تدفعه المياه القوية لخراطيم الأطفاء إلى فتحة المنهول في الرصيف. رفعه ولفه بكيس الجفافي وطواه تحت ابطه وغادر مسرعاً...- اين وصلنا؟ صاح هادي بعد ان أنهى... فجاءه الجواب بلكنة كسولة من محمود السواوي: -إلى الانف الكبير في كيس الجفافي أها... الأنف... وخيب أمل محمود بعد نسيانه للتفاصيل الدقيقة.. عند انقطاع المطر وخروجه من غرفته مع كيس الجفافي إلى باحة البيت. قرفص هادي عند طرف منها كانت المساحة المتبقية مشغولة بشكل كامل بجثة عظيمة جثة رجل عار تتز من بعض أجزاء جسده المجرح سوائل لزجة فاتحة اللون... أخرج هادي أنفاً طازجاً ما زال الدم القاني المتجلد عالقاً به ثم بيد مرتجفة وضعه في الثغرة السوداء داخل وجه الجثة، فبدا وكأنه في مكانه تماماً، كأنه أنف هذه الجثة وقد عاد إليها³. إن كل قطعة من هذا الجسد تحمل ذاكرة صاحبها الأصلي، وبذلك يتحول هذا المسخ إلى "ذاكرة متنقلة" تطالب بالثأر والإنصاف لذات الإنسان المقهورة بسبب الفقر والظلم، هذا التوظيف الرمزي يعكس وعياً نقدياً بضرورة مواجهة الماضي

¹ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص15-16

² أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص121

³ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص29-33-34

وعدم تركه يغور في معركته ضد النسيان وعدم التخلي عن إنصاف الحق ، كما يبرز دور الرواية في صياغة "ذاكرة بديلة" تتجاوز الخطاب الأيديولوجي السائد. فالذاكرة هنا ليست ترفاً فكرياً، بل هي ضرورة وجودية لاستعادة التوازن في مجتمع يعيش صدمة (Trauma) مستمرة، حيث تتداخل أصوات الضحايا لتشكل لوحة موجعة عن تاريخ العراق المعاصر وبالذات بعد عام 2003 يقول السارد: - حكايات متراكمة ترويهما النسوة المفجوعات بآثار الزمن والغياب التام للملامح التي تغطس في الذاكرة ولا تعود إلى الحياة ابداً... استحضر آخرون سيرة الرجال خلال السنوات الماضية¹.

وبهذا تكمن مشكلة الدراسة في رصد التحول الوظيفي لمفهوم "الذاكرة" في الرواية العربية المعاصرة، وذلك لأن الرواية العربية تميل أكثر من غيرها إلى الاحتفال بالماضي، واستدعائه لتوظيفه بنائياً عن طريق استعمال الاستنكاكات التي تأتي دائماً لتلبية بواعث جمالية وفنية في النص الروائي². وفي رواية "فرانكشتاين في بغداد". فتعد الذاكرة بوصفها تقنية سردية في المنجز الروائي، وإنها قادرة على إعادة وترميم صياغة النص الأدبي، بعد ما كانت في الرواية الكلاسيكية أداة للاسترجاع الزمني، أصبحت في هذا النص أداة "مادية" لإعادة بناء الهوية الوطنية المشوهة. ويمكن بلورة المشكلة في التساؤلات الآتية:

1. كيف استطاع أحمد سعداوي تحويل الذاكرة من مفهوم ذهني مجرد إلى "جسد فانتازي" من خلال (شخصية الشسمه) يجمع أشلاء الضحايا؟
2. ما هي التقنيات السردية التي وظفها الكاتب لاستتطاق الذاكرة الجمعية في ظل واقع يسيطر عليه النسيان القسري و Trauma (الصدمة)؟
3. إلى أي مدى نجحت الرواية في تقديم "ذاكرة بديلة" تتحدى الروايات الرسمية للأحداث السياسية في العراق ما بعد عام 2003؟

وللدراسة أهمية تهدف إلى إثراء المكتبة العربية بدراسة نقدية تجمع بين الدراسات الثقافية (مفهوم الذاكرة) والتحليل السردى الحديث، مما يفتح آفاقاً لفهم كيفية تعامل الأدب مع الأزمات الوجودية الكبرى، وتسليط

¹ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص 64 و 94

² حسن بحراوي، بنية الشكل السردى، ط1، بيروت المركز الثقافي العربي، 1990، ص 121

الضوء على رواية "فرانكشتاين في بغداد" بوصفها نصاً عالمياً (حائزاً على البوكر) وترجم إلى العديد من اللغات، استطاع رصد الذاكرة العراقية، وكشف الآليات الجمالية التي استخدمها الكاتب لدمج الواقع الصادم بالخيال العجائبي إذ أن النشاط الإبداعي والإنساني يولد من رحم بيئته الاجتماعية وارهاساته النفسية وعوامله السياسية والاقتصادية والتربوية وخبراته التراكمية وموروثاته الثقافية والدينية والشعبية والميثولوجية¹. ولا يمكن للباحث والأديب والفنان والفيلسوف والشاعر أو عالم الاجتماع، أن يتجاهل تلك السجلات المعرفية والفلسفية؛ لأنها جزء من واقع المجتمع وإفرازاته الفكرية والعقائدية².

تهدف الدراسة إلى كشف الأنماط المختلفة للذاكرة (الجسدية، المكانية، والتاريخية) داخل البنية السردية للرواية، وتحليل شخصية "الشسمه" بوصفها استعارة كبرى للذاكرة الوطنية التي لا تموت، بل تطالب بالعدالة، وبيان أثر المكان تحديداً (بغداد وأزقتها) في استحضار الذاكرة الثقافية والاجتماعية للشخصيات مع تفكيك العلاقة الجدلية بين "الذاكرة والنسيان" و"الضحية والجلاد" من منظور وصف نقدي معاصر، وقد كان المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج المتبع في هذه الدراسة، إذ تتبع البحث المقاطع النصية التي تتجلى فيها الذاكرة، وتحليل لغتها ودلالاتها وربطها بالسياق العام للرواية، ويتضح المنهج التحليلي في تحليل الرموز والعلامات، خاصة رمزية "الجسد المشوه" و"الأشلاء" بوصفها دالات سيميائية على الذاكرة الجماعية، وذلك لربط النص السرد بالواقع السوسيو-سياسي، وفحص كيفية تمثيل الذاكرة لهوية المجتمع العراقي المعاصر تحت وطأة الحرب.

المبحث الأول: المرجعيات النظرية والجمالية للذاكرة في الرواية

المطلب الأول: مفهوم الذاكرة (الفردية والجمعية) في الدراسات النقدية والثقافية

¹ م. د. وسن حسين ليلو، الواقعية السحرية في رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية/جامعة بابل، العدد 42، شباط، 2019، ص 1348

² م. د. وسن حسين ليلو، الواقعية السحرية في رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي، ص 1348

قبل التعرف على الذاكرة من المنظور النقدي والثقافي المعاصر لابد من معرفتها من الناحية اللغوية والاصطلاحية فالذكرى عند ابن منظور " الذَّكْرُ: الحَفْظُ لِلشَّيْءِ تَذَكُّرُهُ¹. " وفي الاصطلاح :-هي قوة عقلية قادرة على الاحتفاظ بالأحداث الغابرة، وعلى إحضارها للمرء عند الاقتضاء². فهي تعد فضاءً معرفياً متعدّد الأبعاد، يتجاوز كونه مجرد وظيفة بيولوجية لاسترجاع المعلومات، ليصبح بنيةً ثقافية معقدة تُسهم في تشكيل وعي الفرد والجماعة بالعالم. ففي الدراسات النقدية، تبرز الذاكرة بوصفها "استراتيجية نصية" يعيد من خلالها السرد صياغة الماضي وتأويله، وهي في جوهرها عملية انتقائية لا تخضع لمنطق التراكم الزمني بقدر ما تخضع لمنطق الدلالة؛ أي أن الذاكرة لا تستعيد الماضي كما حدث، بل كما يتم تأويله في لحظة الراهن. هذا التداخل بين "الزمن المنقضي" و"اللحظة الساردة" يجعل من الذاكرة كياناً ديناميكياً يمنح النص الروائي عمقاً فلسفياً، حيث تتحول الذكريات من صور ذهنية عابرة إلى محركات بنائية تسهم في رصد التحولات الهوياتية للشخصيات الروائية³.

وفي سياق التمييز بين الذاكرة الفردية والجمعية يذهب الفكر النقدي السوسيولوجي - لا سيما عند موريس هالبواكس - إلى أن الذاكرة الفردية لا تنشأ بمعزل عن الأطر الاجتماعية التي تحتضنها؛ فالفرد لا يتذكر إلا بصفته عضواً في جماعة أو مجتمع، ومن ثمَّ فإنَّ "الذاكرة الفردية" هي في جوهرها انعكاس لتقاطعات الذاكرة الجمعية وتجلياتها في الوعي الخاص. في الرواية العربية المعاصرة، يتجلى هذا المفهوم من خلال شخصيات تعاني من "تشظي الذاكرة الشخصية" تحت وطأة الأحداث الكبرى، حيث يصبح استحضار الذكريات الخاصة محاولة يائسة لترميم الذات أمام انهيار السرديات الجماعية الكبرى. إن الذاكرة الفردية هنا تعمل كـ "مجهر" يسلط الضوء على التفاصيل الدقيقة التي يهملها التاريخ الرسمي، محولةً التجربة الشخصية إلى وثيقة إدانة ضد العنف والتهميش⁴. يقول السارد:-يستعيد صوراً متلاحقة غاطسة في ذاكرته

¹ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور/لسان العرب ،ت/عبدالله علي الكبير، محمد احمد حسب الله،دار المعارف/القاهرة، مادة ذكر،ص1507

² جبور عبد النور، المعجم الأدبي ، ط1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان،،ص117

³ عبد الله إبراهيم، المتخيل السردى: سوسيولوجيا الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990، ص 44-46.

⁴ موريس هالبواكس، الذاكرة الجماعية، ترجمة: نصار عبد الله، ط1، دار القاهرة، القاهرة، 2001، ص 32-35.

عن أيام شبابه وزهو طاقته للاستمرار والعيش بصلاية في هذه الحفرة المعتمدة والرطوبة من ألبوم الصور هذا بالتحديد¹

أما الذاكرة الجمعية: فتتمثل المستودع الذي تحفظ فيه المجتمعات رموزها، وقيمها، وآلامها المشتركة، وهي تُبنى عبر عمليات معقدة من الانتقاء والإقصاء؛ حيث يتم تخليد أحداث معينة وتهميش أخرى لخدمة الهوية الوطنية أو الجماعية. وفي الدراسات الثقافية، تبرز الذاكرة الجمعية كساحة للصراع بين "الذاكرة المهيمنة" التي تفرضها السلطة، و"الذاكرة المضادة" التي يحملها المهمشون والضحايا. الرواية المعاصرة تعتمد إلى تبني هذه الذاكرة المضادة، فتجعل من النص السردي فضاءً لاستعادة الحكايات الموهودة والضحايا المنسيين. إن تجلي الذاكرة الجمعية في السرد لا يهدف إلى التوثيق التاريخي الصرف، بل يرمي إلى خلق "متخيل جمعي" يعيد الاعتبار للهوية المشتركة في مواجهة محاولات المحو أو التشويه التي تتعرض لها الشعوب في أعقاب الصراعات المسلحة والتحولت السياسية الجذرية².

فضلاً عن ذلك، لا يمكن فصل مفهوم الذاكرة في النقد الحديث عن علاقتها بـ "النسيان"، وهو عند ابن منظور بكسر النون: ضِدُّ الذِّكْرِ والحِفْظ³، وفي معجم المصطلحات العربية هو فقدان المؤقت أو النهائي لما حفظته النفس من الصور، والمهارات الحركية، وهو قسمان: نسيان طبيعي كما في فقدان الحظور التلقائي أو العجز عن التذكر الإرادي، ونسيان غير طبيعي كما في أمراض الذاكرة. وهو الغفلة عن المعلوم وقال الجرجاني "هو الغفلة عن المعلوم، في غير حالة السَّهْوَة"⁴، ويرى بول ريكور أن الذاكرة والنسيان يتبادلان الأدوار في تشكيل الهوية السردية. فالنسيان ليس مجرد فقدان للمعلومة، بل قد يكون فعلاً اختيارياً أو قسرياً يهدف إلى حماية الذات من "ثقل الماضي" أو "صدمة الواقع" (الترويعا). وفي هذا السياق، تتحول الذاكرة في الرواية إلى فعل مقاوم للنسيان الممنهج، حيث يسعى الروائي عبر لغة السرد إلى تحويل الصمت إلى صوت، والغياب إلى حضور والماضي إلى حاضر. إن هذا الاشتباك المعرفي بين الذاكرة

¹ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص 121-123

² جابر عصفور، الرواية واستعادة الذاكرة، مجلة العربي، الكويت، العدد 560، يوليو 2005، ص 22.

³ ابن منظور، لسان العرب، ص 4416

⁴ جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالالفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982 ج 2:

الفردية (بصفتها وجعاً ذاتياً) والذاكرة الجمعية (بصفتها إرثاً مشتركاً) هو ما يمنح الرواية العربية المعاصرة مشروعيتها الثقافية، بوصفها المختبر الذي يُعاد فيه فحص علاقة الإنسان بماضيه المأزوم وتطلعه نحو مستقبل مجهول المعالم¹.

المطلب الثاني: تحولات الرواية العربية المعاصرة: من تدوين التاريخ إلى استنطاق الذاكرة

بعد ما كانت الرواية العربية الحديثة مستمدة حيوياتها ونتاجها وحيوتها من خلال ترابطها الفني والابداعي مع عدة روابط منها الرابط التاريخي الذي لا يمكن الانفكاك منه بما يحمل من مادة دائمة الخصوبة، فاليوم الرواية العربية المعاصرة تشهد تحولاً وتنوعاً جذرياً في علاقتها بالزمن الماضي، حيث انتقلت من "الرواية التاريخية" بمعناها التقليدي الذي يقوم على محاكاة الحادثة التاريخية وتدوينها وفق منطق كرونولوجي (تتابعي)، إلى مرحلة "استنطاق الذاكرة" التي تعنى بتمثيل التاريخ من الداخل عبر الوعي الفردي والجمعي. فبينما كان التدوين التاريخي يميل إلى الصرامة والموضوعية المفترضة، جاء استنطاق الذاكرة ليمارس نوعاً من "النقد التاريخي" من خلال السرد، حيث لم يعد الروائي مؤرخاً يسرد الوقائع، بل أصبح منقباً عن المسكوت عنه في تلك الوقائع. فالنشاط الإنساني، والإبداعي يولد من رحم بيئته الاجتماعية وإرهاصاته النفسية وعوامله السياسية والاقتصادية وخبراته التراكمية ومورثاته الثقافية والدينية والشعبية والميثولوجية². فالتحول يعكس رغبة الرواية العربية في التحرر من سطوة "الرواية الرسمية" للتاريخ التي غالباً ما تتبناها السلطة، والتوجه نحو "الروايات الصغرى" التي يحملها المهمشون والضحايا، مما جعل الذاكرة أداة لترميم الشغرات التي تركها التاريخ الرسمي عمداً أو سهواً³.

وعليه، فإن الرواية المعاصرة لم تعد تكتفي باستحضار الماضي كديكور زمني، بل أصبحت تعيد إنتاجه كفضاء للصراع الهوياتي. لقد تحول النص الروائي إلى مختبر تُفحص فيه الذاكرة وتُسأل، إذ يُستدعى الماضي ليفسر تشظي الحاضر. هذا النوع من السرد يعتمد تقنيات "الميتاسرد" (ما وراء السرد) و"الفانتازيا" لتجاوز عجز اللغة التاريخية الجافة عن الإحاطة بالأزمات الكبرى. إن الانتقال إلى استنطاق الذاكرة يعني

¹ بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2005، ص 112.

² م. د. وسن حسين، الواقعية السحرية في رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد السعداوي، ص 1348.

³ سعيد يقطين، الرواية والتراث السردية: من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص 88.

الانتقال من "الواقعة" إلى "أثر الواقعة" في الوجدان الإنساني؛ وبذلك أصبحت الرواية العربية المعاصرة - وفي مقدمتها أعمال

أحمد سعداوي- تمارس دوراً معرفياً يتجاوز المتعة الجمالية، لتصبح وثيقة سوسولوجية ونفسية تستبطن جوهر الصراعات التي عصفت بالمنطقة العربية، محولةً الذاكرة من مستودع للأحداث إلى قوة خلاقة تعيد تشكيل الوعي بالذات وبالأخر¹.

المطلب الثالث: الذاكرة الصادمة (الترويعا) وأثر الحروب في تشكيل السرد العربي الحديث

تعد "الذاكرة الصادمة" أو ما يُعرف نقدياً بـ (الترويعا) من أبرز الملامح التي وسم بها السرد العربي الحديث، لاسيما في الأقطار التي شهدت حروباً واضطرابات كبرى. فالترويعا في جوهرها ليست مجرد حدث مؤلم انقضى، بل هي "جرح غائر" في الذاكرة يأبى الالتئام، ويتجلى في السرد عبر بنية التشظي والتكرار والانقطاع. إن الحروب العربية المعاصرة لم تدمر المدن فحسب، بل دمرت أيضاً "التسلسل المنطقي" للزمن في وعي الإنسان العربي، وهو ما انعكس في الرواية عبر هيمنة الكوابيس، والهواجس، والذكريات المبتورة التي تقتحم الحاضر بقوة. في هذا السياق، لم يعد السرد الروائي يسير في خط مستقيم، بل أصبح سلفاً انعكاساً لذاكرة الضحية التي تعيش الصدمة بشكل مستمر، حيث يتداخل الواقع بالحلم، والموت بالحياة، في محاولة مستميتة لاستيعاب هول الفقد والخراب².

لقد أفرزت هذه الذاكرة الصادمة نوعاً من "سردية الأنقاض"، حيث تخلت الرواية عن البطل الملحمي المتماسك لصالح "البطل الشظية" أو الشخصية المأزومة التي تحاول لملمة بقايا ذاكرتها وسط الحطام. إن أثر الحروب في تشكيل السرد العربي تجلى في تحول اللغة الروائية نحو التكتيف والرمزية والعجائبية، هرباً من واقع لا يمكن وصفه بالأدوات التقليدية. الذاكرة الصادمة هنا تعمل كمغناطيس يجذب كل عناصر النص (المكان، الزمان، الشخصيات) ليدور في فلك "اللحظة الصدمة"، مما يجعل الرواية فعل "تطهير"

¹ واسيني الأعرج، سؤال الذاكرة في الرواية العربية الجديدة، مجلة فصول، المجلد 16، العدد 2، القاهرة، 1997، ص 55-57.

² كاثي كاروث، التجربة غير المطروقة: الترويعا والسرد والتاريخ، ترجمة: محمد صبحي، دار التنوير، 2010، ص 14.

جماعي وحقلًا لاستكشاف الندوب النفسية التي خلفها العنف. يقول السارد: - هذا زمن يختفي فيه الكثيرون دون أي سبب معقول¹. وبذلك، تصبح الرواية العربية الحديثة وسيلة لاحتواء الترويم، ليس من أجل نسيانها، بل من أجل منحها معنىً سردياً يسمح للمجتمع بمواجهة ماضيه الأليم دون الانكسار أمامه².

المبحث الثاني: تجليات الذاكرة الجسدية والمكانية في الرواية

المطلب الأول: جسد "الشسمه" (المخلوق) بوصفه أرشيفاً مادياً للذاكرة الوطنية الممزقة

يعد ابتكار شخصية "الشسمه" أو "المخلوق" الذي لا اسم له وهو الذي يقصد به في اللهجة العراقية المجهول أو ما لا عنوان له ولا هوية ولا أصل ولا جذور كأب و أم يفخر بهم... الشسمه هو الجوع والضياح والكبت وقهر الزنانات وقضبان السجون وصرخة الثائرين بوجه الخوف والقلق والرعب والمصير المجهول³. ففي رواية "فرانكشتاين في بغداد" يتحول تحولاً سيميائياً فارقاً في تمثيلات الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة؛ إذ لم تعد الذاكرة هنا مجرد استحضار ذهني أو وجداني للماضي، بل تحولت إلى "كيان مادي" ملموس ومتحرك، فهي تمثل الركيزة التي على أساسها يتشكل الحاضر، فليست التقاليد والمنتجات الثقافية سوى تأصيل للذاكرة في الحاضر، وهي حضور للماضي، واستمرار حيوي لصيرورة الزمن⁴، إن هذا المخلوق الذي شيده "هادي العتاك" من أشلاء ضحايا الانفجارات في بغداد، يقول السارد: - جثة عارية مصنوعة من بقايا قتلى الانفجارات... فالشسمه مصنوع من بقايا أجساد لضحايا، مضافاً إليها روح ضحية، واسم ضحية أخرى. إنه خلاصة ضحايا يطلبون الثأر لموتهم حتى يرتاحوا. فهو مخلوق للانتقام والثأر لهم.... وهو في المقابل لا يقصد أيضاً إخافة الناس. إنه في مهمة نبيلة... باعتباره مجرماً خطيراً، وهو ليس كذلك بتاتاً... إنهم يتهموني بالإجرام، ولا يفهمون اني أنا العدالة الوحيدة في هذه البلاد⁵ يمثل في جوهره

¹ سعداوي/ أحمد السعداوي، فرانكشتاين في بغداد، 99

² نجم عبد الله كاظم، الرواية في العراق 1965-2003 وتأثيرات الحرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2003، ص 204.

³ م.د. وسن حسين، ص، 1344-1345

⁴ حسن حماد، سردية الذاكرة والمصير قراءة في السيرة الذاتية للفيلسوف فتحي التريكي، مجلة اتجاه ، العدد 56، خريف 2022، ص33

⁵ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص67-144-145-146-149-157

"ذاكرة عيانية" تلخص مأساة الهوية الوطنية المشوهة بذلك يعدُّ رمزاً للعراق بموقعه الجغرافي والحضاري والثقافي الذي مزقته وشوّهته الحروب والطائفية بكل أنواعها ومذاهبها. فكل عضو من أعضاء هذا الجسد يحمل تاريخاً مستقلاً وذاكرة فردية لصاحبه الأصلي، ولكنها حين اجتمعت، كونت "ذاكرة جمعية" قسرية، ولدت من رحم العنف والتشظي. وبذلك، لا يعود "الشسمه" مجرد مسخ فانتازي، بل يتحول إلى "أرشيف حي" يسير على قدمين، يوثق لحظات الانفجار والدمار التي تعرضت لها البنية الاجتماعية العراقية، يقول السارد:- أخرج ليلاً، بعد الغروب بساعة أو ساعتين. أمر تحت تقاطعات نيران لا تهدأ تنطلق من جهات مختلفة، أكون السائر الوحيد في شوارع طويلة فارغة حتى من القطط أو الكلاب السائبة، لا شيء سوى وقع خطواتي في الفواصل القليلة من الصمت بين رشيش الرصاص الذي يشتد ويتزايد مع اقتراب منتصف الليل. أكون مجهّزاً بكل ما احتاجه؛ بضع هويات ووثائق جيدة الصنع... لم أر غير الجثث المرمية في كل الأرجاء. جثث نائمة على إسفلت الشارع وعلى الأرصفة، وأخرى تجلس متكئة على الجدران، وأخرى تنحني بنصف جسدها من الشرفات أو تحتضن بعضها عند مداخل الشقق والغرف¹. إن الدلالة العميقة لهذا التجسيد تكمن في "تعددية المصادر" المكونة للجسد؛ فهو يضم أشلاءً من قوميات وطوائف وطبقات اجتماعية متباينة، يقول السارد:- ولأني مكوّن من جذاذات بشرية تعود إلى مكونات وإعراق وقبائل وأجناس وخلفيات اجتماعية متباينة، أمثل هذه الخلطة المستحيلة التي لم تتحقق سابقاً أنا المواطن العراقي الأول². مما يجعله رمزاً للهوية الوطنية الممزقة التي يحاول السرد إعادة تجميعها. ومع ذلك، فإن هذا التجميع لا يؤدي إلى "الوحدة" بقدر ما يؤدي إلى "الوحشية"، في إشارة نقدية مبطنة من الكاتب إلى أن الذاكرة المبنية على الأشلاء والدماء لا يمكن أن تنتج إلا كائناً مشوهاً يسعى للانتقام. إن الذاكرة هنا "مادية" بامتياز، حيث تتحول الجروح والندوب إلى لغة سردية تحكي قصص الموتى الذين سقطوا في صمت، والذين لم يجدوا مكاناً لهم في سجلات التاريخ الرسمي، فاجتمعوا في جسد واحد ليسمعوا العالم صوت احتجاجهم؛ يقول السارد:- لقد عرف مثلاً أن اللحم الميت الذي يتكون جسده منه يتساقط من تلقاء نفسه في حال لم يجر الثأر لصاحبه في الوقت المعلوم... أخبره بأنه يحتاج إلى تعويضات لأجزائه الساقطة. يحتاج إلى لحم جديد

¹ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص 161-162-179² أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص 161

لضحايا جدد... ليس لدي وقت كثير، ربما انتهي ويذوب جسدي وأنا اسير ليلاً في الأزقة والشوارع حتى من دون أن أنهي مهمتي التي كلفت بها... أنا مخلص ومنتظر ومرغوب به ومأمول بصورة ما... لكن قطعة ما من لحم الكتف رفضت أن تستقر في مكانها، كانت ذائبة تماماً وكأنها من لحم جثة قديمة مضى على هلاكها عدة أيام... في غصون الساعات الثلاث اللاحقة سقط إبهام يدي اليمنى وثلاثة أصابع من يدي اليسرى. ذاب أنفي، تكونت ثغرات كبيرة داخل جسدي بسبب ذبول اللحم فيها¹. فضلاً عن ذلك، يتجلى الجسد كأرشيف للذاكرة من خلال "ديناميكية التآكل والتعويض"؛ فكلما أنجز "الشسمه" مهمة انتقامية لقطعة من جسده، بدأت تلك القطعة بالتعفن والسقوط، مما يضطره لاستبدالها بقطع جديدة من ضحايا جدد.، يقول السارد:-- كل من تقتله يتم غلق حسابه، أي أن طالب الثأر يلبي طلبه فيذوب في جسدك ذلك الجزء العائد له... كنت بحاجة إلى قطع غيار جديدة² هذه العملية التكرارية تعكس ديمومة "الذاكرة الصادمة" في الواقع العراقي، حيث لا يتوقف إنتاج الموت الموحش، وبالتالي لا يتوقف إنتاج الذاكرة الجريحة. إن الجسد هنا يرفض النسيان؛ فالسقوط والتعفن ليس إلا تعبيراً عن "انقضاء الحق" بحدوث الانتقام، لكن الحاجة المستمرة لأجزاء جديدة تشير إلى أن الذاكرة الوطنية عالقة في "حلقة مفرغة" من العنف المتبادل. وبذلك، يصبح "الشسمه" مرآة تعكس حال المجتمع الذي لم يعد قادراً على الحفاظ على ذاكرة متماسكة، بل يعيش على ذكريات "مرقعة" ومستعارة من أجساد الآخرين³. أي أن أشلاء هذا الجسد يجب ان تكون لضحايا أبرياء ولكن سرعان ما تغير هذا الجسد وبالذات بعد ما تطور عمل هذا الشخص وأصبح له اتباع يوفرون له قطع الغيار ويرقعون وينظفون جسده ويضيفون له أجزاء من أشخاص مجرمين؛ فحاجته للقتل لم تعد للثأر للأرواح البرئية المنشظية جرّاء الانفجار والاقتيال الطائفي وإنما تحولت عملية القتل عنده الى أداة وأيقونة مهمة من أجل البقاء والديمومة الأبدية وكأن روح الشر تنتشبت بالواقع تأبى أن تفارقه، ولعل بدأ أقرب إلى ابتكار الإرهاب المضاد⁴.

¹ احمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص 163-164-165

² احمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص 148-156-162-163-15-65-166-171-172-175-177-178

³ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، مصدر سابق، ص 42-45.

⁴ م.د. وسن حسين، ص 1346

إن أحمد سعداوي قد نجح في تحويل "الذاكرة" من حالة سكونية إلى حالة حركية عنيفة من خلال "سيميوطيقا الجسد". إن "الشسمه" هو المختبر الذي اختبر فيه الكاتب قدرة الذاكرة الوطنية على الصمود أمام التمزق؛ فهو يمثل صرخة الضحايا وتداعيات الوجد وعلامات القهر في عيون البوساء ساكني الصفيح وآلام الأرامل والأمهات الحائرات بسد رمق أطفالهن¹. الذين تحولت أجسادهم إلى مجرد "أرقام" في التقارير الإخبارية، قبل أن يعيد السرد لملمتها ومنحها صوتاً وهوية، وإن كانت هوية مرعبة. إن هذا الأرشيف المادي للذاكرة يضع القارئ أمام حقيقة موجعة، وهي أن الذاكرة التي تُبنى في غياب العدالة تظل ذاكرة "فرانكشتاينية"، مهددة بالانفجار في أي لحظة، وغير قادرة على تحقيق التصالح مع الذات أو مع الآخر².

المطلب الثاني: سيميائية المكان: ذاكرة البيوت والأزقة البغدادية وصراع الهوية

إذا كانت الذاكرة تشكل خزان الأحداث والمشاعر التي ترافق الإنسان، فإن المكان فيه ترقد هذه الذكريات وستنطق عبر الأحداث من جديد ضمن ترنيمة سردية تتجاوز الواقع إلى الخيال ولذا يمكن تأكيد القول: إن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعله مع الفضاء³. وهذا ما نجده حاضر في قراءه الشعر العربي القديم من خلال الوقوف على الاطلاع كعامل مساعد و رمزاً حياً للمكان. ولا يشكل المكان في رواية "فرانكشتاين في بغداد" مجرد حيز جغرافي تدور فيه الأحداث، بل يتحول إلى بنية سيميائية محملة بالدلالات والذكريات التي تشترك مع صراع الهوية المرير. يتركز السرد في حي "البتاوين"، وهو فضاء مكاني يتسم بالعراقة والتهاك في آن واحد، حيث تعكس البيوت القديمة ذات الشناشيل المتآكلة ذاكرة بغداد المتعددة التي كانت يوماً ما مزيجاً من الأديان والأعراق. إن المكان هنا "ينطق" بذاكرة التعايش المفقودة، ويقف شاهداً على التحولات العنيفة التي طرأت على الهوية العراقية؛ فالحي الذي كان يضم اليهود والمسيحيين والمسلمين ومن كل انحاء الدول ليس عراقيين فقط، تحول إلى فضاء مشوه يقطنه المشردون والفقراء والخائفون، مما يجعل من جدران هذه البيوت "لوحات تسجيلية" لآثار الرصاص وشظايا الانفجارات، وهي علامات مكانية

¹ م.د. وسن حسين ص 1344

² ينظر: محمد فالح، سيميوطيقا الجسد المشوه في الرواية العراقية، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية، المجلد 41، 2014، ص 19.

³ حسين داوي، المكان وسطوة لذاكرة عند يوسف زيدان، مجلة انسة للبحوث والدراسات، العدد 2021/12/1، ص 174

تحيل مباشرة إلى ذاكرة الصدمة التي يعيشها ساكنو هذا الفضاء¹. فهو يعد صورة مصغرة من بغداد بل من العراق والوطن العربي، ولا سيما إن أكثر رواد هذا الحي هم من المصريين والسودانيين قبل أحداث 2003 لذا فإنه حي يجمع فيه أطراف مختلفة من الأنساق الثقافية والدينية والاجتماعية لشخصه كافة لما يحتويه من بيئة مكانية تجمع (الفقير والبرجوازي)، (المتشائم والمتفائل)، و(المسلم والمسيحي) و(المرأة والرجل) ونستنتي من هذه البيئة (الغني)². ولكن الحروب دمرتها وبدلت معدن سكانها يقول السارد: - منذ تأسيسها في مطلع القرن الماضي كأفضل الأحياء السكنية وسط بغداد. حتى مع تدهورها في الثمانينيات ومطلع التسعينيات وتحولها إلى بؤرة لبيوت الدعارة وصناعة المشروبات الكحولية المنزلية، واكتشاف عمليات للخطف والتجارة بالنساء والأطفال والأعضاء البشرية في بعض بيوت المنطقة، فإن هذا لم يكن الأسوأ³.

وتتجلى سيميائية المكان بوضوح في "البيت" الذي تقطنه الشخصيات، لاسيما بيت "إيليشوا" العجوز، الذي يمثل قلعة حصينة للذاكرة الراضية للاستسلام للواقع الجديد. هذا البيت لا يضم مجرد جدران، بل يضم أرواحاً وصوراً وذاكرات تأبى أن تغادر وخير من مثل هذه الوقائع هو الحفيد في بيت الجدة من خلال استعادة الذكريات الماضية يقول السارد: - داهمه حزن غامض وهو يرفع بصره إلى الصورة الرمادية المعلقة على الجدران. شعر إنه يعرف هذا البيت، واستعاد جزئياً بعض ذكرياته الشاحبة أثناء ما كان يأتي مع أمه لزيارة الجدة قبل أكثر من عقد مضى، وأيقن إن بقاءه مع جدته أكثر سينشط ذكريات أخرى⁴. حيث تعيش إيليشوا في زمن موازٍ لزمن الحرب، مستحضرة ذاكرة ابنها الغائب. إن الصراع بين "داخل" البيت (الذاكرة الدافئة والماضي) و"خارج" البيت (العنف والواقع المتشظي) يعكس أزمة الهوية التي يعاني منها الإنسان العراقي المعاصر، فالمكان الخارجي فقد ملامحه القومية والوطنية ليتحول إلى ساحة حرب مجهولة الهوية، بينما يظل المكان الداخلي هو الملاذ الأخير لحفظ ما تبقى من الذات. ومن هنا، تصبح الأزقة الضيقة

¹ بشير القمري، شعرية الفضاء المتخيل في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002، ص 33-36.

² م.د. وسن، حسين ص 1344

³ احمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص 304

⁴ احمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص 288-289

والمظلمة في الرواية رموزاً لمتاهات الذاكرة، حيث يتداخل فيها الماضي العريق بالحاضر الدامي، مشكلةً جغرافيا نفسية تعبر عن حالة التيه وفقدان البوصلة الوطنية.

المطلب الثالث: ذاكرة الأشياء والرموز: تتبع مقتنيات الضحايا ودورها في بعث الماضي

تؤدي "الأشياء" في سردية أحمد سعداوي دوراً مركزياً بوصفها حوامل للذاكرة المفقودة ومحفزات لاسترجاع الحكايات المغيبة. إن مقتنيات الضحايا من ملابس، وساعات، وأوراق ثبوتية، وحتى قطع الأثاث المنهوبة ليست مجرد جمادات، بل هي رموز سيميائية مشحونة بـ "أثر أصحابها". فعندما يُبنى جسد (الشسمه) من أشلاء مجهولة، تبرز المقتنيات كأدوات لتعريف هذه الهويات المبتورة؛ فالثوب الذي يرتديه المخلوق أو الساعة التي يحملها هي التي تمنحه صوتاً يقول السارد: - شاهد شاباً مراهقاً يرتدي تي شيرت أحمر مع سوارين فضيين في معصميه وقلادة من خيط قماشي أسود¹. وذاكرة من خلال "بعث الماضي" الفردي لكل قطعة فيه. هذه الأشياء تعمل كـ "منبهات ذاكراتية" تحول الغياب إلى حضور، وتجعل من الضحية رقماً صعباً يرفض المحو من الذاكرة الجمعية². علاوة على ذلك، يبرز "الرمز" في الرواية كأداة لاستنطاق الذاكرة الثقافية، مثل صورة "القديس جرجس" في بيت إيليشو³ يقول السارد: - صورة القديس الشهيد ذي الوجه الملائكي وهو، برغم ذلك، ليس في هيئة روحانية؛ فهذا الملائكي يرتدي درعاً فضياً سميكاً يغطي بصفائه اللامعة كل جسده مع خوذة مريشة تسمح لشعر قذاله الأشقر بالظهور متموجاً من تحتها، ورمح طويل مدبب مشروع في الهواء، وكل هذا الهيئة القتالية تجثم على حصان أبيض عضلي البنية³. أو التقارير الصحفية التي يجمعها "محمود السوادي". إن هذه الأشياء والرموز تمثل "أجزاء من الحقيقة" يحاول السرد لملمتها؛ فكل مقتنى هو شفرة تاريخية تحكي قصة حياة انتهت بشكل فجائي وعنيف. إن "تتبع مقتنيات الضحايا" في الرواية يكشف عن رغبة الكاتب في أنسنة الإحصائيات؛ فالحرب تحول الناس إلى ركام، لكن الرواية عبر ذاكرة الأشياء تعيد لهم كرامتهم السردية. إن الشيء هنا لا يبعث الماضي فحسب، بل يمارس "سلطة" على الحاضر، حيث يطالب بالعدالة أو الانتقام، وبذلك تصبح المقتنيات الشخصية للضحايا هي

¹ أحمد سعداوي، ص 46

² غاستون باشلار،جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1984، ص 77.

³ أحمد سعداوي، ص 22

"الأرشيف السري" الذي يتحدى النسيان الممنهج ويحافظ على ديمومة الذاكرة الوطنية في أقصى تجلياتها الصادمة¹.

المبحث الثالث: التقنيات السردية وبنية المتخيل في استدعاء الذاكرة

المطلب الأول: بنية الزمن وتشظي السرد: التناوب بين الاسترجاع الذاكراتي والحاضر المرعب

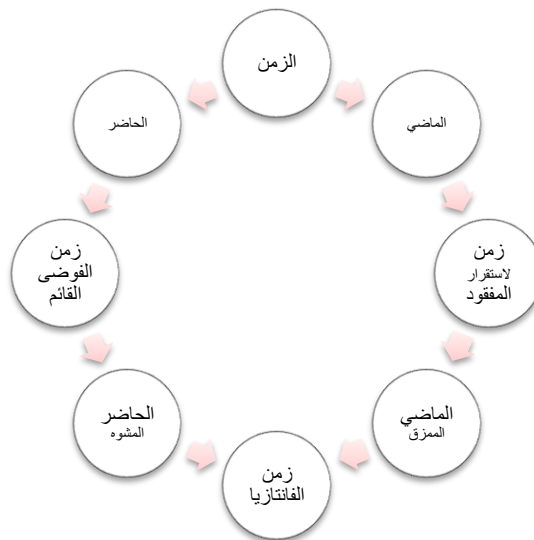
تتجلى عبقرية البناء السردى في رواية "فرانكشتاين في بغداد" من خلال التلاعب ببنية الزمن، إذ لم يعد الزمن خطأ مستقيماً يتجه من الماضي نحو المستقبل، بل استحال إلى "زمن متشظٍ" يعكس حالة التمزق التي يعيشها الواقع العراقي. إن أحمد سعداوي يعتمد تقنية "التزامن" وتكسير التسلسل الكرونولوجي، ليجعل من الحاضر المرعب للانفجارات والحرائق مجرد صدى لذاكرات قديمة تأبى الانقضاء. هذا التشظي الزمني ليس مجرد خيار جمالي، بل هو انعكاس لـ "ارتباك الذاكرة" تحت وطأة الصدمة؛ فالمكان الذي ينفجر في اللحظة الراهنة يستدعي فوراً استرجاعات ذاكراتية تعيد القارئ إلى تاريخ الضحية أو تاريخ المكان، مما يخلق تداخلاً مربكاً يجعل الحاضر والماضي يذوبان في بوتقة واحدة من الألم².

إن التناوب بين "الاسترجاع الذاكراتي" و"الحاضر المرعب" يؤدي وظيفة بنيوية حاسمة في الرواية؛ إذ يعمل الاسترجاع كأداة "لأنسنة الضحايا" قبل أن يبتلعهم الحاضر المروع. فعندما يسرد الكاتب قصة حياة أحد الأشخاص الذين ستشكل أطرافهم جسد "الشسمه"، فإنه يمنحهم هوية زمنية في الماضي، ليعود ويصدم القارئ بتحولهم إلى "أشلاء" في الحاضر. هذا التردد بين زمنين—زمن الاستقرار المفقود وزمن الفوضى القائم—يخلق توتراً درامياً عالياً، حيث تصبح الذاكرة هي الملاذ الوحيد للشخصيات فإن طلب المشاهد الماضية تعمل على انكسار الحاضر السردى (الروائي) مثل إيليشوا التي تعيش في زمن ابنها الغائب مما جعل الذاكرة العالقة مصباحاً وهاجاً لاستمرار الحياة يقول السارد:— لا جديد لدى العجوز، إنها تكرر الكلام

¹ رولان بارت، هسوسة اللغة، ترجمة: أنطوان أبو زيد، دار الإنماء الثقافي، بيروت، 1999، ص 104.

² جيرار جينيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معصم، ط3، دار الأمان، الرباط، 1997، ص 49.

ذاته، كذلك الأمر مع جاراتها العجائز بعضهن لا يتذكر شكل دانيال هذا رغم أنهن يعرفنه، فهو، على أية حال، شخص ميت وواحد مرّ على ذكراتهن التي ملئت واتخمت بالميتين خلال سنوات طويلة... أن الأم تستعمل ذكرى ولدها الراحل كي تستمر في العيش لا أكثر¹، كما إن الذاكرة أو الاستدكار يعبران دائماً عن لمسات حيائية عند الإنسان مورست بشكل أو بآخر عن طريق الحلم أو الخيال أو حتى الحقيقة والذاكرة ذات طبيعة مرنة تسمح دائماً بمرور ونفوذ ما علق بها إلى الواجهة حسب كل موقف وفي إطاره الزمني والمكاني والشعوري والذي يستدعي دائماً المشاهد التي تعبر عن كل حالة شعورية² يمثل الحاضر "الوحش" الذي يقتات على تلك الذاكرة. وبذلك، يتحول السرد إلى عملية "ترقيع زمنية" تشبه تماماً عملية ترقيع جسد المخلوق، حيث يجتمع الماضي الممزق مع الحاضر المشوه لينتجا زمناً ثالثاً هو "زمن الفانتازيا" أو زمن اللايقين.



فضلاً عن ذلك، يساهم تشظي السرد في تعميق "إشكالية الحقيقة" في الرواية؛ فكثرة الاسترجاعات وتعدد وجهات النظر الزمنية تجعل الذاكرة تبدو وكأنها "مرآة مكسورة" تعكس شظايا من الواقع لا صورة كاملة له. إن سعداوي يستخدم "الزمن الدائري" في بعض المواضع، حيث تبدأ القصص وتنتهي عند نقطة الانفجار،

¹ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، مصدر سابق، ص 14

² د. بن حسين داوي/د. لخضر بن السابح، المكان وسطوة الذاكرة عند يوسف زيدان، مجلة آسنه للبحوث والدراسات 2021 في 2021/5/13، ص 172

مما يشير إلى أن الذاكرة العراقية المعاصرة عالقة في "لحظة صدمة مستمرة" لا تستطيع الفكك منها. هذا التوظيف الفني لبنية الزمن يجعل من القارئ مشاركاً في عملية "تجميع الذاكرة"؛ فهو لا يقرأ رواية مرتبة الأحداث، بل يجمع شظايا زمنية ومكانية ليكون صورة عن بغداد، وهو ما يعزز فكرة أن الذاكرة الوطنية لا يمكن استعادتها إلا من خلال تجميع هذه الأجزاء المبعثرة والمنسية في ثنايا الحكاية¹. ومن هنا فإن كل تذكر يستوجب وجود زمن؛ إذ أشار أرسطو حينما دمج بين الذاكرة وعلاقتها بالماضي² و أنها لا ترتبط بالمستقبل، وإلا كانت تنبؤاً أو تكهنًا، ولا بالحاضر، لأنه يشكل مادة الإحساس والفكر ولكننا لا نستطيع أن نتكلم عن الذكراة بمعزل عن الزمن، فتحليل عملية الذاكرة يتقاطع حكماً مع تحليل الزمن، لذا فإن كل تذكر يفترض وجود زمن³.

المطلب الثاني: الفانتازيا والعجائبي كقناع لاستحضار الذاكرة المسكوت عنها

تُعد الفانتازيا في رواية "فرانكشتاين في بغداد" خياراً جمالياً وضرورة معرفية في آن واحد؛ إذ وظف أحمد سعداوي "العجائبي" بوصفه قناعاً فنياً لاختراق جدران الصمت التي تفرضها الذاكرة الصادمة. إن الواقع العراقي بعد عام 2003، بما حمله من عنف مفرط وتدمير للهوية، تجاوز في بشاعته حدود المنطق السردى التقليدي، مما دفع الروائي إلى استعارة قالب "الفرانكشتايني" لجعله وعاءً لتمثيل تلك الحقيقة غير القابلة للتصديق. فالمخلوق العجائبي (الشسمه) ليس مجرد كائن خرافي، بل هو "مجاز سردي" مكثف للذاكرة المسكوت عنها؛ ذاكرة الضحايا الذين تحولوا إلى أشلاء مجهولة الهوية، والذين لم يجدوا مكاناً في السرديات الرسمية سوى بوصفهم أرقاماً عابرة⁴، يقول السارد: - في احدى الليالي شاهد المواطن 341 يسير في أحد أزقة حي الوزيرية... إلا أنه لن يعرف أبداً من هو المواطن 342 أو المواطن 340 وكيف يستأنفون العدد لكسب مؤيدين ومؤمنين جدد. وماهي الأرقام التي أصبحت شاغرة، وكم هو عدد المواطنين الفعلي الآن⁵.

¹ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، مصدر سابق، ص 110-115.

² جمال شحيد، الذاكرة في الرواية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان، 2011، ص 53.

³ تزفيتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة: الصديق بوعلام، دار الكلام، الرباط، 1993، ص 25-28.

⁴ أحمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص 235.

إن هذا التوظيف للعجائبي يمنح السرد قدرة على "قول المستحيل"، حيث تتحول الفانتازيا إلى وسيلة لاستتطاق الذاكرة المقموعة. فمن خلال هذا القناع، يستطيع سعداوي مساءلة قضايا العدالة والانتقام والذنب التي ترفض الذاكرة الواعية مواجهتها بشكل مباشر يقول السارد :- . فعليه أن يستثمر هذه الإمكانية المميزة خدمة للأبرياء وخدمة للحق والحقيقة والعدالة¹، إن الكائن العجائبي أو الشخصية العجائبية ما هي إلا مساحة مشتركة يجتمع فيها الواقعي واللاواقعي وإن طغى الأخير عليها، هي تقنية فنية استخدمتها العجائبية الحديثة لتعبر عن أزمة الإنسان المعاصر، لذلك جاء البناء الفني لهذه الشخصية على وفق رؤية جديدة لا تحتفي بالأبعاد الداخلية والخارجية فحسب، إنما تعمل على تقويض الصورة الثابتة للشخصية والعمل على هدم مرجعياتها الواضحة². ومن ثم إعادة تشكيلها بصورة غرائبية تتجاوز قوانين الواقع برصدها المتغيرات التاريخية والسياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية لهذه الشخصية ثم تشكيلها عبر أجواء غرائبية لتحكي الواقع ولكن بروح فنتازية، الذي يتكون من ذكريات متصارعة لأشخاص من مشارب مختلفة، يعري زيف الادعاءات الطائفية والسياسية، ويقدم ذاكرة "هجينة" تفضح قبح الواقع. وبذلك، لا تكون الفانتازيا هنا هروباً من الواقع بل هي علاقة دمج بين الماضي والحاضر، وهي غوص في أعماق طبقاته؛ إنها "مرآة محدبة" تعكس مآسي الذاكرة العربية المعاصرة بوضوح أكبر مما تفعله الرواية الواقعية الصرفة، محولةً "المسكوت عنه" إلى فعل احتجاجي صارخ يتحدى النسيان الممنهج³.

¹ احمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد، ص 234

² ساجدة كامل ياسين وعبد نصيف، تجليات ادب الرعب في رواية فرانكشتاين في بغداد احمد سعداوي، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مجلد 3 العدد 31 ، 2018، ص 70

³ شعيب حليفي، هوية العلامات في العتبات والمتون الروائية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004، ص 132.

المطلب الثالث: تعدد الأصوات (البوليفونية) وأثره في تقديم رؤى متقاطعة للذاكرة العراقية

تتجلى جماليات الذاكرة في الرواية من خلال بنية "البوليفونية" أو تعدد الأصوات، إذ تمنح الرواية مساحات سردية متساوية لمجموعة من الشخصيات الرئيسية وحتى الثانوية كان لها صدى واسع ك (هادي العتاك، محمود السوادي، إيليشوا، العميد سرور مجيد، وحتى المخلوق نفسه، باهر، نوال، فرج...). هذا التعدد الصوتي يعكس حقيقة أن الذاكرة الوطنية ليست كتلة واحدة صماء، بل هي مجموعة من "الذاكرات المتقاطعة" والمتصارعة في آن واحد. فكل شخصية تقدم رؤيتها الخاصة للماضي والحاضر بناءً على موقعها الطبقي، أو الديني، أو الأيديولوجي، مما يجعل النص الروائي ساحة "لديمقراطية السردية" التي تغيب عن الواقع السياسي؛ يقول السارد: - حدثته عن صراعها مع "تيداروس" زوجها الذي قبل أن يدفن تابوتاً فارغاً لابنهما دانيال، ذهب تيداروس، الموظف الصغير في مصلحة نقل الركاب، الى مقبرة كنيسة المشرق الكائنة في شرقي العاصمة، مع بعض الأقارب والمعارف، ودفنوا تابوتا فارغاً فيه بعض ملابس دانيال وقطع من كيتاره المحطم... ثم وضع بعض قطع الكيتار في التابوت الفخم المصنوع من الساج الأحمر الذي اشتراه تيداروس، وانزل إلى القبر. كيتار محطم في تابوت فارغ¹. هذا الاسترجاع يمثل نافذة ينظر القارئ عبرها على الماضي، إذ يقوم السارد باستحضار حدث يسبق النقطة التي وصلت إليها الرواية، وهذا يعد من أهم أنواع مواطن التقاطع والتعارض بين ترتيب القصة وترتيب النص إن أثر هذا التعدد في تقديم رؤى متقاطعة يكمن في كسر "أحادية الحقيقة"؛ فالذاكرة العراقية في الرواية تظهر كبنية مشوهة يحاول كل طرف الاستيلاء عليها. ذاكرة "إيليشوا" مشحونة بالغياب الديني والميتافيزيقي يقول السارد: - كانت إيليشوا جالسة في سيارة الكيا مستغرقة مع نفسها وكأنها مصابة بالصمم أو غير موجودة ولم تسمع بالانفجار المهول الذي حصل خلفها على مسافة منتي متر تقريباً. تتكوى بجسدها الضئيل في الكرسي بجوار النافذة، تنتظر من دون أن ترى شيئاً، وتفكر بطعم فمها المر، وكتلة الظلام التي تكبس على صدره منذ أيام سيذهب هذا الطعم المر ربما خلال التناول بعد القداس في كنيسة مارعوديشو². هذه الشخصية شكلت ملامحها في انفصالها عن الواقع حتى في أشد لحظات الخوف والرعب الذي أحدثه الانفجار والذي هز

¹ احمد سعداوي/فرانكشتاين في بغداد، ص72-76² احمد سعداوي/فرانكشتاين في بغداد، ص11-12

المكان فهي في هذه اللحظة كانت منقطعة عن عالمها الخارجي عدا عقلها الباطن فإنه كان يعمل عندما كانت حاضرة وقت الانفجار لتذهب الى الكنيسة فكل حواسها بدت معطلة، سوى شيء واحد كانت منشغلة به وهو طعم المرارة الموجود في فمها والضيق الذي يكتم أنفاسها ، هذا التمازج الداخلي الكامل في عالمها ساعدها على أن تعيش في عزلة شبه تامة مع أشياء محدودة مثل القط نابو ولوحة القديس الشهيد ماركوركييس وطيف ابنها، وذاكرة "محمود السوادي" محكومة بالرغبة في التوثيق الصحفي، بينما ذاكرة "العميد سرور" محكومة بهاجس الأمن والسيطرة يقول السارد:- ثم تذكر أمراً زاده إحباطاً وبأساً؛ فهو يقدم معلومات ثمينة دائماً، ولكن الجهات المعنية لا تستفيد منها¹. هذا التقاطع الصوتي يكشف عن استحالة الوصول إلى "ذاكرة موحدة" في ظل التشظي القائم، بل يؤكد أن الحقيقة هي حاصل جمع هذه الانكسارات الصوتية. وبذلك، ينجح سعداوي عبر البوليفونية في تحويل الرواية إلى "أرشيف ديمقراطي" يحفظ تباين الرؤى، ويقدم للقارئ ذاكرة وطنية حية، نابضة بالاختلاف، وغير خاضعة لسلطة الراوي العليم، مما يعزز من مصداقية التمثيل السردى لأزمة الهوية والذاكرة في العراق المعاصر².

¹ احمد سعداوي، فرانكشتاين في بغداد 123-124

² ميخائيل باختين، شعرية دويستوفسكي، ترجمة: جميل نصيف، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986، ص 160-164.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة التحليلية في رواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي، نخلص إلى أن الذاكرة لم تكن مجرد تيمة ثانوية في الرواية بل كانت موجودة وبقوة وتجلت من خلال النماذج الكتابية وإن كانت بصورها وأنماطها المختلفة مثل (تذكر - سيتذكر - ذكرى - ذاكرتهن - استعاد - سيترجع - طيف - ذاكرته - لا ينسى،...) بل كانت العصب المحرك للبناء السردى والدلالي. لقد نجح السعداوي في تحويل الذاكرة من مفهوم مجرد إلى كيان مادي (الجسد) وفضاء رمزي (المكان)، مما مكنه من تعرية واقع التشظي الذي يعيشه العراق المعاصر. إن الرواية، من خلال استنطاق الذاكرة الصادمة، قدمت شهادة فنية تتجاوز التوثيق التاريخي لتصل إلى عمق المأساة الإنسانية، معلنة أن استعادة الهوية الوطنية لا تمر إلا عبر مواجهة شجاعة مع ذاكرة الانقراض والأشلاء، كما أن الذاكرة في الرواية تجسدت مادياً في شخصية "الشمسه"، حيث تحول الجسد إلى "أرشيف حي" يجمع ذكريات الضحايا المهمشين، مما جعل من فعل التذكر فعلاً بيولوجياً وانتقامياً في آن واحد، وكانت الأمكنة في الرواية (مثل حي البتاوين) ليست مجرد خلفيات للأحداث، بل هي مستودعات للذاكرة الجمعية التي تقاوم المحو والنسيان، وهي تعكس صراع الهويات المأزومة في فضاء بغداد التحولي، و الفانتازيا والعجائبي لم يكونا مجرد ترفاً فنياً، بل "قناعاً سردياً" ضرورياً لاستيعاب "الترويض" (الصدمة) التي يعجز الواقع والمنطق عن تفسيرها، مما أتاح استحضار الذاكرة المسكوت عنها، ومما تجد الإشارة بأن السرد العجائبي كان حاضراً وبشدة في قصص القران الكريم مما ساعد الأدباء على الإبداع في هذا الفن، ولعبت تقنية تعدد الأصوات في تقديم رؤية ديمقراطية للذاكرة، حيث لا توجد حقيقة واحدة، بل شظايا من حقائق متقاطعة تعكس انقسام المجتمع العراقي وتعدد مشاريعه، ولوحظ من خلال وقوفنا على نصوص الرواية أن الحدود بين الضحية والجلاد تذوب في سياق العنف المستمر، إذ تتحول الذاكرة المظلومة أحياناً إلى وحش جديد إذا لم تتحقق العدالة الانتقالية، ولا بد من الإشارة إلى أهم التوصيات التي نجد من الضروري الأخذ بها من قبل الباحثين والمهتمين بهذا النوع من الدراسة:

1. ضرورة الربط بين علم النفس (دراسات الصدمة) والنقد الأدبي عند دراسة الروايات التي تتناول الحروب العربية المعاصرة.

2. الاهتمام بـ "سردية الانقراض وتوجيه الباحثين نحو دراسة كيفية تمثيل المكان المحطم في الرواية العربية، لما له من دلالات عميقة على تشظي الهوية.
3. دراسة الذاكرة الرقمية والبحث في كيفية انتقال هذه الذاكرات السردية إلى الفضاءات الرقمية والدرامية، وأثر ذلك في حفظ الذاكرة الوطنية من النسيان.
4. إعادة قراءة الفانتازيا ودعوة النقاد لإعادة تقييم الأدب العجائبي العربي ليس كهروب من الواقع، بل كأداة معرفية رصينة لتفكيك الأزمات السياسية والاجتماعية.

المصادر والمراجع: -

أولاً: المصادر (النص الروائي)

1. سعداوي، أحمد. فرانكشتاين في بغداد (رواية). ط1، منشورات الجمل، بيروت/ بغداد، 2013.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة

2. إبراهيم، عبد الله. المتخيل السردى: سوسيولوجيا الرواية العربية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990.

3. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور. لسان العرب، ت/عبدالله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، دار المعارف/القاهرة.

4. باختين، ميخائيل. شعرية دويستوفسكي. ترجمة: جميل نصيف، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986.

5. بارت، رولان. هسهسة اللغة. ترجمة: أنطوان أبو زيد، دار الإنماء الثقافي، بيروت، 1999.

6. باشلار، غاستون. جماليات المكان. ترجمة: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1984.

7. بحراوي، حسن. بنية الشكل السردى، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1990.

8. تودوروف، تزفيتان. مدخل إلى الأدب العجائبي. ترجمة: الصديق بوعلام، دار الكلام، الرباط، 1993.

9. جينيت، جيرار. خطاب الحكاية: بحث في المنهج. ترجمة: محمد معتصم، دار الأمان، الرباط، 1997.

10. الحمداني، حميد. بنية النص الروائي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

11. الحمداني، حميد. بنية النص الروائي: من منظور النقد السيميائي. المركز الثقافي العربي، بيروت.

12. ريكور، بول. الذاكرة، التاريخ، النسيان. ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2005.

13. شحيد، جمال. الذاكرة في الرواية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2011.

14. صليبيا، جميل. المعجم الفلسفي يالالفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

15. عبد النور، جبور. المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.

16. القمري، بشير. شعرية الفضاء المتخيل في الرواية. منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.

17. كاروث، كاثر. التجربة غير المطروقة: الترويض والسرد والتاريخ. ترجمة: محمد صبحي، دار التنوير، بيروت، 2010.

18. كاظم، نجم عبد الله. الرواية في العراق 1965-2003 وتأثيرات الحرب. المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2003.
 19. هالبواكس، موريس. الذاكرة الجماعية. ترجمة: نزار عبد الله، دار القاهرة، القاهرة، 2001.
 20. يقطين، سعيد. الرواية والتراث السردي: من أجل وعي جديد بالتراث. المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.
- ثالثاً: الدوريات والمقالات العلمية**
21. الأعرج، واسيني. "سؤال الذاكرة في الرواية العربية الجديدة"، مجلة فصول، المجلد 16، العدد 2، القاهرة، 1997.
 22. حماد، حسن. سردية الذاكرة والمصير قراءة في السيرة الذاتية للفيلسوف فتحي التريكي، مجلة اتجاه ، العدد 56، خريف 2022.
 23. د. بن حسين داوي/د. لخضر بن السابح، المكان وسطوة الذاكرة عند يوسف زيدان، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، 2021 في 2021/5/13 .
 24. داوي، حسين. ، المكان وسطوة لذاكرة عند يوسف زيدان، مجلة انسنة للبحوث والدراسات، العدد 2021/12/1.
 25. عصفور، جابر. "الرواية واستعادة الذاكرة"، مجلة العربي، الكويت، العدد 560، يوليو 2005.
 26. فالح، محمد. "سيميوطيقا الجسد المشوه في الرواية العراقية"، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية، المجلد 41، عمان، 2014.
 27. م. د. وسن حسين ليلو، الواقعية السحرية في رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية/جامعة بابل ، العدد 42، شباط، 2019.
 28. ياسين، ساجدة كامل وعبد نصيف، تجليات ادب الرعب في رواية فرانكشتاين في بغداد احمد سعداوي، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مجلد 3 العدد 31 ، 2018.

التكامل بين النحو والبلاغة في توجيه الدلالة القرآنية: دراسة لسانية معاصرة

م.م. انتصار عبد حسين صايل

المديرية العامة لتربية النجف الأشرف

rr8917138@gmail.com

**The Integration of Grammar and Rhetoric in Guiding Quranic Meaning: A
Contemporary Linguistic Study.**

Assistant lecturer: Intisar Abd Hussein Sayel

General Directorate of Education of Najaf Al-Ashraf

rr8917138@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان آليات إنتاج الدلالة القرآنية من خلال الكشف عن التكامل بين البنية النحوية والوسائل البلاغية في ضوء اللسانيات المعاصرة، وإبراز أثر السياق النصي والتداولي في توجيه المعنى، مع بيان أوجه التلاقح بين نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني وبعض الاتجاهات اللسانية الحديثة. وتكمن مشكلة البحث في أن معظم الدراسات تناولت النحو والبلاغة والسياق كلاً على حدة، مما حّد من الكشف عن طبيعة التفاعل بين هذه المستويات في بناء الدلالة القرآنية، وهو ما استدعى تقديم رؤية تكاملية تجمع بينها في إطار تحليلي واحد. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستفادة من المنهج المقارن في بيان أوجه الاتفاق بين نظرية النظم واللسانيات الوظيفية، وتطبيق ذلك على نماذج قرآنية مختارة. وتوصلت الدراسة إلى أن الدلالة القرآنية نتاج تكامل بين البنية النحوية والوسائل البلاغية والسياق، وأن البنية النحوية تُعدّ مولدًا أساسيًا للمعنى من خلال وسائلها المختلفة، كما أثبتت أن السياق النصي والتداولي يمثل قرينة حاكمية في توجيه الدلالة وترجيح المعاني، وأن تفاعل القرائن اللغوية يسهم في الكشف عن دقة النظم القرآني وثنائه الدلالي، فضلاً عن أن الرؤية اللسانية التكاملية تقدم إطاراً منهجياً فاعلاً في تجديد تحليل الخطاب القرآني. وتوصي الدراسة بتوظيف المناهج اللسانية الحديثة في الدراسات القرآنية، وتعزيز التكامل بين النحو والبلاغة والسياق في تحليل النص القرآني، وتوسيع الدراسات التطبيقية التي تعنى بتحليل الدلالة في ضوء الرؤية اللسانية التكاملية.

الكلمات المفتاحية: الدلالة القرآنية، البنية النحوية، البلاغة، السياق، نظرية النظم، اللسانيات الوظيفية.

Abstract:

This research aims to elucidate the mechanisms of Qur'anic semantic production by revealing the integration between grammatical structure and rhetorical devices in light of contemporary linguistics. It highlights the impact of textual and pragmatic context on shaping meaning, while also demonstrating the points of convergence between Abd al-Qahir al-Jurjani's theory of arrangement (nazm) and some modern linguistic trends.

The research problem lies in the fact that most studies have addressed grammar, rhetoric, and context separately, thus limiting the exploration of the nature of the interaction between these levels in constructing Qur'anic semantics. This necessitated presenting an integrated perspective that combines them within a single analytical framework.

The study adopted a descriptive-analytical approach, utilizing a comparative method to demonstrate the points of agreement between the theory of arrangement and functional linguistics, and applying this to selected Qur'anic examples. The study concluded that Qur'anic semantics is the product of an integration between grammatical structure, rhetorical devices, and context. It found that grammatical structure is a primary generator of meaning through its various means, and that textual and pragmatic context serves as a governing factor in guiding semantics and determining the most likely interpretation. Furthermore, the interaction of linguistic indicators contributes to revealing the precision and semantic richness of the Qur'anic style. The study also demonstrated that an integrative linguistic perspective offers an effective methodological framework for renewing the analysis of Qur'anic discourse.

The study recommends employing modern linguistic approaches in Qur'anic studies, strengthening the integration of grammar, rhetoric, and context in Qur'anic text analysis, and expanding applied studies concerned with semantic analysis in light of an integrative linguistic perspective.

Keywords: Qur'anic semantics, grammatical structure, rhetoric, context, system theory, functional linguistics.

المقدمة:

يُعَدُّ توجيه الدلالة في النص القرآني من أكثر القضايا التي استأثرت باهتمام الدرس اللغوي قديماً وحديثاً؛ إذ إن المعنى فيه لا يُبنى على عنصر لغوي منفرد، وإنما يتشكل من شبكة متداخلة من العلاقات التركيبية والبلاغية والسياقية التي تعمل في انسجام دقيق لإنتاج المقصد القرآني، ومن ثمَّ فإنَّ الاقتصار على التحليل النحوي بمعزل عن الأبعاد البلاغية، أو الاكتفاء بالمعالجة البلاغية دون استحضار البنية النحوية، يفضي إلى قراءة جزئية قد تُغفل كثيراً من أسرار النظم القرآني ووجوه إعجازه.

ولئن أسهم التراث العربي في تأسيس العلاقة بين النحو والبلاغة منذ إرهاصات نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، فإنَّ التطورات التي شهدتها اللسانيات الحديثة أعادت التأكيد على أنَّ المعنى نتاج تفاعل المستويات اللغوية جميعها، وأنَّ البنية النحوية لا تُدرس بمعزل عن وظيفتها التداولية والبلاغية، وهو ما يفتح آفاقاً جديدة لإعادة قراءة النص القرآني في ضوء رؤية تكاملية تجمع بين أصالة التراث ومنهجية الدرس اللساني المعاصر.

وتتبع أهمية هذا المنظور من أنَّ القرآن الكريم يمثل أرقى صور التلاحم بين البناء التركيبي والتصوير البلاغي؛ فاختيار الصيغة، وتقديم العناصر وتأخيرها، والحذف والذكر، والتعريف والتكثير، والفصل والوصل، وغير ذلك من الظواهر النحوية، لا تؤدي وظائفها بمعزل عن المقاصد البلاغية، بل تتضافر معها في توجيه الدلالة بما يحقق الإعجاز البياني للنص القرآني، ويكشف عن دقة النسق اللغوي الذي انتظمت به آياته.

وانطلاقاً من هذه الرؤية، يسعى هذا البحث إلى بناء إطار تحليلي تكاملي يفسر آليات إنتاج الدلالة القرآنية من خلال تفاعل البنية النحوية والوسائل البلاغية في ضوء اللسانيات المعاصرة، مع الاستفادة من التراث اللغوي العربي، ولا سيما نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني. ولا يقتصر البحث على بيان العلاقة بين هذه المستويات، بل يختبر فاعليتها من خلال نماذج تطبيقية من القرآن الكريم؛ للكشف عن كيفية إسهامها في توجيه المعنى، وإبراز القيمة التفسيرية للرؤية اللسانية التكاملية في تحليل الخطاب القرآني.

• الفجوة البحثية:

تكمّن الفجوة البحثية في أن الدراسات السابقة، على الرغم من تناولها النحو أو البلاغة أو السياق أو بعض الاتجاهات اللسانية الحديثة، لم تقدم نموذجًا تحليليًا يفسر آليات إنتاج الدلالة القرآنية من خلال تفاعل هذه المستويات داخل إطار واحد. كما لم تُبرز بصورة تطبيقية كيف يسهم التكامل بين البنية النحوية والوسائل البلاغية والسياق والقرائن اللغوية، في ضوء اللسانيات المعاصرة، في بناء المعنى وتوجيهه. ومن ثم يسعى هذا البحث إلى سد هذه الفجوة بتقديم رؤية لسانية تكاملية تجمع بين أصالة التراث العربي ومعطيات الدرس اللساني الحديث.

• أسئلة البحث:

ينطلق البحث من السؤال الرئيس الآتي:

كيف يسهم التكامل بين النحو والبلاغة في توجيه الدلالة القرآنية في ضوء الرؤية اللسانية المعاصرة؟
ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1. ما الأسس النظرية التي يقوم عليها التكامل بين النحو والبلاغة في التراث العربي والدرس اللساني الحديث؟
2. ما أبرز الآليات النحوية والبلاغية التي تتضافر في بناء الدلالة القرآنية؟
3. كيف يؤثر التفاعل بين البنية النحوية والوسائل البلاغية في توجيه المعنى داخل السياق القرآني؟
4. إلى أي مدى تسهم المناهج اللسانية المعاصرة في تقديم قراءة أكثر شمولًا للعلاقة بين النحو والبلاغة في تفسير الدلالة القرآنية؟
5. ما الإضافات العلمية التي يحققها المنهج التكاملي مقارنة بالمعالجات التي تقتصر على المستوى النحوي أو البلاغي منفردًا؟

• الدراسات السابقة:

1. دراسة بعنوان: العلاقة التكاملية بين النحو العربي والبلاغة العربية: دراسة تحليلية بين سيبويه وعبدالقاهر الجرجاني، المؤلف/ شتوح بوزيد، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، مجلد 17، العدد 1، 2026م، اهتمت الدراسة بالكشف عن العلاقة التكاملية بين النحو العربي والبلاغة

العربية، من خلال تحليل القضايا المشتركة بين العلمين، والموازنة بين الأسس النحوية عند سيبويه ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني؛ بهدف إبراز أثر هذا التكامل في بناء المعنى وتوجيه الدلالة.

2. دراسة بعنوان: التكامل المعرفي بين النحو والبلاغة وأثره في التفسير البياني عند فاضل صالح السامرائي، المؤلف/ أمال حمر العين، مجلة رفوف، جامعة أحمد دراية أدرار، مجلد 13- العدد 2، 2025م، اهتمت الدراسة ببيان التكامل المعرفي بين النحو والبلاغة وأثره في التفسير البياني للقرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي، من خلال تحليل منهجه في ربط القواعد النحوية بالمعاني البلاغية، والكشف عن دور هذا التكامل في توجيه الدلالة القرآنية وإبراز وجوه الإعجاز البياني.

3. دراسة بعنوان: التكامل المعرفي في التراث العربي: النحو والبلاغة أنموذجاً، المؤلف/ عادل البقالي، ومصطفى العادل، مجلة نماء، العدد 11، 2020م، اهتمت الدراسة بإبراز مفهوم التكامل المعرفي والتداخل بين العلوم في التراث العربي الإسلامي، مع التركيز على العلاقة التكاملية بين النحو والبلاغة، واتخاذ عبد القاهر الجرجاني نموذجاً تطبيقياً للكشف عن أثر هذا التكامل في تفسير الظواهر اللغوية، ولا سيما قضية التقديم والتأخير، وبيان دوره في تحقيق الدلالة وإبراز الإعجاز القرآني.

• **المنهج:** يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي بوصفه الأنسب لدراسة الظواهر اللغوية في النص القرآني؛ إذ يقوم على وصف الظواهر النحوية والبلاغية وتحليلها في سياقاتها القرآنية، مع الكشف عن أوجه التفاعل بينها في بناء الدلالة. كما يستفيد من المنهج اللساني الوظيفي في تفسير العلاقة بين البنية اللغوية ووظيفتها الدلالية، مع الاستفادة من المنهج المقارن عند الموازنة بين التصورات التراثية والرؤى اللسانية المعاصرة، وصولاً إلى بناء رؤية تكاملية تبرز أثر النحو والبلاغة في توجيه الدلالة القرآنية.

المحور الأول: الإطار النظري للتكامل بين النحو والبلاغة

المطلب الأول: مفهوم التكامل بين المستويات اللغوية:

التكامل لغةً:

أولاً: التكامل لغةً

ورد لفظ التكامل في المعاجم العربية من الجذر (ك م ل)، وهو يدل على التمام وبلوغ الشيء غايته. فقد جاء أن "تكامل الشيء كمل شيئاً فشيئاً، وتكاملت الأشياء: كمل بعضها بعضاً"⁽¹⁾، كما جاء: "تكامل يتكامل تكاملاً، فهو متكامل، وتكاملت الأشياء: كمل بعضها بعضاً بحيث لم تحتج إلى ما يكملها من خارجها"⁽²⁾ وتكشف هذه الدلالة اللغوية عن معنى التساند والتآزر بين الأجزاء حتى يتحقق التمام.

ثانياً: التكامل اصطلاحاً:

انطلاقاً من الدلالة اللغوية السابقة، فإن مفهوم التكامل في الاصطلاح يرتبط بمفهوم الكمال؛ إذ إن التكامل هو الوسيلة التي يتحقق بها الكمال والتمام؛ ولذلك عرّف العلماء الكمال بأنه "ما يكون عدمه نقصاناً، ويستعمل في الذات والصفات والأفعال، وهو الأمر اللائق بالشيء الحاصل له بالفعل، سواء كان مسبوقاً بالقوة أم لا".⁽³⁾ كما عرّف بأنه "ما يكمل به النوع في ذاته أو صفاته؛ فالأول هو الكمال الأول لتقدمه على النوع، والثاني هو الكمال الثاني لتأخره عنه وارتباطه بعوارضه وصفاته"⁽⁴⁾. "ومن ثم فإن التكامل يفيد اجتماع العناصر أو العلوم بحيث يُتم بعضها بعضاً، ويحقق كلٌّ منها وظيفة لا يستغني عنها الآخر.

(1) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط2، 1972م (2/798).

(2) أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، علام الكتب، ط1، 2008م، (3/1959).

(3) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤ هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (د.ت) ص772.

(4) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م ص187.

ثالثاً: التعريف الإجرائي:

وفي ضوء ما سبق، يعرف التكامل في هذه الدراسة بالعلاقة العلمية الوظيفية بين النحو والبلاغة، القائمة على تساند قواعد كلّ منهما في تفسير النص القرآني؛ بحيث يسهم النحو في ضبط التراكيب وإبراز العلاقات النحوية، وتسهم البلاغة في الكشف عن أسرار التعبير ومقاصد الخطاب، لينتج عن ذلك فهم أدق للدلالة القرآنية.

المطلب الثاني: الدلالة القرآنية بين البنية والتركيب والسياق.**توطئة:**

لا تتشكل الدلالة في النص القرآني من عنصر لغوي واحد، وإنما تنبني على تفاعل مستويات متعددة، تتصدرها البنية الصرفية، والتركيب النحوي، والسياق اللغوي والمقامي؛ إذ يسهم كل مستوى في توجيه المعنى وإبراز مقاصد الخطاب.

أولاً: البنية اللغوية وأثرها في توجيه الدلالة القرآنية:

تتجلى أهمية البنية اللغوية في كونها إحدى الوسائل الرئيسة لتوجيه الدلالة؛ إذ لا تحمل الأبنية الصرفية معنى واحداً ثابتاً، وإنما تتسم بقدر من المرونة الدلالية يتيح لها أداء وظائف متعددة تبعاً للسياق الذي ترد فيه. فالصيغة الواحدة قد تحتل أكثر من معنى وظيفي، غير أن هذا الاحتمال يزول عندما تنتظم داخل تركيب لغوي تحيط به قرائن لفظية ومعنوية وسياقية، فتتحدد الدلالة المقصودة تحديداً دقيقاً. ومن ثم فإن فهم البنية اللغوية لا يتحقق بالنظر إلى الصيغة في ذاتها، وإنما بدراسة علاقتها بالنظام التركيبي والقرائن المصاحبة لها، وهو ما يجعل الدلالة ثمرةً لتكامل المستويات اللغوية المختلفة، لا نتيجةً للبنية منفردة.⁽¹⁾

تنطلق اللسانيات الوظيفية من أن البنية اللغوية ليست نظاماً شكلياً مستقلاً عن وظيفته، وإنما تتحدد خصائصها في ضوء الوظيفة التواصلية التي تؤديها؛ فالعلاقة بين البنية والوظيفة علاقة تفاعل وتكامل، إذ تُسهم الخصائص الصرفية والتركيبية في إنتاج المعنى وتحقيق مقاصد الخطاب. وفي المقابل، يرى تشومسكي أن دراسة البنية يمكن أن تتم بمعزل عن الوظيفة، بينما يؤكد الاتجاه الوظيفي أن فهم البنية لا

(1) ينظر: تمام حسان عمر، اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، عالم الكتب، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص163.

يكتمل إلا بالنظر إلى وظيفتها الدلالية والتواصلية. وينسجم هذا التصور مع دراسة النص القرآني؛ إذ تتضافر الأبنية اللغوية والتراكيب في توجيه الدلالة والكشف عن أسرار التعبير.⁽¹⁾

تمثل البنية الصرفية أحد المرتكزات الرئيسة في بناء الدلالة القرآنية؛ إذ تسهم في الكشف عن المعاني الدقيقة التي تفيض بها الآيات، وتبرز الفروق الدلالية بين الصيغ والأبنية. ومن ثم فإن الإحاطة بقضايا علم الصرف تعد ضرورة لفهم النص القرآني فهماً دقيقاً؛ لما لهذا العلم من أثر بالغ في توجيه الدلالة والكشف عن جانب من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم.⁽²⁾

ويتضح مما سبق أن البنية اللغوية تمثل أحد المرتكزات الأساسية في بناء الدلالة القرآنية، إلا أن أثرها لا يكتمل إلا من خلال تفاعلها مع التركيب النحوي والسياق؛ إذ تتضافر هذه المستويات جميعاً في توجيه المعنى والكشف عن مقاصد الخطاب،

ثانياً: التركيب النحوي ودوره في بناء الدلالة القرآنية:

يتجاوز الوصف النحوي حدود تحليل الوظائف الصوتية والصرفية، إلى بيان انتظام الكلمات داخل التركيب، والكشف عن العلاقات التي تربط بينها، وما يترتب على ذلك من تحديد وظائفها النحوية. غير أن غاية هذا الوصف لا تقف عند الجانب الشكلي، وإنما تتجه إلى توجيه الدلالة المرادة؛ إذ إن انتظام العناصر اللغوية وفق النظام النحوي هو الذي يضمن سلامة المعنى، بينما يؤدي الخروج عن هذا النظام إلى اضطراب الدلالة. ومن هنا قرر النحاة العرب أن «كل ما صلح به المعنى فهو جيد، وكل ما فسد به المعنى فمردود». وانطلاقاً من هذا المبدأ، رأى ابن جني أن الوصف النحوي وتقدير الإعراب ينبغي أن يكونا «على سمت المعنى»، فلا يُقدَّر الإعراب إلا بما يوافق الدلالة المقصودة، فإذا تعارض التقدير الإعرابي مع تفسير المعنى، وجب تصحيح التقدير بما ينسجم مع الدلالة؛ لأن المعنى هو الغاية التي يتوجه إليها التحليل النحوي.⁽³⁾

(1) ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بني غازي، ليبيا، 2010، ص 58-60

(2) ينظر: البنية الصرفية وأثرها في الدلالة القرآنية (سورة الواقعة نموذجاً)، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد 37، 2022م، ص 1769.

(3) ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ط1، دار الأمل، الأردن، 2007م، ص 107.

ثالثاً: السياق وأثره في توجيه الدلالة القرآنية:

تبرز أهمية السياق في توجيه الدلالة القرآنية؛ إذ يُعد من أهم القرائن التي يُستدل بها على المعنى الصحيح للآيات، ولذلك أولاه المفسرون عناية كبيرة، فحرصوا على مراعاة سياق ورود الألفاظ، والنظر في ترابط الدلالات، والاستعانة بالسياق في ترجيح المعاني المحتملة، وبيان المعنى المراد عند تعدد أوجه التفسير. وقد أشار الإمام العز بن عبد السلام إلى هذه الوظيفة بقوله: "السياق مرشد إلى تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذمّاً، فما كان مدحاً بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذمّاً واستهزاءً وتهكماً بعرف الاستعمال"، ويؤكد هذا أن السياق يمثل عنصراً حاكماً في توجيه الدلالة، إذ تتحدد قيمة اللفظ ووظيفته الدلالية في ضوء موقعه من النظم وعلاقته بما يحيط به من ألفاظ وتراكيب.⁽¹⁾

المطلب الثالث: التكامل بين نظرية النظم والاتجاهات اللسانية الحديثة.

مثّلت نظرية النظم التي أسسها عبد القاهر الجرجاني منعطفاً مهماً في الدرس اللغوي العربي؛ إذ تجاوزت النظر إلى الألفاظ مفردة، إلى اعتبار المعنى ثمرة للعلاقات التي تنشأ بين الألفاظ داخل التركيب. وقد أثبتت الدراسات اللسانية الحديثة أن إنتاج المعنى لا يتحقق إلا من خلال تفاعل المستويات اللغوية المختلفة، الأمر الذي يجعل نظرية النظم تلّقي في كثير من مبادئها مع عدد من الاتجاهات اللسانية المعاصرة، وإن اختلفت منطلقاتها وأدواتها التحليلية.

أولاً: نظرية النظم وبناء المعنى:

تقوم نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني على أن بناء المعنى لا يتحقق من خلال الألفاظ مفردة، وإنما من خلال العلاقات النحوية التي تنشأ بينها داخل التركيب، فالنظم عنده ليس مجرد ترتيب للألفاظ، بل هو ترتيب للمعاني على وفق قوانين النحو، بحيث تتحدد القيمة البلاغية لكل تركيب تبعاً للغرض الذي سيق له وموقع عناصره بعضها من بعض. ومن ثم فإن المزية البيانية لا تكون كامنة في اللفظ أو الأسلوب في ذاته، وإنما تنشأ من حسن التأليف بين أجزاء الكلام، ومن ملائمة التراكيب لمقتضى الحال،

(1) ينظر: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت ٦٦٠ هـ)، الإمام في بيان أدلة الأحكام، تحقيق: رضوان مختار بن غريبة، ط1، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ص159.

وهو ما يجعل الدلالة ثمرةً لتفاعل البنية والتركيب والسياق في آن واحد، ويؤكد الجرجاني هذا المعنى بقوله: " ليست المزية بواجبة لها في أنفسها... ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض"⁽¹⁾، وهو ما يبرز أن التفاضل بين التراكيب إنما يرجع إلى العلاقات التي تنشأ بينها، لا إلى الألفاظ في ذاتها.

إن بناء المعنى لا ينفصل عن البنية اللغوية التي يتجسد من خلالها؛ إذ تتحدد القيمة الدلالية للعناصر اللغوية بحسب موقعها في التركيب والعلاقات التي تربطها غيرها. وهذه الرؤية التي قررتها نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني تجد صداها في اللسانيات الوظيفية المعاصرة، التي تنظر إلى البنية والوظيفة بوصفهما عنصرين متلازمين، فلا تُفسّر الخصائص البنيوية بمعزل عن وظائفها الدلالية والتداولية، كما لا تتحقق الوظيفة إلا من خلال بنية لغوية مناسبة. ومن ثم فإن العلاقة بين البنية والمعنى علاقة تكامل وتفاعل، وهو ما يجعل نظرية النظم أساسًا معرفيًا يلتقي مع التصورات اللسانية الحديثة في تفسير بناء الدلالة.⁽²⁾

ثانيًا: التقاء نظرية النظم بالاتجاهات اللسانية الحديثة:

تكشف اللسانيات الوظيفية أن العلاقة بين البنية اللغوية والوظيفة ليست علاقةً آلية أو مباشرة، وإنما تقوم على شبكة من المبادئ والقيود المتفاعلة التي تسهم مجتمعةً في تفسير الظواهر اللغوية وتوجيه الدلالة. فالبنية لا تُفسّر بمعزل عن وظيفتها، كما أن الوظيفة لا تنعكس في عنصر لغوي واحد، وإنما تتحقق من خلال تضافر العلاقات التركيبية والصرفية والدلالية داخل الخطاب، ومن هذا المنطلق تتقاطع اللسانيات الوظيفية مع نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، إذ ينطلق كلاهما من أن المعنى وليد العلاقات التي

(1) ينظر: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط3، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، (87/1).

(2) ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، 1995م، 14-15.

تربط عناصر التركيب، وأن القيمة الدلالية لا تنشأ من الألفاظ مفردة، وإنما من انتظامها داخل بنية لغوية متماسكة تحقق مقتضى المقام وتؤدي الغرض التواصلية.⁽¹⁾

ثالثاً: أوجه التكامل بين نظرية النظم والدرس اللساني المعاصر:

يرى تمام حسان أن من أبرز المحاولات التي فسرت العلاقات السياقية في التراث اللغوي العربي نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، التي أقامها على مبدأ التعليق، وجعلها أساساً لبناء الدلالة، وقد عرض الجرجاني هذه النظرية في دلائل الإعجاز من خلال مجموعة من المصطلحات المتقاربة، هي: النظم، والبناء، والترتيب، والتعليق، وكلها تدور حول بيان العلاقات التي تربط أجزاء الكلام بعضها ببعض. فالنظم عنده لا يعني مجرد ترتيب الألفاظ، وإنما هو تنظيم المعاني وفق العلاقات النحوية التي تنشأ بين عناصر التركيب، كالإسناد، والتعديّة، والإضافة، وغيرها من الروابط التي يتحدد في ضوئها المعنى. ومن ثم فإن القيمة الدلالية لا تتبع من الألفاظ مفردة، وإنما من كيفية انتظامها داخل البنية اللغوية، وهو ما يجعل نظرية النظم تمثل تصوراً مبكراً للعلاقة بين البنية اللغوية والدلالة.⁽²⁾

ويتجلى أحد أوجه التكامل بين نظرية النظم والدرس اللساني المعاصر في النظر إلى البنية اللغوية بوصفها نتاجاً لتفاعل المستويات اللغوية المختلفة في إنتاج الدلالة. فقد قرر عبد القاهر الجرجاني أن النظم يقوم على توخي معاني النحو والعلاقات التي تربط عناصر التركيب، وأن قيمة الكلام لا تتبع من الألفاظ مفردة، وإنما من انتظامها وفق مقتضى المعنى. وتلتقي هذه الرؤية مع ما تقرره نظرية التركيب الوظيفي (Role and Reference Grammar) التي وضعها فان فالين وفولي، إذ تنظر إلى الجملة على أنها بنية تتكون من ثلاثة مستويات متكاملة: البنية الدلالية، والبنية التداولية، والبنية الصرفية التركيبية، وترى أن البنية التركيبية ليست مكوناً مستقلاً، وإنما هي حصيلة التفاعل بين هذه المستويات جميعاً. ومن ثم فإن كلا التصورين يؤكد أن بناء المعنى لا يتحقق من خلال التركيب وحده، بل من خلال التكامل بين

(1) ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، مرجع سابق، ص 59-60.

(2) ينظر: تمام حسان عمر، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 168.

البنية النحوية والدلالة والسياق، وهو ما يبرز سبق نظرية النظم إلى تقرير مبدأ تكامل المستويات اللغوية الذي تبنته اللسانيات الوظيفية الحديثة بأدواتها ومصطلحاتها المعاصرة.⁽¹⁾

يتضح مما سبق أن بناء الدلالة القرآنية لا يقوم على عنصر لغوي منفرد، وإنما يتحقق من خلال التكامل بين البنية الصرفية، والتركيب النحوي، والسياق، وهو ما أكدته نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، ووافقت عليه الاتجاهات اللسانية الحديثة بمناهجها المختلفة، ومن ثم فإن هذا التكامل يمثل أساساً منهجياً في تفسير النص القرآني والكشف عن دقائقه البلاغية وأبعاده الدلالية.

المحور الثاني : آليات إنتاج الدلالة القرآنية

المطلب الأول: البنية النحوية مولدة للمعنى.

تعريف البنية النحوية: هي النظام الذي يحكم تركيب الجمل والكلمات داخل اللغة، ويُعنى بتحديد العلاقات بين مكوناتها؛ بما يكفل وضوح المعنى ودقته. وترتكز البنية النحوية في اللغة العربية على مجموعة من القواعد التي تنظم الوظائف النحوية، كالإعراب، والتركيب، والربط بين الجمل، والنقد، والتأخير، إلى جانب غيرها من الظواهر النحوية⁽²⁾.

يعرفها أحمد المتوكل بأنها: هي التنظيم التركيبي للعناصر اللغوية داخل الجملة، بما يحقق الترابط بين المستويات الصرفية والدلالية والتداولية، ويُمكن المتلقي من تأويل الخطاب والوصول إلى معناه وقصد المتكلم، ومن ثم فهي تؤدي وظيفة دلالية وتواصلية، ولا تقتصر على بيان العلاقات الإعرابية فحسب.⁽³⁾

ثانياً: العلاقة بين البنية النحوية والمعنى:

وإذا نُظر إلى البنية النحوية بوصفها أساساً لتوليد المعنى، لم يكفِ الاقتصار على تعريفها تعريفاً عاماً أو وصفها وصفاً مجملاً، بل لا تتحقق معرفتها إلا بالوقوف على خصائص التراكيب، والكشف عن العلاقات التي تنتظم بين مكونات الجملة، وبيان أثر كل عنصر نحوي في توجيه الدلالة، ولا يتأتى ذلك إلا

(1) ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، مرجع سابق، ص126.

(2) ينظر: عبدالله التوبي، البنية النحوية في الحكايات الشعبية العُمانية: دراسة تحليلية في ضوء اللهجة المحلية، المجلة العربية للتربية النوعية، المجلد 9، العدد37، سنة2025م، ص704.

(3) ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، ص139.

بالمداومة على التأمل والتدبر في نظم الكلام، واستقراء وجوه التركيب، والتمييز بين الفروق التي يحدثها اختلاف البنى النحوية في المعنى، ومن هنا كانت دراسة البنية النحوية سبيلاً إلى إدراك أسرار التعبير القرآني، والكشف عن وجوه إعجازه البياني، إذ إن المعنى يتولد من انتظام الألفاظ وعلاقاتها، لا من الألفاظ منفردة.⁽¹⁾ ويُستفاد من هذا التصور أن المعنى في القرآن الكريم لا ينبثق من دلالة المفردات منفردة، وإنما يتولد من انتظامها في بنية نحوية محكمة، تقوم على علاقات الإسناد، والرتبة، والحذف، والذكر، والتقديم والتأخير، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تسهم في توجيه الدلالة. ومن هنا أصبحت البنية النحوية إحدى أهم الآليات المنتجة للمعنى في النص القرآني، الأمر الذي يبرز التكامل الوثيق بين النحو والبلاغة في الكشف عن أسرار الدلالة القرآنية.

ثالثاً: أهم الوسائل النحوية المولدة للمعنى:

تتعدد الوسائل النحوية التي تسهم في توليد المعنى داخل التركيب اللغوي، ويختلف أثرها باختلاف السياق ومقتضى الحال؛ فهي لا تؤدي وظيفة نحوية مجردة، بل تعد أدوات فاعلة في توجيه الدلالة وإبراز المقاصد.

• الإعراب وأثره في توجيه الدلالة

عرّف ابن منظور الإعراب في لسان العرب بأنه الإبانة والإفصاح فقال: "الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة، يقال: أعرب عنه لسانه وعرب أي أبان وأفصح. وأعرب عن الرجل: بين عنه. وعرب عنه: تكلم بحجته"⁽²⁾.

يُعدُّ الإعراب من أبرز الخصائص التي امتازت بها العربية، إذ يقوم على اختلاف أواخر الكلمات تبعاً للعوامل الداخلة عليها، فتتنوع حركاتها بين الرفع والنصب والجر والجزم، وهي علامات تدل على الوظائف النحوية داخل التركيب، ويميز النحاة بين هذه الحركات الإعرابية المتغيرة، التي تزول بتغير العامل، وبين الحركات البنائية الملازمة للكلمة التي لا تتبدل بتغير السياق. وقد قصر سيبويه الإعراب على الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة المعربة، مبيناً أن تغير العلامة الإعرابية إنما يرتبط بتغير

(1) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، مرجع سابق، (37/1-38).

(2) لسان العرب، (588/1).

الوظيفة النحوية داخل الجملة، وهو ما يجعل الإعراب أداة رئيسة في الكشف عن العلاقات التركيبية وتحديد المعاني.⁽¹⁾

التقديم والتأخير:

يُعدُّ التقديم والتأخير من الوسائل التي تكشف عن مرونة النظام النحوي في العربية، لما له من أثر بالغ في توجيه الدلالة وإبراز المقاصد البلاغية، ولا يقتصر التقديم على تغيير ترتيب الكلمات داخل الجملة، بل قد يكون مع بقاء العنصر على وظيفته النحوية الأصلية، كما في تقديم الخبر على المبتدأ أو المفعول على الفاعل، وقد يترتب عليه انتقال العنصر إلى وظيفة نحوية أخرى، فيتغير حكمه الإعرابي والدلالة المترتبة عليه، ويخضع هذا العدول في ترتيب عناصر الجملة لمقتضيات السياق، إذ يُقدَّم ما يراد تخصيصه بالعناية أو لفت الانتباه إليه أو توكيده، فيغدو التقديم وسيلة لإبراز المعنى وتقوية أثره في نفس المتلقي. ومن هنا تتجاوز هذه الظاهرة حدود النظام التركيبي لتؤدي وظيفة دلالية وبلاغية، تتجلى بوضوح في النظم القرآني، حيث يأتي ترتيب الألفاظ وفق حكمة دقيقة تحقق الانسجام بين البنية النحوية والمقصد البلاغي.⁽²⁾

• **الحذف والذكر:** يرتبط الحذف عند البلاغيين والنحاة بوظيفته في التركيب والدلالة، ولا يُعد في ذاته مجازاً، وإنما يكون كذلك إذا ترتب عليه انتقال الحكم النحوي من عنصر محذوف إلى عنصر آخر في التركيب، ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]، يكون التقدير: واسأل أهل القرية، وقد انتقل الإعراب إلى اللفظ الظاهر بعد حذف المضاف، فكان ذلك من باب الاتساع في التعبير. أما إذا وقع الحذف دون أن يترتب عليه تغير في الأحكام النحوية أو في العلاقات التركيبية، فإنه لا يُوصف بالمجاز، لأنه لم يحدث عدولاً في البنية أو الدلالة، وإنما اقتصر على الإيجاز مع قيام القرينة على

(1) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (13/1).

(2) ينظر: دلائل الإعجاز، (105/1-107).

المحذوف. ومن ثم فإن قيمة الحذف لا تتحدد بمجرد إسقاط لفظ من التركيب، بل بما يترتب عليه من أثر في توجيه المعنى وبناء الدلالة.⁽¹⁾

• **التعريف والتذكير:** يُعدُّ التعريف والتذكير من الوسائل النحوية التي تؤدي دوراً مهماً في توجيه الدلالة، إذ يرتبط اختيار أحدهما بالمقصد الذي يفرضه السياق. فالمعرفة تدل على معين معلوم لدى المخاطب أو يمكن تعيينه، في حين تدل النكرة على غير معين، وتتفاوت درجاتها بحسب اتساع مدلولها أو ضيقه، فكلما ازداد اللفظ عمومًا اتسعت دائرة الإبهام فيه. ولذا يغلب أن يكون المسند إليه معرفة؛ لأنه محل الحكم، ولا تتحقق الفائدة المرجوة من الإسناد إلا إذا كان المحكوم عليه معلومًا أو قابلاً للتعيين.⁽²⁾

أما التذكير فلا يُقصد به مجرد الإبهام، بل يؤدي وظائف دلالية وبلاغية متعددة يحددها السياق، فقد يفيد التعظيم أو التهويل أو التكثرير أو التقليل أو التنويع، بحسب المقام الذي يرد فيه. ومن ثم فإن العدول عن التعريف إلى التذكير، أو العكس، لا يكون استعملاً عفويًا، وإنما يعد اختيارًا مقصودًا يسهم في إبراز المعنى وتقوية أثره في نفس المتلقي. ولهذا يُعد التعريف والتذكير من الوسائل التي يتكامل فيها الجانب النحوي مع الجانب البلاغي في بناء الدلالة، ولا سيما في التعبير القرآني الذي يوظفهما بدقة لتحقيق المقاصد البيانية.⁽³⁾

• **الفصل والوصل:** يُعدُّ الفصل والوصل من أدق مباحث البلاغة وأسرارها؛ إذ يقوم على معرفة المواضع التي يُناسب فيها عطف الجمل بعضها على بعض، والمواضع التي يكون فيها ترك العطف أولى، فتُستأنف كل جملة مستقلة عما قبلها. ويتطلب إدراك هذه المواطن ذوقًا لغويًا رفيعًا، وفهمًا دقيقًا لأسرار النظم ومقتضيات السياق؛ لذلك عدّه البلاغيون من أدق أبواب البلاغة وأصعبها، حتى قيل: «البلاغة معرفة الفصل من الوصل»؛ لما يقتضيه من حسن تقدير للعلاقات المعنوية بين الجمل. ويُراد بالوصل عند علماء المعاني ربط جملة بأخرى بحرف الواو خاصة، إذا اقتضت العلاقة بينهما ذلك، أما

(1) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، (د.ت)، ص 416.

(2) أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني، وكالة المطبوعات - الكويت، ط 1، 1980م، ص 143.

(3) أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني، ص 155.

الفصل فهو ترك هذا العطف والإتيان بالجملة مستقلة، متى كان الاستئناف أبلغ في أداء المعنى وأوفق بمقتضى المقام.⁽¹⁾

• **بناء الجملة الاسمية والفعلية:** يُعدُّ الاختيار بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية من الوسائل النحوية المؤثرة في توجيه الدلالة؛ إذ يرتبط بطبيعة المعنى الذي يقتضيه السياق، لا بمجرد صورة التركيب. فالجملة الفعلية تُستعمل غالباً للإخبار عن حدث متجدد لا يثير شكاً لدى المخاطب، فيتقدم فيها الفعل بوصفه محور الخبر، أما الجملة الاسمية فيُقصدُ إليها عند الحاجة إلى تأكيد الحكم أو تثبيته أو دفع إنكار المخاطب، فيتقدم المسند إليه ليكون موضع العناية والاهتمام. ومن ثم فإنَّ العدول بين البناءين ليس تغييراً شكلياً في ترتيب الألفاظ، بل هو اختيار دلالي يفرضه المقام، ويكشف عن دقة النظم في توجيه المعنى، وهو ما أكدّه عبد القاهر الجرجاني في بيانه لأثر تقديم المسند إليه أو تأخيره في تحقيق أغراض الخطاب.⁽²⁾

رابعاً: البنية النحوية في ضوء اللسانيات الحديث:

النحو الوظيفي Functional Grammar: يُعدُّ النحو الوظيفي المحسوب أحد أبرز الاتجاهات الحديثة في اللسانيات التطبيقية، إذ يسعى إلى تحويل مبادئ النحو الوظيفي إلى قواعد قابلة للمعالجة الحاسوبية. ويهدف هذا التوجه إلى تحقيق غايتين أساسيتين؛ الأولى نظرية، تتمثل في صياغة القواعد اللغوية بدقة ووضوح يسمحان باختبارها والتحقق من اتساقها داخل النظام اللغوي، والثانية تطبيقية، تتمثل في توظيف هذه القواعد في تطبيقات المعالجة الآلية للغات، مثل الترجمة الآلية، والتحليل النحوي، وبناء المعاجم الإلكترونية. وقد بدأت جهود حوسبة النحو الوظيفي منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين، وتتابع من خلال عدد من المشروعات التي اعتمدت لغات برمجية مختلفة، وأسهمت في تطوير مولدات ومحللات نحوية، إلى جانب بناء معاجم وظيفية محوسبة، مما وسَّع من مجالات الإفادة من النظرية الوظيفية في التطبيقات الحاسوبية.⁽³⁾

(1) عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ)، علم المعاني، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ص160.

(2) صلاح الدين الزعبلوي، دراسات في النحو، موقع اتحاد كتاب العرب، (د.ت)، ص396.

(3) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، ص56-57.

لسانيات النص: يرى فان ديك أن النظرية اللسانية لا ينبغي أن تقتصر على دراسة النظام اللغوي في صورته المجردة، وإنما يجب أن تتناول اللغة بوصفها ظاهرة تواصلية تُستعمل في سياقات اجتماعية وثقافية متنوعة. ومن هذا المنطلق، لا تُفهم القواعد اللغوية بمعزل عن ظروف الاستعمال، بل تُفسّر في ضوء المقام الذي ترد فيه والعلاقات التي تحكم عملية التواصل. ولذلك دعا إلى إعادة بناء الوصف اللغوي بحيث يضم المستويات النحوية والصرفية والدلالية والتداولية في إطار واحد، لأن الاختصار على البنية النحوية وحدها لا يكفي لتفسير كيفية إنتاج المعنى أو فهم الخطاب. وبهذا أصبحت دراسة اللغة عنده قائمة على التكامل بين النظام اللغوي وسياق الاستعمال، بما يسهم في تفسير الظواهر اللغوية تفسيراً أكثر شمولاً.⁽¹⁾

المطلب الثاني: الوسائل البلاغية موجّهةً للدلالة.

تُعَدُّ البلاغة من أهم العلوم التي تُعنى بالكشف عن أسرار التعبير ووجوه مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فلا تقف عند حدود جمال اللفظ، بل تتجاوز ذلك إلى بيان أثر التراكيب والأساليب في توجيه المعنى وإبرازه.

الصورة البيانية وأثرها في توجيه الدلالة:

اهتم البلاغيون ببيان مفهوم البيان ودوره في الكشف عن المعنى، ويُعد الجاحظ من أوائل من أبرزوا وظيفته، إذ نظر إليه بوصفه وسيلة للإبانة عن المعاني وإظهار ما خفي منها، فجعل غايته تحقيق الفهم والإفهام، وعدّ كل ما يؤدي إلى كشف المعنى وإزالة غموضه بياناً، بصرف النظر عن الوسيلة التي يتحقق بها ذلك. غير أن تصويره انصرف إلى الجانب الوظيفي للبيان، ولم يُعنَ عنايةً كافيةً بالكيفية الفنية التي تُصاغ بها المعاني في الخطاب، ومع تطور الدرس البلاغي، أصبح البيان علماً مستقلاً على يد السكاكي، الذي عرّفه بأنه العلم الذي يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرائق مختلفة تتفاوت في درجة وضوح الدلالة، بما يحقق مطابقة الكلام لمقتضى المراد، لذا استقر علم البيان على دراسة الوسائل البيانية

(1) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، 1991م، ص28.

الرئيسية، وهي التشبيه، والاستعارة، والكناية، بوصفها أدوات فنية تسهم في توجيه الدلالة وإبراز المعنى بأبلغ صورة.⁽¹⁾

المحسنات البديعية ودورها في تقوية الدلالة:

لا تقتصر المحسنات البديعية على إضفاء الجمال اللفظي على النص، بل تؤدي وظيفة دلالية تسهم في توكيد المعنى وإبرازه. فالطباق والمقابلة، مثلاً، يبرزان المعنى من خلال التضاد، بينما يسهم الجناس والسجع في توثيق الصلة بين الألفاظ والمعاني، بما يعزز أثر الخطاب في المتلقي. ومن ثم فإن القيمة الحقيقية للمحسنات البديعية تكمن في قدرتها على خدمة المعنى، لا في كونها مجرد وسائل للترزين اللفظي، وهو ما يظهر بجلاء في التعبير القرآني.⁽²⁾

وبناءً على ذلك، فإن الكشف عن آليات إنتاج الدلالة القرآنية لا يكتمل بالجانب النظري وحده، وإنما يقتضي تطبيق هذه المبادئ على نماذج من النص القرآني؛ لبيان كيفية تفاعل البنية النحوية والوسائل البلاغية في إنتاج المعنى، وهو ما يتناوله المحور التطبيقي من هذه الدراسة.

المطلب الثالث: تفاعل النحو والبلاغة مع السياق التداولي.

أولاً: مفهوم السياق التداولي: ورد مفهوم السياق عند بول ريكور بوصفه الإطار الذي يحتضن العملية الحوارية ويمنحها دلالتها، إذ لا يقتصر على الألفاظ المنطوقة، بل يشمل مختلف القرائن المصاحبة للخطاب، كالإيماءات والإشارات، فضلاً عن المؤشرات اللغوية التي يحيل بها النص إلى عناصر المقام، مثل أسماء الإشارة، وظروف الزمان والمكان، وصيغ الأفعال الزمنية. وتسهم هذه العناصر مجتمعة في تحديد مرجع الخطاب وتوجيه تأويله، بما يحقق فهماً أدق لمقاصد المتكلم.⁽³⁾

ثانياً: أثر السياق التداولي في توجيه البنية النحوية:

(1) ينظر: محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، ٢٠٠٣ م، ص 139-140.

(2) عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ)، علم البديع، (د.ط) دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (د.ت) ص 76-195.

(3) نقلاً عن: عبد الكريم بن ساسي، السياق اللغوي وأثره في تعليم اللغة العربية لدى الطفل في ضوء المقاربة بالكفاءات "السنة الخامسة من التعليم الابتدائي نموذجاً" (رسالة ماجستير) جامعة الحاج لخضر - باثنة - الجزائر، 2011م، ص 37.

يُعدُّ السياق التداولي من أهم العوامل المؤثرة في توجيه البنية النحوية؛ إذ لا يقتصر دوره على تحديد دلالة التراكيب، بل يمتد إلى توجيه الاختيارات الإعرابية والتركيبية، وتحويل القواعد النحوية من صورها المجردة إلى وسائل تواصلية تؤدي وظائف دلالية تتوافق مع مقصد الخطاب. وانطلاقاً من ذلك، تتجلى العلاقة الوثيقة بين المعنى والبنية التركيبية في أن القاعدة النحوية لا تُوظَّف بمعزل عن المقاصد الخطابية، وإنما تُبنى في ضوء المعنى الذي يراد تبليغه. فاختيار الجملة الاسمية أو الفعلية، وتحديد موقع المسند والمُسند إليه، والعدول إلى الحذف أو الذكر، وسائر الاختيارات التركيبية، ليست إجراءات نحوية شكلية، وإنما هي قرارات يفرضها المقام، وتسهم في توجيه الدلالة وتحقيق مقصد المتكلم. ومن ثم تؤدي البنية النحوية، إلى جانب وظيفتها التركيبية، وظيفة تداولية تتشكل وفق مقتضيات السياق، بما يحقق انسجام الخطاب ويعزز فاعليته في إيصال المعنى.⁽¹⁾

ثالثاً: أثر السياق التداولي في توجيه الوسائل البلاغية:

لا تؤدي الوسائل البلاغية وظيفتها بمعزل عن السياق، وإنما تستمد قيمتها من علاقتها بالمقام. فالتشبيه والاستعارة والكناية، وكذلك أساليب القصر، والاستفهام، والأمر، والنهي، قد تتجاوز معانيها الأصلية إلى دلالات أخرى يفرضها السياق، كالتوبيخ، أو التقرير، أو التعظيم، أو الترغيب، أو التهديد؛ ولذلك فإن البلاغة العربية، منذ عبد القاهر الجرجاني، قامت على مبدأ "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"⁽²⁾، وهو المبدأ الذي يلتقي مع التصور التداولي الحديث في ربط المعنى بظروف الاستعمال.

المحور الثالث: نماذج تطبيقية للتكامل بين النحو والبلاغة في ضوء اللسانيات المعاصرة

توطئة:

يتجلى إعجاز النظم القرآني في التكامل الدقيق بين البنية النحوية والبنية البلاغية، إذ لا تؤدي التراكيب النحوية وظيفتها بمعزل عن المقاصد البلاغية، كما لا تتفصل الوسائل البلاغية عن البناء التركيبي الذي

(1) ينظر: حنان أحمد عبده راجحي، البنية المقامية وأثرها في توجيه القاعدة النحوية: قراءة تداولية في النحو العربي، المجلة العلمية، العدد 38، الجزء 4، 2019م، ص 3839.

(2) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، دار الجيل - بيروت، (41/1).

يحتضنها. ومن ثم فإن الدلالة القرآنية تنشأ من تفاعل النظام النحوي مع الأساليب البلاغية في ضوء السياق، وهو ما تؤكد البلاغة العربية، ويتفق مع ما ذهبت إليه اللسانيات الحديثة من أن المعنى نتاج تفاعل مستويات متعددة داخل الخطاب، لا نتيجة مستوى لغوي واحد.

• المطلب الأول: التكامل بين البنية النحوية والبنية البلاغية في بناء الدلالة .

أولاً: التكامل بين التقديم والتأخير والقصر:

نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: 5] جاءت الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] على نسق تركيبى يخالف الرتبة الأصلية للجملة الفعلية؛ إذ تقدم المفعول به (إياك) على الفعل والفاعل، مع أن الأصل *نُعْبُدُكَ وَنَسْتَعِينُكَ* وقد أفاد هذا العدول النحوي معنى الاختصاص والقصر، فدل على إفراد الله تعالى بالعبادة والاستعانة دون سواه، وهو ما أكسب التركيب قوةً دلالية لا تتحقق مع بقاء الرتبة الأصلية. ويُعدُّ هذا التقديم اختياراً مقصوداً يفرضه المقام؛ إذ تتضافر البنية النحوية مع المقصد البلاغي لإبراز معنى التوحيد وإظهار كمال الإخلاص لله تعالى. كما اشتملت الآية على أسلوب الالتفات؛ إذ انتقل الخطاب من الغيبة في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى الخطاب المباشر في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وهو انتقال بلاغي يُشعر بقرب العبد من ربه عند مقام العبادة والدعاء، ويزيد الخطاب حضوراً وتأثيراً في نفس المتلقي.⁽¹⁾ وتكشف اللسانيات الوظيفية أن هذا التقديم يمثل اختياراً تداولياً يفرضه المقام، حيث يتقدم العنصر الأكثر أهمية في الرسالة اللغوية، فتتضافر البنية النحوية مع المقصد البلاغي لإنتاج دلالة التوحيد.

ثانياً: التكامل بين الحذف والإيجاز:

نحو قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقُرْيَةَ﴾ [يوسف: 82] اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقُرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]، فذهب جمهورهم إلى أن المقصود بها أهل القرية، وأن التعبير جاء على سبيل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، اعتماداً على ما يدل عليه السياق، وهو أسلوب شائع في لسان العرب يقصد به الإيجاز والاختصار، ولا يوقع في لبس لقيام القرينة الدالة على المحذوف. وذهب فريق آخر إلى إمكان حمل اللفظ على ظاهره، مستنديين إلى أن الله تعالى قادر على أن يُنطق الجمادات معجزةً لأنبيائه، فتشهد بصدق الخبر. كما قيل إن المراد المبالغة في وضوح الأمر، حتى كأنه من الظهور بحيث لو سُئلت القرية نفسها لأخبرت بحقيقة الواقعة، وهو تعبير عربي يُقصد به تأكيد الأمر وإزالة الشك فيه. وتكشف هذه

(1) ينظر: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت ٥٣٨ هـ]، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، 1987م، (13/1).

الوجوه التفسيرية عن تضافر البنية النحوية مع الأسلوب البلاغي في بناء الدلالة، إذ حقق الحذف الإيجاز، بينما أسهمت القرينة والسياق في تعيين المراد، مما يجسد التكامل بين النحو والبلاغة في التعبير القرآني.⁽¹⁾

ثالثاً: التكامل بين التعريف والتنكير والتعظيم:

نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ [يس: 20] وقد جاء لفظ ﴿رَجُلٌ﴾ نكرة، مع أن المراد شخص معلوم، لما في ذلك من دلالات بلاغية تتكامل مع البنية النحوية في توجيه المعنى، فالتنكير هنا يفيد تعظيم شأن هذا المؤمن وإبراز كمال صفاته، حتى كأنه نموذج مكتمل للرجولة والإيمان، كما يوحي بأن الإيمان بالرسول لم يكن مقصوراً على فئة بعينها، بل صدر من رجل لا تربطه بهم معرفة سابقة، مما يعزز صدق دعوتهم وينفي مظنة التواطؤ أو الاتفاق المسبق. كذلك فإن قوله تعالى: ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ يدل على أن دعوة المرسلين بلغت أبعد أطراف المدينة، الأمر الذي يكشف عن اتساع أثر الرسالة وانتشارها بين الناس. وبهذا تتضافر البنية النحوية المتمثلة في التنكير مع المقصد البلاغي في تعظيم الشخصية، وتأكيد انتشار الدعوة، وبناء دلالة تؤكد صدق الرسالة وقوة تأثيرها في المتلقين.⁽²⁾

رابعاً: التكامل بين الجملة الاسمية والتوكيد

نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 34].

يكشف هذا الموضع عن تكامل دقيق بين الجملة الاسمية وأسلوب التوكيد في بناء الدلالة؛ فقد وردت الجملة الاسمية: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مؤكدة بـ (إِنَّ) بعد حذف جواب الشرط إيجازاً، اعتماداً على ما تفيد الجملة من تعليل للحكم، فكان المعنى: فلا إثم عليهم؛ لأن الله غفور رحيم. وبهذا لم تؤدّ الجملة الاسمية وظيفية التوكيد فحسب، بل نهضت بوظيفة التعليل أيضاً، حتى أغنت (إِنَّ) في هذا المقام عن لام التعليل، فاجتمع في التركيب تأكيد الخبر وربطه بسبب الحكم، وهو ما يعكس تلاحم الوسائل النحوية والبلاغية في توجيه الدلالة، وإبراز ثبوت صفة المغفرة والرحمة لله تعالى على وجه يقتضي دوامها وشمولها.⁽³⁾

خامساً: التكامل بين الفصل والوصل:

﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾ [الضحى: 1-3] يكشف هذا الموضع عن تكامل النحو والبلاغة من خلال ظاهرة الفصل والوصل؛ إذ فصلت جملة جواب القسم ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ عن جملتي القسم ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، لأن وقوعها جواباً للقسم أكسبها استقلالاً نحوياً وبلاغياً،

(1) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ، (495/18).

(2) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط3، (263/26).

(3) محمد الطاهر ابن عاشور [ت ١٣٩٣ هـ]، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م، (228/18).

فلم تحتج إلى أداة وصل. وقد أدى هذا الفصل إلى تركيز الانتباه على مضمون الجواب، وهو نفي دعوى انقطاع الوحي، فجاءت الجملة المنفية مؤكدة بالقسم السابق عليها، فاجتمع التأكيد المستفاد من القسم مع قوة الفصل في إبراز المعنى، مما أظهر التلاحم بين البنية النحوية والغاية البلاغية في توجيه الدلالة، وتحقيق مقصد السورة في تسلية النبي ﷺ وتفنيد افتراءات المشركين⁽¹⁾

• المطلب الثاني: دور السياق النصي والتداولي في توجيه الدلالة القرآنية .

أولاً: أثر السياق النصي في توجيه الدلالة.

1. قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: 5]
التحليل: يتجلى أثر السياق النصي في توجيه الدلالة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]؛ إذ جاءت الآية بعد الثناء على الله تعالى وذكر صفاته: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فكان الانتقال من الغيبة إلى الخطاب المباشر نتيجة طبيعية لهذا السياق. وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن نظم هذه الآيات قائم على ترابط عناصرها النحوية؛ إذ تتابعت الصفات الدالة على كمال الله واستحقاقه للعبادة، ثم جاءت جملة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مرتبة عليها، بينما أفاد تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ معنى الحصر والاختصاص. ويؤكد اتصالها بقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أن السياق النصي هو الذي وجّه الدلالة، وأبرز التكامل بين البنية النحوية والغاية البلاغية.⁽²⁾

2. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يُمُوسَى ١٧﴾ [طه: 17]
التحليل: يتضح أثر السياق النصي في توجيه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: 17]؛ إذ جاء الاستفهام في سياق الحوار الإلهي مع موسى عليه السلام، وليس المقصود منه طلب العلم، فالله سبحانه وتعالى أعلم بما في يده، وإنما ورد تهيئاً للمعجزة التي ستعقب ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾. وقد بين المفسرون أن تركيب الجملة قائم على استفهام يرد به لفت الانتباه وتهيئة النفس لاستقبال الحدث الآتي، مما صرف الاستفهام عن معناه الأصلي إلى غرض بلاغي يحدده السياق. ومن ثم أسهم ترابط الآيات في توجيه الدلالة، فكشف أن المقصود من السؤال ليس الاستفهام الحقيقي، وإنما التمهيد لإظهار قدرة الله تعالى من خلال انقلاب العصا حيّة تسعى.⁽³⁾

(1) التحرير والتنوير، (30/394-395).

(2) ينظر: دلائل الإعجاز، (1/452).

(3) ينظر: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ت.) (9/6).

3. **قوله تعالى:** ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ٥﴾ [المعارج: 5] يتجلى أثر السياق النصي في توجيه الدلالة في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ إذ لا يفهم الأمر بالصبر على إطلاقه، وإنما تتحدد دلالاته من خلال ارتباطه بما سبقه من حديث السورة عن استعجال المكذبين للعذاب واستهزائهم بالوحي. فجاء الأمر الإلهي للنبي ﷺ بالصبر الجميل تسلياً له، وتوجيهاً إلى الثبات أمام تكذيبهم وتعنّتهم، انتظاراً لوعده الله. كما يؤكد السياق اللاحق في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا - وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ أن الأمر بالصبر مرتبط بقراب تحقق الوعد، مما يدل على أن السياق النصي هو الذي وجّه دلالة الأمر، وحدد المقصود بالصبر الجميل.⁽¹⁾

ثانياً: أثر السياق التداولي في توجيه الدلالة.

1. **قوله تعالى:** ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢﴾ [عبس: 1-2] يتضح أثر السياق التداولي في توجيه الدلالة في افتتاح سورة عبس؛ إذ لا يفهم المقصود من العتاب الوارد في الآية إلا باستحضار المقام الذي نزلت فيه. فقد كان النبي ﷺ منشغلاً بدعوة كبار قريش، فجاء عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه يسأل عن أمور دينه، فعبس النبي ﷺ وأعرض عنه رجاء استمالة زعماء قريش إلى الإسلام، فنزل القرآن معاتباً له. ويكشف هذا المقام أن الغرض من الخطاب ليس الذم، وإنما التربية الإلهية وبيان معيار التفاضل في الإسلام، وأن العناية بطالب الهداية أولى من مراعاة أهل الجاه والسلطان. ومن ثم أسهم السياق التداولي في توجيه الدلالة، وصرفها عن ظاهر العتاب إلى مقصدها التربوي والدعوي.⁽²⁾

2. **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَنِيكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾ [النور: 33] يتجلى أثر السياق التداولي في توجيه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَنِيكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾ إذ لا يكتمل فهم الخطاب إلا باستحضار الملابسات التي نزلت فيها الآية. فقد نزلت لمعالجة عادة جاهلية تمثلت في إكراه الإماماء على البغاء طلباً للكسب، وكان من أشهر صورها ما نسب إلى عبد الله بن أبي بن سلول. وقد جاء الخطاب موجّهاً إلى المسلمين لإبطال هذه الممارسة، وترسيخ مبدأ صيانة الكرامة الإنسانية وحفظ

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، (9/30-31).

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، 2001م، (24/103-105).

العرض، مما يدل على أن المقام الذي وردت فيه الآية أسهم في تحديد مقصدها التشريعي. كما يكشف السياق الاجتماعي الذي نزلت فيه الآية عن انتقال المجتمع الإسلامي من بعض ممارسات الجاهلية إلى منظومة أخلاقية وتشريعية قائمة على العفة وحماية الأنساب، وهو ما يبرز الدور الفاعل للسياق التداولي في توجيه الدلالة وتحديد مراد الخطاب.⁽¹⁾

3. قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17]

يتضح أثر السياق التداولي في توجيه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ إذ لا يُفهم الجمع بين نفي الرمي وإثباته إلا باستحضار المقام الذي نزلت فيه الآية، وهو غزوة بدر، فقد باشر النبي ﷺ رمي قبضة من التراب تجاه المشركين، إلا أن الأثر الذي ترتب عليها، وهو وصول التراب إلى أعينهم جميعاً وإحداث الهزيمة في صفوفهم، كان بتأييد الله تعالى، ومن ثم أثبتت الآية الرمي للنبي ﷺ باعتبار مباشرته السبب، ونفته عنه باعتبار أن الأثر المعجز من فعل الله سبحانه وتعالى، وبذلك أسهم السياق التداولي في توجيه الدلالة، فكشف أن المقصود ليس نفي الفعل عن النبي ﷺ، وإنما نفي استقلاله بإحداث أثره، وإثبات أن النصر والتأييد إنما كانا بعون الله تعالى.⁽²⁾

• المطلب الثالث: التفاعل بين القرائن اللغوية في إنتاج المعنى القرآني .

1. قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]

القرائن المتفاعلة: القرينة النحوية: تقديم المفعول به (إياك) - القرينة البلاغية: القصر والاختصاص. - القرينة السياقية: مجيء الآية بعد الشاء على الله. - القرينة النصية: اتصالها بقوله: ﴿هُدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.⁽³⁾

تفاعل هذه القرائن أنتج دلالة التوحيد الخالص، وأن العبادة والاستعانة لا تكونان إلا لله

2. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]

(1) التحرير والتوير، (225/18).

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (13/4).

(3) ينظر: دلائل الإعجاز، (452/1).

يتجلى التفاعل بين القرائن اللغوية في إنتاج المعنى القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ القرينة الإعرابية (الرفع والنصب) - قرينة الرتبة (تقديم المفعول به) - القرينة الدلالية (استحالة نسبة الخشية إلى الله). - القرينة البلاغية (الحصر بـ"إنما") - القرينة السياقية (السياق الذي يتحدث عن دلائل قدرة الله وآثارها في الكون).⁽¹⁾

3. قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: 17]

يتجلى تفاعل القرائن اللغوية في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ إذ تضافرت القرائن النحوية والدلالية والسياقية في توجيه المعنى. فقد جاءت القرينة النحوية في بناء استفهامي تصدّرت أداة الاستفهام ﴿مَا﴾، وأعقبها اسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾، مع تعلق الجار والمجرور ﴿بِيَمِينِكَ﴾ بمحذوف حال، مما أسهم في تعيين المسؤول عنه وتحديدته. كما أدت القرينة الدلالية إلى صرف الاستفهام عن معناه الحقيقي؛ إذ يستحيل أن يكون الغرض إخبار الله تعالى بما في يد موسى عليه السلام، وإنما المقصود استحضار العصا في ذهنه وتمهيد النفس لما سيقع بعدها، وجاءت القرينة السياقية لتؤكد هذا المعنى، إذ أعقب الاستفهام مباشرة قوله تعالى: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾، فكان السؤال مقدمة لإظهار المعجزة. ومن ثم لم تتحدد الدلالة من خلال القرينة النحوية وحدها، بل نتجت عن تفاعل القرائن المختلفة، وهو ما يبرز دقة النظم القرآني في توجيه المعنى.⁽²⁾

يتبين مما سبق أن الرؤية اللسانية التكاملية أسهمت في تجديد تحليل الخطاب القرآني من خلال الجمع بين معطيات النحو والبلاغة ولسانيات النص والتداولية ونظرية القرائن، وهو ما أتاح تفسيراً أكثر دقة واتساقاً للنص القرآني، وأبرز أن الدلالة لا تُستخلص من عنصر لغوي منفرد، وإنما من تفاعل المستويات اللغوية والسياقية جميعها في إطار وحدة النص.

الخاتمة

• أولاً: النتائج:

1. أثبتت الدراسة أن الدلالة القرآنية تقوم على التكامل بين البنية الصرفية، والتركيب النحوي، والسياق، ولا تنتج عن عنصر لغوي منفرد.

(1) اللغة العربية معناها ومبناها، ص 191.

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (9/6).

2. أظهرت الدراسة أن البنية اللغوية تؤدي وظيفة دلالية تتحدد من خلال موقعها في التركيب وعلاقتها بالقارئ المصاحبة.
 3. أكدت الدراسة أن التركيب النحوي يمثل أداة لتوجيه المعنى، وأن العلاقات النحوية تسهم في ضبط الدلالة وتحقيق مقاصد الخطاب.
 4. بينت الدراسة أن السياق النصي والمقامي يعد من أهم القرائن في ترجيح المعاني وتحديد المراد من الخطاب القرآني.
 5. أكدت الدراسة أن نظرية النظم تلتقي مع الاتجاهات اللسانية الحديثة في جعل المعنى ثمرة لتفاعل العلاقات اللغوية، مما يؤكد أصالة التراث اللغوي العربي وقدرته على إثراء الدراسات اللسانية المعاصرة.
 6. أثبتت الدراسة أن إنتاج الدلالة القرآنية يقوم على تكامل البنية النحوية والوسائل البلاغية والسياق، لا على عنصر لغوي منفرد.
 7. كشفت الدراسة أن الظواهر النحوية، كالتقديم والتأخير، والحذف، والتعريف والتذكير، وبناء الجملة، تؤدي وظائف دلالية تتجاوز الجانب الشكلي إلى توجيه المعنى.
 8. أكدت الدراسة أن السياق النصي والتداولي يمثل قرينة حاکمة في تحديد المقاصد الدلالية، وترجيح المعاني، والكشف عن أسرار الخطاب القرآني.
 9. بينت الدراسة أن تفاعل القرائن النحوية والبلاغية والسياقية يُنتج دلالة أكثر دقة وعمقاً، ويبرز إحكام النظم القرآني ووحدة بنائه.
 10. كشفت الدراسة أن توظيف الرؤية اللسانية التكاملية أسهم في تجديد تحليل الخطاب القرآني، من خلال الجمع بين مناهج التراث البلاغي والاتجاهات اللسانية الحديثة.
- ثانياً: التوصيات:

1. الاستفادة من الرؤية اللسانية التكاملية في الدراسات القرآنية؛ لما أثبتته من فاعلية في الكشف عن العلاقات بين البنية النحوية والبلاغية والسياق في توجيه الدلالة.
2. توسيع توظيف المناهج اللسانية الحديثة في تحليل الخطاب القرآني، مع الاستفادة من الأصول البلاغية والنحوية التي أرساها التراث العربي، بما يحقق قراءة علمية متوازنة للنص القرآني.

3. تشجيع الدراسات التطبيقية التي تجمع بين النحو والبلاغة والسياق؛ لإبراز أثر تكامل المستويات اللغوية في تفسير النصوص القرآنية والكشف عن وجوه إعجازها.
 4. الاهتمام بإدماج نتائج الدراسات اللسانية التكاملية في مناهج تعليم اللغة العربية وعلوم القرآن؛ بما يسهم في تنمية مهارات التحليل اللغوي والدلالي لدى الباحثين والدارسين.
- آفاق الدراسات المستقبلية:**
1. إجراء دراسة تطبيقية موسعة للتكامل بين النحو والبلاغة في السور المكية والمدنية، وبيان أثره في توجيه الدلالة القرآنية.
 2. دراسة مقارنة بين نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني والنظريات التداولية المعاصرة في تحليل الخطاب القرآني.
 3. توظيف تقنيات اللسانيات الحاسوبية والذكاء الاصطناعي في تحليل البنى النحوية والبلاغية للنص القرآني، واستثمارها في تطوير أدوات رقمية لخدمة الدراسات القرآنية واللغوية.
- قائمة المصادر والمراجع:**
1. أحمد أبو بكر أحمد، "البنية الصرفية وأثرها في الدلالة القرآنية (سورة الواقعة نموذجًا)"، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد (37)، 2022م.
 2. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، 2010م.
 3. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، 1995م.
 4. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 2008م.
 5. أحمد مطلوب، أساليب بلاغية: الفصاحة - البلاغة - المعاني، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م.

6. أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء (ت 1094هـ)، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).
7. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
8. ابن جرير الطبري، محمد بن جرير (224-310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، 2001م.
9. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
10. أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
11. تمام حسان عمر، اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، عالم الكتب، 1427هـ/2006م.
12. الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.
13. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ)، أسرار البلاغة، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني، جدة، (د.ت).
14. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني، جدة، 1413هـ/1992م.
15. الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت 816هـ)، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ/1983م.
16. حنان أحمد عبده راجحي، "البنية المقامية وأثرها في توجيه القاعدة النحوية: قراءة تداولية في النحو العربي"، المجلة العلمية، العدد (38)، الجزء (4)، 2019م.
17. خطيب دمشق، جلال الدين القزويني (ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
18. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

19. صلاح الدين الزعبلوي، دراسات في النحو، موقع اتحاد كتاب العرب، (د.ت).
20. عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت 660هـ)، الإمام في بيان أدلة الأحكام، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1407هـ/1987م.
21. عبد العزيز عتيق (ت 1396هـ)، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).
22. عبد العزيز عتيق (ت 1396هـ)، علم المعاني، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1430هـ/2009م.
23. عبد الكريم بن ساسي، السياق اللغوي وأثره في تعليم اللغة العربية لدى الطفل في ضوء المقاربة بالكفاءات "السنة الخامسة من التعليم الابتدائي نموذجاً"، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2011م.
24. عبد الله التوبي، "البنية النحوية في الحكايات الشعبية العُمانية: دراسة تحليلية في ضوء اللهجة المحلية"، المجلة العربية للتربية النوعية، المجلد (9)، العدد (37)، 2025م.
25. عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ/1988م.
26. محمد أحمد قاسم، ومحبي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003م.
27. محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991م.
28. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط2، القاهرة، 1972م.
29. محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.
30. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ط1، دار الأمل، الأردن، 2007م.

قائمة المصادر والمراجع:

1. Ahmed Abu Bakr Ahmed, "Morphological Structure and its Impact on Qur'anic Semantics (Surah Al-Waqi'ah as a Model)," Journal of the Faculty of Arabic Language, Menoufia University, Issue (37), 2022.
2. Ahmed Al-Mutawakkil, Functional Linguistics: A Theoretical Introduction, Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida, Benghazi, Libya, 2010.
3. Ahmed Al-Mutawakkil, Issues of the Arabic Language in Functional Linguistics: The Substructure or Pragmatic Semantic Representation, Dar Al-Aman, Rabat, 1995.
4. Ahmed Mukhtar Abdul Hamid Omar (d. 1424 AH), Dictionary of Contemporary Arabic, 1st ed., Alam Al-Kutub, 2008.
5. Ahmed Matloub, Rhetorical Styles: Eloquence – Rhetoric – Meanings, 1st ed., Publications Agency, Kuwait, 1980.
6. Ayyub ibn Musa al-Husayni al-Kafawi, Abu al-Baq'a' (d. 1094 AH), Al-Kulliyat: A Dictionary of Terms and Linguistic Differences, edited by Adnan Darwish and Muhammad al-Masri, Al-Risalah Foundation, Beirut, (n.d.).
7. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir (d. 1393 AH), Al-Tahrir wa al-Tanwir, Tunisian Publishing House, Tunis, 1984 CE.
8. Ibn Jarir al-Tabari, Muhammad ibn Jarir (224–310 AH), Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayi al-Qur'an, edited by Abdullah ibn Abdul-Muhsin al-Turki, 1st ed., Dar Hajar for Printing, Publishing, Distribution and Advertising, Cairo, 2001 CE.
9. Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram (d. 711 AH), Lisan al-'Arab, 3rd ed., Dar Sader, Beirut, 1414 AH.
10. Abu al-Sa'ud al-'Imadi, Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa (d. 982 AH), *Irshad al-'Aql al-Salim ila Mazaya al-Kitab al-Karim*, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut, (n.d.).
11. Tamam Hassan Omar, *Al-Lughah al-'Arabiyyah Ma'naha wa Mabnaha*, 5th ed., 'Alam al-Kutub, 1427 AH/2006 CE.
12. Al-Jahiz, 'Amr ibn Bahr (d. 255 AH), *Al-Bayan wa al-Tabyin*, edited by 'Abd al-Salam Muhammad Harun, 7th ed., Maktabat al-Khanji, Cairo, 1998 CE.
13. Al-Jurjani, Abu Bakr 'Abd al-Qahir ibn 'Abd al-Rahman (d. 471 AH), *Asrar al-Balaghah*, Matba'at al-Madani, Cairo, and Dar al-Madani, Jeddah, (n.d.).
14. Al-Jurjani, Abu Bakr 'Abd al-Qahir ibn 'Abd al-Rahman (d. 471 AH), *Dala'il al-I'jaz fi 'Ilm al-Ma'ani* (Proofs of Inimitability in the Science of Meanings), edited by Mahmoud Muhammad Shakir, 3rd edition, Al-Madani Press, Cairo, and Dar al-Madani, Jeddah, 1413 AH/1992 CE.
15. Al-Jurjani, Ali ibn Muhammad al-Sharif (d. 816 AH), *Al-Ta'rifat* (Definitions), 1st edition, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, 1403 AH/1983 CE.
16. Hanan Ahmad Abdo Rajhi, "The Contextual Structure and its Impact on Guiding Grammatical Rules: A Pragmatic Reading in Arabic Grammar," *Al-Majalla al-'Ilmiyya* (The Scientific Journal), Issue (38), Part (4), 2019 CE.

17. Khatib Dimashq, Jalal al-Din al-Qazwini (d. 739 AH), *Al-Idah fi 'Ulum al-Balaghah* (Clarification in the Sciences of Rhetoric), edited by Muhammad Abd al-Mun'im Khafaji, 1st edition, Dar al-Jil, Beirut, (n.d.).
18. Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad ibn Umar (d. 606 AH), Mafatih al-Ghayb (al-Tafsir al-Kabir), 3rd ed., Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, 1420 AH.
19. Salah al-Din al-Za'balawi, Studies in Grammar, Arab Writers Union website, (n.d.).
20. Abd al-Salam, Izz al-Din Abd al-Aziz ibn Abd al-Salam al-Sulami (d. 660 AH), al-Imam fi Bayan Adillat al-Ahkam, edited by Radwan Mukhtar ibn Gharbiya, 1st ed., Dar al-Bashair al-Islamiyya, Beirut, 1407 AH/1987 CE.
21. Abd al-Aziz Atiq (d. 1396 AH), The Science of Rhetoric, Dar al-Nahda al-Arabiyya for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, (n.d.).
22. Abd al-Aziz Atiq (d. 1396 AH), The Science of Meanings, 1st ed., Dar al-Nahda al-Arabiyya for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 1430 AH/2009 CE.
23. Abdul Karim bin Sassi, Linguistic Context and its Impact on Teaching Arabic to Children in Light of the Competency-Based Approach: The Fifth Year of Primary Education as a Model, Master's Thesis, University of Hadj Lakhdar, Batna, Algeria, 2011.
24. Abdullah Al-Toubi, "The Grammatical Structure in Omani Folk Tales: An Analytical Study in Light of the Local Dialect," Arab Journal of Specific Education, Volume (9), Issue (37), 2025.
25. Amr ibn Uthman ibn Qanbar (Sibawayh) (d. 180 AH), Al-Kitab, edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, 3rd edition, Al-Khanji Library, Cairo, 1408 AH/1988 CE.
26. Muhammad Ahmad Qasim and Muhyi al-Din Dib, The Sciences of Rhetoric (Badi', Bayan, and Ma'ani), 1st edition, Modern Book Foundation, Tripoli, Lebanon, 2003.
27. Muhammad Khattabi, Text Linguistics: An Introduction to Discourse Coherence, 1st ed., Arab Cultural Center, Casablanca, 1991.
28. The Arabic Language Academy in Cairo, Al-Mu'jam al-Wasit (The Concise Dictionary), 2nd ed., Cairo, 1972.
29. Mahmud ibn Umar al-Zamakhshari (d. 538 AH), Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil (The Revealer of the Truths of the Obscure Meanings of Revelation and the Essence of Sayings on the Aspects of Interpretation), 3rd ed., Dar al-Rayyan li al-Turath, Cairo, and Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 1987.
30. Hadi Nahr, Applied Semantics, 1st ed., Dar al-Amal, Jordan, .2007

تمثلات الفضاء المكاني في ديوان مراثي الفراشات لنجم عذوف

Spatial representations in Najm Adhouf's collection of elegies for butterflies

م.م أنوار جاسب غالب كشيل الغزالي

M.M. Anwar Jasib Ghalib Kashil Al-Ghazali

General Directorate of Education, Najaf Al-Ashraf

anwaralgazaie@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع الفضاء المكاني في ديوان مراثي الفراشات للشاعر نجم عذوف، بوصفه عنصرًا فنيًا يتجاوز كونه مكانًا جغرافيًا ليصبح وسيلة للتعبير عن التجربة النفسية والرمزية في الشعر الحديث، ونسعى في هذه الورقة البحثية للإجابة عن إشكالية مفادها كيف يشكل المكان في الديوان، وما دلالاته الوجودية؟، فاعتمدنا على منهج وصفي تحليلي، للكشف عن أنماط الفضاء المكاني ووظائفه داخل النصوص الشعرية، وجاءت خطة البحث في ثلاثة مباحث، الأول: تناولنا فيه مفهوم الفضاء المكاني، والتميز بين أنواعه (الواقعي، النفسي، الرمزي) مع الإشارة إلى أهم النظريات النقدية التي درست الفضاء في الشعر الحديث، أما المبحث الثاني: خصص لدراسة أنماط الفضاء المكاني في الديوان، والمبحث الثالث: بحث في وظيفة الفضاء المكاني، ودوره في كشف الحالة النفسية للشاعر، وبناء الصورة الشعرية، وعلاقته بالزمن.

الكلمات المفتاحية: (الفضاء، المكان، شعر، نجم عذوف، مراثي الفراشات)

Abstract:

This research addresses the theme of spatiality in the poetry collection "Elegies of Butterflies" by the poet Najm Adhouf, considering it as an artistic element that transcends its geographical location to become a means of expressing psychological and symbolic experience in modern poetry. In this research paper, we seek to answer the question of how space is formed in the collection, and what its existential implications are. We adopted a descriptive-analytical approach to reveal the patterns of spatiality and its functions within the poetic texts. The research plan came in three sections. The first section dealt with the concept of spatiality and the distinction between its types (realistic, psychological, symbolic), with reference to the most important critical theories that studied space in modern poetry. The second section was devoted to studying the patterns of spatiality in the collection, and the third section examined the function of spatiality, its role in revealing the poet's psychological state, the construction of the poetic image, and its relationship to time.

Keywords: (space, place, poetry, star, lamentations of butterflies)

المقدمة

يعد الفضاء المكاني من المفاهيم النقدية التي حظيت باهتمام متزايد في الدراسات الادبية، نظراً لدوره المحوري في تشكيل بنية النص الشعري وتوجيه دلالاته، فالمكان في الشعر لا يقتصر على كونه إطاراً جغرافياً للإحداث، بل يتجاوز ذلك ليصبح عنصراً فاعلاً والتعبير عن التجربة الانسانية أو مجالاً لتجسيد المشاع والرؤى الفكرية¹، فديوان مراثي الفراشات، يتجلى فيه الفضاء المكاني كأحد المكونات الاساسية التي تسهم في بناء التجربة الشعرية، فالشاعر يوظف المكان ليجعل منه مرآة عاكسة لحالته النفسية والوجودية مما يفضي على النصوص طابعاً تأملياً يعكس قلق الذات وتوقها الى التحرر والانعتاق، ومن هنا تتجلى أهمية البحث الذي يسعى الى استكشاف تمثيلات المكان الفضاء المكاني في ديوان مراثي الفراشات، عن طريق تحليل الانماط المكانية ووظائفها الدلالية والجمالية، والكشف عن كيفية تفاعل الشاعر معه لتجسيد الرؤية الشعرية، شغل مفهوم المكان علماء الفلسفة وفهم افلاطون الذي اعتبره "هو غير حقيقي، وهو الحاوي للموجودات المتكثرة، ومحل التغير والحركة في العالم المحسوس، العالم الظاهر الغير حقيقي"²، وأول من صرح بهذا الاستعمال الاصطلاحي وعدّه حاوياً وقابلاً للشيء، فالفضاء يضيف على القصيدة رونقاً وجمالاً، بما يملكه من أدوات فنية تسهم في ابداع الصورة الشعرية، وما لديه من مكنه على نقل الذهن من الحقيقة إلى الخيال أو العكس ولذلك يكون الفضاء على جانب كبير من الاهمية في الشعر³، فيشير مصطلح الفضاء إلى أنه "مفهوم متصور بالغ الاتساع يستحضر مكونات أو عناصر جدّ متباينة ومتعددة تمتلك قاسماً مشتركاً"⁴

اظ: الفضاء المكاني في الشعر الحديث، السياب أنموذجاً، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الاردنية، 2019م.

² جماليات المكان، باشلار غاستون، ترجمة غالب هلسا، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، 1980م، ص

³ شعرية المكان (قراءات في الشعر العربي الحديث)، ستار عبدالله، تموز للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2013م، 15-16.

⁴ الفضاء الشعري عند بدر شاكر السياب، لطيف محمد حسن، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011م، 17.

الفضاء مادة جوهرية في الكتابات الأدبية وله علاقة وطيدة بالأدب، إذ نرى لا يخلو نتاج أدبي من هذا المكوّن، ويعد السند الأساس له، والمادة الرئيسية في تكوين نسيجه، فهو ابرز الهويات التي لا يمكن تجاهلها أو اختزالها والا عد العمل الادب مشوّباً بالعيب والنقصان¹.

ويرى بعض الباحثين أن العناصر التي يتشكل منها الفضاء ويكونان هما الأساس في تشكيله عنصري المكان والزمن وما يهمن في هذا البحث هو عنصر المكان الذي لا يختلف عن عنصر الزمان، وما يؤكد هناك تناسق بينهما أي وحدة زمكانية للفضاء²، فالفضاء في التشكيل الشعري هو ميدان الابداع الذي ينصهر فيه الشاعر ويوظفه في الوقت ذاته لسكب طاقته الابداعية، فيرسم الصور الشعرية ويصوغ الجمل والعبارات بمهارته الادبية، فيحذف ويضيف ويقدم ويؤخر ويوجز ويطنب ضمن الحقل أو هذا الميدان الذي يعرف بالفضاء الشعري³.

التمهيد / المحور الاول/ إضاءة على حياة الشاعر والتعريف به

نجم عبيد عذوف والمشهور ب(نجم عذوف) ولد سنة 1956م في مدينة السماوة، هو شاعر وممثل عراقي يقيم حالياً في النرويج، وكان والده يعمل في محطة القطار، أكمل دراسته الابتدائية عام 1970، والثانوية عام 1979 ولم يكمل دراسته الجامعية؛ لظروفه الخاصة في تلك الحقبة الزمنية، أظهر ميوله الفني والادبي منذ كان في الابتدائية ونمت هذه القابلية الشعرية في المرحلة المتوسطة، فكانت له مشاركات في مهرجانات الخطابة والشعر التي تقيمها التربية، وفي المرحلة الاعدادية قام بنشر العديد من القصائد في الصحف والمجلات العراقية، ثم عمل في المسرح مع نخبة من فناني المدينة، وشارك في مسرحيات واهمها (المكينة) و(بغداد الأزل)، (مدينة العقاب) و(من أجل نكيدو) و(مقبرة الروبوت) و(سقوط الملك

¹ إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، زوزه بصيره، مجلة كلية الاداب، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، العدد6، 2010م، ص3.

² الفضاء الروائي في الغربية (الاطار والدلالة)، منيب محمد البويمي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب (د.ط)، 1983م، 21.

³ الفضاء الشعري عند ياس السعيد، الاء ماجد داود الظالمي، جامعة كربلاء، 2025م (رسالة ماجستير)

شهريار) و(الخيطة)¹، وهناك اعمال قام بها كإنشاء المنتدى الادبي للشباب في السبعينات بتعاونه مع مجموعة من شعراء مدينته، وكانت أولى إصدارته الشعرية سنة 1997، وهي (مواويل فتى) ، ثم اصدر بعدها المجموعة الشعرية الثانية(رقصة الظل) التي تم نشرها بواسطة دار اللوح في اسبانيا سنة 2007، وفي سنة 2012 أصدر المجموعة الشعرية الثالثة(انكسار المدن) وبعدها مراثي الفراشات الذي ستناوله في دراستي وله عدد من القصائد التي نشرت عن طريق الصحف والمجلات العربية والعراقية والمواقع الالكترونية²، وهناك مؤلفات مخطوطة كـ(حكايا من مدينة كلكامش)، وهي مجموعة من الاستنكارات عن مدينة السماوة، والمخطوطة الاخرى حملت اسم (حوارات) وهي مجموعة شعرية جاهزة للطبع³

وكانت بدايات الشاعر الشعرية في الثمانيات الا أن البواكير لها كما ذكرت في السبعينات، ترك الشاعر مدينة السماوة متجها الى بغداد عاش في أرمقه الاتحاد والادباء والكتاب، وفي عام 1998 ترك العراق مهاجرا، ليكمل مسيرته وبذات السلوك في العاصمة الاردنية عمان ومن بعدها دمشق ليحقق حلمه بالخلاص من الضيق المفروض في البلاد الشرقية، ليجد نفسه في دولة غربية، اسكندنافية ليعود هناك الى حياته الطبيعية التي كان مسلوب منها بسبب النظام الحاكم وحروبه الخاسرة، وما زال يعيش في المنفى⁴.

المحور الثاني/ ديوان مراثي الفراشات

هو عنوان منتخب من إحدى النصوص ألا أنه وضع هذا العنوان في الصادرة، ليمثل هوية النصوص برمتها ويخلق عالما وحياة موازية لما يعيش، فالفراشات الرقيقة الطائفة المصحوبة بالمراثي، كلاهما يمثل فعل عدم الاستقرار في الارض كلاهما طائر، فالمراثي كلمات محلقة تنذب غائبا عن الوجود، والفراشات تأخذ هذه الكلمات معها، ليتشكل عالما غير مرئي وغير محسوس، الا أنه موجود بين الوجود الارضي

¹ ظ: معجم الادباء والكتاب في السماوة الكبرى، عبد الجبار بجاي الزهوي، ط1، 395.

² صرخته الاولى الابداع الواعي، نجم الجابري، مجلة الزمان، العدد 28، 2024.

³ ظ: الادب العربي والتاريخ الثقافي حوالي 500 - 2013م، المعبدي ، 2013م، 770 - 771.

⁴ معجم الادباء والكتاب في السماوة الكبرى، عبد الجبار بجاي، 395.

والسماوي الطائر الغير مرئي ، محاولاً حصر الحياة بهذا الفضاء ، بعد أن محاها من الوجود واطلقها إلى الفضاء عبر السلوك الذي يستبطن روحه، مستحضراً تلك العوالم، والكتابة النصية¹.

المبحث الاول / الإطار النظري والمفاهيمي للفضاء المكاني في الشعر

أولاً: - التعريف بالفضاء والمكان

الفضاء لغةً: - وردت لفظة الفضاء في لسان العرب تحت مادة "فضا: الفضاء: المكان الواسع من الأرض، والفعل فضا يفضو فضوا، فهو فاض.... وقد فضى المكان وأفضى إذ تسع، والفضاء الخالي والواسع من الأرض، وفي حديث معاذ في عذاب القبر، ضربه بمرضاة وسط رأسه حتى يفضي كل شيء فيه، أي يصير فضاءً..... والفضاء الساحة وما اتسع من الأرض، يقال أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء"²، ونحن ما يهمنا في بحثنا هذا يكون معناه مرتبطاً بالمكان وكل هذه المعاني تدور حول الاتساع والفراغ والانفلات وما إليها من نعوت المكان.

الفضاء اصطلاحاً

هو مجموعة من الأشياء المتجانسة ظواهر وحالات ووظائف وصور ودلالات متغيرة، تقوم بينهما علاقات شبيهة بتلك العلاقات المكانية المعتادة (كالاتداد والمسافة)³، والمفهوم الاصطلاحي الاقرب والاعم هو الذي يشير إلى " عبارة عن مجموعة الامكنة الموجودة في النص السردى"⁴.

أما المكان "هو الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقية ساكنيه وأفكارهم ووعيهم، فهو بمثابة القرطاس المرئي والقريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه، وعن طريق الأماكن نستطيع أن نقرأ قراءة سيكولوجية

¹ ط: محو الحياة في مراثي الفراشات للشاعر نجم عذوف، عامر موسى الشيخ، الحوار المتمدن، العدد 6745، 2020.

² لسان العرب، ابن منظور، 157.

³ الفضاء الروائي في أبد جبرا ، جبرا إبراهيم، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2013م، ص23.

⁴ النص السردى، 64.

لساكنيه وطريقة حياتهم وكيفية التعامل مع الطبيعة¹، إذ ترتبط مشاعر الإنسان مع بعض الأماكن بعلاقة سلبية أحياناً، إذا كان غير منقاد للشروط الإنسانية التي بدورها أن تحدد الروابط أو العلاقات الذاتية، فالذات الحاملة لهذه الأمكنة، تدرك أنها محاصرة ، وفي هذه الحالة يصبح المكان أحد الدواعي الباعثة على الهدوء والطمأنينة والمنادمة، فينجم عن ذلك توتر دائم وصراع مستمر بين الذات الباحثة عن استقرارها، ومكان ينسخ هذه الابعاد واستلابها، وبذلك يكون هادماً للذات لا لتكوينها²، ما تدفع الشاعر إلى أن يعيد تشكيل المكان على وفق انفعالاته، لأنّ التشكيل المكاني معناه إخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجاتها، فوقتها يتلاعب الشاعر بصور الطبيعة وفقاً لتصويراته الخاصة، إذا رأى أنّ هذا هو الأسلوب الأصديق في التعبير عن نفسه³.

ثانياً: - الفرق بين المكان الواقعي والنفسي والرمزي

لأبد لنا أن نبين هناك ثمة فرق بين هذه الانواع من الامكنة، فالمكان الواقعي يعد التمثل الموضوعي للواقع الاجتماعي⁴، لأنه يرسم صورة للإنسان في شموله وللمجتمع في عمومه دون أن تنحصر في المظاهر الجزئية، إذ انحصار زاوية الرؤية بمعايير ناقصة لا يؤدي إلا إلى الافتقار والتشويه⁵

أما المكان النفسي هو فترات حقيقية للأفكار والمشاعر والحدوس، إذ تنشأ بين الشخصية والمكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر وبشكل يظهر فيه المكان معبراً عن نفسية الشخصية، ومنسجماً مع رؤيتها للكون والحياة وحاملاً لبعض الأفكار⁶، لذلك مصطلح المكان النفسي ينطلق بين من ثمة العلاقة المتفاعلة بين (المكان والشخصية)، إذ إن المكان يكتسب دلالاته ومفاهيمه من الشخصية التي تعيش في حيزه وتتفاعل معه ويكون ادراكها له إدراكاً حسيّاً يتجلى في مشاعرها وتصوراتها لعوالمها الداخلية

¹ الرواية والمكان، ياسين النصير: 16.

² ظ: جماليات المكان في الشعر الاندلسي دراسة تحليلية لنصوص مختارة ، ميس عبد العظيم: 84. (رسالة ماجستير)

³ ظ: التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل: 57.

⁴ مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك، ترجمة محمد عصفور ، عالم المعرفة، الكويت، د.ط ، 1987م، 197.

⁵ منهج الواقعية في الابداع الادبي، صلاح فضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، دت.

⁶ بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن ، الشخصية) حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990م، ص29.

المادية وغير المادية على حد سواء؛ وإن الشخصية تفترض أهمية مميزة للمكان في بنية الخطاب الشعري كونه يمثل فعلاً أو عنصراً رئيساً ومثيراً في إظهار خصائصها، وما يخفى من سلوكياتها وعلاقاتها ومفاهيمها، أي يظهر أثر المكان النفسي على الشخصية وفق النظام اللغوي الذي يمثل لغة مشاعر واحاسيس وتجسيد لكل ما يتمثل لها اتجاه المكان لغة مشاعر واحاسيس وتجسيد لكل ما يتمثل لها اتجاه المكان، لغة تقابل اللامحسوس بعالم المحسوسات¹.

أما المكان الرمزي هو من أهم الروافد المؤثرة في النتاج الأدبي بأنواعها المختلفة من شعر ونثر ورواية ومسرح، ويهدف الأديب في توظيفه للرمز أن يتخلص من المباشرة عن طريق الإيحاء².

، ولا بد لنا أن نشير إلى التباين بين هذه الأنواع الثلاثة، فالأمكنة الواقعية هي مواقع مادية ملموسة مثل المدينة والشارع والمنزل، وبالإمكان تحديدها ورؤيتها في العالم الحقيقي، أما الأماكن الرمزية هي أماكن تحمل بين طياتها معان ودلالات عميقة وتوظف لكي تمثل أفكار ومشاعر أو حالات نفسية معينة، أما المكان النفسي هو المرآة التي تعكس الحالة الشخصية الداخلية وتتأثر بمزاج الشخص وعواطفه.

النظريات النقدية التي تناولت الفضاء الشعري

أخذ الفضاء الشعري حيزاً واسعاً من الدراسات لدى العديد من النقاد والكتاب الغرب والعرب؛ لما يشكل من دور أساس في الفكر الإنساني، والذي يتطور بتطور طبيعة الدراسة بين الحين والآخر، لارتباطه بجوهر الحياة المتغيرة، ومن أهم هذه الدراسات التي أهتمت بدراسته هي دراسة الناقد غاستون باشلار، فكانت رؤيته لهذا المفهوم هو أن الإنسان بدون الفضاء يصبح كائن مفتت لا استقرار له بقوله "البيت هو ركننا في العالم، إنه كما قيل مراراً كوننا الأول كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى"، كما أكد باشلار أن الفضاء يركز على عنصرين أساسيين هما المكان والزمان، إذ يتلازمان في الفضاء الأدبي ويكمل بعضهما الآخر³، وعرفه الناقد الروسي يوري لوتمان في كتابه (بناء النص الفني) بأنه: "مجموعة من الأشياء

¹ المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا، وليد شاكر، تموز للطباعة والنشر، دمشق، 2014م، 18-19.

² ظ: المكان في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، ضحى ثامر محمد الجبوري، جامعة كربلاء، 2015م، 113.

³ ظ: الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم، إبراهيم جنداري، تموز للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2013م، 26.

المتجانسة ظواهر وحالات ووظائف وصور ودلالات متغيرة تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المعتادة كالامتداد والمسافة¹.

المبحث الثاني/ انماط الفضاء المكاني في ديوان مراثي الفراشات

أولاً:- المكان الداخلي (النفسي)

إن العلاقة بين الإنسان والمكان هي علاقة قائمة على مفهوم التأثير والتأثير فإن " التشكيل الجغرافي بوصفه مدركاً إنسانياً، يألفه الانسان أو ينفر منه؛ يكشف عن أغوار النفس الانسانية ، فإن البعد النفسي، هو ذلك البعد العاكس لما يثيره المكان من انفعال سلبي أو ايجابي، في نفس الحال"²، ومن هنا سنوضح هذه الانماط في ديوان مراثي الفراشات ، ويكون حديثنا عن المكان" الذي يتحرك الفرد في دوائر متداخلة من الأماكن تتدرج من الخاص شديد الخصوصية (غرفة النوم) إلى العام المشاع بين كل الناس (الشارع)، ولكل من كل هذه الأماكن دلالتها"، وأن هذا النوع من الأمكنة تكون العلاقة الشخصية فيه أكثر حميمة فهو مسرح الاحداث ومكانها الضيق، كما أن لا يتمكن الشاعر أن يقيم حواراً فكرياً بين شخصياته ما لم يعتمد إلى مسرحه المكان الذي أن يخلق صراعاً بين الافكار ، فحس المكان في النفس البشرية هو حس أصيل ينبع من الحياة الجماعية التي يحياها الفرد في البيت، إذ يكون جزءاً من جماعة بشرية غير منسلخ عنها، وهذا الشعور بالانتماء إلى الجماعة الذي يشكل البيت أجمل صورة قريبة أو أكثر وضوحاً في أحيان ولكنها قد تتحول إلى النقيض بسبب مؤثرات خارجية مصدرها شيء آخر³.

ونرى الشاعر يوظف هذا النوع من الأمكنة في نصه إذ يقول⁴:-

ظلي الشائخ يتطاوّل عبر الطرق النافرة،

ثلاً غيمةً تظلل وحشته العارية

¹ المصدر نفسه، 33.

² استراتيجية المكان، مصطفى الهميع، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ، مصر، ط2، 2018م، ص76.

³ ظ: أنواع المكان الروائي وبناءه ودلالاته في رواية مرسى فاطمة لحجي جابر دراسة سيمائية، د. سعدية موسى عمر البشير، المجلة الالكترونية الشاملة، العدد الواحد والاربعون، 2021م، 11-12.

⁴ مراثي الفراشات، شعر نجم عذوف، دار تموز ، دمشق، 2017م، 11.

ولا شواطئ تمنحه موجة صغيرة

هذا أنا ... شبخ الضوء الغريب ينفذ عبر النوافذ الغريبة

أراقب بقايا الذاكرة المكسورة تصطاد الغروب على حافة الضوء

في أرض جدباء

تغرق في اليأس المقدس

حزينة تلك الطرقات

التي تشبه دموعنا المتناقلة الغريبة

شكلت هذه القصيدة بأكملها فضاءً داخلياً مكثفاً حتى وإن كانت تصف بعض المشاهد الخارجية، فالأماكن المذكورة فيها ليس جغرافية، وإنما هي استعارات لحالات الوجود الداخلي، فهنا ذكر الطرق النافرة هي مسارات الذاكرة، الأفكار، المشاعر، المتعرجة والصعبة داخل مخيلة الشاعر توجي إلى الوعة النفسية وعدم الاستقرار، ثم ذكر وحشته العارية، فهنا ليست مجرد شعور بل هو فضاء ملموس هنا لفظة (عارية) إشارة إلى فراغ قاحل متجرد من أي ستر أو دفء داخلي أي صحراء النفس (حافة الضوء) المرأة الموحشة، أرض جدباء، اليأس المقدس، الطرقات (هذه العبارات كلها استعارات لكي تصف لنا حالة داخلية عاشها الشاعر في ذاكرته تمثلت في مشاعر الوحدة واليأس ومرور الزمن، كما رسمت لنا طريقة مكانية لنفسيته بأن الطرق التي سلكها وعره وصحاري قاحلة عكست لنا الفراغ، كما شكلت هذه الامكنة الداخلية سجناً وجودياً، لا مفر منه من الطرق النافرة ولا خلاص من الجدباء، ولا انقاذ من الغرق في محيط اليأس، وبلك جسد الشاعر هذه المشاعر والذكريات والزمن إلى أمكنة مادية ملموسة وقاسية عاش فيها ويراقبها.

بعدها ينتقل إلى نص آخر يجسد فيه المكان النفسي اذ يقول¹:

على تخوم المقهى القديم

جمعتها غيمة بيضاء وأشرعة لزوارق ثملة

يدرك أن الصوت مشاكس للرؤيا الخائفة

على تخوم المقهى القديم

تفرأ أزمنة إلى الحانة القريبة،

¹ مراثي الفراشات، 28.

التي تغص بضجيج الكؤوس وآهات المغني
وهناك في زاوية أخرى تتكدس حشرات ضلت طريقها
تقلب بصرها بين الجثث الهزيلة،
لعلها تمسك بهلوسة الشمعدان المكسو بالجمر

المقهى هنا اوحى إلى مكان داخلي شبه مغلق الذي يرمز مكاناً للذكرى والانغلاق عليها وانعدام الحاضر أما الماضي ووجوده على تخوم جعله منطقة عبور بين الداخل والخارج بين الذاكرة والواقع ثم ينتقل إلى قوله (الكفيف الذي يتلمس الحياة الغاطسة في العتمة)، يضعنا الشاعر في مكان داخلي مظلم حسي، إذ لا يرى سوى ما يلمس ويتخيل والدلالات الداخلية التي أشار إليها فهو جد التجربة الوجودية الكفيف الذي لا يرى الا من خلال الصوت والاحساس وما يعمق من شعور التغيير والانغلاق، كما ذكر الشاعر الحانة التي اوحى بمعناها إلى محاولة الهروب من الخواء لكي تتضج بالبؤس والضياغ، بعدها نجده يشير الى لفظة الزاوية التي رمزت إلى التهميش والسقوط من الزمن، والركن الذي تتراكم فيه المشاعر المكبوتة والندم، وهناك أمكنة ذكرها في نصه الشمعدان المكسو بالجمر الذي رمز الى الموت والانطفاء أو الامل والانطفاء والامل الخافت مما عكست حالة نفسية مكانياً متأزمة .

ثانياً: - الفضاء الخارجي

أن أهم ما يميز به هذا الفضاء بأنه يسمح للأشخاص التنقل الواسع بين أطرافه وامكنته، كفضاءات المدن والشوارع التي تتيح الانتقال بين طرفيها بحرية تامة دون قيد أو عقبة، فالأماكن المفتوحة ترتبط علاقتها بالتغيرات التي تحصل في المجتمع، والعلاقات الانسانية والاجتماعية وابعاد تفاعلها مع المكان، فالمكان الخارجي هو عكس المكان الداخلي؛ لأنه يعبر عن مساحات واسعة يجهل الانسان مداها وسعتها، فهي توحى بالمجهول كالبهار والنهار، واحيانا توحى بالسلبية كالمدينة وصخبها وضجيجها وما ينجم عنها¹، ومن النصوص التي وظف فيها الشاعر هذا النوع من الأمكنة نجده يقول²:

¹ الفضاء في شعر واءو الدمشقي، ص38.

² مراثي الفراشات، 18

بهدهوء أرثي الغيمة وأوقظ النهر الهلع من الجفاف

للعاصفة حنجرة المتاهة

وهذيان مراكب لملكة الموج

لسواحل صدئة تتكسر تحت حوافر الموجه

تتلو صلاتها خجلة من محراب الالهة النائمة في اليأس

تضمن هذا المقطع الشعري فضاء مكانياً خارجياً غنياً بالرموز والدلالات وتتمثل في صور الطبيعة والمكان المفتوح مثل (الغيمة، الدهر، العاصفة، القوافل، الجذع، الخ)، فاستهل الشاعر النص بصورة خارجية مرتبطة بالمطر والنهر، ولكنها لا تبعث على الطمأنينة، بل حملت قلق الجفاف والموت، مما عكست حالة روحية داخلية ممزقة، كما أن ذكر الشاعر لمفردات متعلقة بالبحر، (هذيان المراكب ، النوارس المغرمة بالحلم)، " فالبحر والمرافئ والنوارس ليست صوراً طبيعية ، بل أبعاد وجودية ... رموز لحلم مفقود ، واغتراب دائم"¹، كلها أشارت إلى فضاء دائم الحركة والقلق وعدم الاستقرار مما يدل على أنه يفقد ثباته ومكانته الحامية، فتجلى هذا الفضاء في النص بوصفه مسرحاً عكس الانهيار الداخلي والقلق الوجودي للذات المتكلمة، كما توزعت مكوناته بين الطبيعة المضطربة (النهر، الغيم، الموجه النوارس)، والمكان التاريخي المشوه (العربات ، السواحل، القوافل، محراب الالهة) ، فهنا المكان يتحرر من صياده ليصبح كياناً نابضاً بالخوف والتآكل، والعجز عن تحقيق الأمان أو الانتماء ، كما أنه هنا لا يحتضن بل يطارد الذات ويفقدها القدرة على الاستقرار، مما يجعل من النص تمثيلاً شعرياً لمأساة التشظي في واقع مادي وروحي مضطرب.

بعدها ينتقل الى نص اخر يوظف فيه هذا النوع من الامكنة إذ يقول فيه²:

دع قصائدك تدفئ ليل اغترابنا،

وامنح مرافئ الحلم وسادة الحنين

ظلك الذي يشبه نخلة لجنوبنا،

مازال يحتضن عش الحمام ويمنحه الامان

¹ الرؤيا والابداع الفني في الشعر العربي الحديث، كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط1، 1979م، ص88.

²مراثي الفراشات، 36.

كتبت على الذاكرة مراشي لأضرحة الريح،
فأيقظت من رحلوا بأجفان الليل والحلم الخائف
روحي التي تركتها قبل ثلاثين عاما على أرصفة بغداد
مازالت تنام أمام مقهى (حجي خليل) في الميدان
وما زالت تسرق شيئاً من (كعك السيد)
وتسرق الكتب من مكتبة (النهضة العربية)
حينما زرت العراق مؤخراً،

يتضح لنا من خلال هذه الابيات أن الفضاء المكاني الخارجي لا يعد مجرد خلفية سردية للأحداث، بل يتحول إلى محمل أساسي للمشاعر والانفعالات، كما أن نلاحظ تتجسد هذه الامكنة الواقعية في بغداد، باعتبارها معادلاً موضوعياً للهوية، وتستحضر لا بوصفها معالم جغرافية فحسب، بل وصفها بؤراً دلالية توطر تجربة الاغتراب والحنين، ويظهر التفاعل بين الذات والمكان نزعة ساخنة تشي بتثبيت الذاكرة بالموطن الأول، رغم بعد المسافة وتغير الزمان، بذلك يسهم الفضاء المكاني الخارجي في اثراء المعنى ، وتجسيد البعد الانساني لتجربة المنفى والحنين ، وهي من السمات البارزة في أدب الاغتراب العربي المعاصر" فالمكان في النصوص الاغترابية ليس وعاءً فارغاً تكب فيه الاحداث، بل هو كائن يحتفظ بذاكرة الذات، ويتحول إلى مرآة لقلقها، وتشوقها، وحنينها إلى الاصل"¹.

ثالثاً: - الفضاء المتخيل

استناداً من كون النص الشعري هو لعبة لغوية تتكون من دوال لغوية مختلفة، فإنه يغدو بذلك فضاء نصياً مفتوحاً على جميع الجبهات القرائية التأويلية، فهو نص مغامر جريء، يحاول يتجاوز الواقع والمألوف لا يعترف بالحقيقة المباشرة ولا يرضى بالخطية والابتذال، لهذا بالإمكان أن نقول أن الفضاء لا يتشكل وفق تجلياته البصرية وإنما هو عبارة عن علامات مرجعية لها امتدادها بالمتخيل وبالتأملات اللغوية أيضاً. فالفضاء المتخيل أو الخفيفة تنزاح عن واقعيتها المرجعية لتستقر في اللامتعين، أي أنها تتخذ من الخيال الذهني والتأملات والتصورات ملاذاً خفياً يغنيها عن الواقع، لذلك بالإمكان أن نقول أن الفضاء

¹ البنية الفنية في أدب المنفى، إبراهيم السعافين، مجلة فصول، العدد 2، 1996، ص87.

المتخيل " بناءً ذهني، أي أنه نتاج فكري بالدرجة الأولى، أي ليس إنتاجاً مادياً، في حين أن الواقع هو معطى حقيقي وموضوعي " فإذن " المتخيل يحيل على الواقع ويستند إليه في حين أن الواقع يحيل على ذاته"¹، وما دامت هذه الفضاءات مستمدة من الواقع المعاش الذي يحوي كيان شعري فإنها ستتجذر في ذاته، ومن ثم تصب في العمل الأدبي عبر قناة الخيال، فتظهر الفضاءات الواقعية متجسدة بشكل آخر، أي أنها ذات معطيات إيحائية مصطبغة بوشاح التأمّلات، وهذا ما يؤكد أن الفضاء الخفي يتجسد عبر اليات معينة، وهي برمتها تغير عملية ابتكارية، تسعى جاهدة تحت تأثير الظروف لأن تخلص العالم الواقعي من ابتذاليته لترقى به إلى المتخيل " فهو لا يرتبط بأنه بنية محددة ، لأنه ينزلق نحو ما يسمى عادة المعنى، وذلك المعنى المجازي للكلمة"²

ومن النصوص الشعرية التي جسد فيها الشاعر هذا النوع من الامكنة قوله³:

يتواثب أمامي المساء كنخلة تستغيث بالنواخير

وتخبئ أنفاسها تحت وحل الهزيمة

سألقي وشاح الشهوة في حجر النخلة

الصخب يخلع حدود الكائن

ويستبيح شهوة الينابيع المرمية

ففي البيت الاول يعاد تشكيل " المساء " كمكان يتجاوز الواقع المحسوس ليتماشى مع كائن أنثوي جريح، والنخلة بوصفها رمزاً للمكان الجغرافي (البيئة العراقية الجنوبية)، فهي بذاتها كياناً ذا ابعاد تخيل، يستغيث ويئن، فالمكان هنا لا يحيل إلى موقع جغرافي ثابت، بل يصاغ من خلال اللغة باعتباره فضاء نفسياً وجمالياً يعكس انكسار الذات الشاعرة وتوقها للخلاص، بعدها ينتقل إلى بيت آخر يحيل فيه المكان إلى كائن حي له جسد وشهوة وحدود، وهذا ما يعرف بالفضاء المتخيل، إذ يتداخل الذات والواقع عبر استعارات كثيفة، تحول الأشياء إلى رموز نفسية وأسطورية فالنخلة والينابيع لم تعد كيانات طبيعية، بل تجسيدات لرغبات،

¹ فضاء المتخيل، حسين خمري (مقاربات في الرواية)، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، 2002م، 42.

² المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، آمنة بلعلي، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، ط2، د.ت. ، 18.

³ مراثي الفراشات ، 14.

وايحاءات لحالات داخلية قلقة، وهذا ما يتفق مع رأي ميشال فوكوفي تصوره عن (الفضاءات الأخرى أو الهيروتوبيا)، بعدها ينتقل إلى نص آخر يقول فيه¹:

تنطفئ كفجر معتم

أيتها السنوات المثقلة بالموت والخراب

أتركي شبابيك الغرابة وتخيلاتنا مفتوحة

أينما تتجه ثمّة خراب وثمة منحرف وصحراء ملتهبة

في مآقي القمر دمعاً مهیضة الجناح تنساب من الليل،

كطائرٍ عابرٍ للحزنٍ مثقلاً بالأسى

نجد في هذا المقطع الشعري يحول الشاعر الفضاء المكاني إلى كيان لا يعطى من الخارج، بل يبنى من الداخل، عبر رؤية شعرية تتوسل الخيال والأسطورة والرمز، تنطفئ كفجر معتم أيتها السنوات المثقلة بالموت والخراب، اظهر تحول الزمن إلى مكان متخيل يحمل صفات الخراب والموت، ويكتسب شكلاً محسوساً- لكنه خيالي- للزمن كمكان مشوه، هنا لا يعود (الزمن) مفهوماً مجرداً، بل فضاء مظلماً خانقاً يحيط بالشاعر ويثقل عليه، كما لو أنه يقيم في ضرائب الذاكرة والامل، ومن ثم نجده يقول (أتركي شبابيك الغرابة..)، فهنا يتكثف الفضاء المتخيل عبر مفردات واقعية (شبابيك الغرابة، الغريزة المحتضرة، الدمعة الكسولة، ركام الضوء)، كلها صبت ضمن فضاء ذهني يتداخل فيه مستويات الزمان والمكان والذات، فالشبابيك ليست مادية، بل هي نوافذ للوعي الممزق والغريزة خلقت جدران الواقعية بل عملت تراكمات وجدانية، بعدها يذكر (ثمّة خراب..)، هنا يبلغ التخيل ذروته، فالقمر هنا ليس جرماً سماوياً، بل هو فضاء داخلي متجسد يحمل (صحراء)، فاندماج المكان مع الكائن، وهذا ما يسميه غاستون باشلار ب(الشعرية المتخيلة للمكان) إذ يقول: "البيت، القمر، النافذة ليست أماكن فيزيائية بل فضاءات للذات، يقطنها الخيال ويشيدها الحنين"²

¹مراثي الفراشات، 12.

² جماليات المكان، باشلار غاستون، دار الفارابي، 1993، 44.

المبحث الثالث / وظيفة الفضاء المكاني في تشكيل المعنى

المحور الأول/ البعد النفسي للمكان في النص الشعري

بالنظر إلى إشعار (نجم عذوف)، وجدت أنه إذا أولى اهتماماً أساسياً للأمكنة التي لها دلالات وأبعاد نفسية متعددة، ولها في الوقت نفسه أثراً في حياته الشخصية، كما أن أكثر الدلالات التي حظيت بها الأشخاص بسبب المكان، هي دلالات السكنية والطمأنينة.

المكان هو ليس ذلك العالم المادي الذي يقيم فيه الشاعر ويحاول تغييره حسب ما يرغب، وإنما هو مجموعة من العلاقات والمشاعر والاحاسيس المخترنة في ذاكرة الشاعر، إذ أنه يُوظف هذه الاحاسيس والمشاعر ضمن علاقة ممزوجة بأبعاد تاريخية ونفسية واجتماعية ودينية، مما يظهر في نصوصه الشعرية عبارة عن دلائل متعددة ذات طابع جمالي¹، يلزم الإنسان المكان منذ ولادته إلى رحيله، فهو يعيش فيه ومعه، ولا يمكن له الاستغناء عنه؛ لأنه يحتويه، كما أنه يحميه ويحافظ على خصوصية مع الآخرين، فليس المكان إذن، ذلك المعطى الخارجي المحايد الذي تعبره دون أن نأبه وإنما المكان الحياة

ومن النصوص التي تركت أثر نفسي في نفس الشاعر نجده يقول²:

ائتمرت حياتنا بالموجه

التي تشاغلها الصواري المأخوذة بالعاصفة

تغرق في فراغ البحر الغامض

في هذا المقطع حول الشاعر الطبيعة المتمثلة ب(البحر، الموج، الصواري، العاصفة) إلى مرآة داخلية للنفس؛ ف(الموجه) ترمز إلى التحولات المفاجئة والصراعات الداخلية التي يعاني منها الشاعر والتي دفعت بذاته نحو (فراغ البحر الغامض) الذي بدوره يمثل الضياع الوجودي واللايقين.

¹ انظر: الأبعاد النفسية والاجتماعية للمكان وأثرها على الشخصيات في العمل الإبداعي للروائي محمد مفلح، دهيني هانيه، مجلة التميز، المجلد 4، العدد 1، 2022، 56.

² مراثي الفراشات ، 7.

بعدها ينتقل إلى قوله (الصواري) المأخوذة بالعاصفة توحى بحالة من الاستسلام والاضطراب الداخلي، إذ شخصت الطبيعة لتكون شاهدة على تشظي الانسان في صراعه مع العاصفة، والتي رمزت إلى الذكريات أو اشارت إلى الاحداث الماضية التي عصفت الوجدان، إذ يقول الناقد الادبي غاستون باشلار "إن المكان ليس حاوية للذكريات فحسب، بل هو شريك فعّال في بناء الوجدان والتوتر الداخلي، إذ تتقاطع فيه الجغرافيا مع خيالنا وعاطفتنا"¹، وبناء على ذلك يمكننا القول إن البحر هنا ليس فضاءً مائياً، بل هو مسرح داخلي يمثل الحيرة والاعتراب، والصواري ليست أعمدة خشبية بل رمز للذوات المأخوذة بالنية، لذلك اعتمد الشاعر في نصه على تشخيص المكان بوصفه انعكاساً لنفسيته، مستعيناً بالرمزية والطبيعة لتحميل الواقع الخارجي دلالات نفسية داخلية، إذ إشار باشلار الى هذه العلاقة المتبادلة بين الجغرافيا والذات، إذ تصبح الطبيعة ذات وظيفة معرفية وعاطفية، لا مجرد خلفية لوصف شعري.

بعدها ينتقل إلى مقطع آخر يوظف فيه البعد النفسي للمكان إذ يقول²:

أجتاز سرداب الترائب المسترخي على ضباب الجسد،

وأنبت الحلم المتطاير كالريش

بهدهوءٍ أمسح آثاري قبل يقظة النهار

في هذا المقطع وضح لنا الشاعر أن المكان ليس خارجياً، بل داخلي، وجودي، متخيل، ف (سرداب الترائب) و(ضباب الجسد) اشارت إلى الذات الباطنية، وكأنه يعبر في ممر داخلي يسكن الجسد والوجدان، لا مدينة أو وادٍ واقعي، "فالأمكنة في الشعر تتحول إلى امتدادات للذات، فكل سرداب أو طريق أو عتبة ليست الا حالة شعورياً أو تحولاً نفسياً"³، بعدها ينتقل الى قوله⁴:

إلى ذؤابات الوحدة الحجرية

رويداً، رويداً،

¹ جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا، 92.

² مراشي الفراشات، 4 .

³ المكان بوصفه تجربة شعورية قراءة في شعرية الفضاء الشعري العربي الحديث، يوسف الادريسي، مجلة علامة، العدد67، 2018م،.

⁴ مراشي الفراشات، 4.

ففي هذا النص اتجه الشاعر إلى مكان السمة الوحدة الحجرية التي حملت دلالة قاسية ومغلقة، فالوحدة تصف عزلة داخلية والحجرية أضافت صفتي الجمود والقسوة، مما جعلت المكان تجسيدا لأقصى حالات النفس المتمثلة بالانفعال، الصمت الوحشة. ثم يقول¹:

التحم مع جسد الشعر

جرني العويل ككاهن يتعبد في الحزن

هنا الشاعر وصف لنا التحام جسده مع جسد الشجر، وهذا الشعور وصف لنا ذوبان الذات في الطبيعة، وهو نوع من الهروب الواقعي وربما يكون بديلاً للام أو الحبيب أو الذات الأخرى "فالشجرة ليست كائناً نباتياً في الشعر، أنها صدور رغبة وذاكره، إنها ذات"².

المحور الثاني/ الفضاء المكاني ودوره في بناء الصورة الشعرية

أن المكان في الأدب هو تشكيل رؤية وليس مساحة ذات أبعاد هندسية، فان توظيف البنى المكانية في الأدب بين الشعر والأدب لا تحتوي الحديث والشخصية وإنما يكون جزءاً متمماً أي أنه جزء من التعبير الشعري، فالشعرية تبدو أجلى صورها ليس في القول الملفوظ أو المكتوب فحسب بل نجدها في الشكل والهيئة في الإنسان والطبيعة ومكوناتها، وأن أهم ما يميز شعرية المكان أو توظيف المكان شعرياً، أنه يقع بين زاويتين هما زاوية التشكيل الشعري وزاوية التأمل، فضمن الزاوية الأولى تتشكل وفقاً لرؤية شعرية غالباً ما يتحكم فيها الخيال؛ ليمنحها بعداً تأثيراً جمالياً، أما الزاوية الأخرى يكون لأحاسيس المتلقي ورؤيته الذوقية واسسه النقدية أثر في صياغة تجربة الشاعر وبهذا يكون المكان المدمج في بنية القصيدة منفثاً على عالم التخيل عند المتلقي³.

إن المكان الشعري الحديث لم يتغير على مستوى نوعيته فقط، بل تعدى ذلك أيضاً إلى تغيير الوظيفة الشعرية نفسها للمكان داخل نصه، إذ تحددت شعرية المكان القديم بالذات في الابدالات الممكنة لعلاقة

¹ مراثي الفراشات، 4.

² سياسة الشعر، أدونيس، ترجمة: علي أحمد سعيد، دار الآداب، بيروت، 1985م، 35- 45.

³ فاعلية المكان في الصورة الشعرية سيقيات المتنبّي انموذجاً، د. علي متعب، منى شفيق توفيق، 89.

الذات بالمكان، في حين بقي المكان نفسه في حدود معينة لوضعه المرجعي، أما في الشعر الحديث فطال التغيير هوية المكان والعلاقة به معاً، لم يعد الشاعر يكتفي برصد صورة المكان أو التقديم التخيلي للعلاقة به، إذ أصبح أما عتبة لما بعد المكان من محتمل، أو مكاناً إشكالياً يوضع موضع سؤال لا إجابة عنه، فعلاقة الشاعر بالمكان الواقعي علاقة تناوب وتناظر يتحول بها المكان في تلقي الشاعر له إلى هاوية فراغ وتيه¹.

لذا نجد الشاعر يقول شعره في هذا الخصوص²:

عكاز

تحت جذع الشجرة الخاوي ينام الغرباء

نسوا أسماءهم في القوارب التي التهمها البحار

ستدفن المدن في فواجعها

ستدفن رفات الطرق المقتولة

وتذكروا المدن القصية المدفونة في جمرات المأساة

يمثل الفضاء المكاني دوراً جوهرياً في تشكيل البنى الدلالية والصور الشعرية، إذ يتحول المكان من مجرد إطار خارجي إلى عنصر فعال يعبر عن التمزق، الغربة، الفقد الانهيار القيمي، ففي الشطر الأول مكان تموضع الغريب في مكان ميت، وهنا أشارت الخبرة الخاوية إلى انعدام الحياة، كذلك مفردة (تحتها) أدلت على الاستسلام والانكسار وبهذا يتشكل انطلاقة لصورة الاغتراب وعدمية الانتماء، بعدها ينتقل إلى شطر آخر موظفا الصورة الشعرية (نسوا)، فهنا يتحول البحر إلى فضاء عدواني يبتلع القوارب، ويدلي إلى الفقد والضياح، وبذلك استطاع الشاعر بنصه أن يمثل الفضاء المكاني ركيزة أساسية في اكتمال الصورة الشعرية، فهو ل يكتفي بوصف المكان، إنما يحمله أبعاداً رمزية ونفسية تتعكس على دلالة النص الكلية (الشجرة الخاوية)، والقوارب الملتهمة، والمدن العاهرة، والمقابر، شكلت أماكن موت وانكسار وتفسخ، ومثلت واقعا مأزوماً يعيشه الغرباء والفقراء والشعراء على حد السواء، فالمدن تشيء إلى صفات اخلاقية

¹ الصورة المكانية الشعرية، رشيد يحيوي، مقال منشور في مجلة نزوى، سلطنة عمان، 2008م.

² مراشي الفراشات، 65.

يصبح الفضاء معها أكثر من حيز جغرافياً، بل تجسيدا لمأساة حضارية ونفسية، فاصبح الفضاء المكاني في هذا النص وسيلة لإبراز الابعاد النفسية والاجتماعية للذات المهمشة، إذ تتقاطع الدلالات مع معاناة الغريب والفقر، فالأمكنة (الشجرة الخاوية، المدن العاهرة) تجسد انهيار الذاكرة الجماعية واستلاب الانسان في واقعه المأساوي ، فالشاعر في نصه حمل الفضاء بعداً سردياً ليتجاوز الوصف " فالفضاء الشعري لا يتحدد بخارطة جغرافية، بل بتوترات الدلالة وانفعالات الذات مما يمنحه طاقة رمزية تتجاوز المعنى الظاهري للنص"¹

بعدها ينتقل الى نص آخر يقول فيه²:

خذ أباريقك المتوكئة على الشرفات

ستمر رسائل المحارب يحملها

تُضيء سرير النساء الدافئات،

تخطو إلى شباك عاشقين احرقا عذرية البؤس

يتجلى الفضاء المكاني في هذا المقطع الشعري كعنصر بناء محوري فهو لا يكتفي بكونه إطاراً للأحداث، بل يتحول إلى عنصر دلالي ينبغي بفعل طاقات الصورة الشعرية ويكشف شحناتها الرمزية ف (الشرفات، وسرير النساء، وشباك عاشقين) ليست أماكن جامدة، بل تتلبس بدلالات شعورية نابغة من تفاعل الذات مع العالم المحيط، فالشرفات مثلت فضاء شعري مضيء حاملة معه رسائل المحارب، مانح المكان وظيفة رمزية مزدوجة الاحتضان والبوح، ثم تمتد الصورة إلى فضاء خاص (سرير النساء) الذي يشير بدلالة رسائل المحارب، مما يخلق توازناً دقيقاً بين الفضاء العام والحميمي، وبناء على ذلك أصبح المكان مرآة للمشاعر والهواجس ويؤدي دور الراوي الصامت الذي يحتفظ بآثار الأحداث والعلاقات، فالصورة الشعرية ليست مستقلة عن المكان، بل تتخلق منه وتتغذى على تفاصيله، قائلاً "الفضاء في القصيدة الحديثة يتجاوز السياق الجغرافي ليعبر عن تمزقات الذات وتطلعاتها"³

¹ الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية، عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5، 2004، 147.

² مراثي الفراشات، 60.

³ بلاغة الخطاب وعلم النفس، فضل صلاح، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1993م، 131.

المحور الثالث/ العلاقة بين المكان والزمن في شعره

شهدت اشعار نجم عذوف تحولات في الزمان والمكان حتى عدت ظاهرة بارزة في ديوان مراثي الفراشات، فالزمان هو " التحقق الفعلي للإنسان، وهو بالتالي المشكل لوجودنا، بمعنى إننا نحس بوجودنا وأهميته من خلال شعورنا بماضينا وبما اكتسبناه في ذلك الماضي من تجارب وخبرات"، وهذه ناحية مرتبطة بشكل أساسي (بالذاكرة)، فالإنسان لا يعرف من هو يكتسب أهميته عند نفسه وعند الآخرين¹.

العلاقة الثنائية للزمان والمكان في القصيدة العربية الحديثة تعد محركاً للدلالات النصية كما أن الزمان والمكان هما صيرورة متكاملة في الكشف النصي، بل صيرورة رؤيوية متلاحمة في التحفيز النصي، ولما كان المكان هو المساحة التي تنعكس عليها الأحداث الزمانية، بوصفها نقطة تحفيز المكان وتحولاته، فخصوصية المكان تكمن في المؤثر الزمني، وخصوصية المكان تكمن في المؤثر المكاني، تبعاً لعلاقة الألفة التي تجمع بينهما²، كما يعد " المكان القرين الضروري للزمان فعند الإشارة لقضية محددة لا بد النظر إليها من منظورين المكان والزمان، لأن فكرة الزمن دائماً تتسجم مع فكرة المكان (نبحث عن مصدره)، فيتجسد كلاهما في بعض دون الفصل بينهما، فالعلاقة بين العنصرين علاقة جدلية تقوم على إخضاع أحد العنصرين لعوامل العنصر الآخر، فيلتصق الزمان بالمكان في العمل الأدبي حتى يصبحان كأنهما وجهان لعملة واحدة³، أظهرت جدلية المكان الزمان في شعر نجم عذوف تماهياً عميقاً بين التجربة الشعرية والبعد الفلسفي، فالزمان عنده ليس مجرد وتقويم، ولا المكان مجرد جغرافيا، بل كلاهما يتحولان إلى أدوات لتشكيل الصورة الشعرية والبوح الوجداني، مما أسهمت هذه الجدلية في خلق فضاء شعري متوتر بين الحنين والانكسار، وبين الاستعادة والانمحاء، وأضاف إلى شعره مجالاً خصباً لتحليل البنى النفسية والجمالية للقصيدة العربية المعاصرة، فثنائية الثبات والحركة بين المكان والزمان في ديوانه مثلت مدخلاً نقدياً مهماً لفهم البنى العميقة في شعره، إذ تتقاطع هذه الثنائية لكي تتشكل رؤية الشاعر الوجودية، فالثبات في شعره

¹ الزمن في الأدب، هانز مير هوف، ترجمة د. أسعد رزوق، مراجعة العوض الوكيل، مطابع سجل العرب، دار الكتب، القاهرة، د.ط، 1972م، 50.

² ظ: شعرية المكان والزمان، حافظ محمد جمال الدين، النادي الثقافي بجدة، 2004م، مجلة علامات، ج52، م 13، 61.

³ جدلية المكان والزمن في روايات عبده خال، رياض جبوري، هجران جاسم، مجلة آداب المستنصرية، العدد 104، 303.

لا يعني الركود، بل يثير إلى الاوجاع الكامنة، أما الحركة هي ليست مجرد انتقال، بل تدفق شعوري، وقلق وجودي كلا العنصرين (الثبات والحركة) يتدخلان داخل جدلية الزمان والمكان التي تؤسس لكون شعري مفعم بالأسى والتمزق، وسوف نوزع هذا المحور على ثلاثة نقاط:

الاولى: الثبات المكاني بوصفه تمركزاً على الألم

نجده يتجسد هذا العنصر عبر صور كالشرفات، الازقة، القبور، الفراشات الميتة أو المتوقفة، كلها أماكن لا تتحرك، لكنها تشع بالمعنى الرمزي، إذ يقول¹:

خذ أباريقك المتوكئة على الشرفات

فالشرفة هنا مكان جامد، لكنه يحمل انتظاراً عاطفياً متجمداً في الزمن، كما أنها ليست مجرد مكان، إنما ثبات شعوري يحيل الذات على الألم الذي لا يتغير.

ثانياً: - الحركة الزمانية بوصفها تياراً (ذاكرة واغتراب).

في مقابل الثبات المكاني، تأتي الحركة في شعره متمثلة بالزمن، فنجدها تارة كماضٍ يستعاد بصورة حزينة، وتارة كمستقبل غامض، قلق، وأخرى نراه كحركة لحظية، عابرة لا تثبت عند شيء، وهذا ما يجسده الشاعر في قوله²:

أجر معي قبرين وظلّ

وبقايا من رماد أغنيه

نجد هذه الصورة المكثفة المرتبطة بالزمن، يسير الشاعر حاملاً معه رموزه الخاصة (قبر، ظل، رماد)، وهي رموز ميتافيزيقية لحركة تتجه إلى اللاشيء.

ثالثاً/ دلالات الثنائية في ضوء تجربة الشاعر (الثبات، الحصار، الانتظار، الانكسار) يقابلها (الحركة، النية، الحنين، الانفعال)، هذه الثنائية شكلت ملمح التجربة عند الشاعر التي استندت إلى رؤية وجودية إذ

¹ مراشي الفراشات، 60.

² المصدر نفسه، 4.

لا ماضي مستقر، ولا مستقبل واضح، ولا مكان مألوف، ولا الزمان منصف، كل شيء يتحرك دون أن يستقر أو يسكن دون أن يريح، إذ جسد الشاعر هذه النقطة في قصيدة اسمها (وجنات الظهيرة) يقول فيها¹:

أصلح أبجدية النهار وأنسق هيئة الليل الطائش
أعري الحلم من ولاء رعشة الثلج وأنقاض البحر
أسيّج محبة الجحيم، كي لا ينتهك أنفاس المدينة
كي لا يرمي ظله الثقيل على الأسرة الغامضة
شبح الفوضى ينهب بهجة القميص المحارب
يسرج المساء جياده الراكضات من فجعية إلى فجعية

كشفت لنا هذه الابيات عن تداخل الزمان والمكان في تصوير حالة الفوضى والقلق؛ فالزمن يبدو متحولاً ومضطرباً، بينما تمثل المدينة والأسرة والمساء أمكنة ثابتة تتأثر بهذا الاضطراب، وتتحول عناصر الطبيعة، مثل الليل والنهار والبحر، إلى رموز تعكس الانكسار وفقدان الطمأنينة، فيغدو المكان شاهداً على أزمة الذات، ويؤكد أن الاضطراب الحاصل في الزمن ينعكس مباشرة على الفضاء المكاني والنفسي.

ونراه يقول في نص آخر² :

الحنين ابجدية اعمارنا الحافية
اعمارنا المهدامة
ونمنحها لعش الطائر الغريب
ائتمرت حياتنا بالموجه،
التي تشاغلها الصواري المأخوذة بالعاصفة
تغرق في فراغ البحر الغامض
معتكراً كوكبات الشجر المُسَوّر

¹ المصدر نفسه، 59.

² مراثي الفراشات ، 7.

تتجلى ثنائية المكان والزمان بين الثبات والتحول بوصفها أداة جمالية لتشكل الرؤية الوجودية ، إذ رسم الشاعر فضاءً مكانيًا مشبعًا بالهدم والانكسار من جهة، ومن جهة أخرى تضمن الانبعاث المحتمل، إذ ظهرت الامكنة كـ(عش الطائر الغريب، وفراغ البحر الغامض، كوكب الشجر المسور)، كلها أدلت إلى أماكن مبعثرة تنتقل معها الذات في حالة الحضور إلى حالة النية، ومن الاستقرار إلى الارتحال الرمزي، أما الزمان في هذا النص نراه يتجسد عبر الاشارات إلى الحنين والانكسارات الماضية المتمثلة بالكلمات التالية(اعمارنا الحافية، اعمارنا المهدامة)، مما اشارت على زمن ماض ثابت يحاول استعادة الذات والتفاوض معها عبر الحنين أو الحلم، وبذلك حقق النص جدلية الزمان والمكان عبر تداخل صور الثبات (كالإعمار والحطام) بالحركة (كالموج والصواري)، ليصوغ لنا مشهداً شعرياً فضاء تتماهى فيه الذات مع الطبيعة بوصفها فضاءً متغيراً يعكس انكسارات الداخل.

الخاتمة

أهم ما توصلت إليه الدراسة من النتائج

- ظهر الفضاء المكاني بوصفه عنصراً دلاليّاً فعلاً لا يوظفه كخلفية للأحداث فحسب، وإنما كعنصر يساهم في تشكيل المعنى، وصياغة الحالة الشعورية العامة في شعره.
- توزع الفضاء بين أماكن مغلقة (البيت، الجدران، القبر، الحزن)، والتي حملت بين ثناياها دلالات الانكفاء والحماية والعزلة)، وأماكن مفتوحة (كالفضاء، الصحراء، الساحة، الطريق)، شكلت الانكشاف، والضياح، والامتداد نحو المجهول.
- أظهرت الامكنة حالات شعورية متباينة، كالحزن، والانكسار، والقلق، الاغتراب، والتمزق الداخلي، حتى أصبح المكان مرآة عاكسة للذات الشاعرة المتحركة وانفعالاتها.
- إحالة المكان من ملموس إلى رمزي وخروجها من إطارها الواقعي لكي تكتسب ابعاداً رمزية، كالحزن والامان "الباب والانتظار"، الظل الغياب الرماد = النهاية، مما اضاف على النص بعداً تأويلياً غنياً.
- ساهم المكان في إبراز دوراً مهماً في بناء الصورة الشعرية، الذي مثلها المجاز أو التوظيف التركيبي، مما ساعد في إبراز الابعاد الجمالية والتعبيرية للنصوص الشعرية.
- اندماج المكان مع الزمان داخل النص بشكل جدلي، مما أظهر المكان الشعري لحظات توقف، انتظار، استرجاع، مما أسبغ على التجربة طابعاً تأملياً واستبطانياً.
- اتسمت التمثلات الفضائية في شعره بالتماسك الفني على الرغم من ثباتها، وبذلك شكلت نسيجاً موحداً داخل الديوان، تدور ثيمات حول الغياب، الحزن، المواجهة، وهذا دلالة على وعي الشاعر بالبنية الرمزية للفضاء الشعري.

المصادر والمراجع

- استراتيجية المكان، مصطفى الهميع، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ، مصر، ط2، 2018م.
- أشكال الزمان والمكان في الرواية ،باختين ميخائيل، الكرونوتوب الادبي، ترجمة: عبد المجيد طكاوي، منشورات وزارة الثقافة المغربية، 2006م.
- بلاغة الخطاب وعلم النفس، فضل صلاح، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1993م.
- بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، فتحية كحلوش، دار الانتشار ، بيروت ، لبنان، ط1، 2008م..
- البنية الفنية في أدب المنفى، إبراهيم السعافين، مجلة فصول ، العدد 2، 1996.
- التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب- الفجالة، ط4، (د.ت) .
- جماليات المكان، باشلار غاستون، ترجمة غالب هلسا، بغداد، وزاره الثقافة والاعلام، 1980م،
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.
- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية، عبدالله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5، 2004.
- الرواية والمكان، ياسين النصير، دار الحرية ، بغداد، العراق، ط1، 1980م.
- الرؤيا والابداع الفني في الشعر العربي الحديث، كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط1، 1979م.
- الزمن في الادب، هانز مير هوف، ترجمة د. أسعد رزوق، مراجعة العوض الوكيل، مطابع سجل العرب، دار الكتب، القاهرة، د.ط، 1972م.
- سياسة الشعر، أدونيس، ترجمة: علي أحمد سعيد ، دار الآداب، بيروت، 1985م.
- شعرية المكان (قراءات في الشعر العربي الحديث)، ستار عبدالله، تموز للطباعة والنشر ، دمشق، سوريا ، ط1، 2013م.
- الفضاء الروائي في أبد جبرا ، جبرا إبراهيم، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2013

- الفضاء الروائي في الغربية (الاطار والدلالة)، منيب محمد البويمي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب (د.ط)، 1983م.
 - الفضاء الشعري عند بدر شاكر السياب، لطيف محمد حسن، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط1، 2011.
 - فضاء المتخيل، حسين خمري (مقاربات في الرواية)، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، 2002م.
 - الفضاء المكاني في الشعر الحديث ، السياب أنموذجا، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ، الجامعة الاردنية، 2019م.
 - لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ)، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان ، ط3، 1999م.
 - المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، آمنة بلعلی، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، ط2، د.ت.
 - محو الحياة في مراثي الفراشات للشاعر نجم عذوف، عامر موسى الشيخ، الحوار المتمدن، العدد 6745، 2020.
 - مخطوط حول الادب العربي والثقافة العربية حوالي 500 - 2013م، المعبدي، د.ت، د.ط.
 - مراثي الفراشات، شعر نجم عذوف، دار تموز ، دمشق، 2017م.
 - معجم الادباء والكتاب في السماوة الكبرى، عبد الجبار بجاي الزهوي، دار ميزوبوتاميا ، ط1، 2016م.
 - مفاهيم نقدية ، رينيه ويليك، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، د.ط ، 1987م.
 - المكان بوصفه تجربة شعورية قراءة في شعرية الفضاء الشعري العربي الحديث، يوسف الادريسي، مجلة علامة، العدد 67، 2018م
 - المكان والزمان في النص الادبي الجماليات والرؤيا، وليد شاكر ، تموز للطباعة والنشر، دمشق ، 2014م.
 - منهج الواقعية في الابداع الادبي، صلاح فضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، د.ت.
- الرسائل والاطاريح**
- جماليات المكان في الشعر الاندلسي دراسة تحليلية لنصوص مختارة ، ميس عبد العظيم، جامعة الكوفة، 2010م.

• الفضاء الشعري عند الواو دمشقي (ت390هـ)، مروه زهير عبد الزهرة العزاوي، جامعة كربلاء، 2022م.

• المكان في شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، ضحى ثامر محمد الجبوري، جامعة كربلاء، 2015م.

البحوث والدوريات

• الابعاد النفسية والاجتماعية للمكان واثرها على الشخصيات في العمل الابداعي للروائي محمد مفلح، دهيني هانيه، مجلة التميز، المجلد4، العدد1، 2022.

• إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، زوزه بصيره، مجلة كلية الاداب، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، العدد6، 2010م.

• أنواع المكان الروائي وبنائه ودلالاته في رواية مرسى فاطمة لحجي جابر دراسة سيمائية، د. سعاد موسى عمر البشير، المجلة الالكترونية الشاملة، العدد الواحد والاربعون، 2021م.

• جدلية المكان والزمن في روايات عبده خال، رياض جبيري، هجران جاسم، مجلة اداب المستنصرية، العدد 104.

• شعرية المكان والزمان، حافظ محمد جمال الدين، النادي الثقافي بجدة، 2004م، مجلة علامات، ج52، م 13.

• صرخته الاولى الابداع الواعي، نجم الجابري، مجلة الزمان، العدد 28، 2024.

• الصورة المكانية الشعرية، رشيد يحيوي، مقال منشور في مجلة نزوى ، سلطنة عمان، 2008م.

• فاعلية المكان في الصورة الشعرية سيقيات المتنبي انموذجا، د. علي متعب، منى شفيق توفيق، مجلة ديالى ، العدد 40، 2009م.

التوجيه القرآني في معالجة مشكلات المجتمع المعاصر

م.م. ثائر لفته مجيد مردان الدهش

المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة

المستخلص

يعد عصرنا من أخطر العصور بسبب التطور السريع ودخول التكنولوجيا ولما وصل اليه المجتمع من اطلاع على العالم الخارجي حيث البعيد يكون قريباً؛ بسبب التطور وسرعة الوصول الى أبعد نقطة في العالم وهذا يمكن ان يكون إيجابياً وقد يكون سلبياً لسوء وطبيعة الاستخدام، فهنا لابد منا كمسلمين الرجوع الى دستورنا وهو القرآن الكريم الذي لم يجعل شيء ألا وضع له جواباً.

وبما انه موضوع بحثنا هو (التوجيه القرآني في معالجة مشكلات المجتمع المعاصر) فعليه قد قمنا ببيان مشكلة البحث وما مدى قدرة التوجيه القرآني على معالجة مشكلات المجتمع المعاصر والحد من آثارها السلبية.

وأهداف البحث وتوضيح الأساليب القرآنية في معالجة المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادي. ومنهج البحث حيث اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة النصوص القرآنية وتحليلها وربطها بواقع المجتمع المعاصر.

فقد قمنا بتقسيم البحث الى ثلاثة فصول، فأما الأول كان مفهوم التوجيه القرآني وخصائصه حيث قسمناه الى مبحثين، المبحث الأول مفهوم التوجيه القرآني وبيننا اهم و ابرز الخصائص للقرآن الكريم، اما المبحث الثاني كان أهمية التوجيه القرآني في حياة المجتمع كذلك عرفناه وشرحنا أهمية مظاهر التوجيه القرآني، واستخرجنا اهم نتائج في هذا الفصل.

اما الفصل الثاني كان بعنوان التوجيه القرآني في معالجة المشكلات الاجتماعية والأخلاقية، حيث كذلك قسم الى مبحثين فالأول كان معالجة التفكك الأسري والانحراف الأخلاقي وبيننا مدى أهمية هذه النقطة بشكل وافي وبيننا اهم المشكلات والمعالجات، اما المبحث الثاني معالجة العنف والتعصب والكراهية كذلك اطلعنا على كيفية معالجة التعصب والعنف ونبذ الكراهية وبيننا أهم حصيلة من نتائج الفصل.

والفصل الثالث كان التوجيه القرآني في معالجة المشكلات الاقتصادية والفكرية، وقسم الى مبحثين كذلك، الأول كان معالجة الفقر والبطالة والفساد المالي، ووقفنا على افضل طريقة لمعالجة الفقر والقضاء على الفساد المالي، وبالنسبة الى المبحث الثاني كان معالجة الانحراف الفكري والتأثير السلبي للتكنولوجيا وبيننا أهم النقاط التي جئنا بها والتي جميعها من القرآن الكريم ومن خلال المفسرين للقرآن واستخرجنا أهم

النتائج للفصل ومن بعد ذلك ذكرنا أهم النتائج للبحث والخاتمة والتي بينا من خلال هذا البحث أن القرآن الكريم لم يكن كتاب عبادة فحسب، بل هو دستور حياة شامل يعالج مختلف المشكلات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

الكلمات المفتاحية: التوجيه القرآني، معالجة، مشكلات، المجتمع المعاصر.

Abstract

Our era is considered one of the most critical periods due to rapid technological development and the increasing openness of societies to the outside world. Distances have effectively diminished, allowing people to access information and communicate with the farthest parts of the globe with unprecedented speed. While these developments can have positive effects, they may also lead to negative consequences depending on the nature and manner of their use. Therefore, as Muslims, it is essential to return to our primary source of guidance, the Holy Qur'an, which provides solutions and guidance for all aspects of life.

Since the topic of this study is "Qur'anic Guidance in Addressing the Problems of Contemporary Society," the research examines the problem of the study and explores the extent to which Qur'anic guidance can contribute to solving contemporary social issues and reducing their negative effects. The study aims to clarify the Qur'anic methods used in addressing social, moral, and economic problems. It adopts the descriptive-analytical approach through the examination and analysis of Qur'anic texts and their application to the realities of contemporary society. The research is divided into three chapters. The first chapter discusses the concept of Qur'anic guidance and its characteristics. It consists of two sections: the first examines the concept of Qur'anic guidance and highlights the most important characteristics of the Holy Qur'an, while the second addresses the importance of Qur'anic guidance in the life of society and explains its manifestations and significance. The main findings of this chapter are also presented. The second chapter is entitled "Qur'anic Guidance in Addressing Social and Moral Problems." It is divided into two sections. The first focuses on family disintegration and moral deviation, explaining their causes and the Qur'anic methods for addressing them. The second discusses violence, intolerance, and hatred, examining how the Qur'an promotes tolerance, rejects violence, and encourages peaceful coexistence. The chapter concludes with its major findings.

The third chapter deals with "Qur'anic Guidance in Addressing Economic and Intellectual Problems." It is also divided into two sections. The first examines poverty, unemployment, and financial corruption, highlighting Qur'anic approaches to combating poverty and reducing corruption. The second addresses intellectual deviation and the negative impact of technology, presenting Qur'anic solutions and insights derived from the interpretations of Qur'anic scholars. The chapter concludes with its key findings.

Finally, the study presents its overall findings and conclusion, demonstrating that the Holy Qur'an is not merely a book of worship; rather, it is a comprehensive way of life that provides guidance for addressing various human, social, economic, and intellectual problems.

Keywords: Quranic Guidance Treatment, Problems, Contemporary Society.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين وصحبه المنتجبين وبعد... يواجه المجتمع المعاصر العديد من المشكلات والتحديات التي تمس مختلف جوانب الحياة، سواء كانت اجتماعية أم أخلاقية أم فكرية أم اقتصادية، وقد ازدادت هذه المشكلات تعقيداً نتيجة التطورات المتسارعة التي يشهدها العالم اليوم. وفي ظل هذه المتغيرات تبرز الحاجة إلى البحث عن حلول راسخة تستند إلى قيم ومبادئ قادرة على تحقيق التوازن والاستقرار في حياة الإنسان والمجتمع.

ويُعد القرآن الكريم المصدر الأهم للتوجيه والإرشاد؛ لما يتضمنه من مبادئ وقيم إنسانية وأخلاقية تسهم في بناء الفرد الصالح والمجتمع المتماسك.

فقد عالج القرآن الكريم العديد من القضايا التي تؤثر في حياة الناس، وقدم توجيهات عملية تهدف إلى تعزيز العدل والتكافل والتسامح والإصلاح، فضلاً عن دعوته إلى نبذ الظلم والتعصب والفساد بمختلف أشكاله.

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة التوجيه القرآني في معالجة مشكلات المجتمع المعاصر، إذ تسعى إلى بيان دور القرآن الكريم في تقديم الحلول والمعالجات التي تساعد على مواجهة هذه المشكلات والحد من آثارها، مع إبراز ما يتمتع به المنهج القرآني من شمولية ومرونة تجعله صالحاً لكل زمان ومكان. وعليه يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أبرز المشكلات التي يعاني منها المجتمع المعاصر، وبيان التوجيهات القرآنية الكفيلة بمعالجتها وتحقيق الإصلاح المنشود.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل الآتي:

ما مدى قدرة التوجيه القرآني على معالجة مشكلات المجتمع المعاصر والحد من آثارها السلبية؟

أهداف البحث:

بيان مفهوم التوجيه القرآني وأهميته.
التعرف على أبرز مشكلات المجتمع المعاصر.
توضيح الأساليب القرآنية في معالجة المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية.
إبراز دور القرآن الكريم في بناء مجتمع متوازن ومستقر.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة النصوص القرآنية وتحليلها وربطها بواقع المجتمع المعاصر.

الفصل الأول

مفهوم التوجيه القرآني وخصائصه

المبحث الأول: مفهوم التوجيه القرآني

التوجيه القرآني: هو مجموعة من الإرشادات والمبادئ والأحكام التي جاء بها القرآن الكريم لتنظيم حياة الإنسان عقائدياً وأخلاقياً واجتماعياً واقتصادياً⁽¹⁾.

ويهدف هذا التوجيه إلى تحقيق السعادة للفرد والمجتمع من خلال إقامة التوازن بين متطلبات الروح والجسد.

وقد اتسم التوجيه القرآني بالشمولية، إذ تناول مختلف القضايا الإنسانية، كما تميز بالمرونة التي تجعله صالحاً لكل زمان ومكان. فالقرآن الكريم لم يقتصر على معالجة مشكلات عصر النزول، بل وضع قواعد عامة يمكن تطبيقها على مختلف المشكلات المستجدة.

وفيما يلي تعريف وشرح مختصر لأبرز خصائص التوجيه القرآني:

1 الشمولية:

وهي شمول القرآن الكريم لجميع جوانب حياة الإنسان العقيدية والعبادية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

⁽¹⁾ الحربي، سهيل بن عبيد، الأساليب الدعوية الأساسية وفق التوجيه القرآني، مجلة الدراسات التربوية والإنسانية، 2023.

ولم يقتصر التوجيه القرآني على جانب معين من حياة الإنسان، بل تناول علاقته بربه ونفسه وأسرته ومجتمعه، ووضع أسساً تحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

2. الواقعية:

وهي مراعاة القرآن الكريم لطبيعة الإنسان وظروف حياته وإمكاناته الفعلية. حيث جاءت التوجيهات القرآنية قابلة للتطبيق، فلم تفرض على الإنسان ما لا يطيق، وأخذت بعين الاعتبار نقاط القوة والضعف لديه، كما راعت اختلاف الظروف والأحوال.⁽¹⁾ كما ذكرها وأشار إليها صبحي الصالح في كتابه مباحث علوم القرآن الى شمول هداية القرآن الكريم وواقعيته في معالجة شؤون الإنسان المختلفة، وهو ما يستفاد منه المعنى. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾⁽²⁾، وعلى هذا الأساس إنَّ الأمر الخارج عن قدرة الإنسان لا يكون داخلاً في نطاق تكليفه، كما أنَّ ما يُمنع منه المرء على نحو يسلبه القدرة عليه لا يُعدّ مما يدخل في وسعه.

وثبَّين هذه الآية الكريمة من سورة البقرة أنَّ سقوط التكليف يرتبط بانتفاء الوسع، كما تضع معياراً عاماً في تحديد موارد العذر وتمييزها عن غيرها، ويتمثل ذلك في أن لا يكون الفعل أو الترك ناشئاً عن اختيار الإنسان واكتسابه.

فالجاهل بالدين أو ببعض معارفه إذا كان جهله نتيجة تقصيره وسوء اختياره، فإنَّ تركه يُنسب إليه ويُعدّ معصيةً. أمَّا إذا كان جهله ناشئاً عن عوامل خارجة عن إرادته، أدَّت به إلى الجهل أو الغفلة أو عدم التمكن من العمل، فإنَّ الترك حينئذٍ لا يُنسب إلى اختياره، ولا يُعدّ عاصياً أو متعمداً للمخالفة أو مستكبراً عن الحق.

⁽¹⁾ الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن

⁽²⁾ البقرة، 286

وعلى هذا الأساس، فإنَّ الإنسان يُجازى بما اكتسبه من خير أو شر، فإن لم يكن له كسب واختيار، فلا يُنسب إليه ثواب ولا عقاب. ومن هنا يتضح أنَّ المستضعف الذي لا يملك القدرة أو المعرفة الكافية يكون خالي الذمة، فلا يُحكم له ولا عليه، بل يُترك أمره إلى الله تعالى⁽¹⁾.

3. الاعتدال والوسطية:

هي التوازن بين متطلبات الروح والجسد، وبين مصالح الفرد والمجتمع، بعيداً عن الإفراط والتفريط. حيث يدعونا القرآن إلى الاعتدال في جميع شؤون الحياة، فلا غلو ولا تقصير، بل منهج متوازن يحقق الاستقامة والعدل.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾⁽²⁾، ثم يبيِّن لهذه الأمة حقيقتها العظيمة في هذا الكون، ورسالتها الجليلة في عمارة الأرض، ومكانتها الرفيعة بين سائر الأمم، والدور المحوري الذي تضطلع به في حياة البشرية؛ الأمر الذي يستوجب أن تكون لها وجهتها المستقلة، وشخصيتها المتميزة، وألا تستمد توجيهاتها إلا من ربها الذي اختارها لحمل هذه الرسالة العظيمة، نها الأمة المعتدلة التي جعلها الله شاهدة على سائر الأمم، فتسعى إلى إقامة العدل بينهم، وترسيخ القسط، ووضع المعايير والقيم التي تهدي الناس إلى الحق والاستقامة⁽³⁾.

4. مراعاة الفطرة الإنسانية:

هي توافق التوجيه القرآني مع الطبيعة السليمة التي فطر الله الناس عليها. وان أحكام القرآن وتعاليمه تنسجم مع حاجات الإنسان النفسية والروحية والاجتماعية، وتلبي متطلباته الأساسية دون تعارض مع فطرته السوية.

⁽¹⁾ الطباطبائي تفسير الميزان ، ج5، ص52.

⁽²⁾ البقرة، 143.

⁽³⁾ قطب، سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص13

قال تعالى: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾⁽¹⁾، حيث راعى الخطاب القرآني عند نزوله مستوى معارف العرب وإدراكاتهم؛ ليكون ذلك أدعى إلى هدايتهم واستجابتهم، ومع هذا فقد تضمن حقائق خالدة ثابتة لا تتغير بمرور الزمن، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، وهي حقائق يتجدد إدراك الناس لها كلما تقدّم الزمن وتكشفت لهم معارف جديدة، وهذه ميزة انفرد بها القرآن الكريم دون غيره.

ولو أن القرآن خاطب الناس زمن التنزيل بما تعجز عقولهم آنذاك عن استيعابه، لأصبح ذلك حاجزاً يمنعهم من تقبل دعوته، ولدفعهم إلى إنكاره وتكذيبه. وفي الوقت نفسه، فإن هداية القرآن لا تقتضي إقرار الناس على المعتقدات الفاسدة التي يؤمنون بها، حتى وإن كان في مسايرتهم ما يؤدي إلى قبولهم الظاهري للدعوة⁽²⁾.

المبحث الثاني: أهمية التوجيه القرآني في حياة المجتمع

تكمن أهمية التوجيه القرآني في كونه منهجاً إلهياً يهدف إلى إصلاح الإنسان والمجتمع، إذ يسهم في نشر قيم المحبة والتسامح والتعاون، ويحد من مظاهر الانحراف والفساد، قوله تعالى { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا }⁽³⁾.

إنّ القرآن الكريم يهدي الإنسان إلى الطريق الأقوم والأصلح، بعيداً عن مسالك الهوى والضلال والخرافة، فهو يقدم منهجاً متكاملًا يشمل مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية وغيرها. كما يحقق الانسجام بين سعي الإنسان وفطرته من جهة، وبين سنن الطبيعة والتاريخ من جهة أخرى، مبيّناً أنّ الإنسان ملازم لعمله؛ فإن أحسن فله الخير، وإن أساء فعليه تبعه عمله. ومن هنا جاءت البشارة الإلهية للمؤمنين العاملين بالصلوات بالأجر العظيم، إذ لا يكتفي القرآن بمجرد الإيمان، بل يقرنه بالعمل الصالح لتحقيق الفوز والثواب عند الله تعالى⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ الروم، 30.

⁽²⁾ النجار، محمد زغلول، آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج1، ص19.

⁽³⁾ الاسراء، 9.

⁽⁴⁾ المدرسي، محمد تقى، من هدى القرآن، ج6، ص208.

ومن خلال ما تقدم يمكن ان نبين بعض من مظاهر أهمية التوجيه القرآني وأهمها:

1. تعزيز الأخلاق والقيم الإنسانية، وسنذكر اية قرآنية تبين لنا ذلك وهي قوله تعالى، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

ان العدل يمثل أساس العلاقات الإنسانية، إلا أن تحقيقه بصورة كاملة قد يكون صعباً، لذلك دعا القرآن إلى الإحسان الذي يتجاوز حدود العدل إلى التفضل والتسامح والتنازل عن بعض الحقوق من أجل تحقيق الانسجام الاجتماعي. كما نهى عن الفحشاء والمنكر والبغى لما تسببه من فساد وظلم وتعدٍ على حقوق الآخرين، مما يجعل هذه الآية من أبرز الآيات الداعية إلى بناء مجتمع قائم على القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة⁽²⁾.

2. تحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي، وعليه نجد ان الله هو مصدر الأمن والأمان فكيف لا يبين ذلك قوله تعالى، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾⁽³⁾.

فالدلالة من الآية بيّن أن الإيمان القائم على العدل والابتعاد عن الظلم يؤدي إلى تحقيق الأمن والطمأنينة للأفراد والمجتمعات، فكلما قلّ الظلم وانتشرت القيم الإيمانية والأخلاقية ساد الأمن والاستقرار الاجتماعي. ويبين النص أن الظلم لا يقتصر على الاعتداء المادي على الآخرين، بل يشمل كل انحراف عن منهج الحق في العقيدة والسلوك. وعندما يلتزم الإنسان بالإيمان الصحيح ويبتعد عن الظلم والانحراف، يتحقق له الأمن والهداية كما وعد الله تعالى في الآية الكريمة. ومن ثم فإن المجتمع الذي يسوده الإيمان والعدل ويبتعد أفراده عن الظلم والانحراف يكون أكثر أمناً واستقراراً وتماسكاً، لأن أسباب الخوف والاضطراب والنزاع تتضاءل فيه⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ النحل، 90.

⁽²⁾ المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، ج6، ص117.

⁽³⁾ الأنعام، 82.

⁽⁴⁾ فضل الله، السيد محمد حسين، من وحي القرآن، ج9، ص191.

3. نشر العدالة والمساواة، كما بين القرآن الكريم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

حيث ان دلالة هذه الآية تبين لنا إقامة العدل بين الناس جميعاً دون تمييز، مما يجعله أساساً لتحقيق المساواة وحفظ الحقوق داخل المجتمع.

ومن الآيات الواضحة في المساواة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽²⁾.

كذلك تؤكد الآية مبدأ المساواة بين البشر، وأن التفاضل بينهم لا يكون بالنسب أو الجنس أو القومية، وإنما بالتقوى والعمل الصالح.

يؤكد النص أن الشريعة الإسلامية تتسجم مع ما تعارف عليه العقلاء من قيم ومعايير أخلاقية، كالحسن والقبح والمصلحة والمفسدة، وما يترتب عليها من أوامر ونواهٍ وثواب وعقاب. فكما يبني العقلاء أحكامهم وقوانينهم على تحقيق المصالح ودفع المفسدات، فإن الأحكام الشرعية كذلك تقوم على أسس عقلانية تهدف إلى تحقيق الخير للإنسان والمجتمع.

ويرى العقلاء أن الأفعال والتشريعات لا بد أن تستند إلى غايات وأهداف نافعة، لذلك فإن القوانين والأحكام تُشرع لتحقيق مصالح حقيقية، كما أن الجزاء يكون متناسباً مع طبيعة العمل خيراً كان أم شراً. ومن هذا المنطلق، فإن الثواب يُمنح على الأعمال الحسنة، والعقاب يترتب على الأعمال السيئة وفق مبدأ التناسب والعدالة.

كما يؤكد النص أن التكليف الشرعي لا يتوجه إلا إلى الإنسان المختار القادر على الفعل، ولا يشمل من أجبر أو اضطر إلى القيام بعمل ما. وكذلك فإن الثواب والعقاب يرتبطان بالأفعال الاختيارية، إلا إذا كان الاضطرار أو فقدان الاختيار ناتجاً عن سوء اختيار الشخص نفسه، ففي هذه الحالة يبقى مسؤولاً عن نتائج أفعاله؛ لأن العقلاء لا يرون في معاقبته ظلماً أو مخالفة للعدل⁽³⁾.

⁽¹⁾ النحل، 90.

⁽²⁾ الحجرات، 13.

⁽³⁾ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص96.

4. معالجة الأزمات النفسية والاجتماعية، ان الآيات التي تُستشهد بها في معالجة الأزمات النفسية والاجتماعية قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾⁽¹⁾.

وتشير الآية إلى أن ذكر الله والإيمان به يمنحان الإنسان الطمأنينة والسكينة النفسية، مما يساعده على مواجهة القلق والخوف والضغط النفسية، ويعزز قدرته على التكيف مع الأزمات والتحديات. كما يمكن الاستشهاد بقوله تعالى:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾⁽²⁾.

حيث تبث الآية الأمل والتفاؤل في نفس الإنسان، وتؤكد أن الشدائد والأزمات ليست دائمة، بل يعقبها الفرج والتيسير، وهو ما يخفف من الآثار النفسية للأزمات. وللجانب الاجتماعي يمكن الاستشهاد بقوله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽³⁾.

وتؤكد الآية أهمية التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع في مواجهة المشكلات والأزمات، مما يساهم في تعزيز التماسك الاجتماعي وتقليل الآثار السلبية للأزمات الاجتماعية.

وعليه فإن الإيمان بالله يعد من أهم العوامل التي تمنح الإنسان الطمأنينة والاستقرار النفسي؛ فحين يستحضر المؤمن قدرة الله المطلقة ورحمته الواسعة، يشعر بأنه ليس وحيداً في مواجهة الصعوبات والتحديات، بل يستند إلى قوة لا يحدها شيء. ومن هنا تنشأ حالة من السكينة والثبات النفسي تظهر بوضوح في مواقف الشجاعة والتضحية التي يجسدها المؤمنون في مختلف الظروف.

⁽¹⁾ الرعد، 28.

⁽²⁾ الشرح، 5-6.

⁽³⁾ المائدقن 2.

كما أن الإيمان يمنح الإنسان رؤية واضحة لهدف الحياة ومعناها، إذ يدرك أن وجوده ليس عبثاً، وإنما هو مسيرة نحو التكامل والرفي الروحي والمادي؛ وهذا الإدراك يجنبه الشعور بالفراغ واللاهدفية اللذين يعدان من أبرز أسباب القلق والاضطراب النفسي.

ومن جانب آخر، يخفف الإيمان من معاناة الإنسان عندما لا يجد التقدير من الآخرين؛ لأنه يؤمن بأن الله مطلع على جهوده وأعماله، وسيجزيه عليها خير الجزاء.

وهذا الشعور يمنحه الرضا والاطمئنان ويقلل من مشاعر الإحباط والتوتر.

كذلك يسهم الإيمان في معالجة القلق الناتج عن سوء الظن والخوف من المستقبل، إذ يدفع الإنسان إلى حسن الظن بالله والثقة برحمته ولطفه، مما يساعده على التخلص من مشاعر الهم والاضطراب، ويمنحه قدراً أكبر من الاستقرار النفسي والتوازن في مواجهة الأزمات⁽¹⁾.

ومن هنا يتضح لنا مراد الله تعالى في الآيات التي مرت علينا في هذا الموضوع.

5. بناء العلاقات الاجتماعية السليمة، ومن الآيات التي تبين بناء العلاقات الاجتماعية السليمة قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽²⁾.
حيث تؤكد الآية أن العلاقة بين الناس ينبغي أن تقوم على التعارف والتعاون والاحترام المتبادل، بعيداً عن التمييز والتعصب، مما يسهم في بناء مجتمع متماسك تسوده العلاقات الإنسانية السليمة.
ومن الآيات المهمة أيضاً:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽³⁾.

وتدعو الآية إلى التعاون في الأعمال الصالحة وخدمة المجتمع، وهو أساس بناء العلاقات الاجتماعية الإيجابية بين الأفراد.

كما يمكن الاستشهاد بقوله تعالى:

⁽¹⁾ الشيرازي، مكارم ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج7، ص408.

⁽²⁾ الحجرات، 13.

⁽³⁾ المائدة، 2.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾⁽¹⁾.

وترسخ الآية مبدأ الأخوة والإصلاح بين الناس، وتدعو إلى معالجة الخلافات والنزاعات، مما يعزز التماسك الاجتماعي ويؤسس لعلاقات قائمة على المحبة والتفاهم. وتُعد آية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ من أقوى الآيات الدالة على بناء العلاقات الاجتماعية السليمة؛ لأنها تجمع بين الأخوة والتكافل والإصلاح الاجتماعي. وقد اهتم القرآن الكريم ببناء الأسرة باعتبارها نواة المجتمع، فأوصى بالإحسان إلى الوالدين، وحث على الرحمة بين الزوجين، ونهى عن الظلم والعنف. كما دعا القرآن إلى التكافل الاجتماعي ومساعدة الفقراء والمحتاجين، لما لذلك من أثر في تقليل الفوارق الاجتماعية وتحقيق التوازن الاقتصادي. فإن المجتمعات التي تبتعد عن القيم القرآنية غالباً ما تعاني من انتشار الجريمة والتفكك والانحراف، لأن الإنسان عندما يفقد البعد الأخلاقي يتحول إلى كائن يملك هاتفاً ذكياً وقرارات كارثية في الوقت نفسه. تؤكد الآيات الكريمة أن جميع البشر ينتمون إلى أصل واحد، لذلك لا ينبغي أن تكون الاختلافات في الأجناس أو الألوان أو اللغات أو الانتماءات القبلية سبباً للتفرقة أو النزاع بينهم. وقد جعل الله الناس شعوباً وقبائل لا ليتخاصموا ويتنازعوا، بل ليتعارفوا ويتعاونوا ويتبادلوا المنافع فيما بينهم.

كما أن تنوع البشر في صفاتهم وقدراتهم ومواهبهم يمثل مصدر إثراء للمجتمع الإنساني، إذ يسهم في تحقيق التكامل والتعاون بين أفراده للقيام بالمسؤوليات المختلفة وتلبية الحاجات المتنوعة. ومن ثم فإن الاختلاف لا ينبغي أن يكون سبباً للصراع، بل وسيلة للتعارف والتفاهم وبناء العلاقات الإنسانية السليمة. وتبين الآية أن التفاضل بين الناس لا يقوم على أساس العرق أو اللون أو اللغة أو المكانة الاجتماعية، وإنما على أساس التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وبهذا المعيار تزول

⁽¹⁾ (الحجرات، 10.

أسباب التعصب والتمييز، وتتغرز قيم الأخوة والتعاون والاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع، مما يسهم في تحقيق الألفة والوحدة والاستقرار الاجتماعي⁽¹⁾.

نتائج الفصل الأول:

1. شمول القرآن الكريم لجميع جوانب حياة الإنسان العقدية والعبادية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
2. مراعاة القرآن الكريم لطبيعة الإنسان وظروف حياته وإمكاناته الفعلية.
3. التوازن بين متطلبات الروح والجسد، وبين مصالح الفرد والمجتمع، بعيداً عن الإفراط والتفريط.
4. توافق التوجيه القرآني مع الطبيعة السليمة التي فطر الله الناس عليها.
5. تعزيز الأخلاق والقيم الإنسانية، وتحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي.
6. نشر العدالة والمساواة، ومعالجة الأزمات النفسية والاجتماعية، وبناء العلاقات الاجتماعية السليمة.

الفصل الثاني

التوجيه القرآني في معالجة المشكلات الاجتماعية والأخلاقية

المبحث الأول: معالجة التفكك الأسري والانحراف الأخلاقي

تُعد الأسرة الأساس الذي يقوم عليه المجتمع، ولذلك أولى القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بها، فوضع مجموعة من المبادئ التي تحفظ استقرارها وتماسكها ويمكن تلخيص بعض النقاط والآيات التي تبين المعالجات القرآنية التي تصيب الأسرة.

1. معالجة التفكك الأسري:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَنْبِئُوهُمَا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ۚ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾⁽²⁾.

تشير هذه الآية الكريمة إلى حالة وقوع الخلاف والنزاع بين الزوجين، وتضع منهجاً عملياً لمعالجة هذا

⁽¹⁾ الشاذلي، السيد بن قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3348.

⁽²⁾ النساء، 35.

الشقاق قبل تفاقمه، إذ تأمر بإرسال حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة ليتوليا السعي في الإصلاح وتقريب وجهات النظر بين الطرفين. ثم تؤكد الآية أن نجاح هذه المهمة مرهون بصدق النية والإخلاص في تحقيق الصلح، قال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، أي إن كان هدف الحكّمين الإصلاح الحقيقي فإن الله تعالى يهيئ أسباب التوفيق ويعينهما على إعادة الوئام بين الزوجين. وتختتم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾، تذكيراً للحكّمين بأن الله مطلع على نياتهما وأعمالهما، مما يدعوهم إلى التحلي بالأمانة والعدل والإخلاص في أداء مهمتهما.

كما تكشف الآية عن نظام إصلاحي متميز في الإسلام يتمثل في التحكيم الأسري، وهو أشبه بمحكمة صلح عائلية تهدف إلى معالجة الخلافات الزوجية في إطار من التفاهم والتقارب الأسري، وتمتاز بالمرونة والخصوصية والحرص على الحفاظ على كيان الأسرة واستقرارها قبل اللجوء إلى الإجراءات القضائية الأخرى⁽¹⁾.

وعليه نجد ان في الآية تضع منهجاً للإصلاح الأسري عند وقوع الخلاف بين الزوجين من خلال التحكيم والسعي إلى الصلح.

2. معالجة الانحراف الأخلاقي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾⁽²⁾.

تؤدي الصلاة دوراً أساسياً في تعزيز صلة الإنسان بالله تعالى وترسيخ الشعور بحضوره في النفس والحياة، فالمؤمن لا يقتصر إيمانه على المعرفة الذهنية أو التصور العقلي المجرد، بل يتحول هذا الإيمان من خلال الصلاة إلى حالة شعورية حية تنعكس على سلوكه وتصرفاته، فالمدائمة على الوقوف بين يدي الله، وذكره، ومناجاته، والركوع والسجود له، تُتمّي في النفس الخشوع والطمأنينة وتعمق الإحساس برقابته تعالى.

ومن خلال هذا التواصل المستمر مع الله، يزداد وعي الإنسان بقيمه الدينية والأخلاقية، فيصبح أكثر التزاماً بأوامره واجتناباً لنواهيه. لذلك لا تقتصر الصلاة على كونها عبادة تؤدي في أوقات محددة، بل

⁽¹⁾ (الشيرازي، مكارم ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 3، ص222

⁽²⁾ (العنكبوت، 45.

تمثل وسيلة تربوية فعالة تسهم في بناء الشخصية المؤمنة المتوازنة، وتحصينها من الانحرافات السلوكية والأخلاقية.

ومن هنا جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، إذ تؤكد الآية أن للصلاة أثراً مباشراً في تهذيب النفس وتقويم السلوك وتعزيز القيم الأخلاقية في المجتمع⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق نجد أن المحافظة على الصلاة من أهم الوسائل التربوية التي تقي الإنسان من الانحراف الأخلاقي والسلوكيات المنكرة.

ومن الآيات التي تعالج أسباب الانحراف الأخلاقي من خلال الدعوة إلى العفة وضبط السلوك كما جاء في سورة النور

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾⁽²⁾.

فإن توجيهات الإسلام المتعلقة بالعفة وضبط السلوك لا تهدف إلى تقييد الإنسان، وإنما ترمي إلى حماية الفرد والمجتمع من الآثار السلبية المترتبة على الانفلات الأخلاقي.

فالحفاظ على الحدود الشرعية والابتعاد عن الممارسات التي تثير الشهوات بصورة غير منضبطة يساهم في صون النفس وتعزيز الاستقرار النفسي والاجتماعي.

وتُعد الغريزة الجنسية من أقوى الدوافع الفطرية لدى الإنسان، لذلك فإن توجيهها ضمن إطار أخلاقي وقيمي يساهم في تحقيق التوازن النفسي والسلوكي.

أما إثارته بصورة مستمرة دون ضوابط مناسبة فقد تؤدي إلى مشكلات فردية واجتماعية متعددة، من بينها ضعف القدرة على ضبط السلوك، وزيادة التوتر النفسي، وظهور بعض الممارسات المنحرفة التي تتعارض مع القيم الأخلاقية السائدة في المجتمع.

كما أن انتشار مظاهر الانفلات الأخلاقي لا يقتصر أثره على الأفراد فحسب، بل يمتد ليؤثر في بنية الأسرة واستقرارها، إذ قد يساهم في زيادة النزاعات الأسرية وإضعاف الروابط الزوجية، الأمر الذي ينعكس سلباً على عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء. ومن ثم فإن تعزيز قيم العفة والالتزام الأخلاقي يمثل أحد

⁽¹⁾ فضل الله، السيد محمد حسين، من وحي القرآن، ج18، ص59.

⁽²⁾ النور، 30.

المرتكزات الأساسية لحماية الأسرة والمحافظة على تماسكها، باعتبارها النواة الأولى في بناء المجتمع واستقراره⁽¹⁾.

ومن هذا المنطلق، تؤكد التشريعات الإسلامية أهمية الوقاية من أسباب الانحراف الأخلاقي، من خلال غرس قيم الحياء والعفة والمسؤولية، بما يسهم في بناء مجتمع أكثر استقرارًا وتوازنًا، ويحافظ على كرامة الإنسان وسلامة العلاقات الاجتماعية.

ومما تقدم يمكن ان نسرد بعض النقاط المهمة والتي تكون السبب الرئيسي في التفكك الأسري: ومنها:

- ضعف الوازع الديني.
- سوء التعامل بين الزوجين.
- غياب الحوار الأسري.
- التأثير السلبي لوسائل الإعلام الحديثة

وقد جعل القرآن الكريم المعالجات وحل هذه المشكلات من خلال الدعوة إلى:

- الاحترام المتبادل بين الزوجين.
- الصبر والتسامح.
- التشاور والحوار.
- تربية الأبناء تربية صالحة.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾⁽²⁾.

حيث حذرنا القرآن الكريم من الانحراف الأخلاقي كالغيبية والكذب والزنا والظلم والكراهية، لما لها من آثار خطيرة على استقرار المجتمع.

ومن الوسائل التي ذكرها دستورنا القرآن لمعالجة الانحراف الأخلاقي:

- تقوية الرقابة الذاتية.

⁽¹⁾ (المدرسي، محمد تقى، من هدى القرآن، ج8، ص300.

⁽²⁾ (الروم، 21.

• غرس القيم الدينية.

• الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• تعزيز ثقافة العفة والحياء.

ومن الممكن ذكر كثير من النقاط التي أكد عليها الكتاب الكريم لكن لا يسعنا في مثل هكذا بحث صغير ذكر جميع المعالجات ولكن قد يكون ذكرنا أهمها وأوضحها.

المبحث الثاني: معالجة العنف والتعصب والكراهية

من أبرز مشكلات المجتمع المعاصر انتشار العنف والتعصب بمختلف أشكاله، سواء كان طائفيًا أو قوميًا أو فكريًا، مما أدى إلى زيادة النزاعات والاضطرابات، فأذا طبقنا ماجاء في كتاب الله تعالى لما كانت هذه النزاعات العشائرية والطائفية ومررنا بها وكذلك نسمع ونشاهدها تلفزيونياً أو عبر السوشل ميديا من خلال مواقع التواصل مشاجرة يقتلون فيها اربع اوسبع نفرات على بطة او دجاجة او شخص نظر اليه بنظرة استهزاء وما الى ذلك من الأسباب التافهة.

وقد دعا القرآن الكريم إلى التسامح والتعايش السلمي واحترام الآخرين، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾⁽¹⁾.

تشير الآية الكريمة إلى مبدأ أخلاقي رفيع يتمثل في مقابلة الإساءة بالإحسان، وعدم الانجرار إلى رد السيئة بمثلها. فالمؤمن يسعى من خلال حسن تعامله مع المسيء إلى التأثير فيه ودفعه إلى مراجعة موقفه وتغيير سلوكه، وهو ما تؤكد الآية الكريمة من سورة فصلت: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، حيث تبين أن الإحسان قد يكون وسيلة فعالة لتحويل مشاعر العداوة إلى علاقات قائمة على المودة والتقارب.

كما يمكن فهم الآية في ضوء معنيين متكاملين؛ الأول يتمثل في دفع الإساءة بالحسنة وعدم مقابلة الشر بالشر، والثاني في معالجة آثار الخطأ من خلال الأعمال الصالحة التي تسهم في إصلاح النفس وتقويم السلوك.

⁽¹⁾ فصلت، 34.

وقد أكدت السنة النبوية وأقوال أهل البيت عليهم السلام هذا المعنى، إذ دعت إلى الإحسان في التعامل مع الآخرين، وجعلت من الأخلاق الحسنة وسيلة للإصلاح وبناء العلاقات الإنسانية السليمة. ومع ذلك، ينبغي التمييز بين الجانب الأخلاقي والجانب التشريعي؛ فالدعوة إلى العفو والإحسان ترتبط بالحالات التي يحقق فيها هذا الأسلوب مصلحة إصلاحية وتأثيراً إيجابياً، أما في الحالات التي تستوجب حماية الحقوق وردع المعتدين، فقد شرع الإسلام أنظمة وقوانين جزائية تكفل تحقيق العدالة وحفظ النظام العام في المجتمع⁽¹⁾.

كما نهى القرآن عن الظلم والاعتداء، وأكد أن كرامة الإنسان محفوظة بغض النظر عن اختلافه. ومن أهم الأساليب القرآنية في معالجة العنف:

- نشر ثقافة الحوار، ومن الممكن أن تأتي بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

تشير الآية الكريمة إلى التفاوت بين الناس في القيمة والمكانة تبعاً لما يمتلكونه من علم ومعرفة وما يتحلون به من صفات وقدرات.

فالإنسان لا يُقاس فقط بمكانته المادية، بل كذلك بما يحمله من رصيد علمي وأخلاقي وما يقدمه من إسهامات نافعة للمجتمع.

ومن هنا تتشكل المكانة الحقيقية للأفراد من خلال أثرهم الفكري والاجتماعي ودورهم في خدمة الآخرين. وفي المنظور الإسلامي، لا تقتصر قيمة الإنسان على ما يحققه في حياته الدنيا من مكاسب شخصية، وإنما تمتد إلى ما يتركه من أعمال صالحة وآثار إيجابية تستمر بعده. فميزان التقييم الحقيقي يوم القيامة يقوم على ما قدمه الإنسان من خير وعلم وإصلاح وإسهام في هداية الناس وخدمة المجتمع، ومدى التزامه بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه.

⁽¹⁾ الشيرازي، مكارم ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج7، 392.

⁽²⁾ الزمر، 9.

وعليه، فإن الإنسان الذي يوظف علمه وجهده في نشر المعرفة وترسيخ القيم الإيجابية وخدمة الآخرين يكتسب منزلة رفيعة عند الله تعالى، لأن قيمة الإنسان الحقيقية تُقاس بأثره النافع وعطاءه المستمر، لا بمجرد إشباع حاجاته الشخصية أو سعيه وراء المتع والمكاسب الدنيوية الزائلة⁽¹⁾.

ومن خلال التفاسير والمفسرين للقرآن الكريم نجد أن العلم والمعرفة ورفع الوعي لدى المجتمع تُحل كثير من الأمور الباقية والمتوارثة في ادمغة الجهلة بسبب عد المعرفة والوعي واللجوء الى العنف.

• تعزيز قيمة العدل، ويمكن أن نأتي بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽²⁾.

يقول صاحب تفسير في ظلال القرآن أن القرآن الكريم نزل لبناء أمة متماسكة وتنظيم مجتمع متوازن، ثم للارتقاء بالإنسانية نحو إقامة نظام عالمي قائم على القيم والمبادئ السامية.

وقد جاءت رسالته رسالة إنسانية عالمية تتجاوز حدود العصبية القومية والعرقية والقبلية، فجعلت العقيدة والقيم المشتركة أساساً للوحدة والترابط بين الناس.

ومن هذا المنطلق، أرسى القرآن الكريم مجموعة من المبادئ التي تضمن استقرار المجتمعات وتماسكها، وتعزز الثقة بين الأفراد والشعوب والأمم، وفي مقدمة هذه المبادئ مبدأ العدل.

فالعدل يمثل الركيزة الأساسية التي تكفل حقوق الجميع دون تمييز أو محاباة، إذ لا يخضع للأهواء الشخصية ولا يتأثر بعلاقات القربى أو المصالح أو الفوارق المادية والاجتماعية. بل يقوم على معايير ثابتة وموازن واحدة تُطبَّق على الجميع على قدم المساواة، بما يحقق الإنصاف ويعزز الأمن والاستقرار في المجتمع⁽³⁾.

وعليه فإن العدل إذا تحقق لا يكون هنالك مظلوم وظالم حيث سوف يؤخذ حق المظلوم ويكون الرادع موجود فلا يتجرأ أي احد على استعمال العنف ويعرف كل ذي حق حقه.

⁽¹⁾ فضل الله، السيد محمد حسين، من وحي القرآن، ج10، ص25.

⁽²⁾ النحل، 90.

⁽³⁾ الشاذلي، السيد بن قطب، في ظلال القرآن، ج4، 2190.

وتعد هذه الآية من أشمل الآيات في بيان المبادئ الأخلاقية والاجتماعية، إذ تجعل العدل أساساً في التعامل بين الناس وفي بناء المجتمع.

ومن الآيات المهمة أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾⁽¹⁾.

- نبذ التعصب الأعمى، قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾⁽²⁾.

بعد أن وجهت الآيات السابقة المؤمنين إلى التمسك بأعلى مراتب التقوى، بما يسهم في تهئية النفوس وإعدادها لتقبل التوجيه الإلهي، جاءت الآية التالية لتؤكد بصورة واضحة أهمية الوحدة والتماسك بين أبناء المجتمع المؤمن، وتحذر من كل ما يؤدي إلى الانقسام والتفرقة، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾.

وتُعد عبارة (حبل الله)، من المفاهيم التي تناولها المفسرون بتفسيرات متعددة، إذ ذهب فريق منهم إلى أن المقصود بها القرآن الكريم باعتباره المرجع الذي يجمع الأمة على منهج واحد، بينما رأى آخرون أنها تشير إلى دين الإسلام الذي يوحد المؤمنين تحت مظلة العقيدة والقيم المشتركة. كما ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بها الأئمة المعصومون من أهل بيت النبي ﷺ بوصفهم الامتداد الشرعي لقيادة الأمة وهدايتها.

وعلى الرغم من تعدد هذه التفسيرات، فإنها تلتقي جميعاً عند معنى جامع يتمثل في التمسك بما يوحد الأمة ويحفظ تماسكها ويجنبها أسباب الفرقة والاختلاف⁽³⁾.

ومن هنا نتبين لنا دعوة القرآن الصريحة إلى الوحدة ونبذ أسباب الفرقة والانقسام والتعصب. وللحديث عن نبذ التعصب بمختلف أشكاله (القبلي، العرقي، الاجتماعي)، فإن آية سورة الحجرات الآية 13 تُعد من أوضح الآيات وأقواها دلالة في هذا المجال وقد سبق الذكر لهذه الآية فيما سبق.

⁽¹⁾ النساء، 135.

⁽²⁾ آل عمران، 103.

⁽³⁾ الشيرازي، مكارم ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، 420.

- الدعوة إلى الإصلاح بين الناس، ومن أبرز الآيات القرآنية التي تدعو إلى الإصلاح بين الناس قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁽¹⁾.

يؤكد المنهج الإسلامي أن العلاقة بين الإنسان وربه تقوم على أساس المحبة الصادقة التي تنعكس في السلوك والعمل، لا على مجرد المشاعر المجردة أو العواطف العابرة. فمحبة الله الحقيقية تتجسد في السعي إلى نيل رضاه من خلال الالتزام بأوامره والعمل بما يحقق الخير والصالح، وبذلك تتحول المحبة إلى قوة دافعة لبناء شخصية إيمانية متوازنة تجمع بين الفكر والشعور والعمل.

ومن هذا المنطلق، تهدف التربية الإسلامية إلى تكوين شخصية إنسانية واعية تتفاعل مع القيم الإيمانية من خلال الممارسة العملية والسلوك القويم، فلا تقتصر على الأمنيات أو الانفعالات العاطفية، بل تركز على العمل المسؤول والالتزام الواعي.

كما ينعكس هذا المفهوم على العلاقات الإنسانية بين الأفراد، فتقوم على أسس روحية وأخلاقية متينة تتجاوز المصالح الذاتية والانفعالات المؤقتة، لتصبح علاقات قائمة على المبادئ والقيم المشتركة. وبذلك تتسم بالعمق والاستقرار، وتُدار بالحكمة والعقلانية بدلاً من التقلبات المزاجية والانفعالات الطارئة.

وفي هذا الإطار، يُسهم الإيمان المشترك في بناء روابط الأخوة الحقيقية بين الناس، حيث يجمعهم هدف واحد وقيم واحدة، مصداقاً لقوله تعالى، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وهي أخوة تقوم على التعاون والتراحم والتكافل وتحقيق المصلحة العامة للمجتمع⁽²⁾.

وهذه الآية تؤكد أن الأخوة الإيمانية تقتضي السعي إلى إزالة الخلافات والنزاعات بين الناس، والعمل على تحقيق الوئام والتفاهم بينهم، وقد ساهمت التعاليم القرآنية في بناء مجتمع قائم على الأخوة الإنسانية والتعاون، بعيداً عن الكراهية والعنف.

⁽¹⁾ الحجرات، 10.

⁽²⁾ فضل الله، السيد محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، ج5، ص240-241.

نتائج الفصل الثاني:

- 1- ان علاج التفكك الاسري ان نضع منهجاً للإصلاح الأسري عند وقوع الخلاف بين الزوجين من خلال التحكيم والسعي إلى الصلح.
- 2- تؤكد التشريعات الإسلامية أهمية الوقاية من أسباب الانحراف الأخلاقي، من خلال غرس قيم الحياة والعفة والمسؤولية، بما يسهم في بناء مجتمع أكثر استقراراً وتوازناً، ويحافظ على كرامة الإنسان وسلامة العلاقات الاجتماعية.
- 3- نجد ان العلم والمعرفة ورفع الوعي لدى المجتمع تُحل كثير من الأمور الباقية والمتوارثة في ادمغة الجهلة بسبب عد المعرفة والوعي واللجوء الى العنف.
- 4- العدل أساساً في التعامل بين الناس وفي بناء المجتمع.
- 5- الوحدة ونبذ أسباب الفرقة والانقسام والتعصب، بما يسهم في تهيئة النفوس وإعدادها لتقبل التوجيه الإلهي.
- 6- يجب إزالة الخلافات والنزاعات بين الناس، والعمل على تحقيق الوئام والتفاهم بينهم، وقد ساهمت التعاليم القرآنية في بناء مجتمع قائم على الأخوة الإنسانية والتعاون.

الفصل الثالث

التوجيه القرآني في معالجة المشكلات الاقتصادية والفكرية

المبحث الأول: معالجة الفقر والبطالة والفساد المالي

تُعد المشكلات الاقتصادية من أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات المعاصرة، لما لها من آثار سلبية على الأمن والاستقرار.

وقد قدم القرآن الكريم حلولاً متكاملة لمعالجة هذه المشكلات، من خلال:

- الحث على العمل والكسب الحلال، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾.

يُراد بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ الانتهاء من إقامة صلاة الجمعة، أما قوله: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فيعني التفرق فيها والسعي في شؤون الحياة المختلفة.

والمقصود من ابتغاء فضل الله طلب الرزق الحلال، وذلك لمقابلته النهي عن البيع الوارد في الآية السابقة. غير أن المراد لا يقتصر على طلب الرزق فحسب، بل يشمل كل ما ينال به الإنسان فضل الله وعطاءه، كالسعي في قضاء حوائج الناس، وعيادة المرضى، وصلة الإخوان، وحضور مجالس العلم، وغير ذلك من الأعمال الصالحة. كما أن الأمر بالانتشار في الأرض جاء بعد حظر الاشتغال بما يشغل عن صلاة الجمعة، ولذلك فهو يفيد الإباحة والجواز، لا الوجوب والإلزام⁽²⁾.

ومن هذا نجد أن القرآن الكريم هو الراسم الأول لطريقنا في هذه الحياة ومنه كسب الرزق والحث على العمل والرزق الحلال.

- تحريم الربا والاحتكار، وقد ذكر القرآن ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾⁽³⁾.

⁽¹⁾ الجمعة، 10.

⁽²⁾ الطباطبائي، السيد محمد حسين، ج19، ص274.

⁽³⁾ البقرة، 275.

كان الربا المتداول في الجاهلية، والذي نزلت الآيات القرآنية لإبطاله وتحريمه، يأخذ صورتين أساسيتين هما: ربا النسيئة وربا الفضل. ويُعد ربا النسيئة أكثر أنواع الربا شيوعاً آنذاك، حيث كان الدائن يمنح المدين أجلاً محدداً لسداد الدين، فإذا حلّ موعد الوفاء وعجز المدين عن السداد، زاده الدائن في مقدار الدين مقابل تمديد مدة السداد. وقد أشار قتادة إلى هذه الصورة بقوله إن أهل الجاهلية كانوا إذا حلّ الأجل ولم يتمكن المدين من الوفاء زادوا عليه في الدين وأخروا موعد السداد.

كما أوضح مجاهد أن المدين كان يُمنح مهلة إضافية مقابل زيادة مالية تُفرض عليه، فيقول له الدائن: «زدني في المال أزدك في الأجل». ومن هنا بيّن أبو بكر الجصاص أن ربا الجاهلية كان في حقيقته قرضاً مؤجلاً تُشترط فيه زيادة مالية مقابل التأخير، بحيث تكون الزيادة عوضاً عن الأجل، وهو ما جاء الإسلام لإبطاله وتحريمه حمايةً للمتعاملين من الاستغلال والظلم المالي⁽¹⁾.

• تشجيع التكافل الاجتماعي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽²⁾.

يعدّ التعاون من الأسس الرئيسة لتحقيق البر والتقوى في حياة الأفراد والمجتمعات، وقد جعله الإسلام مبدأً موجهاً للعلاقات الإنسانية من خلال قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾. فالتعاون يمثل منهجاً حضارياً يقوم على مشاركة الناس بعضهم بعضاً في أعمال الخير والإصلاح، بما يسهم في ترسيخ القيم الأخلاقية وتعزيز روح المسؤولية الاجتماعية. ويُقصد بالبر كل ما يحقق الخير والصالح في العقيدة والسلوك والعمل، أما التقوى فهي الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه، وبذلك يشكل التعاون على البر والتقوى أساساً لبناء مجتمع متماسك تسوده المحبة والتكافل والتضامن⁽³⁾.

وعليه يرى الباحث في هذا المجال الأنساني أن القوانين التي وضعها القرآن الكريم هي إنسانية في أعلى الدرجات التي تحت الناس على التكافل والتكاتف الاجتماعي، ولم يكتفي بآية واحدة في هذا المجال، حيث لا يسعنا ذكرها جميعها، لأن بحثنا مختصر ولا يتسع إلى ذلك.

⁽¹⁾ الشاذلي، السيد بن قطب، في ظلال القرآن، ج1، 324.

⁽²⁾ المائدة، 2.

⁽³⁾ فضل الله، السيد محمد حسين، تفسير من وحى القرآن، ج8، ص25.

- فرض الزكاة والصدقات، فقد جاء بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁽¹⁾. ولم يقتصر التشريع الإسلامي على دعوة الدائن إلى إنظار المدين المعسر والتخفيف عنه، بل جعل للمدين العاجز عن الوفاء نصيباً من أموال الزكاة، بما يعينه على سداد دينه وتجاوز أزمته المالية. وقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلك بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ... وَالْغَارِمِينَ﴾، والمقصود بالغارمين الأشخاص الذين أثقلتهم الديون المشروعة الناتجة عن حاجات أو مصالح مباحة، لا عن إسراف أو إنفاق في المحرمات، ويجسد هذا التشريع جانباً مهماً من جوانب التكافل الاجتماعي في الإسلام، إذ يهدف إلى حماية الأفراد من آثار التعثر المالي ومساعدتهم على استعادة استقرارهم المعيشي، بما يحقق الرحمة والتراحم بين أفراد المجتمع⁽²⁾.
- محاربة القرآن الفساد المالي لأنه يؤدي إلى ضياع الحقوق وانتشار الظلم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾⁽³⁾. لمقصود بالأكل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ ليس الأكل بالمعنى الحسي فحسب، بل يراد به الأخذ والتصرف في الأموال على وجه مجازي. ويصح هذا الاستعمال لأن الأكل من أقدم وأقرب الأفعال الطبيعية التي يدرك الإنسان حاجته إليها منذ بداية نشأته؛ فهو أول ما يشعر به من متطلبات الحياة، ثم تتفرع بعد ذلك حاجاته الأخرى كاللباس والسكن والزواج وغيرها. ولهذا شاع استعمال لفظ الأكل للدلالة على مطلق الأخذ والتصرف، ولا يقتصر ذلك على اللغة العربية، بل هو أسلوب معروف في كثير من اللغات.

⁽¹⁾ التوبة، 60.⁽²⁾ الشاذلي، السيد بن قطب، في ظلال القرآن، ج 1، 333.⁽³⁾ البقرة، 188.

أما المال فهو كل ما تتعلق به رغبات الناس ويُرغب في امتلاكه والانتفاع به، ويُقال إن أصله من الميل؛ لأن النفوس تميل إليه وتتطلع إلى اقتنائه. والبين هو ما يفصل بين شيئين أو أكثر، في حين أن الباطل هو ما يقابل الحق الثابت المشروع.

ويكشف تقييد النهي بقوله تعالى: ﴿يُنْكُمُ﴾ عن دلالة مهمة، وهي أن الأموال وإن كانت موزعة بين الأفراد وفق نظام الملكية المشروعة، فإنها في أصلها تمثل مورداً عاماً للحياة الإنسانية، وقد نظم الله تعالى الانتفاع بها من خلال قوانين عادلة تحفظ الحقوق وتمنع أسباب الفساد. ومن ثم فإن كل تصرف يتجاوز الحدود التي رسمها الشرع والعدل يُعد تصرفاً باطلاً ومرفوضاً.

كما أن إضافة الأموال إلى الناس في قوله: ﴿أَمْوَالُكُمْ﴾ تتضمن إقراراً بمبدأ الملكية واحترامها، وهو مبدأ استقر عليه المجتمع الإنساني منذ أقدم العصور، حيث اعترفت المجتمعات بحق الأفراد في التملك والانتفاع بأموالهم ضمن الضوابط التي تحقق العدالة وتحفظ مصالح الجميع⁽¹⁾.

وعليه فإن تطبيق المبادئ الاقتصادية الإسلامية يساهم في تحقيق العدالة الاجتماعية وتقليل نسب الفقر والبطالة.

المبحث الثاني: معالجة الانحراف الفكري والتأثير السلبي للتكنولوجيا

في ظل التطور الذي نمر به حيث شهد العصر الحديث تطوراً تكنولوجياً هائلاً، إلا أن هذا التطور رافقه آثار سلبية تمثلت بانتشار الأفكار المنحرفة والإشاعات والمحتوى غير الأخلاقي.

وبسبب ذلك نرى أن القرآن الكريم واجه الانحراف الفكري من خلال:

- الدعوة إلى التفكير والتأمل حيث ذكر الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽²⁾.

تجسد هذه الآيات دعوةً متجددة إلى التأمل في الكون واستحضار علاقة الإنسان بمحيطه الطبيعي.

⁽¹⁾ الطباطبائي، السيد محمد حسين، ج2، ص55-56.

⁽²⁾ آل عمران، 190-191.

فالمؤمن لا ينظر إلى عناصر الطبيعة نظرة استغلال أو انتفاع مجرد، بل يراها مخلوقات لله تعالى تشاركه الانتماء إلى خالق واحد. فهو ينظر إلى الأرض بوصفها موطناً يحتضنه ويمنحه أسباب الحياة، وإلى الأشجار والنخيل باعتبارها نعماً إلهية تستحق الرعاية والحفاظ، كما يتأمل الشمس والقمر وسائر الموجودات الكونية وهي تسير وفق النظام الذي أودعه الله فيها.

وقد حرص الإسلام على ترسيخ هذه العلاقة الوجدانية والروحية مع الطبيعة، فربط حياة الإنسان اليومية بذكر الله عند التعامل مع مظاهرها المختلفة؛ فشُرعت الأدعية عند ركوب الدابة، وعند رؤية الهلال، وعند سماع الرعد، وغيرها من المواقف التي تجعل الإنسان أكثر وعياً بعلاقته بالكون وخالقه. كما كان رسول الله ﷺ يتعبد ربه ويتأمل في السماء والنجوم، مستلهماً من هذا التأمل معاني الإيمان وعظمة الخالق. وتتجلى واقعية هذه الآية وتجدها في عصرنا الحاضر من خلال دعوتها إلى النظر الواعي في الكون، والاهتمام بالبيئة، والحفاظ على الموارد الطبيعية، واستثمار التقدم العلمي في اكتشاف أسرار الخلق دون أن يفقد الإنسان شعوره بالمسؤولية تجاه ما حوله. فكلما ازداد الإنسان معرفة بقوانين الكون واتساعه، ازداد إدراكاً لعظمة الخالق، وبقيت الآية تحته على التفكير والتأمل في آيات الله الكونية بوصفها طريقاً إلى الإيمان والمعرفة والبناء الحضاري⁽¹⁾.

ومن هنا نرى أن آيات القرآن الكريم هي لكل عصر زمان حيث عند التأمل بما أوصانا الله تعالى ورسوله والتذكر بما جاء من ربنا الكريم نجد هذا من الحلول المفيدة لمعالجة الانحراف الفكري بسبب التطور والتأثير السلبي في الاستخدام الخاطئ للتكنولوجيا.

• نبذ التقليد الأعمى، ونجد من أهم الآيات التي تدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۖ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾⁽²⁾. يستنكر القرآن الكريم منهج التقليد الأعمى الذي يقوم على اتباع الآباء والأجداد دون تفكير أو تمحيص، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، فالقرآن يقرر أن قيمة الاتباع لا تتبع من مجرد انتساب الفكرة أو السلوك إلى الآباء، وإنما من موافقته للعقل والهدى والحق. أما إذا كان

⁽¹⁾ (المدرسي، السيد محمد تقي، من هدى القرآن، ج17، ص237.

⁽²⁾ (البقرة، 170.

الموروث قائماً على الجهل أو الضلال، فإن التمسك به لا يؤدي إلا إلى استمرار الخطأ وترسيخ الانحراف.

فالإنسان الذي يفتقر إلى الوعي والإيمان الراسخ بشخصيته وقيمه قد يلجأ إلى الاحتماء بالموروثات والعادات والتقاليد لمجرد أنها موروثة، فيمنحها قداسة لا تستند إلى دليل أو برهان. ومن هنا جاء موقف الإسلام الرافض لكل أشكال التقديس غير المبرر للعادات والأعراف، والداعي إلى إخضاعها لمعيار العقل والشرع والمصلحة الحقيقية للإنسان.

وتتجلى أهمية هذا التوجيه القرآني في العصر الحاضر بصورة أوضح، إذ لم يعد التقليد الأعمى مقتصرًا على اتباع الآباء والأجداد، بل امتد ليشمل الانسياق وراء الأفكار الشائعة في وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي، أو تقليد المشاهير والمؤثرين دون وعي أو نقد. فكثير من المعتقدات الخاطئة والسلوكيات المنحرفة تنتشر اليوم بسرعة كبيرة عبر الوسائط الرقمية، ويتبناها بعض الناس لمجرد شيوعها أو كثرة متابعيها، لا لقيامها على دليل أو حقيقة.

ومن ثم فإن الآية الكريمة تؤسس لمنهج فكري يقوم على إعمال العقل، والتحقق من المعلومات، وعدم التسليم بالأفكار لمجرد أنها موروثة أو منتشرة.

وبذلك تسهم في حماية المجتمع من الخرافات والأفكار المنحرفة، وتدعو إلى بناء شخصية واعية قادرة على التمييز بين الحق والباطل، وبين ما يستحق المحافظة عليه من التراث وما يحتاج إلى مراجعة وتصحيح وفق مبادئ العقل والهداية⁽¹⁾.

ومن خلال ما جاء في قوله تعالى والتفسير نجد ان الله تعالى نبذ التقليد الأعمى كونه قد يقود الإنسان الى اشياء ليس لها علاقة بالدين والعقيدة وقد تكون منحرفة وهو لا يعلم بسبب هذا التقليد.

• تعزيز الوعي والمعرفة، وقد تكون آيات كثيرة قد جاءت ترشدنا الى الوعي والفهم والمعرفة كونه النور الذي ينير الدرب ويبعدنا عن الانحراف الفكري والتأثير السلبي للحدثات وللتكنولوجيا ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁽²⁾.

⁽¹⁾ الشيرازي، مكارم ناصر، الأمثل في كتاب الله المنزل، ج1، ص480-481.

⁽²⁾ الإسراء، 36.

مبدأ المسؤولية الفردية عن مصادر المعرفة ووسائل الإدراك التي يمتلكها الإنسان. فالسمع والبصر والفؤاد ليست أدوات للتلقي العشوائي، بل هي أمانات يُسأل الإنسان عن كيفية استخدامها وتوجيهها. وتشمل هذه المسؤولية ما يتبناه الفرد من أفكار وقناعات، وما يصدر عنه من أحكام ومواقف وسلوكيات تجاه الآخرين. وأهمية هذا التوجيه القرآني في معالجة الانحراف الفكري والتأثيرات السلبية للتكنولوجيا في العصر الحاضر؛ إذ أصبح الإنسان معرضاً يومياً لكم هائل من المعلومات والأفكار والمحتويات عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية. ومن هنا تدعو الآية إلى التثبت والتحقق وعدم الانسياق وراء الشائعات أو الأفكار المنحرفة أو الأخبار المضللة دون علم أو دليل. كما تحث على ضبط ما يراه الإنسان ويسمعه ويتفاعل معه في الفضاء الإلكتروني، والابتعاد عن الممارسات السلبية كالتشهير والإساءة والتنمر الإلكتروني ونشر الإشاعات والغيبة والنميمة الرقمية.

وعليه ترسخ الآية وعياً معرفياً وأخلاقياً يجعل الفرد أكثر قدرة على التعامل الرشيد مع التكنولوجيا، فينتفع بإيجابياتها في التعلم والتواصل والبناء المعرفي، ويتجنب آثارها السلبية التي قد تؤدي إلى الانحراف الفكري أو الإخلال بالقيم الاجتماعية والأخلاقية. ومن ثم فإنها تمثل أساساً قرآنياً مهماً في بناء شخصية واعية ومسؤولة قادرة على التمييز بين الحق والباطل في البيئة الرقمية المعاصرة⁽¹⁾.

ويمكن ان نستنتج ان الوعي والمعرفة يعطي للإنسان الفهم الكامل لما يحصل بينه وبين المجتمع المعاصر ويبعده عن الانحراف الفكري والتأثير السلبي للتكنولوجيا والاستخدام الخطأ لها.

• التحذير من الشائعات والأخبار الكاذبة، حيث يمكن ان نستشهد بالآية من سورة الحجرات قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾⁽²⁾. ضرورة التحقق من الأخبار والمعلومات قبل قبولها أو البناء عليها، وذلك تجنباً للوقوع في الخطأ أو إلحاق الضرر بالآخرين نتيجة الاعتماد على معلومات غير دقيقة. فالآية تؤسس لمبدأ التثبت والتدقيق في مصادر الأخبار، وتحذر من التسرع في إصدار الأحكام أو اتخاذ المواقف استناداً إلى معلومات قد تكون غير صحيحة.

⁽¹⁾ (المدرسي، السيد محمد تقي، من هدى القرآن، ج6، ص232.

⁽²⁾ (الحجرات، 10.

وقد نزلت الآية في حادثة أظهرت خطورة الاعتماد على الأخبار غير المتحقق منها، حيث أدى سوء الفهم إلى نقل صورة مغايرة للواقع، الأمر الذي كاد أن يترتب عليه اتخاذ موقف خاطئ بحق جماعة بريئة. ومن هنا يرسخ القرآن قاعدة عامة مفادها أن صحة الخبر لا تُبنى على مجرد نقله، بل تحتاج إلى التحقق من صدقه وملابساته وآثاره المحتملة.

وتزداد أهمية هذا المبدأ في عصر التكنولوجيا والاتصال الرقمي، حيث أصبحت الأخبار والمعلومات تنتشر خلال ثوانٍ عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الإلكترونية. فالكثير من الشائعات والأخبار المضللة والمحتويات المفبركة قد تُداول على نطاق واسع دون التحقق من مصادرها، مما يؤدي إلى تضليل الرأي العام، أو تشويه سمعة الأفراد والمؤسسات، أو إثارة الفتن والنزاعات داخل المجتمع. وعليه، فإن التوجيه القرآني بالتبين والتثبت يمثل منهجاً وقائياً لمعالجة الانحراف الفكري والتأثيرات السلبية للتكنولوجيا، إذ يدعو إلى تنمية الوعي الرقمي، والتحقق من مصادر المعلومات، وعدم الانسياق وراء كل ما يُنشر أو يُداول إلكترونياً. كما يسهم في بناء شخصية واعية وناقدة قادرة على التمييز بين الحقيقة والإشاعة، وبين المعرفة الموثوقة والمعلومات المضللة، وبذلك يحافظ على استقرار المجتمع ويحميه من الآثار السلبية لسوء استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة⁽¹⁾.

وعليه نختتم الفصل بالتحذير من الشائعات والأخبار الكاذبة لما لها من تأثير سلبي على الفرد والمجتمع من تشويه سمعة للآخرين وتترك انطبعا سلبى للشخص الناقل او المستمع وتولد كره وحقد وغيرها من الأمور السلبية التي هي بعيدة كل البعد عن الأسلام.

كما دعا القرآن إلى استثمار العلم والتكنولوجيا فيما ينفع الإنسان، وعدم استخدامها في نشر الفساد والانحلال.

إن التمسك بالتوجيه القرآني يساعد الشباب على مواجهة التحديات الفكرية والثقافية، ويحميهم من الوقوع في الانحراف والتطرف. لأن الإنترنت مكان يستطيع فيه شخص عمره 14 سنة أن يشرح الاقتصاد العالمي بثقة كاملة وهو لم ينجح بالرياضيات بعد تجربة بشرية مذهلة.

⁽¹⁾ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج9، ص343.

نتائج الفصل الثالث

- 1- معالجة الفقر والبطالة والفساد المالي من خلال الحث على العمل والكسب الحلال و تحريم الربا والاحتكار وتشجيع التكافل الاجتماعي و فرض الزكاة والصدقات.
- 2- محاربة القرآن الفساد المالي لأنه يؤدي إلى ضياع الحقوق وانتشار الظلم.
- 3- معالجة الانحراف الفكري والتأثير السلبي للتكنولوجيا وقسمناها الى الدعوة إلى التفكير والتأمل و نبذ التقليد الأعمى و تعزيز الوعي والمعرفة و التحذير من الشائعات والأخبار الكاذبة.

النتائج

1. أثبت البحث أن القرآن الكريم يمتلك منهجاً متكاملاً لمعالجة مشكلات المجتمع المعاصر.
2. يسهم التوجيه القرآني في تعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية.
3. يؤدي الالتزام بالتعاليم القرآنية إلى الحد من التفكك الأسري والانحراف الأخلاقي.
4. يوفر القرآن حلولاً اقتصادية فعالة لمشكلة الفقر والفساد المالي.
5. يساعد التوجيه القرآني في مواجهة الانحراف الفكري والتحديات الثقافية المعاصرة.
6. يؤكد القرآن الكريم أهمية الحوار والتسامح والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع.

الخاتمة

يتضح من خلال هذا البحث أن القرآن الكريم لم يكن كتاب عبادة فحسب، بل هو دستور حياة شامل يعالج مختلف المشكلات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

وقد قدم التوجيه القرآني حلولاً واقعية ومتوازنة تسهم في بناء مجتمع مستقر قائم على العدل والتعاون والأخلاق.

كما أن المجتمعات المعاصرة أصبحت بأمر الحاجة إلى العودة للقيم القرآنية لمواجهة ما تعانيه من أزمات أخلاقية وفكرية واجتماعية.

فالقرآن الكريم يرسخ مبادئ الرحمة والعدالة والتكافل، ويضع الأسس الكفيلة بتحقيق الأمن والاستقرار.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم :

1. الحربي، سهيل بن عبيد. (2023). الأساليب الدعوية الأساسية وفق التوجيه القرآني، مجلة الدراسات التربوية والأنسانية جامعة دمنهور.
2. سيد قطب، بن ابراهيم. (1412). في ظلال القرآن. بيروت: دار الشروق.
3. الشيرازي، ناصر. (1414). تفسير الأمل في كتاب الله المنزل. قم: مدرسة الامام علي بن ابي طالب.
4. الصالح، صبحي. (2000) مباحث في علوم القرآن، بيروت: دار العلم للملايين.
5. الطباطبائي، محمد حسين. (1405). تفسير الميزان. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
6. الطوسي، ابو جعفر. (1409). التبيان في تفسير القرآن. قم: مكتب الإعلام الإسلامي.
7. فضل الله، محمد حسين. (1419). من وحي القرآن. بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر.
8. المدرسي، محمد تقي. (1419). من هدى القرآن. بيروت: دار محبي الحسين.
9. النجار، محمد زغلول. (210). آيات الاعجاز العلمي في القرآن الكريم. بيروت: دار المعرفة.

الأخر في شعر أبي الفرج الببغاء (٣٩٨هـ)

م.د. حيدر كاظم محمد

مديرية التربية في محافظة بابل

الخلاصة

وتعد موضوعة الآخر سمة مركزية مهيمنة في شعر العصر العباسي، ولا سيما شعراء القرن الرابع الهجري، إذ تتشكل من خلالها هويتهم الشعرية والثقافية والأدبية، وتصطف في الجهة المقابلة من الآخر الذات الفردية بتجاربها الانسانية ومشاعرها باتجاه الآخر المتعدد والمتلون بين الصور التي تحاكي الفضاء الخارجي من الطبيعة، أو الآخر صورة المفرد كالصديق والعدو، والحبیب والأمير، والشعراء، والأدباء إن كانوا متعددين، مما ينسجم أو يتألف مع الذات، أو لا يتوافق ويتخالف معها، وهنا مكن الصراع والتكامل في الرؤى الفلسفية، وانكشاف الازمات النفسية والاجتماعية في مواجهة الواقع، إذ كان نديماً للملوك والأمراء والشعراء كالمتنبى.

يتناول البحث ديوان الشاعر المخزومي أبي الفرج الببغاء، وهو الأديب والشاعر من شعراء حاضرة سيف الدولة الحمداني، مدح الكثير، وتنقل في البلاد كثيراً.

وسنعمد في توثيق الابيات الشعرية ديوانه المحقق من الدكتور سعود محمود عبد الجابر في طبعته الأولى ٢٠٠٤، ونستأنس كذلك بمطبوع الدكتور ناجي هلال في مجلة المجمع العلمي العراقي كونها الأقدم في التوثيق.

جاء شعره كثيراً في المديح، على الرغم أنه لم يشارك في الحروب التي خاضتها الدولة العربية في الموصل (الدولة الحمدانية) ولم يكن قائداً عسكرياً فيها، الا أنه مدح قادتها وأمرائها، فضلاً عن الوصف، مقارنة بفقر الديوان عن غرض الغزل.

الكلمات المفتاحية: الآخر في الشعر والأدب وعلم النفس والاجتماع، وابو الفرج الببغاء، الآخر في الأغراض الشعرية.

Abstract

The theme of the “Other” is considered a dominant and central feature in the poetry of the Abbasid era, especially among the poets of the fourth Hijri century. Through this theme, their poetic, cultural, and literary identity is formed. Opposite the “Other” stands the individual self with its human experiences and emotions directed toward the multiple and diverse forms of the Other, whether represented by images reflecting the external world of nature, or by individual figures such as the friend and the enemy, the beloved and the prince, poets and men of letters. This Other may harmonize and integrate with the self, or conflict and disagree with it. Here lies the essence of struggle and integration within philosophical visions, as well as the revelation of psychological and social crises in confronting reality. Abu al-Faraj al-Babbghaa was a companion to kings, princes, and poets such as Al-Mutanabbi.

This research examines the Diwan of the Makhzumi poet Abu al-Faraj al-Babbagh, who was one of the literary figures and poets associated with the court of Sayf al-Dawla al-Hamdani. He composed abundant praise poetry and traveled extensively across various lands.

In documenting the poetic verses, the study relies primarily on the edited edition of his Diwan prepared by Dr. Saud Mahmood Abduljaber first published in 2004, while also benefiting from the edition published by Dr. Naji Hilal in the Journal of the Iraqi Scientific Academy, as it represents the earliest documented publication.

Most of his poetry was devoted to praise, despite the fact that he did not participate in the wars fought by the Arab state in Mosul (the Hamdanid State), nor was he one of its military leaders. Nevertheless, he praised its commanders and princes, in addition to composing descriptive poetry, whereas his Diwan contains relatively little ghazal poetry.

Keywords: The Other in poetry and literature, psychology and sociology, Abu al-Faraj al-Babbghaa, the Other in poetic purposes.

المقدمة

نال الشاعر ابي الفرج البغاء (٣٩٨هـ) في العصر العباسي ولا سيما في القرن الرابع الهجري شهرة واسعة، فظهر شعره مواكباً للترف الحضاري في الحاضرة العباسية، مثل وصف الطبيعة واشياءها والمديح وادوات الصيد، وقد أختارنا في هذه الدراسة جدلية (الأخر) وهو المتفاعل مع الذات ومحيطها المتنوع كالدهر والاعداء والحبية والممدوح والصديق، إذ إن العلاقة بين الشاعر والأخر قائمة على طرف نقيض، أو تماثل، فتكونت لديه رؤية فلسفية حول الحياة والدهر والاعداء في شعر البغاء المحب للطبيعة والحروب في جانب آخر والذي اتصل بسيف الدولة الحمداني فكان من قداماء وندماء البلاط الحمداني.

وهدف البحث والدراسة هو الكشف عن دور الآخر في حياة البغاء من خلال رؤيته الفلسفية والنفسية ناظراً للدهر وخياناته، والشكوى من الزمن ومواقف الاصحاب، أو الاعداء في الحروب، ومواقف الحاكم، وتدني الموت وانقضاء الشباب، كذلك تأثير الزمان والمكان.

وقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي في رصد ظاهرة وجود الآخر مع أنا الشاعر واثرها في شعره عن طريق تحليل القصائد وتقصي انواع المتعدد مع الآخر، مع الافادة من المنهج النفسي في تفسير فلسفة الوجود الإنساني مع الآخر، وتمثيل معاناة الشاعر ومشاعره النفسية من خلال شعره.

وقسم البحث على أقسام أهمها: التمهيد والذي خصصته لتعريف الآخر في المعاجم اللغوية وفي علم النفس، وعند الفلاسفة، وعند المختصين من علماء العربية والنقد الأدبي، ثم علاقة الآخر بالمتعدد، الأمير الحاكم، العدو الصديق، الدهر، الزمان، والمكان.

الأخر في اللغة والاصطلاح:

الأخر والآخرى، كلاهما اسم على وزن (أفعل) ويكون فيه معنى الصفة نحو قولهم: جاء في اخريات الناس، أي في اواخرهم^(١)، وورد في القرآن الكريم (فعدة من أيام أخر)^(٢)، وورد في معجم علوم اللغة العربية

^(١) تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ت ٣٩٣ هـ): 1 / 12

^(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٤

ومصطلحاتها بمعنى (غير): جاءني رجل وآخر معه، أي وغيره معه ⁽¹⁾، وبذلك فهو متعدد لا يمكن حصره أو تحديده كونه موجود بوجود (الأنا، الذات العليا) تتفاعل معه على سبيل الائتلاف والتوافق، أو الاختلاف والتناقض، وكذلك في لسان العرب بمعنى غير "كقولك رجل آخر، وثوب آخر، وفي قوله تعالى ولي فيها مآرب أخرى، كون المآرب بمعنى الجماعة الأخرى من الحاجات.. جاء في أخريات الناس، وأخرى القوم، أي في أواخرهم" ⁽²⁾.

ويبقى الآخر في علاقة جدلية مع الأنا، إذ لا وجود للأنا إلا من خلال الآخر المجتمع ومكوناته وسماته الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية، كون الآخر يتعدد بتعدد الأنا، ويتفاعل معها. إذ ظهر المصطلح ما بعد الكولونيالية في سياق علاقة المستعمر بالمستعمر، ففي الاصطلاح "العملية التي يُنشئ من خلالها الخطاب الإمبريالي أخرى، فالأخرية عملية تصف الطرق المختلفة التي ينتج عبرها كل خطاب كولونيالي موضوعات اشتغاله وممارساته" ⁽³⁾، ومن ثم فالآخر أو الأخرية والغيرية هي المضاد والمغاير لكيثونة الأنوية أو الهوية، والآخر هو مصدر تحرر الأنا من كل أنانية أو فردية وهو الكمال فالأنا الناقصة واكتشان مواطن لامتلائها.

* الآخر في علي النفس والاجتماع:

أما عند الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع، فيشكل الآخر حلقة الوصل بين الذات والعالم الآخر الخارجي أو الموازي، كون الآخر هو الممدوح عند أبي الفرج البغواء، وغالباً ما يكون صديقاً واليفاً ومحوباً، وليس متوهماً كما في العصر الحديث ما يعد التطور الحضاري في القصيدة المعاصرة .

⁽¹⁾ ينظر: المعجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها: 23

⁽²⁾ لسان العرب، ابن منظور، دار احياء التراث العربي، بيروت ، طبعة ٢٠١٠، ٧٢ - 73.

⁽³⁾ تمثلات الانا والآخر في القصة العمانية المعاصرة، د. محمد الشحات عبد المجيد، حولية كلية اللغة العربية، بنين بجرجا، العدد ٢٤، مصر ٢٠٢٠، الجزء الثامن: ٧٦٤٣.

و بتفسير فرويد عالم النفس الأنا متوسطة بين الأنا الذات العليا، وبين الآخر (الهو المتعدد) مما ينتج عن ذلك صراعات لمطالبات داخلية أو خارجية في النفس الانسانية أو سلوكها أو مشاعرها ⁽¹⁾، كون الشعر هو المعبر الوحيد لمكامن الشعور الإنساني وافكار الانسانية نحو العالم المادي الموجود ولا بد للفرد أن يكون خاضعا للجماعة كون المجتمع ظاهرة اجتماعية مقدسة.

إن صورة الآخر هو الاجتماعي والتي تعد مركز الطبيعة الشخصية، فأنها لا تبين قدرتها إلا عن طريق البيئة الاجتماعية، وإن الشعور بالانا لا يظهر من دون أن يكون مصاحباً بذوات الآخرين، والمشاركين في الوجود. ولعل ما أفرزه السياق الاجتماعي من صور متحولة للآخر المتلون بصور سلبية أو ايجابية مألوفة أو غير مألوفة ما يتضح حقيقة قيمة الانسان وتفكيره وسلوكياته تقع تحت تأثير الآخر (الوهمي أو الحقيقي) وتأثير سلطة المجتمع بالنسبة للذات الأنوية وبالنسبة للآخر المكاني أو الزماني أو الانساني أو الوهمي المتخيل.

ويعرف (دور كايم) الظاهرة الاجتماعية بكونها "ضرب من السلوك، ثابتاً كان أو متغير غير ثابت، يمكن أن يباشر نوعاً من القهر الخارجي على الأفراد، أو هيكل سلوك يعم في المجتمع بأسره، وكأنه ذو وجود خاص مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية" ⁽²⁾، والذات الفردية تتخلق عبر التفاعل مع الآخرين، والآخر من الناحية الفلسفية هو كل ما غريب وغير ما لون أو عدائي، يهدد وحدة التنا أو صفائها أو وجودها وكيونيتها ⁽³⁾، وقد يكون شخصاً وشيئاً مادياً أو معنوياً خارج ذات الشاعر فلا يمكن للانا أن تتمظهر إلا من خلال علاقتها بالآخر فقراءة الآخر هي في الوقت نفسه قراءة للذات في مراتها.

وتعد فلسفة مانويل ليفانس ثورة اخلاقية في الفلسفة المعاصرة والحديثة في رؤية (الآخر) كونها وجدت في الآخر علاقة المسؤولية المطلقة وغير المشروطة (اي مهمة اخلاقية) وهي الأولى للايتقيا بدل الميتافيزيقيا

⁽¹⁾ ابعاد جدلية الانا مع الآخر الدلالية في شعر بلند الحيدري، خطوات في الغربة واغاني الحارس المتعبة انموذجاً، مجلة دراسات الادب المعاصر، سوداية مظفري، 230: 15 - 17.

⁽²⁾ النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هايرماس: 68 / 69، ترجمة: محمد حسين علوم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٩٩٩، ع ٢٤٤: ٦٨.

⁽³⁾ أبعاد جدلية الانا مع الآخر في شعر بلند الحيدري: ١٥.

والأنطولوجيا، كون الاخلاق تشير إلى مستوى ميثافيزيقي وراثي لا يمكن للأنطولوجيا (الاعراف والتقاليد) بلوغه، لأنه رفض كل الفلسفات التي تدعو الى التمرکز حول الذات، وتهميش الآخر، فنقله بفلسفته من الهاش الى المرتکز⁽¹⁾، فهو يجنح نحو السلم وثقافة السلام المحض الذي يركز على رؤية خاصة للعلاقة بين الأنا والآخر عبر الوعي القصدي وعبر الالتقاء مع الآخر وفتح الآفاق الواسعة للتواصل والحوار والسلام.

(٣٩٨ هـ) أبو الفرج البغواء (ت 398 هـ)⁽²⁾:

وهو الاديب عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، النصيبي، له ديوان، ومذائح في سيف الدولة، وتنقل في البلاد، ومدح الكبار، أحد شعراء العصر العباسي في القرن الرابع الهجري، ولقب بالبغواء لفصاحته وقيل، بل للثقة في لسانه، توفي في شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.

نادم الملوك والرؤساء وقضى حياته مقسم الحظ بين النجاح والإخفاق، ينعم تارة، ويشقى أخرى، وإقلال المؤلفين من الحديث عنه كونهم يهتمون في الاغلب بتقييد ما يصل اليهم من اخبار المشاغبين من الكتاب والشعراء، وما عرف عنهم من دسائس ومكائد وسفاهات وأكثر ما يكونون من طبقات الوزراء أو امناء الملوك والوزراء، ما يدل على ذلك أنه لم يتصل بملوك زمانه على نحو ما اتصل صاحب بن عباد، أو ابو الفضل بن العميد، وانما صلاته كانت في حدود السمر والأنس⁽³⁾.

وكان من ابرز امراء بني حمدون سيف الدولة الحمداني الذي أبهر أهل الموصل وربيعه بكرمه وشجاعته واستأثر بالاستقلال عن بقية أمراء بني العباس في جزء من أرضه، ولا سيما ساعدته الظروف من المال والرجال والانصار، فضلاً عن الثقافة الواسعة واحتواء العلماء والادباء والشعراء، فإن "عروبة بني حمدان

⁽¹⁾ ينظر: الآخر، الانثى في فلسفة إيمانويل ليفيناس، مجلة لوغوس، مخبر الفينو مينولوجيا وتطبيقاتها، د. درقام نادية، جامعة تلمسان الجزائر، ع 10، 2020: ص 23.

⁽²⁾ سير اعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، الطبعة 22، البغواء، ج 17: 91، تحقيق د. بشار عواد معروف، د. محي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت 1966، ط 11.

⁽³⁾ ينظر: النشر الفني في القرن الرابع الهجري الفصل الخامس ابو الفرج البغواء، الباب 6 تأليف د. زكي مبارك، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة: ٥٨٣ - ٥٩١، 2012.

عروبة خالصة تخلو من دم الموالي والدخلاء، ولهذا فإننا نجد ان الشعراء عندما أرادوا مرح الامراء الحمدانيين ردّوهم إلى أجدادهم الاوائل⁽¹⁾. ومنهم شاعرنا أبي الفرج الببغاء الشاعر والناشر، فقد عرف بالمديح والوصف والفخر و الغزل، ولم يقرب الهجاء الفاحش، فلا يتناول الاحساب أو الاعراض مثل شعراء عصره، بل كان رقيق الحواشي نبيل الاخلاق والمروءة، محبباً عند أعالي القوم وعامتهم، ترفعه لغته التي يسمو بها عن الهجو، إذ يقول: (2) من الأواخر:

أَكُلُّ وَمِيضٍ بَارِقَةٍ كَذُوبُ أَمَا فِي الدَّهْرِ شَيْءٌ لَا يَرِيبُ
تَشَابَهَتْ الطِّبَاعُ فَلَا دَنِيءٌ يَحِنُّ إِلَى التَّنَاءِ وَلَا حَسِيبُ
وَشَاعَ الْبُخْلُ فِي الْأَشْيَاءِ حَتَّى يَكَادُ يَشُخُّ بِالرَّيْحِ الْهَبُوبُ

إذ يكتفي الشاعر عن صفة البخل حتى أصبحت الوعود كالسراب والبرق الخلب الخالي من المطر لا يرجى منه خيراً، مما يعبر عن فقدان الثقة في وعود الناس وعطاياهم، فلا دنيء يحن للتناء، ولا حسيب كذلك، والابيات في عتاب اللئام من الناس واهداء صفات الشحيح والبخل.

الأخر في الأغراض الشعرية:

تجلت ثنائية الآنا والآخر بمفهوم الفخر بالذات، والآخر على الرغم من تغليب الأنوية عند عدد من الشعراء اللذين ارتبطوا ببلاط الخلافة العباسية كابي نؤاس، وابن الرومي، وابي فراس الحمداني، وأبي الطيب المتتبي، وأبي على البصير في زمن المعتصم والمتوكل العباسي، فعاشوا في زمن منحهم المكانة المرموقة بين الشعراء والادباء والندماء، مما يغبطهم على تلك المكانة سائر الشعراء في المشهد الثقافي والادبي للحاضرة العباسية. كونهم الانموذج المتفرد في تجاربهم الذاتية، أو الموضوعية في تحدياتهم مع الآخر الاجتماعي والنفسي، ومنهم شعراء البلاط الحمداني، إذا تسمت انفسهم بالشموخ والرفعة والاعتزاز والكرامة

⁽¹⁾ سيف الدولة الحمداني، مصطفى الشكعة، طبعة الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 2000، ص 18.

⁽²⁾ ينظر: ابو الفرج الببغاء، مجلة الرسالة، العدد 277، د. عبد العظيم علي قناوي، وينظر الديوان www.aldiwan.net، ومحاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، ج 1، ص 690، طبعة 1، ١٤٢٠ هـ، شركه دار الارقم، بيروت.

والشجاعة التي اكتسبوها من البلاط، مما عكس تلك الجدلية القائمة على ثنائية تفاعل الانسان مع ذاته ومع المجتمع، وتفاعله مع الأنا ومع الآخر الذي لا بد من وجوده، كما في قول المتنبي^(١):

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمّم

أما سلطة الآخر فقد تتباين بين المتوافق مع ممدوحة أو المتخالف معه، وبين المتصالح والمتطابق مثل سيف الدولة الحمداني، وبين العدد المتضاد معه، كذلك هي الحال مع شاعرنا الى الفرج البغاء، مما يرفض فيه التسلط أو الكذب أو الخداع، ومعاداة الاعداء وهم (الآخر)، أو مجارة الاصدقاء والتواء مثل المتبني وهو صاحبه (الآخر)، المتوافق معه.

إن صورة الآخر الاجتماعي المتعدد يعد مركز الطبيعة الإنسانية، والتي لا تبين قدراتها إلا عن طريق البيئة الاجتماعية، إذ يتأزر الأنا مع الآخر مصحوباً بذوات أخرى، زمان، ومكان، وشخصيات كجزء لا يتجزأ منه، فالديار وقعها مرتبط بالمكان والزمان المتعلقان معاً.

نستنتج من ذلك أنه لا بد من التقاء الآخر مع الذات، والتقاء الأنا مع الآخر فلا يمكن أن تكونا بمعزل عن بعضهما، كون الآخر يجسد الحياة الأكبر والمجتمع المترامي الأطراف، عن الذاتية وحياتها الداخلية، فهي جزء لا يتجزأ من الكل، وإن لم تكن الكل كله، ويبرز ذلك في قول الفيلسوف كارل يا سبرز "لكنني لا أكفي نفسي، ولا أكتفي بأنيتي الأ بمشاركتي العالم الذي أتحرك فيه"^(٢)، ومن ثم يمكن رصد مكونات الآخر الدلالية والعلامات اللغوية وعلاقتها بالانا الشاعر، ولأن الشاعر كتب أكثر قصائده في الطبيعة الصامتة والمتحركة فضلاً عن المديح فقد أثرت اختيار النماذج بما يحاكيهما، فهو إن تصالح مع الدهر مرة، فقد خيب ظنه الدهر مرات، يقول في إحدى قصائده الوصفية^(٣):

^(١) ينظر: الانا في شعر المتنبي، احمد مبارك الخطيب، مجلة مرافئ، العدد 8 الرياضي، 2008: 57 - 58، ينظر: الآخر في شعر المتنبي، د. سعد يونس الراشدي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع الاردن، ٢٠١٦: ٩ - ٢٥.

^(٢) سرد الآخر، صلاح صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة 6، 2003: 99.

^(٣) ديوان عبد الواحد بن نصر المخزومي البغاء، دراسة وتحقيق د. سعود محمود عبد الجابر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ قطر، دار الحامد: 94.

1 - الآخر - الدهر - الطبيعة:

وَيَوْمَ كَأَنَّ الدَّهْرَ سَامَحَنِي بِهِ فَصَارَ أَسْمُهُ مَا بَيْنَنَا هَبَّةَ الدَّهْرِ
جَرَّتْ فِيهِ أَفْرَاسُ الصِّبَا بِإِرْتِيَاخِنَا إِلَى دَيْرٍ مُرَّانٍ الْمُعْظَمِ وَالْعُمْرِ
بِحَيْثُ هَوَاءَ الْعَوْطَيْنِ مُعْطَرٍ ال نَسِيمِ بِأَنْفَاسِ الرِّيحَيْنِ وَالزَّهْرِ
فَمِنْ رَوْضَةٍ بِالْحُسْنِ تُرْفِدُ رَوْضَةً وَمِنْ نَهْرٍ بِالْفَيْضِ يَجْرِي إِلَى نَهْرٍ

ومن النص تتضح لنا العلاقة الايجابية بين أنا الشاعر والآخر الدهر وقد سامح فيه لما أظهره من مفاتن ومباهج الحياة، فالعلامة (التسامح) وهى التماثل والتوازن والتبادل الحقيقي في رؤية موضوعية عبر الانبهار بجمال الطبيعة وتواصل الدهر وهباته، في صورة من الاعتراف بالآخر ومدّ جسور التواصل معه كونه غوطتين (أماكن معطرة بالرياحين وأنواع الزهر، وحسنها والنهر الذي يفيض الى مجرى نهر آخر) دلالة الامتلاء والغبطة في صورة من التبديل والتطوير والتغيير لما أجراه الدهر من اعتذار.

والآخر هو الدهر أيضاً بمعنى الزمان (زمان الود والحب، وزمان الأمانى، وزمان الشقاء يقول في مصاحبة الدهر، ⁽¹⁾: إذ تتربط ازمة تصور الزمن الراهن وازمة معنى حياة الإنسان.

صَبَحْتُ الدَّهْرَ فِي سَهْلٍ وَحَزْنٍ وَجَرَّبْتُ الْأُمُورَ وَجَرَّبْتَنِي
فَلَمْ أَرْ مُذْ عَرَفْتُ مَحَلَّ نَفْسِي بَلُوغَ مَنْى يُسَاوِي حَمْلَ مَنْ
وَلَمْ تَتَضَمَّنِ الدُّنْيَا لِحَظِّي مَنَالَ مَسْرَةٍ إِلَّا بَحْزَنٍ

يتضح للزمن أو الدهر الأثر الفاعل في شخصية ونفسية الشاعر، إذ ثمة علاقة وثيقة بين الزمان والمكان والذاتان هما جزء من تكوين الإنسان، ويشغل التمران ساحة كبيرة من شعره، إذ يتحدث عن تجاربه حتى أصبح عفيفاً عن مجاراته وغني بنفسه عن منايا الدهر ومصائبه التي تجرّعها بلا مسرة وبحزن دائم، فوجد ضالته في فرسه اللاحق الذي يدور فيه من بلد الى آخر، ولم يظفر بمزنة تسقي ظمأ روحه في صورة من

⁽¹⁾ ديوان عبد الواحد بن نصر المخزومي، البغواء: ١٥٧.

تكامل النفس الإنسانية والقناعة التي يحتويها في اللامكان والانطلاق نحو الفضاء الخارج، على الرغم من كون الانسان لا يمكن أن يدرك ذاته وزمنه إلا بوجود المكان، فالمكان هو الحيز الذي يحوي على الزمان والإنسان، وهو مثال حي على التطور والتغيير وسجل أمين وحافظ أفعال البشر⁽¹⁾، إذ يعاني الشاعر محنة الزمن ومحنة الدهر، ومن ثم ترى الآخر من خلال الشاعر نفسه، فللزمان دور فاعل ومؤثر في الحياة، كالزمان الموضوعي (الوقت، الليل، النهار) والزمان النفسي الداخلي والذي يدرك بالإحساس وهو متلون بتلون تجارب الشعراء التي يعيشها فتؤثر فيه⁽²⁾، كون مسألة الزمان والدهر وحالاته ذات علاقة وثيقة بوجود الإنسانية، وحالاتها بين الضعف و النقص والتهيه، أو القوة والكمال والوجود، فيتضح شعر الببغاء في العصر العباسي بتطوره، أثر معاناة الزمن وسطوة الدهر حتى غداً غير متصالح معه بل في علاقة متباينة مع الآخر (الزمن الحقيقي أو الزمن النفسي).

2 - الآخر (الصدیق): وكان لابي الفرج الببغاء صديق يتشوقه بعد خروجه من بغداد، وهو ابو محمد بن محمد بن سليمان الازدي في الموصل، إذ كتب ابیاتاً منها⁽³⁾:

ظعنْتَ فما لأنْسي من ثواء وبنْتَ فيان عن قلبي السرور

فقال الببغاء⁽⁴⁾:

بِقُرْبِكَ مِنْ بَعَادِكَ اسْتَجِيرُ وَهَلْ فِي الدَّهْرِ غَيْرُكَ مَنْ يُجِيرُ

تَأَيَّتْ فَمَا لِسُلْوَائِي دُنُو وَغَبْتُ فَمَا لِلذَّاتِي حُضُورُ

وَقَدْ صَاحَبْتُ إِخْوَاناً وَلَكِنْ مَتَى تُغْنِي عَنِ الشَّمْسِ الْبُذُورُ

فَيَا مَنْ رُعْتَ مِنْهُ الدَّهْرَ قَدَمَا يَمَنْ تَسْمُو بِخِدْمَتِهِ الْأُمُورُ

⁽¹⁾ ينظر: إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير: 195.

⁽²⁾ ينظر: الزمن في شعر خليل حاوي، مكي نومان 44.

⁽³⁾ ديوان عبد الواحد بن نصر المخزومي، الببغاء: ٨٧.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه: ٨٧.

وَمَنْ قَدَّرْتُ أَنَّ لَهُ نَظِيرًا فَحِينَ طَلَبْتُ أَعَوِّزَنِي النَّظِيرُ

فالآخر صورة متكاملة من الانا عبر التماثل والتوافق مع محور الذات الأنوية على الرغم من سياق المتضادات والطباقات التي مثلت آلية جمالية لإيصال صورة التشوق والانتظار والخائب (بقربك - ببعدك) و (دثو - حضور). (له نظيراً - اعوزني النظير)، وهذه الذات المتصاحبة مع الآخر عبر الثنائيات فالشاعر ينطلق من عالمه ومجتمعه بصفة اخص، ومن ذاته كأقرب منه في محاولة لاحتواء الآخر، من غير تملق أو كذب، أو خديعة، أو رياء، في مشاعر من الانسانية والمحبة والرضا، إذ تعبر تلك اللحظات في نفسه عن صراع داخلي وحالة نفسية مع موقف إنساني من الآخر، إذ تتحقق الشعرية عن طريق الاتساق مع الآخر والذات مع الكون والأنسان للقبض على لحظات من المفارقات الضدية التي جعلته يتنقل من الذات إلى الآخر الموضوع.

ومن ثم نستطيع تلمس رؤية صورة الآخر الدهر من خلال البعدين الموضوعي والنفسي، كون الدهر يتخذ دلالات متنوعة بحسب شعور مبدع النص الأدبي باتجاه الدهر ووفقا لمقتضيات التجارب الشعرية، ومن ثم نجد الآخر الدهر هو الذي يميز الزمن الاجتماعي وأن "أقصى ألم يعانيه الانسان هو ذلك المنبعث من استحالة عودة الماضي وعجز الانسان في الوقت نفسه عن ايقاف سريان الزمان" ⁽¹⁾، فالتفت الشاعر الى التحولات الزمنية.

3 - الآخر / الممدوح: وهو الذي يرفع من شأن الشاعر في مديحه له، إذ يعبر عن الامتتان، فضلا عن وصف البطولات في المعارك، أو رثاءه كونه شخصية قيادية، إذ يقدم صورة متكاملة عن الممدوح سيف الدولة الحمداني، فيشعر الشاعر بالفخر بنفسه وذاته وهو يوثق لحياة اجتماعية وفروسية عربية خالصة في زمن انتشر فيه الموالي من الفرس والعجم والترك والنتار، فيرسم في صورة متكاملة العلاقة الايجابية مع الآخر الذي يعطيه القيمة الذاتية والايما والطمأنينة النفسية، يقول ⁽²⁾:

⁽¹⁾ مشكلة الانسان، د. زكريا ابراهيم: 73.⁽²⁾ ديوان عبد الواحد بن نصر المخزومي، البغواء: ١٣٩

ورجاء سيف الدولة الشرف الذي يتقاصر التفصيل عن تفصيله

ضمنت تأميلي نداه فرده جذلان من سفر الظنون بسؤله

وأفقت حين بلغت ورد نواله عن ورد ممتنع النوال بخيله

فالغيث يغبطني على إنعامه والدرر يحسدني على تأميله

إذ يمدح سيف الدولة بعباياه وأفضاله على الشاعر وهو يغبطها فرحاً جذلاً على تلك النعم من انسان كريم في العطاء في صورة من التضاد والمقابلة بين صور البيت وعجزه في البيتين الثاني والثالث (تأميلي / الامل، الظنون) و (وافقت ورد نواله، ممتنع النوال بخيله) ثم التوازي والتقارب الصرفي والوزني في البيت الأخير، (الغيث يغبطني، الدرر يحسدني) (على إنعامه، على تأميله) من باب الترصيعات، فيجسد الآخر شريكاً في نجاحه وحياته في علاقة ايجابية سليمة، وقدرة قادرة على تغيير مسار حياة الشاعر، وتقدم نموذجاً يرتجيه هو، كون سيف الدولة يقدّره لموهبته الشعرية والنثرية، فلا يعامله على أساس العطاء المادي فقط، فالشعر ليس وسيلة للتكسب في الحاضرة الحمدانية، بل وسيلة للتعبير عن الامتتان والشكر للخليفة النبيل، فالآخر هو المثالي ويساهم في بناء ذاته ورفعته وليس هدمها أو دمها، فالآخر يستحق هذا الثناء والمدح، كونه راعياً للحلقات الادبية والثقافية والشعرية واللغوية.

ومن المديح ايضاً للآخر مديح ابي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء أحد الشعراء والولاة، اتصل بالمقتدر العباسي فكان يجري مجرى بني حمدان وكان بينه وبين سيف الدولة مكاتبات من الشعر و النثر ⁽¹⁾:

جَادَ رَبْعاً حَلَلَتْهُ يَا هَمَامُ مِنْ نَدَى كَفْكَ الْعَزِيزُ رِهَامُ

فَقَبِيحٌ إِنْ اسْتَزَدْتَ لَهُ صَوْبَ غَمَامٍ وَأَنْتَ فِيهِ غَمَامُ

سَوَّدَ عِنْدَهُ التَّفَاخُرُ نُلٌّ وَنَدَى عِنْدَهُ الْكِرَامُ لُبَامُ

وَسَجَايَا كَأَنَّهَا الرُّوضُ إِلَّا أَنَّهَا لِلْعُدُوِّ مَوْتٌ زُؤَامُ

(1) المصدر نفسه: ١٤٥

سَخَطُ الْمَالِ مِنْ أَكْفِكُمْ مَا حَمَدَتُهُ السُّيُوفُ وَالْأَقْلَامُ

فالجود من جود المطر فهو جائد غزير صورة للكرم والعطاء فكان وهام أي دائم غير منقطع بالنوى والسخاء والكرم، فهو الصيب من دون صوت أو قول نيوى على أصحابه وينزل، إنه مخلوق بسجايا متلونه كالرياض إلا أنه على الاعداء الموت الزؤام، وما يحمده الشاعر فيه بطولاته إشارة الى السيوف، وأشعاره ومراسلاته مع سيف الدولة، إشارة الى الاقلام.

والآخر الممدوح هو من يقدر قيمة الأدب والفن والشعر، ويكافئه على إبداعه، فالآخر لم يكن فقط حاكماً أو والياً، بل هو الراعي للفنون الأدبية، وهو من يعطي للشعر مكانته اللاتئة، إذ يعي الشاعر بمكانة الفن في المجتمع المأمون العباسي، و من ثم فالحاكم الآخر هو الضامن لاستمرارية الإبداع.

ومن ثم كان الآخر في الدراسات الأدبية والنقدية تعريفات كلها تنطلق من مبدأ (الغيرية) أو المغايرة والتي تتسع به الى جهات أبعد، كون المفهوم في علم النفس يشير إلى أن مجموعة من السمات والسلوكيات الاجتماعية والنفسية التي تنسبها ذات، فرد أو جماعة الى آخرين لتبين أنهم غيره ، أو أنهم لا ينتمون اليها، عرفاً أو طبعاً⁽¹⁾.

ولأثر الآخر في شعره وقد رحل عنه أو خطفه الموت وقد قام بتأبينه شعراً والقصيدة في رثاء الببغاء للأمير الحمداني سيف الدولة والثناء عليه وذكر فضائله والبكاء عليه⁽²⁾:

خَلَفَ الْمَدَائِحَ بَعْدَكَ التَّائِبِينَ عَنْ أَيِّ حَادِثَةٍ يُعْرِى الدِّينُ
مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا كَيَوْمِكَ مَشْهُدٌ بَهَرَ الْعُقُولَ وَلَا نَرَاهُ يَكُونُ
لَمْ يَبْقَ مَحْذُوراً فَكُلُّ مُصِيبَةٍ جَلَّ لَدَيْهِ وَكُلُّ خَطْبٍ دُونَ
هَبَ لِلْهُدَى مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ سَلْوَةٌ فَحِرَاكُهُ مُذْ غَبَتْ عَنْهُ سُكُونُ

⁽¹⁾ ينظر: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، اسعد الزويخ، سلسلة عالم الكتب، ط 1، ٢٠٠٩: ١٢٧.

⁽²⁾ ديوان عبد الواحد بن نصر المخزومي، الببغاء: 155.

أَبْقَى نَعْيُكَ فِي الْقَبَائِلِ لَوَعَةً فِيهَا لِمُنْسَرِبِ الدُّمُوعِ مَعِينُ

وَلَى بِسَيْفِ الدَّوَلَةِ الْعِزُّ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْخُطُوبِ تَهُونُ

اذ نجد في رثاء الآخر صورة اجتماعية ونفسية وسياسية، كون الأمير الحمداني يمثل المرتكز في إمارة ربيعة في الموصل، وهو القائد العربي الشجاع مما يشير أن صورة الآخر على هذا الأساس هي عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية المؤثرة في البلاط الحمداني والجيش والإمارة والمجتمع الموصلية، ثم السمة النفسية التي تتعكس على (الأنا) المشارك للآخر، "فضلاً عن الفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة إلى الآخرين الذين هم خارجها"⁽¹⁾. وهذا الاختلاف يأخذ ابعاده الشعورية مع الانا الفاقدة، ويصدر عنها ردود افعال قد تتبلور مع الحدث بشكل آخر بعد فقد الآخر، وهو ما أوضحه النص من أزمات نفسية مؤلمة أثرت على الشاعر البغواء والمجتمع والبلاط الحمداني.

وكتب في سابور بن أردشير الوزير البليغ لبهاء الدولة بن عضد الدولة، وكان شخصية بارزة في بغداد ورد له ترجمة في سير أعلام النبلاء الطبقة (٢٢) فقد عرف بشجاعته وكرمه، وأسس دار علم في بغداد⁽²⁾، وترك بصمة كبيرة في حياة الأدباء، وقد مدحه البغواء قائلاً⁽³⁾:

لُمْتُ الزَّمَانَ عَلَى تَأْخِيرِ مُطَلَّبِي فَقَالَ مَا وَجْهُ لُومِي وَهُوَ مَحْظُورُ

فَقُلْتُ لَوْ شِئْتُ مَا فَاتَ الْغِنَى أَمْلِي فَقَالَ أَخْطَأْتُ بَلْ لَوْ شَاءَ سَابُورُ

عُذُّ بِالْوَزِيرِ أَبِي نَصْرٍ وَسَلَّ شَطَطًا أَسْرَفَ فَإِنَّكَ فِي الْإِسْرَافِ مَعْذُورُ

وَقَدْ تَقَبَّلْتُ هَذَا النُّصْحَ مِنْ رَمَنِي وَالنُّصْحُ حَتَّى مِنَ الْأَعْدَاءِ مَشْكُورُ

وَمَا لِطَرْفِ رَجَائِي عَنْكَ مُنْصَرِفُ وَهَلْ يُفَارِقُ جُرْمَ الْمُشْتَرِي النُّورُ

⁽¹⁾ الآخر في الشعر الجاهلي، مي عودة أحمد حسين، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، كلية الدراسات العليا، إشراف د. إحسان الديك، ٢٠٠٦: 6.

⁽²⁾ ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، الجزء: ١٧، صفحة: ٣٨٧.

⁽³⁾ ديوان عبد الواحد بن نصر الثعالبي البغواء: ٨٦.

وقد أغدق عليه من صفات لم يعلم بتأخيرها، إلا لتأخره في التواصل معه، وهو أهل لها، فيلوم الدهر والزمان على ما فاتته من ذلك العطاء، لكونه يجب أن يلوذ بالوزير المهلبي، ويسرف في السؤال، وطلب النصيحة والرجاء، بل الاعتذار منه.

٤ - الآخر - الخمرة - الصبوح، المعشوق، الصيد وأدواته:

ولا تقتصر صورة الآخر على المديح أو الذم أو الصديق أو الوزير أو الحبيب، بل قد تمتد الى أن يكون من الأشياء المادية المؤنسة عد عند شعراء البلاط الحمداني، ومنها الخمرة والتي يغدق عليها صفات الآخر الحبيب والمعشوق، في علاقة من العاطفة التي تنثير مشاعر الدفيء والاحساس المنشئ، والذي يجد فيه الأنا مصدراً للجمال والمشاعر الانسانية في غيابه عن الواقع والتحليق في سماء الخيال غير الحقيقي هروباً أحياناً من واقع مؤلم، أو ترفاً في بهجة الحياة العباسية في ذلك العصر، إذ يتجاوز النص الشعري السرد الذاتي، ليصبح مرآة عاكسة، تعكس صراعات الانسان في المحيط الاجتماعي، أو لسد عقد نفسية تبرز اي صورة الأنا فيسقطها على الآخر فتتأرجح بين النشوة والاحباط والانهمام نحو الآخر المفضي لتحقيق ألم الواقع، أو الألم النفسي، كما في قوله من التريد والتنسيق في النغم^(١):

وَاجِرٍ فِي حَلْبَةِ الصَّبَا وَالْمَرَاكِ	غَادِنِي بِالصُّبُوحِ قَبْلَ الصَّبَاحِ
بِالْغَيْثِ مِنْ نَسِيمِ الرِّيحِ	وَاعْتَنِمِ زَائِرِ الْغَرَامِ فَقَدْ بَشَّ شَرَّ
كُلَّلَتْ مِنْ حَبَابِهِ بِالْأَقَاكِ	عَاطِنِيهَا كَالْجَلَنَارِ إِذَا مَا
وَالْخَمْرَةِ لَا فِي كَثَافَةِ التَّقَاكِ	فِي اخْتِصَاصِ التَّقَاكِ بِالطَّيِّبِ
شَاهَدَتْ قُرْبَهَا مِنَ الْأَرْوَاحِ	خَدَمَتَهَا الْأَجْسَامُ بِالطَّبْعِ لَمَّا
حَيَّ وَحَرَّكَ بِهَا سُكُونُ ارْتِيَاكِ	فَتَدَارَكَ بِهَا حَشَاشَةُ أَفْرَا
الْعَاقِلُ فِيهِ فَسَادُهُ بِصَلَاكِ	فَأَلَدَ الْحَيَاةَ مَا خَطَّ

^(١) ديوان عبد الواحد بن نصر المخزومي الببغاء : ٦٤

فالصباح هو الشراب بالغداة وقت الصباح، وهو على خلاف الغبوق، ولذلك ابتداء البيت بـ (غادني) بالصباح، وتظهر ثيمة الآخر في جعلها (زائر الغرام) والذي يبشره بالغيث كما يسقي الزرع، يسقي روحه بالخمرة مع نسيم الرياح، ثم يشبهها بالجلنار وهو زهر الرمان في لونها، والحباب فقاعات عند اضافة الماء القراح لها، الماء الزلال من البئر، كناية عن استنباطها صافية وحيدة من التفاح، والآخر الخمرة قريبة لدى الشاعر من الأرواح والحشاشة ومكان من القلب وساعات السكون والارتياح واللذة والتي يختلط فيها الفساد والصالح في العقل.

ومثلها يختلط وصفه للآخر (النجس - العسجد - الخمرة) إذ يقتبس اللون مرة من زهر الزمان كما في النص السابق، ومرة أخرى يقتبس اللون الاصفر من المسجد الذهب في قوله واصفاً ورد النرجس (1):

وَنَرَجِسٌ لَمْ يَعُدْ مَبِيعُثُهُ	الكَاسُ وَلَا أَصْفَرُهُ الرَّاحَا
تَخَالُ أَقْحَافٌ لُجَيْنٍ حَوَتْ	مِنْ أَصْفَرِ الْعَسْجَدِ أَقْدَا
كَأَنَّمَا تَهْدِي التَّحَايَا بِهِ	لُطْفًا إِلَى الْأَرْوَاحِ أَرْوَاحَا
أَحْبَبَ بِهِ مِنْ زَائِرٍ رَاحِلٍ	عُوضَ بِالْأَحْزَانِ أَفْرَاحَا
فَإِنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فِي قُرْبِهِ	وَكُنْ إِلَى اللَّذَاتِ مُرْتَا

فأزهار النرجس معروفة بلونها الأبيض والذي جعله في صورة من التشبيه البليغ في قوله (تخال اقحاف لجين) فاللجين هي الفضة البيضاء والتي حوت من أصفر الذهب (المسجد) من الاقداح يراد بها الخمر، ويشبه تلك الصورة في صورة التحايا التي تبهج النفس الإنسانية وتدخل على الارواح، إذ إن صفة الآخر صفة الامتلاء والانتشاء والديمومة.

ثم يستثمر اليه صفة الأمر مع التعجب بهذا الآخر والذي يطلق عليه صفة الزائر كون النرجس لا يدوم طويلاً، فيجمع بين المتضادات (زائر راحل) يعوض (الاحزان بالأفراح) ليجمع بين متضادات الحياة

(1) ديوان عبد الواحد بن نصر المخزومي البغواء : ٦٣

الاجتماعية والمشاعر الانسانية ويخاطب الأنا الذاتية بانتهاز فرصة التواصل مع الآخر والاقتراب منه ومن تلك اللذات وساعات الراحة لأنها تمر سريعاً حياة النرجس، فالصورة كلها كناية عن العلاقات الاجتماعية الطيبة بين الأنا والآخر وصفاته وعطاءه، في الخطاب الفكري والاجتماعي والانساني، فالذات الانسانية في تجربتها الحية هي في حركة دائمة في اتجاه الآخر، ولكي تبلغ الذات الآخر، لا بد من أن تتجاوز نفسها، ففي الآخر تجد الذات حضورها على نحو مفارق للهوية⁽¹⁾، عن طريق التحولات في الصورة والرؤى والأفكار.

إذ ظلت الخمرة والراح والصوح ووصف الطبيعة كالورد والنرجس وزهر الرمان افكاراً محورية ترمز إلى تعلق الأنا الشاعر بممدوحاته نتيجة حتمية في صور من الوصف التشبيهي والذي يقترب فيه من الروح الانسانية التي تتشد الكمال والطمأنينة.

ومما يرتبط بالخمرة أماكنها، فالآخر هو المكان في شغفه وحببه وتشوقه إذ يتجرع مرارة الصبر، قائلاً⁽²⁾:

كَمْ لِلصَّبَابَةِ وَالصِّبَا مِنْ مَنْزِلٍ مَا بَيْنَ كَلَوَاذِي إِلَى قَطْرِئِلٍ
جَادَتْهُ مِنْ دِيمِ الْمُدَامِ سَحَائِبُ أَغْنَتْهُ عَنْ صَوْبِ الْحَيَا الْمُتَهَلِّلِ
غَيْثٌ إِذَا مَا الرَّاحُ أَوْمَضَ بَرْقُهُ فَرَعُودُهُ حَتَّ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ
لَطَفَتْ مَوَاقِعُ صَوْبِهِ فَسَجَالُهُ تَهْمَى عَلَى كَرْبِ النُّفُوسِ فَنَتَجَلَّى

إذ يشكل الآخر المكان المرتبط بالبارات والحانات والخمارات المعروفة في جانب بغداد، وهي كلواذي، والتي تعد طسوج من طساسيج سواد العراق، اي كورة من سواده، تقع جنوب بغداد، وكذلك قطريل، وهي أعجمية اسم قرية بين بغداد وعكبر، ينسب لها الخمر، أحد منتزهات البطالين وحانة للخمارين، وهي تقع شمال بغداد⁽³⁾.

⁽¹⁾ ينظر: الصوفية والسوريالية، أدونيس، دار الساقي، بيروت، ط 2، 1995: 166

⁽²⁾ ديوان عبد الواحد بن نصر المخزومي البغواء : ١٣٦.

⁽³⁾ معجم البلدان، ابن ياقوت الحموي البغدادي، دار صادر، بيروت، المجلد ٤: ٣٧١.

فهو يعشق ويتشوق أماكن الصبا وجموع الشباب نحو اللهو والخمارات في شمال وجنوب بغداد، فالآخر يمثل له المكان الموقور بغياب الوعي ونشوة التلذذ بمباهج الحياة وخلاعتها، فيصف الخمرة فيها وانصبابها كالغيث وهي تومض بالثقل، فانسجبت وصبت في الدلو قليل الماء أو كثيره، وصار الاحساس بالآخر (المكان) جزءاً من الابداع الشعري الوصفي تكمن فاعليته في كونه حيزاً يحتضن التفاعل بين الأنا الشاعر، وبين الآخر (الخمارات وأماكنها في بغداد)، مما يعبر عن حالات نفسية ينطوي لها الانسان لتعبر عن محنة الزمن المتراخي بمباهجه، إذ تنصهر فيه القيم المعنوية للإنسانية، فتختلط بشوائب المجون، والتي تلون التجارب التي يعيشها الفرد فتعكس عليه، إذ أن أكثر المكان والزمان في العصر العباسي الممتد زمانياً له الأثر في وجود الانسان في ذلك الزمان والذي "يشعرنا بما فينا من ضعف ونقص وتناهٍ ونسبيه" (1)، اثر معاناة ذلك الزمن وسطوته والتباين أو التماثل مع الآخر حقيقياً أو نفسياً، فنجد آثار ذلك من خلال البعدين الموضوعي والذاتي أو النفسي والاجتماعي.

ومن مبهمات الدهر / الصيد ووصف الفخاخ والتي يلجأ الشاعر فيها في الخروج عن النمط الى فضاء الطبيعة الحرّة ليجد ضالته واصفاً وصفاً حكماً عبر من خلاله عن انماط البشر والطمع ولحظات الصقور والكدر بصورة من الثنائيات الضدية مع مواكبة السخرية المقنعة لصغائر الاشياء والتي تعطي كبائر الافعال (2):

محتقر المنظر خبار الحبر

نو قصر أحذب من غير كبر

مستأنس فإن مسناه نفر

مستضعف لكن إذا ضيم انتصر

لما رأى العصفور حباً قد بدر

نصاله الحب ومأواه الحفر

ولم يزل بين الرجاء والحذر

ارتاب بالحنطة ما بين المدر

ثم هوى مستيقناً لما افكر

يبعثه الحرص ويعيبه الخطر

(1) مشكلة الانسان، د. زكريا ابراهيم: ٧٧.

(2) ديوان عبد الواحد بن نصر المخزومي البغواء : 97

ان بني الدنيا جميعاً في غرر
وأمل النفع ولم يخش الضرر
وكثرة الاطماع آفات البشر
وفي تصارييف الليالي معتبر
والحزم أن تجزع من حيث تسر
وأخر الصفو وإن لذ الكدر

جاءت القصيدة لتجسد ثنائيات الحياة بين البهجة والسرور، والألم والحزن، في صور عديدة من الطباق بين (القصر و الكبير، الضم والانتصار، مستأنس وناضر، الرجاء والحذر، الحرص والخطر، الجزع والسرور، الصفو والكدر) مع وجود التوازنات الموسيقية والتالافات في الأراجيز ومنها هذه الأراجيز في البيت الثاني (مستنصر، مستأنس، مستيقن) في صور من التهكم على الانسان وطمعه إذ أراد بفعل العصور أن يعكس الصورة على الانسانية باتجاه المجتمع، والعبرة في الأخذ القليل وترك الطمع فالجزع من حيث المسرة والصفو من حيث الكدر كونها متضادات وجودية وقد اشار الى الزمان الوجودي وأثره على الانسان في أكثر من موضع (وفي تصارييف الليالي معتبر) من الاعتبار، فالزمن عند الشعراء يختلف عن الزمن عند الإنسان الاعتيادي، كون الزمن عند الشاعر يتحول إلى فعل ذاتي يصنعه ويخلقه من جديد بما يلائم محتواه الفكري وما تعانيه النفس الانسانية من مصائب الدهر ومصائب البشر وسطوة الزمان عليها واستلابه ساعات الفرح سريعاً، وإنما التضاد الذي استعمله ليزيد فاعلية التباين مع الزمن باتجاه الآخر (العصفور) قناعاً للإنسان، و العلاقة بالآخر "المناقض هي علامة سلبية مبهمة وغير منتجة" (1).

5 - الآخر: الأرحام - الاخ - الجماعة (الجيش):

سجل الشاعر صورة الآخر متعددة، في مخاطبة صورة الصديق، والممدوح، والشقيق، إذ جسد ذلك صراعاً نفسانياً غير منفصل عن المجتمع وما يدور في جنباته بسبب الصراع بين الأنا والهو، أو الذات والآخر، بصور ايجابية أو سلبية، إذ تكمن ايجابيتها في "التعبير عن الناقلين للقيم الانسانية النبيلة التي تقوي العلاقات، وهذه الصورة تناسبها استراتيجية أطلق عليها التعاون والمواطنة" (2)، كون الآخر المنقذ والمصلح

(1) صور الآخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه (الآخر هـ اختراع تاريخي): 45

(2) الآخر / المكان والزمان في شعر المرأة في العصر العباسي، على كريم، ومنتصر عبد القادر، مجلة التربية للعلوم الانسانية، المجلد 3، - العدد 9، 2023: 138.

لذات البين، وأن هذا الممدوح لديه من القوة القادرة على اصلاح ما فسد، فيعكس نمط والنموذج للسلطة العادلة في عصره فلا تكتفي بالهيبة والقوة، بل تمارس دور الاصلاح والوفاء بالعهد وصلة الرحم، إذ الشاعر يستدعي صورة الحاكم المثالي في الخيال العربي، لتتلاقى المروءة مع القدرة والحماية في قول الشاعر على خلاف شجر بين سيف الدولة وأخيه ناصر الدولة منافرة، فكان مناسبة الأبيات (1):

في الحلم ما ينهى ذوي الارحام	عما يخالف عادل الاحكام
يا ناظري ويعز أن أقذى ويا	قلبي وكيف أروعه بلام
لأعاتبك مبقياً مستصلحاً	قبل الظبا بعبارة الأقلام
أسخطت عمداً في عقوقي دولة	ثبتها نصراً بحسن قيامي
عن كنت ناصرها فإني سيفها	والقتل لا يرضى بغير حسام
لك في الأبعاد من عداتك شاغل	عما تعق به ذوي الارحام

إذ يحاول رأب الصدع بينهما في عتابهما على تلك المنافرة، ويمثل له الآخر الاثنان معاً (سيف الدولة) الحاكم العادل، وناصر الدولة الأمير، وكلاهما في مصب واحد، إذ لا يمكن لتلك القطيعة أن تستمر بوجود الاعداء والمتربصين، لأن الشاغل الوحيد لهم هو الاعداء الابعاد، وليس العقوق في ذوي الارحام، أو عما يخالف عادل الاحكام، مما يعز على الشاعر تلك القطيعة مع الآخر، ويحاول عتاب الناصر مستصلحاً عقوقه سيف الدولة التي ثبتها بالعدل والنصر والثبات.

ومن مديح الولاة أولاد سيف الدولة في رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة الى (عدة الدولة أبي تغلب) بن ناصر الدولة يذكر فيها قصده وإثاره والانتقطاع إليه (٣٥٨ هـ)، قال فيها ممتدحاً إياه وطامعاً في قربه (2):

فَمَا يَقْدَحُ الْفَقْرُ فِي حَالِهِ وَلَا يَطْمَعُ الدَّهْرُ فِي قَصْدِهِ

(1) ديوان عبد الواحد نصر المخزومي البغواء : ١٤٨

(2) ديوان عبد الواحد نصر المخزومي البغواء : 82

وَكَيْفَ وَقَدْ صَارَ ضَيْفَ الْغَمَامِ وَهُوَ قَرِيبٌ عَلَى بُعْدِهِ
وَمَنْ عَقَلَتْ بِأَبِي تَغْلِبُ يَدَاهُ إِحْتَذَى الْبَدْرَ مِنْ سَعْدِهِ
هَمَامٌ قَضَى اللَّهُ مِنْ عَرْشِهِ لَهُ بِالْإِمَارَةِ فِي مَهْدِهِ
فَطَوْدُ السِّيَادَةِ فِي دَسْتِهِ وَشَمْسُ الرِّيَاسَةِ فِي بُرْدِهِ

مدح فيها أمير الموصل، والذي اختلف مع أبيه، وقبض عليه واستلم زمام الأمور ثم اشتبك مع أخيه حمدان بن ناصر والي الرحبة الذي هب لإنقاذ أبيه، وجرت بين الأخوين معارك ضعفت فيها دولة بني حمدان، ثم أغار عضد الدولة البويهى على بغداد وزحف نحو الموصل، فهرب ابي تغلب، ثم قبض عليه الفاطميون في الرملة بفلسطين وقتلوه سنة ٣٦٧هـ.

وقد تغنى البغواء بالأمير ابي تغلب، وفي عطاءه للضيف فهو الأكثر إجلالاً في وصف يده (دست) يراد بها يد العطاء، أو لمقعد الرئيس للضيف احتراماً له وقيل هي وسادة للوزراء، ووصف الآخر بصفات الشجاعة والكرم في قوله مشبهاً بالتشبيه البليغ (صار ضيف الغمام) صفة لكرمه وعطاءه الباذخ، ثم قوله (في يديه يهتدي الناس بالبدر الهمام، والعرش والامام له من مهده) في صور من المبالغة بقصد التكسب والتقرب من الآخر الممدوح.

الخاتمة:

- 1- جسدت تجربة الشاعر فلسفة ورؤية فكرية واجتماعية لمنظور الآخر في الشعر العربي، ومنه ديوان أبي الفرج البغواء، والذي يشير من خلاله الى صراع نفسي غير منفصل عن مجتمعه (الآخر المتعدد) ما بين الأنا والآخر سلسلة جدلية متباينة ومتوافقة احياناً كثيرة.
- 2- برزت من خلال الآخر والتفاعل معه حالات شعورية من الخوف والفرح والغضب والبهجة بنيت على صور من التضادات التي تجسدها متناقضات العالم المحيط، وصور من التشبيه والاستعارة والكناية، باختلاف صور الآخر وانفعالاته وتفاعله مع الأنا والذات بحسب المواقف من الصديق والعدو، والوزير والأمير، والمكان والزمان، والطبيعة الجامدة والمتحركة، والخمرة.

- 3- من خلال شعره تظهر الذات الأنوية في ضعف مستمر من دون الآخر القوي والشجاع والذي حاول العيش متقرباً له متكسباً من عطايه، إذ إن علاقة الأنا الشاعر مع الآخر المتعدد لم تنشأ من فراغ، بل الواقع لها القوم المنيعه العطاء و المشاعر الايجابية، ولم تتضح صورة الآخر (المرأة) عند ابي الفرج الا في ابيات منفردة لم تشكل مهيمنات فاعلة في ديوانه بحسب موضوعه الآخر واثرها في شعره، على الرغم من تأثير النساء، ولا سيما الشواعر في العصر العباسي.
- 4- انعكس أثر الزمان والمكان في طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر، فظهر ثمة متناقضات بين الحياة والموت، ووقوف الزمان حائلاً بين الشاعر والآخر في تقلباته وازدواجيته وأزمات الابتعاد أو عدم التوافق مع الأنا، فضلاً عن تقلبات الدهر عليه، وعلى المجتمع العباسي والحاضرة العمرانية أو البويهية.
- 5- أفاد الشاعر من الأدوات الفنية وتوظيفها في تشكل الصور المتعددة للآخر على نحو أظهرته الدراسة في التحليل للأبيات الشعرية .
- 6- أفرزت الدراسة العلاقة التكاملية بين الأنا والآخر عبر التواصل الثقافي والادبي والعلمي والمعرفي بعيداً عن الاوهام المتخيلة والتصورات المنغلقة إذ لا تتحقق الذات الأنوية من دون الآخر الذي يضيف عليها ذلك التكامل كما هي حياة البغاء والذي اتصل بالأمراء والوزراء والقادة والشعراء فأحاط الآخر بحياته وأغدق عليه فضائل ونعم وعطايا لا حدود لها .

المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم

- 1- تاج اللغة وصحاح العربية، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، دار الحديث، القاهرة، تحقيق انس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، المجلد واحد، ٢٠٠٩.
- 2- المعجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، دار العودة ، بيروت، المؤلف محمد سعيد اسبر - بلال جنيدي .
- 3- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت طبعة ٢٠١٠.
- 4- النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس، ترجمة محمد حسين علوم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٩، ع 244.
- 5- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، الطبعة ٢٢، الببغاء، ج ١٧، تحقيق د. بشار عواد معروف، د. محي هلال سرحان - مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦.
- 6- النشر الفني في القرن الرابع الهجري، الفصل الخامس، أبو الفرج الببغاء، الباب، تأليف: د. زكي مبارك، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، ٢٠١٢.
- 7- سيف الدولة الحمداني، مصطفى الشكعة، طبعة الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2000.
- 8- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم، بيروت، الجزء الأول، طبعة 1، 1420هـ.
- 9- الآخر في شعر المتنبي، د. سعد يونس الراشدي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦.
- 10- سرد الآخر، صلاح صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة 6، 2003.
- 11- ديوان عبد الواحد بن نصر المخزومي الببغاء، دراسة وتحقيق: د. سعود محمود عبد الجابر، الطبعة الأولى، دار الحامد، قطر، 2004.

- 12- اشكالية المكان في النص الادبي، ياسين النصير، وزارة الثقافة والاعلام دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦.
- 13- مشكلة الانسان، د. زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، القاهرة.
- 14- صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي، فهد الذويخ، سلسلة عالم الكتب، ط1، 2009، الكويت، وزارة الثقافة.
- 15- الصوفية والورسالية، أدونيس، دار الساقي، بيروت، ط2، 1955.
- 16- معجم البلدان، ابن ياقوت الحموي البغدادي، دار صادر، بيروت، المجلد 4.

المواقع: www.aldiwan.net

المجلات والدوريات:

- 1- تمثيلات الأنا والآخر في القصة العمانية المعاصرة، د. محمد الشحات عبد المجيد، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد ٢٤، مصر، ٢٠٢٠، الجزء 8.
- 2- أبعاد جدلية الأنا مع الآخر الدلالية في شعر بلند الحيدري، ديوان خطوات في الغربا واغاني الحارس المتعب انموذجاً، مجلة دراسات الادب المعاصر، سوداية مظفري، 2020.
- 3- الآخر، الأنثى في فلسفة ايمانويل ليفنيس، مجلة لوغوس، مخبر الفينو مينولوجيا وتطبيقاتها، د. درقام نادية، جامعة تلمسان، الجزائر، ع 10، 2020.
- 4- أبو الفرج البغاء، مجلة الرسالة، العدد ٢٢٧، د. عبد العظيم علي قناوي، 1937.
- 5- الأنا في شعر المتنبي، أحمد مبارك الخطيب، مجلة مرافئ، العدد ٨، 2008، السعودية، الرياض.
- 6- الزمن في شعر خليل حاوي، مكي نومان، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد ١٢، السنة ١٩٨٧.
- 7- الآخر في الشعر الجاهلي، مي عودة أحمد حسين، جامعة النجاح الوطنية فلسطين، كلية الدراسات العليا، إشراف د. احسان الديك، ٢٠٠٦ - مطبوع.
- 8- صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه (الآخر بما هو اختراع تاريخي)، الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

- 9- الآخر - المكان والزمان في شعر المرأة في العصر العباسي، علي كريم، د. منتصر عبد القادر، مجلة التربية للعلوم الانسانية، المجلد ٣، العدد ٩، 2023.
- 10- تجليات المعجم الحربي في شعر أبي الفرج الببغاء، دراسة وصفية تحليلية، د. هند ماهر أبو العطا ابراهيم، المجلة العلمية بكلية الآداب، العدد ٦٢، 2026.

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط

في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

أ.م.د. لمياء جبار عبد الوهاب

الجامعة المستنصرية/كلية التربية /قسم علوم القرآن

dr.lamyaa.g@uomustansiriyah.edu.iq

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

الملخص

يهدف البحث الحالي الى معرفة أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي .

وفي ضوء هدف البحث صاغت الباحثة الفرضيتان الآتية :

- 1- ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسط درجات تحصيل طالبات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن مادة الادب باستعمال إستراتيجية التلخيص والتجميع، ومتوسط درجات تحصيل طالبات المجموعة الضابطة اللاتي يدرسن المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في الاختبار البعدي .
 - 2- ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسط درجات تحصيل طالبات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن مادة الادب باستعمال إستراتيجية التلخيص والتجميع، ومتوسط درجات تحصيل طالبات المجموعة الضابطة اللاتي يدرسن المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير الترابطي.
- ويشمل مجتمع البحث المدارس المتوسطة و الثانوية النهارية الحكومية التابعة للمديرية العامة لتربية بغداد للعام الدراسي (2025-2026). وتمثلت الفئة المستهدفة طالبات الصف الاول متوسط، أذ تألفت عينة البحث من (54) طالبة، شعبة (أ) المجموعة التجريبية ودرستها بطريقة إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) ، وشعبة (ب) المجموعة الضابطة ودرستها بالطريقة الاعتيادية علماً أنه تم أستبعاد (6) طالبات من أصل العينة البالغة (60) طالبة، بسبب الرسوب، ليكون حجم العينة (54) طالبة في كل شعبة (27) طالبة. أجرت الباحثة التكافؤ بين مجموعتي البحث بالمتغيرات الآتية (العمر الزمني للطالبات محسوبا بالشهور، اختبار المعلومات السابقة، اختبار (جي سي رافن) للذكاء، اختبار التفكير الترابطي). وبعد تحليل النتائج احصائياً باستخدام الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين، أسفرت النتائج الى تفوق المجموعة التجريبية التي درست على المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية في اختبار التحصيل واختبار التفكير الترابطي

و بناء على نتائج البحث أستنتجت الباحثة ما يأتي:- إن التدريس بإستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) ساعد على زيادة تحصيل الطالبات، وفهم موضوعات الادب والنصوص بنحو أدق وأفضل من

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

الطريقة الاعتيادية والربط بين الأفكار مما يجعل استيعاب العبارات أسهل بسبب تبادل الخبرات بين الطالبات .

وبعد عرض النتائج وتفسيرها توصي الباحثة بالآتي :- اطلاع مدرسي اللغة العربية على الاستراتيجيات الحديثة ومنها إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في التدريس من طريق عقد الدورات التدريبية العلمية والابتعاد عن الأساليب التقليدية التي تقتصر على الحفظ والتلقين .

واستكمالاً لهذا البحث تقترح الباحثة الاتي :- دراسة اثر (إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في متغيرات أخرى ، مثل اكتساب المفاهيم ، واستبقائها ، أو الاتجاه نحو المادة ، أو لتحقيق أهداف أخرى كتتمية الذوق الأدبي ، والتفكير الناقد ، والإبداعي .

Abstract

This research aims to determine the effect of the summarization and synthesis strategy using the T-shaped method on the achievement of first-year intermediate school students in literature and texts, and on their associative thinking.

In light of the research objective, the researcher formulated the following two null hypotheses:

- 1- There is no statistically significant difference at the (0.05) level between the mean achievement scores of the experimental group students who studied literature using the summarization and synthesis strategy, and the mean achievement scores of the control group students who studied the same material using the traditional method, on the post-test.
- 2- There is no statistically significant difference at the (0.05) level between the mean achievement scores of the experimental group students who studied literature using the summarization and synthesis strategy, and the mean achievement scores of the control group students who studied the same material using the traditional method, on the associative thinking test.

The research population included government intermediate and secondary day schools affiliated with the Baghdad Directorate General of Education for the academic year (2025-2026). The target group consisted of first-year intermediate students. The research sample comprised (54) students, divided into two sections: Section (A), the experimental group, which was taught using the [method name missing], and Section (B), the control group, which was taught using the traditional method. Six students were excluded from the original sample of (60) due to failing grades, resulting in a final sample size of (54) students, with (27) students

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

in each section. The researcher ensured the equivalence of the two research groups using the following variables: students' chronological age (calculated in months), prior knowledge test, G.C. Raven's Inventory of Intelligence test, and associative reasoning test. After statistically analyzing the results using the independent samples t-test, the results showed that the experimental group, which was taught using the [method name missing], outperformed the control group, which was taught using the traditional method. Achievement Test and Associative Thinking Test

Based on the research findings, the researcher concluded the following: Teaching using the summarization and synthesization strategy with the letter "T" helped increase students' achievement and their understanding of literary topics and texts more accurately and effectively than the traditional method. It also facilitated the connection between ideas, making comprehension of expressions easier due to the exchange of experiences among students.

After presenting and interpreting the results, the researcher recommends the following: Arabic language teachers should be introduced to modern teaching strategies, including the summarization and synthesization strategy using the letter "T," through scientific training courses, and should move away from traditional methods that rely solely on memorization and rote learning.

To further this research, the researcher suggests the following: Studying the impact of the summarization and synthesization strategy using the letter "T" on other variables, such as concept acquisition and retention, attitudes towards the subject matter, and achieving other goals like developing literary taste, critical thinking, and creativity.

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

الفصل الأول

التعريف بالبحث

أولاً: مشكلة البحث:

إن البقاء على التدريس وفقاً للطرائق التقليدية و التي تعتمد الحفظ والتلقين و التي صارت اليوم غير قادرة على مواكبة التقدم و التطور الحاصل في المجال المعرفي ومن ثم فهي غير قادرة على تحقيق الأهداف التي تصبو اليها التربية بخلاف الاستراتيجيات و الطرائق الحديثة التي تزود الطلبة الى حد كبير بالمهارات والخبرات المتعلقة بالمادة الدراسية (قطامي، 1989: 172). شهدت الساحة الأكاديمية انعقاد العديد من المؤتمرات التي خلصت في توصياتها إلى ضرورة تبني استراتيجيات وأساليب حديثة في التدريس. ومن أبرزها المؤتمر الذي انعقد في الجامعة المستنصرية عام 2005، حيث أكد المشاركون على أهمية إجراء البحوث والدراسات العلمية التي تسهم في رفع المستوى المعرفي للمتعلمين، وذلك من خلال اعتماد طرائق تدريس معاصرة تتناسب مع متطلبات التطور العلمي والتربوي (الجامعة المستنصرية، 11-7 : 2005). وكذلك المؤتمر الذي عقد في جامعة بابل لمدة من (13-14 / تشرين الثاني / 2012) والذي أوصى بضرورة تطوير العملية التعليمية في العراق من طريق تطوير مهارات المدرسين ورفع مستوى المتعلمين من طريق استعمال الاستراتيجيات والطرائق التربوية الحديثة (جامعة بابل، 2012: 181). وإن مشكلة تدريس اللغة العربية وما يرافقها من ضعف في مستوى الطلبة في مادة الادب والنصوص وتعاكس كثير من الطلبة عن الحفظ والفهم بسبب غياب عنصر التفاعل بين المدرس والطالب. ولذلك ارتأت الباحثة توظيف إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) لعلها تسهم في معالجة ضعف الطلاب في مادة الادب والنصوص أو يمكن أن تقدم حلاً للمشكلة وسبيلاً إلى تذليلها ومعالجة تربوية لواقع درس الادب والنصوص

ثانياً: أهمية البحث:

أن العالم في تطور سريع ، فلا بد من وسيلة لتوجيه هذا التطور و التي هي التربية .وحتى تحقق التربية أهدافها لابد لها من أدوات تساعد في تحقيق ما تصبو إليه ،ومن أهم هذه الأدوات هي اللغة،

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

وأن اللغة هي التي ميز بها الله الإنسان من غيره من الكائنات وهي من نعم الله ، فاللغة اكسبت الانسانية خبرات الماضي وصقلتها بتكنولوجيا الحاضر وحدثته ، وأصبحت اساس الانسجام الاجتماعي ، والعلمي والبيئي بين المجتمعات والشعوب (زاير وسماء، 2013: 19).

تحتل اللغة موقعاً مركزياً في مجمل الأحداث الإنسانية، إذ يشترك فيها البشر جميعاً بوصفها أقوى أدوات التواصل وأبرز وسائل اكتساب المعرفة والثقافة. فهي السلاح الذي يمكّن الفرد من مواجهة مختلف المواقف الحياتية. ولا شك أنّ الوظيفة الاجتماعية للغة تُعد من أهم وظائفها، الأمر الذي جعل كل أمة تطمح إلى مكانة رفيعة تُولي اهتماماً خاصاً بلغتها، وتسعى إلى تعليمها تعليمًا سليمًا يضمن الإفادة من وظائفها المتعددة. (الهاشمي وطه، 2008: 101).

اتسمت اللغة العربية بالحيوية والقوة وترجع في ذلك الى بعض الصفات الجوهرية المتصلة بطبيعة اللغة نفسها، إذ ان انتشارها بين العرب وغير العرب هو دليل على قوتها وأصولها الدقيقة وتناغمها واتساقها، وتلبيتها لمطالب كل افراد المجتمع، تمنح القدرة لمن يملك ناحيتها على التوجيه وتغيير اتجاه من يتوجه اليها بالخطابة، فللكلمات المختارة فعل السحر في النفوس، ولألفاظها القدرة على فتح مغاليق القلوب، وألفاظ تطلق القوى من عقالها (عاشور ومحمد، 2005: 29). وللادب أهمية كبيرة بين فروع اللغة العربية، من المكانة التي تحملها الدراسات الأدبية في اعداد النفس وتوجيه السلوك الأنساني، فهي ترمي الى تهذيب الوجدان وصقل الذوق وتربية الشعوب وتكوين الاجيال. (الدليمي، 2009. ص74).

إذ تعد استراتيجيات وطرائق التدريس العنصر الفعال في العملية التعليمية، كونها تساهم في تطوير الجانب المعرفي ومجموعة المفاهيم والمهارات والاتجاهات والميول التي ينبغي تنميتها في ذهن المتعلم (الخفاجي، 2012: 58)، وليس أدل على أهمية الطريقة التدريسية من حضورها في اقوال المعلمين ورجال التعليم وإشغالها مساحة كبيرة من فكرهم وجهدهم التربوي وعندهم منهج فقير في محتواه وجيد في طريقته التدريسية افضل بكثير من منهج غني وطريقة تدريس ضعيفة (الدليمي، 2009: 12)

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

وإن إستراتيجية أو طريقة التدريس الناجحة هي التي تتماشى و نتائج التربية وعلم النفس الحديث المستندة الى مشاركة المتعلمين في النشاط، واهتمام المدرس باستجاباتهم وتشجيعهم وانسجامها مع اهداف التربية وأهداف المادة الدراسية واستيعابها الفروق الفردية بين المتعلمين فأن المدرس الجيد يستطيع ان يستعمل اكثر من طريقة في الدرس الواحد(زاير ورائد، 2012: 68) ، وينتقي المدرس أكثر الطرائق التدريسية والأساليب التعليمية فاعلية ويجمع بين أسلوبين أو أكثر ويوظف ذلك في الموقف التعليمي حتى يصل الى الاهداف المرجوة من التدريس، وقد أفادت استراتيجيات وطرائق تدريس اللغة العربية كسائر العلوم الاخرى من النهضة العلمية، والتجارب والبحوث والتطبيقات العلمية، وأصبحت علماً له خصائصه وسماته ومقوماته من العلوم النفسية والتربوية والمناهج واللغة، وتعمل على تنمية مهارات الاداء اللغوي، والوصول بالنشاط اللغوي للمتعلمين الى مستواه المنشود في فنون الاستماع والحديث والقراءة والكتابة .(الدليمي، 2009: 60).

وترى الباحثة أن توظيف استراتيجيات و الطرائق الحديثة أصبحت ضرورة من ضرورات التدريس الفعال لأنها تجعل دور المدرس ميسر ومسهل ومرشدا في العملية التعليمية بدلاً من دوره كناقل للمعارف ويشرك طلبته في التخطيط ويؤمن بقدرتهم على الانجاز .

أن استراتيجيات التعلم النشط تؤكد على أهمية بناء الطلبة لمعافهم عن طريق تفاعلهم مع بيئتهم ، ومن بين استراتيجيات التعلم النشط أستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف(T)وتقوم فكرة الاستراتيجية على قيام الطلبة بأخذ ملاحظات في أثناء قيام المدرس ووضعتها على الجانب الايمن من شكل الحرف(T) وبعد ذلك يقوم الطلبة بمراجعتها وتنقيحها وكتابتها في الجانب الايسر من الشكل. أن هدف الاستراتيجية هو زيادة قدرة الطلبة على التلخيص والتجميع (رمضان، 2017، 59) . تعد أستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام الحرف(T)أحد الواجه التطبيقية الواضحة يعتمدها المدرس لتعزيز عملية التدريس داخل الصف، أذ تسهم في تمكين الطالب من الافكار الايجابية لتحقيق الاهداف التعليمية الموضوعة له، وتقوم هذه الاستراتيجية على تنظيم سلسلة من الافكار المتتابعة والمحددة، يربطها الطالب بسياق زمني أو

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

مكاني معين، ويعززها بقناعة شخصية أو توقع ذاتي حتى تتبلور كحقيقة واقعية يتوقع حدوثها في نفس السياق. (المسعودي وهدى، 38، 2023)

يؤدي التفكير الترابطي دورا بارزا ومؤثرا عند الطلبة في أداء الانشطة والفعاليات التي لا يمكن من دونه أدائها على نحو فعال فهو يساعدهم في مواجهة المهمات. (علوان، 87، 2017)

وترى الباحثة أن التعليم وممارسة التفكير الترابطي للطالبات داخل غرفة الصف يؤدي بهن الى فهم أعمق للمحتوى المعرفي الذي يتعلمنه لان التعلم أساسه عملية التفكير وتوظيف التفكير يحول عملية الحصول على المعرفة من عملية خاملة الى نشاط عقلي يؤدي الى اتقان أفضل للمحتوى والى ربط عناصره بعضها ببعض. ومن هنا ندرك أهمية التفكير الترابطي فالتالبة في المرحلة المتوسطة بنحو عام والطالبة في الصف الاول متوسط بنحو خاص تستطيع أن تختار طريقة تفكيرها ،لأنها في مرحلة تكون قادرة على تحمل المسؤولية وتحديد أهدافها للحياة المستقبلية. وقد اختارت الباحثة المرحلة المتوسطة ميداناً لبحثها ؛ لأن هذه المرحلة تُعدُّ جسراً يجتازه الطلبة للعبور إلى المرحلة الإعدادية، يمر الطالب في المرحلة المتوسطة بمرحلة المراهقة، وهي بداية لنضج جوانب متعددة من النمو. ففي الجانب النفسي مثلاً، تتضح الميول والقدرات والاستعدادات بشكل أكبر، مما يتيح إمكانية توجيهها بما يخدم مصلحته ومصلحة مجتمعه. ويستطيع المعلم في هذه المرحلة أن يقيس مستوى فهم الطلبة عبر الاختبارات، التي تُسهم بدورها في تنمية قابلياتهم وصقل استعداداتهم. كما أن الهدف الرئيس لهذه المرحلة يتمثل في ترسيخ أسس المعرفة والمهارات والاتجاهات، والعمل على تكاملها ومتابعة تطبيقاتها، لتكون تمهيداً للانتقال إلى المرحلة الدراسية التالية. (مزعل ، 1987 ، 323)

ثالثاً: مرمى البحث:

يرمي البحث إلى: تعرّف "أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي "

رابعاً: فرضية البحث:

للتحقق من مرمى البحث صاغت الباحثة الفرضيتان الصفريتان الآتية :

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

1- ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسط درجات تحصيل طالبات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن مادة الادب باستعمال إستراتيجية التلخيص والتجميع، ومتوسط درجات تحصيل طالبات المجموعة الضابطة اللاتي يدرسن المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في الاختبار البعدي .

2- ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسط درجات تحصيل طالبات المجموعة التجريبية اللاتي يدرسن مادة الادب باستعمال إستراتيجية التلخيص والتجميع، ومتوسط درجات تحصيل طالبات المجموعة الضابطة اللاتي يدرسن المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير الترابطي

خامساً: حدود البحث: يتحدد البحث الحالي بـ :

1- طالبات الصف الاول متوسط في المدارس المتوسطة و الثانوية النهارية الحكومية التابعة للمديرية العامة لتربية الرصافة الثانية بغداد .

2- موضوعات الادب والنصوص في كتاب اللغة العربية المقرر تدريسه لطلاب الصف الاول المتوسط في النصف الأول من العام الدراسي (2025 _ 2026)
سادساً: تحديد المصطلحات:

أولاً: الأثر : أ- لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور "بَقِيَ الشَّيْءُ والْجَمْعُ آثَرٌ وأَثَرٌ، وَخَرَجَتْ فِي إِثْرِهِ أَيُّ بَعْدَهُ ، والآثَرُ بالتحريك : ما بَقِيَ مِنْ رَسَمِ الشَّيْءِ"، "والتأثير : إِبْقَاءُ الأَثَرِ فِي الشَّيْءِ وأَثَرٌ فِي الشَّيْءِ تَرَكَ فِيهِ أَثَرًا". (ابن منظور 2005: 25)

ب . اصطلاحاً : عرفه كل من :

1- أبو ديار وآخرون بأنه: " تغير مرغوب فيه يحدث لدى المتعلم نتيجة لعملية التعليم ".(أبو ديار وآخرون ،2012: 11).

2- الجراح بأنه: "انطباع معرفي أو نفس حركي يتولد نتيجة التفاعل الإنساني والمتأثر بنحو قصدي".(الجراح ،2014: 9).

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

وتعرفه الباحثة إجرائياً: هو مقدار التغير الذي تحدثه إستراتيجية التلخيص والتجميع بأستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط (عينة البحث) مقاساً بالدرجات. ثانياً: الإستراتيجية :

أ- : لغة بأنها: " وهي ترجمة حرفية للكلمة الإنكليزية (strategy) وهي بدورها مشتقة من كلمتين إغريقيتين هما (stratus) وتعني (الجيش)، و (again) وتعني (يقود)، والكلمتان تشيران إلى علم القيادة العسكرية، وأصبحت الإستراتيجية مفهوماً اصطلاحياً يشير إلى خطة محكمة تقضي للوصول إلى أهداف محددة" (إبراهيم، 2009: 73).

ب . إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) اصطلاحاً:- عرفها

- أمبو سعيدي وآخرون بأنها: "هي قيام الطلبة بأخذ ملاحظات في إنشاء قيام المعلم بشرح الدرس ووضعها على الجانب الأيمن من شكل حرف (T) الانجليزي ، بعد ذلك يقوم الطلبة بمراجعتها وتفتيحها وكتابتها في في الجانب الأيسر من الشكل" (أمبو سعيدي وآخرون، 2019: 125) .
التعريف الاجرائي لاستراتيجية التلخيص والتجميع:

مجموعة من الإجراءات والممارسات التي تتبعها المدرسة (الباحثة) والطالبات داخل غرفة الصف من تقسيم الطالبات الى مجموعات وشرح الدرس ووضعها على الجانب الايمن من شكل الحرف وبعد ذلك تقوم الطالبات بتلخيصها ووضعها على الجانب الايسر، لجعل عملية التعلم أكثر سهولة، للوصول إلى مخرجات - المطلوبة.

ثالثاً:التحصيل:

أ. لغةً : "مَنْ حَصَلَ ، وَ الْحَاصِلُ مَنْ كُلِّ شَيْءٍ : مَا بَقِيَ وَثَبَتْ وَ ذَهَبَ سِوَاهُ وَ التَّحْصِيلُ تَغْيِيرُ مَا يَحْصُلُ وَ الاسم مِنْهُ حَصِيلَةٌ وَ الْحَصَائِلُ الْبَقَايَا ،الواحدةُ حَصِيلَةٌ. (ابن منظور ، 2005 : ج2 ، 901).
ب . اصطلاحاً عرفه كُلاً من :

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

1- الحموز بانه: "وسيلة منظمة تهدف الى قياس مقدار تحصيل الطالب في حقل المعرفة, وتحديد مركزه فيها, يهدف علاج نواحي ضعفه, أو تأخره, وتوفير الظروف الملائمة في المواد التي يظهر تميزه فيها" (الحموز, 2004 :27).

2- عطية بأنه: " هو إجراء منظم على وفق معايير محددة يرمي الى قياس ما اكتسبه المتعلمون من الحقائق والمفاهيم , والتعميمات والمهارات بعد دراسة موضوع دراسي, أو وحدة, أو مقرر تعليمي " (عطية, 2008 :300).

خامسا: أ-الادب:.

اصطلاحاً:-عرفها عطا بأنه (فن من الفنون الانسانية الرقيقة,يحقق هدفه بوساطة العبارة الفنية التي يتميز بها الأديب من غيره)(عطا,2005, 327)

ب-النصوص:-

عرفها عاشور بانها(نصوص يتوافر لها حظ من الجمال الفني,وتعرض على الطلبة فكرة متكاملة,أو افكار مترابطة,وتعد وسيلة للتدريب على التدنوق الادبي).(عاشور,2003, 167)

الأدب والنصوص:-عدد من الموضوعات الشعرية والنثرية المقرر تدريسها لطالبات الأول متوسط للعام الدراسي2025-2026

سادسا:التفكير الترابطي: عرّفه كل من :

1.(رزوقي وجميلة، ٢٠١٨) بأنه : " هو شكل من التفكير المنطقي يقوم على ربط فكرتين أو أكثر بشكل متتابع زمنياً أو سببياً. ويتضمن ثلاث مهارات رئيسية: تحديد الأفكار أو العناصر التي يجب ربطها إيجاد العلاقات بينها ، ثم استخلاص النتيجة المرجوة، مما يساهم في استخراج العنصر المشترك بين المفاهيم أو الأحداث لفهم أعمق للسياق". (رزوقي وجميلة، ٢٠١٨ :٥٨)

2.(الحلفي، 2020) بأنه : " التفكير الذي نتج عن العلاقة التي يكونها الطالب بين ما يوجهه من مثيرات وما يظهر من استجابات، ويأتي هذا النوع من التفكير نتيجة للتكرار والمحاولة والتعلم ". (الحلفي، 2020 :61-62)

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

سابعاً: الصف الاول المتوسط : هو إحدى المراحل التي تلي المرحلة الابتدائية وتسبق المرحلة الإعدادية وتعتبر المرحلة المتوسطة مكمل لما يدرسه الطالب في المرحلة الابتدائية وتزوده بمعلومات أوسع تساعد الطالب للدخول في المرحلة الإعدادية

الفصل الثاني

اولاً: جوانب نظرية

- إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T):

١. مفهومها : تُعد إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) إحدى استراتيجيات التعلم النشط، وتمثل الجانب التطبيقي المرئي في عملية التدريس. فهي تتيح للطالب التفكير بصورة فاعلة لتحقيق الأهداف التعليمية المرسومة له. وتقوم هذه الاستراتيجية على تنظيم مجموعة من الأفكار المتتابعة والمحددة، يربطها الطالب بزمان أو مكان معين، ويعززها باعتقاد أو توقع حتى تتحول إلى واقع ملموس. وتشمل هذه الطريقة نطاقاً واسعاً من الأنشطة التي تُسهم في ترسيخ العناصر الأساسية للتعلم، وتحت الطلبة على تطبيق ما يكتسبونه من معارف. كما يمكن استخدامها لتشجيع الطلبة على الانخراط في التفكير الجماعي ضمن مجموعات صغيرة، والتعبير عن أفكارهم، واكتشاف القيم والمواقف الشخصية، إضافة إلى تبادل التغذية الراجعة بين الأقران (الساعدي، ٢٠٢٠: ٨٤).

وإستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) هي إستراتيجية تعليمية تستعمل داخل غرفة الصف حيث يقوم المدرس بتقسيم الطلاب الى مجموعات وشرح الدرس ووضعها على الجانب الأيمن من شكل الحرف (T) وبعد ذلك يقوم الطلاب بتلخيصها ووضعها على الجانب الأيسر، للوصول الى المخرجات المطلوبة، وان هذه الاستراتيجية تقوم على اعتبار ان التعلم لا يتم من طريق النقل الآلي للمعرفة من المدرس الى الطالب، وانما من طريق بناء الطالب معنى ما يتعلمه بنفسه بناء على خبرته ومعرفته السابقة (محمد، ٢٠٢٢: ٤٦٠).

٢. أهمية إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T):

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

- لاستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) اهمية في عملية التعلم وهي:
- أ. إن الوعي بالتفكير يساعد الطلبة على القيام بدور نشط في جمع المعلومات وتنظيمها وتكاملها ومتابعتها وتقويمها في اثناء قيامهم بعملية التعلم.
 - ب. تساعد الطلبة على نقل استعمالهم للتفكير الى امثلة اخرى في الحياة اليومية.
 - ج. تساعد على حدوث التعلم ذي المعنى، اذ يقوم الطالب بربط المعرفة الجديدة بالمفاهيم السابقة التي لها علاقة بالمعرفة الجديدة.
 - د. تشجع الطلبة التعرف على ان التفكير يساعد في الوصول الى افكار قد لا يتوصل اليها الطالب وحده.

هـ. تعرف الطلبة على طرائق تفكيرهم، وتحثهم على مراقبة تفكيرهم.

(البكري، ٢٠٢٢: 38)

3. مميزات استراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) :

- لاستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) التي يُنفذها المدرس مميزات عدة هي: أ. تعمل على تقريب الطالب من المادة الدراسية.
- ب. إحداث التفاعل الإيجابي داخل القاعة الدراسية.
 - ج. وصول الطالب إلى مستويات أعلى.
 - د. تخدم المدرس في الاستشهاد بما يحيط به وبالطالب من أبعاد اجتماعية واقتصادية وبيئية.
 - هـ. العمل على تحقيق الاغراض السلوكية داخل القاعة الدراسية.
 - و. القدرة على تلخيص ما تم شرحه

- خطوات إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T):

1. يبدأ المعلم بشرح الدرس أو جزء منه بالطريقة المعتادة، ثم يطلب من الطلبة تدوين ملاحظاتهم في الجانب الأيمن من شكل حرف (T). ويمكن، إذا رغب الطلبة، استخدام منظم جدولي بديل عن الشكل.
2. بعد ذلك يقوم الطلبة بفرز هذه الملاحظات وتجميعها، ثم يعيدون صياغتها في الجانب الأيسر من

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

الشكل وفق نمط يراه كل طالب مناسباً لتنظيم أفكاره.

3. يقوم الطلبة بعد ذلك بمشاركة بعضهم بعضاً فيما قاموا بتدوينه (أمو سعيدي وآخرون، 2019: 126).

٤. دور المدرس في استراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) :

إنَّ التعلم وفق استراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) لا يقوم على مجرد نقل المعرفة من المعلم إلى الطالب، بل يتيح للطالب بناء معرفته بنفسه، بينما يقتصر دور المعلم على التوجيه والإرشاد وتوفير بيئة تعليمية مناسبة. وتتمثل هذه البيئة في إتاحة الفرصة للطلبة لاكتشاف الفجوة بين معارفهم السابقة والجديدة، ومنحهم الوقت الكافي لتشكيل معرفة أكثر عمقاً. ولتحقيق ذلك، ينبغي أن تتضمن البيئة التعليمية مجموعة من العناصر، أبرزها:

- تشجيع الطلبة على تبني أهداف الدرس والأنشطة بما يضمن تحقيقها.
- تنمية خبرات الطلبة بما يمكّنهم من تحمل مسؤولية التخطيط لأنشطة التعلم.
- دعم الفضول العلمي وحب الاستطلاع لديهم.
- ربط المحتوى التعليمي باحتياجات الطلبة واهتماماتهم.
- إدراج مستوى من التعقيد في المحتوى يستدعي تجربة أكثر من بديل.
- اختيار مشكلات تعليمية تتطلب التفكير وصياغة توقعات متعددة قابلة للاختيار.
- تخطيط الدروس بطريقة تجعل المحتوى محفزاً ومثيراً للاهتمام.
- استخدام أساليب تحفيزية واضحة لتوجيه الطلبة نحو المادة التعليمية.
- تنظيم بيئة التعلم وتوفير مصادر المعلومات عند الحاجة.

(عبدالله، ٢٠١٥: ١٨٣)

5. دور الطالب في استراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) :

يتميز دور الطالب في استراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) بما يأتي:

أ. ترتيب الاحداث حتى في حالة عدم اكتمالها والاعتماد على المعرفة السابقة في التعلم فهو باحث نشط يفهم العلاقة في المواقف التعليمية.

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

- ب. الشعور بالمسؤولية في أثناء ممارسة التعلم وإدراك أهمية التعاون فيما بين الطلبة لإنجاز الاهداف التي تسعى اليها المجموعة.
- ج. الطالب لا يبدأ ببناء المعرفة بشكل فردي وإنما بشكل اجتماعي من طريق الحوار والمناقشة والتفاوض الاجتماعي مع الآخرين.
- د. المعرفة والفهم تكتسب بنشاط، والطالب يناقش ويضع الفرضيات ويأخذ مختلف وجهات النظر بدلاً من السماع أو القراءة أو القيام بأعمال روتينية.
- هـ. التفكير الترابطي: " نوع من التفكير يقوم على ربط المثير بالاستجابة والتكرار الصحيح، وهذا الارتباط يؤدي الى تنشيط الاستجابة الصحيحة " (الجناحي، 2019: 205) (عبد الله، 2015: 176)
- سادساً : التفكير الترابطي :

1. مفهومه :التفكير نشاط داخلي يختلف من حيث توعيته وطبيعته فمنه ما هو بسيط ومباشر ومنه ما هو معقد، لذا فالأفراد يختلفون فيما بينهم بأساليب تفكيرهم ومن المعروف أن تفكير الإنسان يتأثر بمحيطه وثقافته والبيئة المحيطة به، ومن أحد أنواع التفكير الترابطي الذي يكمن في إيجاد رابطة بين شيئين أو فكرتين حدوث أحدهما قبل أو بعد الأخرى بصورة طردية أو متتابعة أي يمكن وصفه بأنه المهارة في استخراج العنصر المشترك بين الأفكار والأحداث والمفاهيم. (إبراهيم، 2019: 64)

يرى ميدنيك، نقلاً عن الغزالي (2017)، أن التفكير الترابطي يشكل جزءاً أساسياً من التفكير الإبداعي، إذ يفسر الظاهرة الإبداعية على أنها نشاط أو سلوك بشري يتمثل في تكوين روابط أو ارتباطات بين المحفزات والاستجابات، ومن ثم تطوير هذه الروابط لإيجاد علاقات جديدة. كما يشير الغزالي الى أن الإبداع لدى الطالب ينبثق من الثروة اللغوية والفكرية المكتسبة عبر الخبرات السابقة، والتي تتشكل نتيجة التكرار والمحاولة والتعلم، وتظهر في صور متعددة مثل المصادقة، والتشابه، والوسطية. (الغزالي، 2017: 81)

مهارات التفكير الترابطي: إن أهم مهارات التفكير الترابطي هي:

- أ. تحديد الأفكار أو الأشياء المراد ربطها : هي المهارة التي ينشط فيها ذهن الطالب لإدراك ما هو

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

مطلوب ربطه الوارد فيما يقدم اليه بمعنى كي يكون على بينه من المطلوب.

ب. أيجاد العلاقة بين هذه الأفكار والأشياء : على أن يكون هذا الربط ربطاً منطقياً فهي تحليل العلاقات بين العناصر المطلوب الربط بينها وتحديد مؤشراتها كي تكون أساساً لاستنتاج الروابط.

ج. تحديد النتيجة المراد الوصول اليها : هي ما يتوصل اليه النشاط الذهني للطالب في عملية الاستنتاج وهذه إجراءات تشكل بمجموعها وتكاملها التفكير الترابطي، وهذه أفعال ذهنية تحدث داخل الذهن. (عطية، ٢٠١٥ : ٧٩)

ثانياً: الدراسات السابقة :

1. دراسة مجيد (٢٠٢١) :

(أثر استراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة اللغة العربية).

التي أجريت في العراق تهدف إلى التعرف على أثر استراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة اللغة العربية، وشملت الدراسة عينة مكونة من (٣٢) طالباً في المرحلة المتوسطة . استخدمت الباحثة اختبار تحصيلي خاص بمادة اللغة العربية لقياس مستوى تحصيل الطلاب كما تم تحليل البيانات باستخدام عدة أدوات إحصائية منها اختبار التائي لعينتين مستقلتين، ومربع كاي ومعامل ارتباط بيرسون ومعامل، سبيرمان، بالإضافة إلى معادلات معامل الصعوبة وقوة تمييز الفقرات وأظهرت النتائج تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين طبقوا الاستراتيجية على طلاب المجموعة الضابطة، مما يؤكد فاعلية استراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحسين التحصيل الدراسي.

2. دراسة محسن (2024) :

(أثر استراتيجية التحليل الشبكي في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الكيمياء وتنمية التفكير الترابطي لديهم).

هدفت الى التعرف على أثر استراتيجية التحليل الشبكي في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

المادة الكيمياء وتنمية التفكير الترابطي لديهم، اشتملت الدراسة على (72) طالباً في المرحلة المتوسطة، واستخدمت الاختبار التحصيلي واختبار التفكير الترابطي كأدوات بحث، تم تحليل النتائج باستخدام اختبار التائي (t-test)، ومربع كاي، ومعادلات الصعوبة والتمييز، وفعالية البدائل الخاطئة، بالإضافة الى معادلة كيودر - 20، وأظهرت الدراسة تفوق طلاب المجموعة التجريبية على طلاب المجموعة الضابطة.

الفصل الثالث

منهجية البحث وإجراءاته

اعتمدت الباحثة المنهج التجريبي للتوصل إلى النتائج في الدراسة الحالية، لكونه المنهج الملائم لتحقيق هدف البحث، وتضمنت إجراءات البحث الخطوات الآتية:

أولاً: التصميم التجريبي: اختارت الباحثة أنموذجاً من التصاميم التجريبية الحقيقية؛ وهو تصميم قائم على اختبار بعدي ذي ضبط جزئي، لقدرته العالية على ضبط العوامل المؤثرة في الصدق، والمقارنة بين النتائج (عبد الله، 2006، ص 93)، وعلى وفق ما مبين في جدول (1)

جدول (1) التصميم التجريبي للبحث

المجموعة	المتغير المستقل	أداة القياس	المتغير التابع
التجريبية	استراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T)	اختبار بعدي للتحصيل	التحصيل
الضابطة	الطريقة الاعتيادية	اختبار بعدي للتفكير	التفكير الترابطي

ثانياً: مجتمع البحث: مجتمع البحث الحالي يتمثل بطالبات الصف الاول المتوسط في المدارس المتوسطة والثانوية الحكومية النهارية التابعة للمديرية العامة للتربية في بغداد للعام الدراسي (2024-2025)

ثالثاً: عينة البحث: تألفت عينة البحث من (54) طالبة، شعبة (أ) المجموعة التجريبية ودرستها بطريقة ، وشعبة (ب) المجموعة الضابطة ودرستها بالطريقة الاعتيادية علماً أنه تم أستبعاد (6) طالبات من أصل العينة البالغة (60) طالبة، بسبب الرسوب، ليكون حجم العينة (54) طالبة

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

في كل شعبة (27) طالبة.

رابعاً: تكافؤ مجموعتي البحث: يتطلب التصميم التجريبي إجراءات التكافؤ بين مجموعتي البحث لغرض الحد من العوامل الدخيلة، لذا أجرت الباحثة التكافؤ في عدد من المتغيرات حيث حصلت على البيانات الخاصة بالعينة، فضلاً عن تطبيق اختبار المصفوفات المتتابعة المعروف باختبار (جي سي رافن) للذكاء، وقد أظهرت إجراءات التكافؤ ما يأتي:

1- المجموعتان متكافئتان في متوسط العمر الزمني للطلبة محسوباً بالشهور، إذ كانت القيمة الثانية المحسوبة (0.085) وهي أقل من القيمة الثانية الجدولية البالغة (2.0084) وهي ليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (52)، وعلى وفق ما مبين في جدول (2).

2- المجموعتان متكافئتان في متوسط درجات اختبار الذكاء (المصفوفات المتتابعة لرافن Raven) الصيغة العادية المقننة على البيئة العراقية، إذ كانت القيمة الثانية المحسوبة (0.759)، وهي أقل من القيمة الجدولية البالغة (2.0084) وهي ليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (52) وعلى وفق ما مبين في جدول (2).

جدول (2) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري، والقيمة التائية المحسوبة والجدولية

للعمر الزمني، والمعدل العام واختبار الذكاء لطالبات مجموعتي البحث (التجريبية، والضابطة)

المتغير	المجموعة	حجم العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		درجة الحرية	مستوى الدلالة عند (0,05)
					المحسوبة	المجدولة		
العمر الزمني	التجريبية	27	250,59	10.31	0,085	2.0084	52	غير دالة إحصائياً
	الضابطة	27	250,37	9.30				
اختبار الذكاء	التجريبية	27	34,777	8.474	0,759	2.0084	52	غير دالة إحصائياً
	الضابطة	27	36,592	9.077				

3- المجموعتان متكافئتان في التحصيل الدراسي للأبناء، إذ بلغت قيمة (كا²) المحسوبة (0.982)، وهي أقل من القيمة الجدولية البالغة (5.99)، وهي ليست ذات دلالة إحصائية عند درجة حرية (2) ومستوى دلالة (0.05)، وعلى وفق ما مبين في جدول (3).

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

4- المجموعتان متكافئتان في التحصيل الدراسي للامهات، إذ بلغت قيمة (كا²) المحسوبة (0.12) وهي أقل من القيمة الجدولية البالغة (5.99)، وهي ليست ذات دلالة إحصائية عند درجة حرية (2) ومستوى دلالة (0.05)، وعلى وفق ما مبين في جدول (3).

جدول (3) قيم (كا²) لمتغيري التحصيل الدراسي لأباء الطالبات وامهاتهم بعد دمج الخلايا للمجموعتي

المتغير	المجموعة	حجم العين	ابتدائية ومتوسطة	اعدادية ومعهد	كلية وشهادات عليا	قيمة كا ²		درجة الحرية	مستوى الدلالة عند (0,05)
						المجدولة	المحسوبة		
التحصيل الدراسي للآباء	التجريبية	27	9	5	13	5,99	0,982	2	غير دالة إحصائياً
	الضابطة	27	7	8	12				
التحصيل الدراسي للأمهات	التجريبية	27	9	8	10	5,99	0,12	2	غير دالة إحصائياً
	الضابطة	27	8	9	10				

البحث

خامساً: متطلبات البحث: من متطلبات البحث الحالي توافر ما يأتي:-

1- تحديد المادة التعليمية: تضمنت مفردات مادة الادب والنصوص على وفق مفردات المنهج الدراسي المقرر تدريسها للصف الاول متوسط للعام الدراسي (2024-2025م).

2- أعداد الخطط الدراسية: يعد التخطيط أحد المقومات الرئيسية لنجاح التدريس، ويعتمد بتخطيط الدرس تلك العملية التي يقوم المدرس فيها بوضع تصور قبلي للمواقف التعليمية التي ستتم أثناء التدريس لتحقيق الاهداف التربوية. (العاني، 1986، ص71). اعتمدت الباحثة في أعداد الخطط التدريسية على معطيات الاطار النظري وذلك بالتعرف على الأسس والمبادئ والشروط اللازم توافرها في الدروس ، فضلاً عن الدراسات السابقة المشابهة للدراسة الحالية، وقد تضمن الخطط الدراسية العناصر الآتية: (الهدف العام،

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

والأهداف السلوكية، ومحتوى الدرس على وفق الإستراتيجية، والتقييم)، وقد تم عرض النتائج على مجموعة من المختصين في العلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس وتدريسي المادة، وفي ضوء ملاحظاتهم تم تعديل بعض فقرات الخطط.

سادساً: أداتا البحث (الاختبار التحصيلي والتفكير الترابطي):

1- أداة البحث (الاختبار التحصيلي):

يعد الاختبار التحصيلي جزءاً مهماً من العملية التعليمية التي هي برمتها عملية منظمة ومخطط لها مسبقاً وتسير على وفق أهداف محددة ، وان الاختبار الذي يجريه المدرس يهدف الى معرفة ما تحقق من الأهداف التعليمية ولا بد من أن يكون الاختبار مخططاً ومعداً له مسبقاً (العجيلي وآخرون , 2001, 18) , لذلك بنت الباحثة اختبار تحصيلي بما يتلاءم ومحتوى المادة الدراسية والاهداف السلوكية , اعتمدته الباحثة لقياس "التحصيل الدراسي" على وفق الخطوات الآتية:

أ- **صياغة فقرات الاختبار:** أعدت الباحثة الاختبار التحصيلي المكون من (30) فقرةً موضوعية من نوع الاختيار من متعدد ذات اربعة بدائل ، التي شملت المستويات المعرفية لتصنيف بلوم (سلامة وآخرون , 2009, 368) ، وعرض بصورته الأولية للتحقق من صلاحية فقراته على مجموعة من المحكمين ذوي التخصص للتحقق من سلامة صوغ الفقرات وملاءمتها للمستويات المعرفية وفي ضوء ملاحظات المحكمين تم الابقاء على الفقرات كلها مع تغيير بعض البدائل او تعديل صوغها 0

ب- **صدق الاختبار :** يتصف الاختبار بالصدق ، اذا كان مظهره يدل على انه يقيس صفة ما ، او صورته الخارجية من حيث نوع المفردات ، وكيفية صوغها لتقيس تلك الصفة او ان الاختبار مناسب للغرض الذي وضع من اجله ، (الدليمي وعدنان, 2002, 91) ، تم تحقيق صدق الاختبار بعرض فقرات الاختبار على مجموعة من المحكمين ذوي الاختصاص لبيان سلامة الفقرات وملاءمتها للاهداف المحددة ووفقاً لآرائهم تم تعديل صوغ بعض الفقرات او تعديل بعض البدائل، وبذلك يصبح الاختبار بصورته النهائية جاهزاً.

ت- **التطبيق الاستطلاعي للأداة :** لغرض تحديد الزمن الذي يستغرقه الاختبار، ومعرفة وضوح الفقرات ، ومدى صعوبتها ، ووضوح التعليمات تم تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية مكونة من (60) طالبة

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

، وقد تم حساب متوسط الزمن المستغرق للأجابة على الاختيار من قبل جميع الطالبات ، اتضح أنّ متوسط الزمن للإجابة عن الاختبار (40) دقيقة وفقراته كانت واضحة .

ث- تحليل فقرات الاختبار التحصيلي:

الهدف من تحليل فقرات الاختبار هو تحسين الاختبار من خلال الكشف عن الفقرات الضعيفة، والعمل على إعادة صياغتها أو حذفها أو استبعاد غير الصالحة منها. (أبو زينة، 1992: 45) فبعد تصحيح إجابات العينة الاستطلاعية بإعطاء (درجة) للإجابة الصحيحة و(صفر) للإجابة غير الصحيحة، ومعاملة الفقرات المتروكة، والفقرات التي وضعت لها أكثر من إشارة، والفقرات التي لم تكن الإشارات على بدائلها واضحة، معاملة الإجابات غير الصحيحة، وبعد تصحيح إجابات الطلبة رتبت درجاتهم تنازلياً، ثم أخذت أعلى وأوطأ (27%) منها، بوصفها أفضل نسبة للمقارنة بين مجموعتين متباينتين من المجموعة الكلية لدراسة خصائص فقرات الاختبار (العجيلي، 1990: 69) ثم حسبت الباحثة معاملات الصعوبة ومعاملات القوة التمييزية لكل فقرة من الاختبار، على النحو الآتي:

1- معامل الصعوبة للفقرات:

يقصد بمعامل الصعوبة نسبة الطلبة الذين أجابوا إجابة خاطئة عن الفقرة إلى عدد الطلبة الكلي (عودة، 1985: 289) لحساب معامل صعوبة الفقرات أهمية خاصة في وظيفتين أساسيتين الأولى التعرف على نسبة الذين يُجبون إجابة صحيحة والذين يُجيبون إجابة خاطئة، وطريقة توزيع وانتشار كل من الخطأ والصواب بالنسبة إلى المجتمع أو العينة التي تمثله تبعاً لمتغيرات عديدة، والوظيفة الثانية هي استعمال درجة الصعوبة لإيجاد صدق الاختبار. (الأمام وآخرون، 1995: 109) إذ تراوح مدى صعوبة الفقرات الموضوعية بين (0,39-0,61) لذا تعد الفقرات مقبولة في ضوء معيار الصعوبة المحدد في ضمن أدبيات القياس والتقويم ولاسيما في الاختبارات التحصيلية وهو ما بين (0,20-0,80). (Bloom,1977:88)

2- معامل تمييز الفقرات: يقصد بالقوة التمييزية قدرتها على التمييز بين الطلبة الذين يحصلون على درجات عالية وبين الطلبة الذين يحصلون على درجات منخفضة في السمة المقاسة بفقرات الاختبار.

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

(الظاهر وآخرون، 1999: 129) وقد اختلف (ستانلي وأيبل) في تحديد معامل التمييز الجيد حيث أن الفقرات الاختبارية تعد جيدة وصالحة اذا حصلت على قوة تمييز قدرها (0,20) فأكثر. (Stanly, 1970 P: 405) اما (أيبل) فقد حدد نسبة (0.30) فأكثر لتكون قوة تمييز الفقرة جيدة (Eble, 1972: p.406) وقد تراوحت معاملات التمييز للاختبار التحصيلي للاختبار الموضوعي بين (0.37-0.80).

3- **فاعلية البدائل الخاطئة** : الحكم على صلاحية بديل ما يتم بمقارنة أعداد المجيبين عليه من أفراد المجموعتين العليا والدنيا، وان يجذب إليه عدد من المجيبين من كل مجموعة، وان يكون عدد أفراد الفئة الدنيا اللذين اختاروه أعلى من عدد أفراد الفئة العليا. (الظاهر وآخرون، 1999: 131)، وبعد حساب فعالية البدائل الخاطئة وجدت الباحثة أن معاملات فعالية جميع البدائل الخاطئة سالبة أي إن هذه البدائل جذبت إليها إجابات أكثر من طلبة المجموعة الدنيا مقارنة بإجابات طلبة المجموعة العليا، وبناءً على ذلك تقرر الإبقاء على جميع بدائل الفقرات.

ج- **ثبات الاختبار** : هو الاختبار الذي يقيس الظاهرة بدرجة مقبولة من الدقة (عودة، 1993، 335)، بعد تطبيق الاختبار على العينة الاستطلاعية الثانية المكونة من (60) طالبة اعتمدت الباحثة على التجزئة النصفية في حساب الثبات للاختبار فاستخرجت معامل ارتباط بيرسون ووجد انه يساوي (0.73)، وصح بمعادلة سبيرمان براون ووجد انه يساوي (0.84) وهذا يدل على ان الاختبار يحظى بدرجة عالية من الثبات، إذا تعد الاختبارات جيدة حينما يبلغ معامل ثباتها (0.67) فما فوق (سمارة واخرون، 1989 ، 120)

2- **اختبار التفكير** : اعتمدت الباحثة لقياس المتغير التابع المتمثل بالتفكير الترابطي على تصميم اختبار على وفق تصنيف (واطسن وجلاس) لمهارات التفكير، وقد تكون الاختبار من (5) مجموعات رئيسية، كل مجموعة تمثل مهارة من مهارات التفكير ، وتتضمن كل مهارة (3) مواقف في كل موقف (3) فقرات، ليصبح عدد الفقرات الكلي (45) فقرة.

أ- **صدق الاختبار** : ولغرض التحقق من صدق الاختبار الظاهري وصدق المحتوى تم عرض الاختبار مع الاهداف والمحتوى على مجموعة من المحكمين والمختصين في المناهج وطرائق التدريس والعلوم التربوية والنفسية، وعلى ضوء ملاحظاتهم وباستعمال معادلة مؤشر صدق المحتوى كانت نسبة

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

اتفاق المحكمين أكثر من (80%) على فقرات الاختبار، مما يدل على أن الاختبار يتمتع بصدق جيد.

ب- ثبات الاختبار: ويقصد به ان يعطي الاختبار النتائج نفسها عند تكرار تطبيقه في قياس الشيء نفسه اكثر من مرة ، وفي ظروف تطبيق مشابهة. (شحاتة وزينب، 161، 2003) يحسب معامل ثبات الاختبار باعتماد معادلة الفا كرونباخ ، اذ بلغت قيمة معامل الثبات (0,89) ، وبذلك فإن الاختبار يعد جيداً ، اذ ان الاختبار يتصف بالثبات اذا كانت قيمة ثباته (0,67) فما فوق (النبهان، 2004، 240) ، واتضح من الإجراءات سالفة الذكر أن الاختبار التحصيلي يتمتع بمستوى جيد من الصدق والثبات وكذلك فقراته ذات مستوى مقبول من ناحية الصعوبة والتميز وفعالية البدائل الخاطئة ، وبذلك يمكن الاطمئنان إلى تطبيقه بصيغته النهائية

ت- وضوح التعليمات وتحديد زمن الاجابة: من خلال العينة الاستطلاعية ذاتها تبين ان تعليمات الاختبار كانت واضحة لدى الطالبات ،وقد تم حساب الزمن المستغرق للاجابة عن جميع الفقرات اذ بلغ (45) دقيقة وهذا الوقت في الاجابة امضته اخر طالبة خرجت من قاعة الامتحان

ث-الصيغة النهائية للاختبار:بعد التأكد من الصدق والثبات اصبح اختبار التفكير جاهزا للتطبيق بصيغته النهائية

ح:-تصحيح اداتي البحث: تم تصحيح الاختبار على النحو التالي:

ا-الاختبار التحصيلي:بما ان الاختبار التحصيلي هو اختبار موضوعي من نوع المطابقة والاختيار من متعدد والتكميل فقد وضعت الباحثة مفتاحا لتصحيح فقرات الاختبار وحدد بموجبة درجة (1) للاجابة الصحيحة و(0) للاجابة الخاطئة او المتروكة او المؤشرة بأكثرمن بديل وبذلك تراوحت درجات الاختبار التحصيلي من (0- 45) درجة.

ب-اختبار التفكير :حددت الباحثة بموجب مفتاح التصحيح الاختبار درجة (1) للاجابة الصحيحة و(0) للاجابة الخاطئة او المتروكة او المؤشرة بأكثرمن بديل وبذلك تراوحت درجات اختبار التفكير من (0- 75) درجة.

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

سابعاً: : إجراءات تطبيق التجربة : بعد أن استكملت الباحثة إجراءات التجربة، درست الباحثة بنفسها مجموعتي البحث لأجل السيطرة على المتغيرات الدخيلة؛ التي قد يكون لها تأثير في نتائج التجربة، بدأت التجربة بتاريخ 2025/10/ 6م وأستمرت فصلاً دراسياً انتهت بتاريخ 2025/12/ 24م، وكان تدريس كل مجموعة بواقع حصتين أسبوعياً

1- طبقت الباحثة اختبار التحصيل على طالبات المجموعتين (التجريبية والضابطة) وذلك في يوم الاثنين الموافق 2025/12/ 22، علماً أنه تم إعطاء كل فقرة درجة واحدة فقط.

2- طبقت الباحثة اختبار التفكير على طالبات المجموعتين (التجريبية والضابطة) وذلك في يوم الثلاثاء الموافق 2024/12/23

ثامناً: الوسائل الإحصائية: استخدمت الباحثة الوسائل الإحصائية ضمن برنامج الرزم للاحصائية (SPSS)

- 1- الاختبار التائي (T -test).
- 2- معادلة صعوبة فقرات.
- 3- معادلة تمييز الفقرات).
- 4- فاعلية البدائل الخاطئة).
- 5- مربع كاي.
- 6- معامل ارتباط بيرسون.
- 7- معامل ارتباط سبيرمان - براون.

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

أولاً: النتائج المتعلقة بالفرضية الاولى التي تنص على

(لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (0,05) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللآتي يدرسن على وفق أستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللآتي يدرسن على وفق الطريقة الاعتيادية في تحصيل مادة الادب والنصوص). ولتحقق من هذه الفرضية استخرجت الباحثة المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمجموعتين وطبقت الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين وأدرجت النتائج على وفق ما مبين في الجدول (4).

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والتباين والقيمة التائية (المحسوبة والجدولية) ودرجة الحرية ومستوى الدلالة لعينة البحث في اختبار التحصيل.

المجموعة	حجم العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	القيمة التائية		درجة الحرية	مستوى الدلالة عند (0.05)
					المحسوبة	الجدولية		
التجريبية	27	30,17	5,06	24,68	6,008	2.0084	52	دالة إحصائياً
الضابطة	27	23,73	4,06	21,07				

فظهر أن هناك فرقاً ذا دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (52) لمصلحة المجموعة التجريبية اللآتي درسن على وفق أستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) إذ كانت القيمة التائية المحسوبة البالغة (6,008) أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (2.0084) وبذلك ترفض الفرضية الصفرية. وفي ضوء نتيجة الدراسة الحالية التي اظهرت وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين المجموعتين (التجريبية والضابطة) ولمصلحة المجموعة التجريبية التي درست باستعمال أستراتيجية

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) ، وهذا يعني تفوقها على الطريقة الاعتيادية في الاختبار التحصيلي للطالبات، تغزو الباحثة هذا التفوق الى استراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) مما ادى الى رفع الاستيعاب للمادة ورفع التحصيل ،

ثانياً: النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية التي تنص على:

(لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى الدلالة (0,05) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللآتي يدرسن على وفق أستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللآتي يدرسن على وفق الطريقة الاعتيادية في مادة الادب والنصوص) ولتحقق من هذه الفرضية استخرجت الباحثة المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمجموعتين وطبقت الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين وأدرجت النتائج على وفق ما مبين في الجدول (5).

جدول (5)

الوسط الحسابي والانحراف المعياري والتباين والقيمة التائية (المحسوبة والجدولية)

ودرجة الحرية ومستوى الدلالة لعينة البحث في اختبار التفكير .

المجموعة	حجم العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	القيمة التائية		درجة الحرية	مستوى الدلالة عند (0.05)
					المحسوبة	الجدولية		
التجريبية	27	30.11	4.909	24.10	7.009	2.0084	52	دالة إحصائياً
الضابطة	27	21.37	4,51	20.32				

فظهر أن هناك فرقاً ذا دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (52) لمصلحة المجموعة التجريبية اللآتي درسن على وفق أستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) إذ كانت القيمة التائية المحسوبة البالغة (7.009) أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (2.0084) وبذلك ترفض الفرضية الصفرية 0

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

في ضوء نتيجة الدراسة الحالية التي اظهرت وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين المجموعتين (التجريبية والضابطة) ولمصلحة المجموعة التجريبية التي درست باستعمال إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T)، تعزو الباحثة هذا التفوق أن استعمال إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) ، حيث أن الإستراتيجية أتاحت لأفراد المجموعة التجريبية نوعاً من التعلم على التفاعل النشط والمشاركة الإيجابية في النشاطات التعليمية في مادة الادب والنصوص، وان استعمالها يزيد من تحمل الطالبات للمسؤولية في اثناء التعليم الأمر الذي يزيد من دافعتهم نحو الموقف التعليمي خاصة بعد انجاز المهام الموكلة إليهم بنجاح واقتدار بالمقابل فأن الطريقة الاعتيادية المستعملة مع المجموعة الضابطة ربما كان فيها نمطية وعدم إثارة مما يترتب على استعمالها الملل وعدم الرغبة في الاطلاع على المادة ومحتوياتها، ومن ثم أدى إلى انخفاض مستوى التفكير في المادة الدراسية.

وجاءت هذه النتيجة متفقة مع نتائج عدد من الدراسات السابقة ، وأن هناك اختلافاً في المتغيرات والمراحل الدراسية والمواد الدراسية.

ثالثاً: الاستنتاجات: بناء على النتيجة التي توصلت إليها الدراسة الحالية، تستنتج الباحثة ما يأتي:

- 1- إن نتيجة التدريس بإستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) ساعد على زيادة تحصيل الطالبات، وفهم موضوعات الادب والنصوص بنحو أدق وأفضل من الطريقة الاعتيادية .
- 2- إن التدريس وفق إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) التي تتمحور حول تقديم مجموعة من العبارات على شكل أسئلة ملخصة أو مفاهيم تساعد على إشراك الطالبات في نقاشات ودية ، تمكن الطالبات من حرية التعبير عن آرائهن، بنحو يختلف عن نمط التدريس التقليدي السائد .
- 3- إن التدريس وفق إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) تساعد الطالبات على الربط بين الأفكار مما يجعل استيعاب العبارات أسهل بسبب تبادل الخبرات بين الطالبات .

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

رابعاً : التوصيات : في ضوء نتائج البحث توصي الباحثة بالآتي :

1- اطلاع مدرسي اللغة العربية على الاستراتيجيات الحديثة ومنها إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في التدريس من طريق عقد الدورات التدريبية العلمية والابتعاد عن الأساليب التقليدية التي تقتصر على الحفظ والتلقين .

2- تهيئة القاعات والصفوف الدراسية ، والوسائل التعليمية اللازمة لمساعدة المدرس على التدريس وفق إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T).

خامساً :المقترحات : استكمالاً لموضوع البحث تقترح الباحثة الآتية :

دراسة اثر (إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في متغيرات أخرى ، مثل اكتساب المفاهيم ، واستبقائها ، أو الاتجاه نحو المادة ، أو لتحقيق أهداف أخرى كتنمية الذوق الأدبي ، والتفكير الناقد ،والإبداعي .

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

المصادر

المصادر العربية:

1. إبراهيم ، مجدي عزيز : معجم المصطلحات ، ومفاهيم التعليم والتعلم ، دار العلم للنشر والتوزيع والطباعة ، القاهرة ، 2009.
2. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري: لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، 2005 .
3. أبو ديار ،مسعد نجاح ، وجاد البحيري ، وعبد الستار محفوظي : قاموس مصطلحات صعوبات التعلم ومفرداتها ، ط2، إصدارات مركز تعليم وتقويم الطفل ، الكويت، 2012
4. أمبو، سعيدي عبد الله بن خميس، وهدي بنت علي الحوسنية: استراتيجيات التعليم النشط (180) إستراتيجية مع الأمثلة التطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط2، 2016.
5. البكري، أمل، وعفاف الكسواني، أساليب تعليم العلوم والرياضيات، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 1422هـ، 2002م.
6. الجامعة المستنصرية : المؤتمر العلمي للتربية والتعليم ، توصيات كلية التربية الاساسية ،بغداد ، العراق (2005).
7. الجراح ،عدي عبيدان سلمان:اثر إستراتيجيتي التعلم التماثلي وتالف الأشتات في اكتساب المفاهيم الأدبية والتذوق الأدبي عند طلبة الصف الخامس الأدبي (أطروحة دكتوراه غير منشورة) الجامعة المستنصرية ،كلية التربية الأساسية ،2014.
8. الحفني ، عبد المنعم ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، ط/2 دار العودة ، بيروت - لبنان ، 1978.
9. الحموز ،محمد عواد: تصميم التدريس ،وائل للنشر والتوزيع عمان الأردن،2004.
10. الخفاجي،عبد الحسين أحمد: تعليم القواعد النحوية دراسة نظرية-ميدانية، العراق، ديالى، 2012.
11. الدليمي،طه علي حسين، وسعاد عبد الكريم الوائلي : اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية ، دار المسيرة للنشر ، الأردن ، 2007.

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

12. زاير سعد علي، رائد رسم يونس: اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، العراق، بغداد، شارع المتنبي، 2012.
13. زاير، سعد علي زاير، وسماء تركي داخل: اتجاهات حديثة في اللغة العربية، العراق، بغداد، شارع المتنبي، 2013.
14. الساعدي ، سهاد جعفر كاظم : اثر إستراتيجية السر في تحصيل طالبات الصف الخامس الأدبي في مادة البلاغة الجامعة المستنصرية ، كلية التربية الاساسية، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، 2020
15. سمارة، عزيز وآخرون: مبادئ القياس والتقويم في التربية، دار الفكر، عمان، 1989.
16. عاشور ، راتب قاسم ، و محمد فؤاد الحوامدة : أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق ، دار الميسرة للنشر والتوزيع الأردن ، ط3، 2013 .
17. العاني، احمد سليمان، و خليل يوسف الخليلي، الإحصاء للباحث في التربية والعلوم الإنسانية، دار الأمل، عمان، 2000.
18. عبد الله، عبد الرحمن صالح، البحث التربوي وكتابة الرسائل الجامعية، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 1426هـ، 2006م
19. العجيلي، صباح حسين حمزة: القياس والتقويم التربوي، ط3، مركز التربية للطباعة والنشر، كلية التربية صنعاء، 2005.
20. العجيلي، صباح حسين وآخرون: مبادئ القياس والتقويم التربوي ، مكتبة أحمد الدباغ للطباعة ، بغداد ، العراق ، 2011 .
21. عطية ،محسن علي: الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، دار الرضوان ، للنشر ، 2008.
22. عودة، احمد سليمان وفتحي حسن ملكاوي : أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية ، مكتبة الكنانى ، عمان، 1992.
23. عودة، احمد سليمان: القياس والتقويم في العملية التدريسية، دار الأمل للنشر والتوزيع، الاردن، 1998.
24. قطامي، يوسف محمود: سيكولوجية التعلم والتعلم الصفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،

أثر إستراتيجية التلخيص والتجميع باستخدام حرف (T) في تحصيل طالبات الصف الاول المتوسط في مادة الادب والنصوص وتفكيرهن الترابطي

الأردن 1989

25. مؤتمر العلمي الدولي الخامس عشر : جودة البحث العلمي أساس البناء التربوي القويم ، كلية التربية الاساسية جامعة بابل (2012) .
26. النبهان، موسى: اساسيات القياس في العلوم السلوكية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2004.
27. الهاشمي، عبد الرحمن، وطه علي حسين الدليمي : استراتيجيات حديثة في فن التدريس ، عمان ، دار المناهج للنشر ، عمان ، 2008.
28. Ebel,R.L:(1966):Essentials of educational measurement, Englewood .cliffs , new jersey .

النظم التجارية في أسواق الاندلس

roaat356@gmail.com

م.م. رواء حمزة يوسف

المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الاشرف

Commercial Systems in the Markets of Andalusia

roaat356@gmail.com

Asst. Lec. Rawaa Hamza Yousef

Directorate General Education in Najaf Governorate

الملخص

كانت العملة المتبادلة في الاندلس هي العملة المنقوشة باللغة اللاتينية، وهي أول عملة إسلامية في الاندلس، بدأ العمل في ضرب النقود في مدينة قرطبة على الدرهم وليس الدينار، وكانت الاندلس تشهد ازدهاراً اقتصادياً واستقراراً سياسياً في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، واستمروا حتى العهد الأخير من العصور السيادة الإسلامية في الاندلس، إذ استخدموا الموازين والمكاييل الخاصة بها في المعاملات التجارية وشاركوا بصورة عامة مع الاسواق الإسلامية. الكلمات المفتاحية: نظم، تجارة، سوق، أندلس، نقود.

Abstract

The currency used in Andalusia was the Latin-inscribed coin, the first Islamic currency in the region. The minting of coins began in Cordoba, using the dirham, not the dinar. Andalusia experienced economic prosperity and political stability in the 4th century AH/10th century CE, a period that continued until the final years of Islamic rule. They used their own weights and measures in commercial transactions and generally participated in Islamic markets.

Keywords: system, trade, market, Andalusia, currency.

المقدمة

احتلت الأندلس أهمية بالغة في تاريخ العرب المسلمين، وتكمن هذه الأهمية في بروز حضارات عربية مهمة في إسبانيا كان لها أثر كبير فيها، فضلاً عن دورها في ثقافة العرب المسلمين وحضارة أوروبا الغربية، وكانت النظم التجارية هي من أبرز ما أنتجه العرب المسلمون في الأندلس، وهي بهذا تقف دليلاً على مدى التقدم التجاري الذي أثرى حياتهم العامة.

وقد تطلبت طبيعة البحث تقسيمه على عدة مباحث تناولنا فيها طرق التعامل التجاري، وتم تقسيمه الى قسمين التعامل النقدي والسفاح والصكوك، أما المبحث الثاني تناول تسليم الموازين المقاييس والمكايل التي استعملت في الأندلس، ثم عرجنا على الأسعار التي كانت سائدة في بلاد الأندلس وسبل السيطرة عليها والتحكم بالسوق من خلالها.

ولإنجاز البحث اعتمدنا على عدد لا بأس به من المصادر الأولية والمراجع المهمة التي أثرت موضوع البحث، ويقف كتاب تاريخ الأندلس السياسي (٨٩٧-٩٢٠هـ) المحمود مكي في مقدمة هذه الكتب، وكتابي (الإصلاح النقدي في المغرب والأندلس) و(نقود المغرب والأندلس) لمحمد باقر الحسيني، وكتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي، وكتاب المكايل والأوزان الإسلامية للمستشرق فالتر هنتس، وغيرها من الكتب المهمة التي أدرجناها في قائمة في نهاية البحث.

المبحث الأول

طرق التعامل التجاري

أ- التعامل النقدي:

كانت العملة المنقوشة باللغة اللاتينية هي المستخدمة في عمليات البيع والشراء في الأندلس عند دخول العرب المسلمين، ومع دخول العرب المسلمون أمر القائد موسى بن نصير في عام ٩٤هـ / ٧١٣م بسك نقود إسلامية في الأندلس^(١)، وكانت بلغة مزدوجة العربية واللاتينية، وبعد أن كان الدينار الذي سَكَّ شبيهاً بالدينار البيزنطي، تم تغييره بما يتناسب مع العقيد الإسلامية^(٢)، واستمرت هذه العملة متداولة في الأندلس تم تغييرها من خلال عملية الإصلاح النقدي في سنة ٩٨هـ / ٧١٦م في بداية عصر الولاة (٩٦-٩٧هـ / ٧١٤-٧١٥م)، إذ أمر الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي بسك نقود عربية نقش على مركز الوجه عبارة "محمد رسول الله" ونقشت على أطرافها عبارة "بالأندلس سنة ٩٨هـ"، أما الظهر فقد نقشت عليه كتابة

(١) الذهبي: شمس الدين بن احمد (٧٤٨ هـ / ١٣٧٤م)، سير إعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ج ٤، ص ٥٠٠.

(٢) مكي: محمود، تاريخ الأندلس السياسي ٩٢-٨٩٧هـ، الحضارة العربية الإسلامية، (د.مك)، (د.ت)، ج ١، ص ٦١.

بالحروف اللاتينية⁽¹⁾، ثم أصبحت النقود في الأندلس عربية خالصة في مدة حكم الوالي عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ١٠٢-١٠٥ هـ / ٧٢٠-٧٢٣ م، كما هي في المشرق الإسلامي⁽²⁾. وسُكَّت الدراهم في الأندلس بشكلها العربي الإسلامي في عام ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م والفسل في عام ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م، وتجدر الإشارة إلى اسم اسبانيا نقش باللاتينية مختصراً على النقود الأندلسية خلال عصر الانتقال، أما اسم الأندلس فقد نقش باللغة العربية على العملات النقدية ضمن عملية الإصلاح النقدي⁽³⁾. وفي عهد الإمارة بدأ العمل بضرب النقود في مدينة قرطبة، ويؤكد ذلك ابن الفقيه بقوله: "وبقرطبة دار الضرب في موضع يقال له باب العطارين وليس في دراهمهم مقطعة ولهم فلوس يتعاملون بها ستين فلساً بدرهم ودراهم تسمى طبلية"⁽⁴⁾، وهذا يعني إن الضرب كان للدراهم والفلوس وليس للدنانير، وكان عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) "أول من ضرب السكة بقرطبة من بني أمية فضرب الدراهم منقوش عليها اسمه واتخذ لها داراً لضربها، وجعل عليها الأمانة"⁽⁵⁾، كما عثر على دراهم غير رسمية كانت لبعض الثوار الخارجين على أمراء بني أمية أمثال ديسم بن إسحاق⁽⁶⁾، وعثر على معادن الفضة بتدمير فضرب الدراهم على اسمه وغزاه "أحمد بن محمد بن أبي عبده القائد وحاربه وضايقه، فأذعن وأدى قطعاً من الجباية، وتمسك بموالاته عمر بن حفصون، وضرب الدراهم على اسم الإمام عبد الله"⁽⁷⁾، والمعروف إن الأمويين في الأندلس لم

- (1) الحسيني: محمد باقر كاظم الإصلاح النقدي في المغرب والأندلس مجلة آفاق عربية، العدد ٢، السنة الثانية، ١٩٧٦ م، ص ١١٨.
- (2) المصدر نفسه.
- (3) الحسيني: محمد باقر كاظم، نقود المغرب والأندلس، مجلة المسكوكات العدد ١٣-١٢، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢-١٩٨١، ص ١٠٧.
- (4) الهمذاني: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م)، مختصر كتاب البلدان تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦ م، ص ٨٨.
- (5) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مطبعة ربنير، مجريط، ١٨٦٧ م، ص ص ١٤٠-١٤١.
- (6) كان ديسم من فرسان عمر بن حفصون المنتري ببشتر أحد الثائرين على السلطة الأموية في نهاية عهد الإمارة، إذ أعلن العصيان في لورقة على الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٩١٢-٨٨٨ م) و"ملك لورقة وغلظت شوكته، وكثر أتباعه"، وتمكن من جلبه إلى الطاعة الخليفة الأموي الأول عبد الرحمن الناصر. ينظر: العذري: أحمد بن عمر بن انس الدلائي (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهوائي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥ م، ص ص ١٢-١١.
- (7) العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، ص ١٢.

يصدروا إلى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، إلا عملة فضية، والعملة الذهبية المتداولة في أسواق الأندلس عندئذ العملة المشرقية⁽¹⁾.

وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حين شهدت بلاد الأندلس رخاء وازدهاراً اقتصادياً، ضرب الأمويون العملة الذهبية عندما اخذ ذهب السودان يصل إلى قرطبة⁽²⁾، وقد حظيت دار السكة باهتمام الخلفاء الأمويين، فيشير ابن حوقل إلى ضمان دار سك النقود في الأندلس بقوله: "إن سكة دار ضربه الخليفة الأموي الناصر على الدنانير والدرهم ضمانها في كل سنه مائتا ألف دينار ويكون عن صرف سبعة عشر دينار ثلاثة آلاف وأربع مائة ألف درهم"⁽³⁾، بمعنى أن الدينار الذهبي في الأندلس كان يساوي سبعة عشر درهماً في عهد الخلافة⁽⁴⁾، وهذا الارتفاع في قيمة الدينار مرده إلى الازدهار الاقتصادي الذي شهدته الأندلس في ذلك العهد، وكان يقع على عاتق الخليفة تعيين وعزل صاحب السكة⁽⁵⁾، ففي سنة ٣٣٠هـ - ٩٤١م عين الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) (قاسم بن خالد) مشرفاً على دار السكة واليه تنسب (الدرهم القاسمية)⁽⁶⁾.

وذكر ياقوت الحموي معلومات قليلة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر عند كلامه عن نفقة مدينة الزهراء قائلاً: "وذكر بعضهم أن مبلغ النفقة عليها من الدرهم القاسمية، منسوبة إلى عامل دار ضربها وكانت فضة خالصة بالكيل القرطبي، ثمانون مدياً وستة أقفرة وزائد أكيال"⁽⁷⁾، وهذا الدرهم كان متداولاً كثيراً لدرجة أنه ورد ذكره في بعض دساتير مملكة ليون تحت اسم kazimi أو Cathimi مما يدل على رواجه في ممالك

(1) الجحاني: الحبيب، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٧٧.

(2) الجحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ص ١٧٧.

(3) ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي (٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، صورة الأرض، ط ٢، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص ١٠٤.

(4) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(5) ابن عذاري: أبو العباس احمد بن محمد المراكشي كان حياً سنة (٧١٢هـ / ١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ٢١٥.

(6) ابن حيان: أبو مروان بن حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)، كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: ب. شالميتا وآخرون المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م، ج ٥، ص ٤٨٦-٤٨٧.

(7) ياقوت الحموي: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، تقديم: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٣، ص ١٦١.

اسبانيا النصرانية أيضاً⁽¹⁾، وجاء لدى ابن غالب ذكر عن تداول الدنانير القاسمية بقوله: "كان يباع بقرطبة من أنواع السمك المملوح وغيره في كل يوم على اختلاف أجناسه أيام جريانه بعشرين ألف دينار قاسميه⁽²⁾، كما يضيف: "إن أجرة العمال الذين يجلبون الرخام لبناء مدينة الزهراء ليصلهم على كل رخامة كبيرة أو صغيرة بعشرة دنانير قاسمية أجرة لهم"⁽³⁾، كما تولى دار السكة في عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) وزيره جعفر بن عثمان المصحفي الذي ينسب إليه (الدينار الجعفري)⁽⁴⁾ والتي ذكرها ابن غالب أثناء حديثه عن بناء مدينة الزهراء، إذ كانت "أجرة كل بغل منها البغال المستخدمة في عملية البناء في الشهر ثلاثة دنانير من الذهب الجعفري يجب لجميعها في كل شهر ثلاثة آلاف دينار"⁽⁵⁾. هذا وقد تعددت دور سك العملة من الدنانير والدرهم في عهد المرابطين والموحدين، حتى لقد قيل ان الدينار المرابطي وصل الى القسطنطينية، وكاد أن يصبح عملة دولية، وكذلك في عهد الدولة الموحدية فقد كانت عملتها من الدنانير والدرهم، يقول ابن خلدون: "ولما جاءت دولة الموحدين كان ممن سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وان يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملاً من أحد الجانبين تهليلاً وتحميداً ومن الجانب الآخر كتباً في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك الموحدون"⁽⁶⁾، واستمر سك النقود في العهد الأخير من عهود السيادة الإسلامية في الأندلس وهو عهد سلطنة غرناطة ٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م، إذ وجد في المصادر التاريخية نقود ضربت في غرناطة ورد عليها ألقاب وكنى الحكام وفي بعض الأحيان مدينة الضرب⁽⁷⁾.

- (1) خابط: صباح، الجوانب الاقتصادية للأندلس في ضوء كتاب معجم البلدان، مجلة الآداب، ع٧٥، بغداد، ٢٠٠٦م، ص ١٤١-١٤٠.
- (2) ابن العطار: الفقيه الموفق محمد بن احمد الأموي (٣٣٠-٣٩٩هـ/ ٩٣٤-١١٠٨م)، الوثائق والسجلات، تحقيق ونشر: ب شالميتا ف كورينطي، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م، ص ١٤٠.
- (3) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص ٣٢.
- (4) ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م، ج 1، ص ١٨٧.
- (5) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص ٣١.
- (6) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون طه، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٢٦٢.
- (7) الحسيني، نقود المغرب والأندلس، ص ١٢٤-١٢٥.

ب - السفاتج⁽¹⁾ والصكوك⁽²⁾:

وهو أحد أساليب التعامل التجاري استخدمه التجار في الأندلس لتسهيل معاملاتهم التجارية وذلك ضماناً لإتمام العمليات التجارية وتسهيلها، وكانت الغاية من العمل بالسفاتج والصكوك هو لتجنب ضياع الأموال وسرقتها، وقد استخدمت الصكوك والسفاتج في المعاملات التجارية كدفع الديون وفي أعمال البيع المختلفة⁽³⁾، وغالباً ما يتم تحديد المدة الزمنية للدفع في الصنف الأخير (السفاتج)، وطبيعة مثل هذا التعامل شاع استخدامه بين تجار الأندلس، ففي قرطبة مثلاً اعتمد التجار على هذه الوسيلة للإيفاء بالتزاماتهم المالية⁽⁴⁾، ونجد أيضاً ما يفيد استخدام الصكوك على المستوى الرسمي، فقد ورد عند ابن الخطيب أن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (٢٣٣-٣٧٢هـ / ٨٤٧-٩٨٢م) "استدرك على بعض خزانة في صك يشتمل على مائة ألف دينار دراهم خمسة عشر درهماً، فرد الصك، وأمر بتصحيحه، فتجمع الخدمة والكتاب إليه، فلم يقعوا على ذلك النقصان لقلته وخفائه"⁽⁵⁾، وأشار ابن عذاري إلى أن الصكوك استخدمت وسيلة لكسب ولاء ونصرة الجند⁽⁶⁾.

المبحث الثاني

الموازن والمكايل والمقاييس

1 - الموازن والمكايل والمقاييس

(1) السفاتج وسفتجة أو الحوالات نوع من أنواع التعامل المالي، ظهر استعمالها، كما تؤكد الروايات التاريخية ذلك، مبكراً منذ قيام الدولة العربية الإسلامية، والسفتجة تعني أن تعطى مالاً لفرد له مال في بلد تريد السفر إليه، فتأخذ منه خطأً (سفتجة) لمن عنده المال في ذلك البلد، أن يعطيك مثل مالك الذي دفعته قبل سفرك. ينظر: الكبيسي، حمدان، أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨، ص ٤٩-٥٠.

(2) الصكوك وسيلة من وسائل التعامل المالي على المستويين الرسمي والشعبي، استخدمت للتعويض عن دفع النقود، وهو أمر خطي مكتوب يدفع بواسطته مقدار معين من النقود إلى الشخص المسمى فيه. ينظر: المرجع نفسه، ص ٤٧-٤٨.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص ٨١٢.

(4) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص ١٥٠-١٥٣.

(5) ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط ٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م، ص ٢٢.

(6) البيان، ج ٣، ص ٦٩.

مع ما تميزت به أسواق الأندلس من خصوصية في استخدام الموازين والمكاييل والمقاييس الخاصة بها في المعاملات التجارية إلا أنها وبشكل عام اشتركت مع أسواق المشرق الإسلامي في الكثير من وحدة الوزن أو القياس هذه، وأسواق الأندلس لم تختلف في نظمها عن أسواق البلدان الإسلامية الأخرى، فقد كانت هذه الأسواق ذات نظم وقوانين متشابهة مع ما موجود في العالم الإسلامي⁽¹⁾.

أ- الموازين

تعددت الموازين والمكاييل في الأندلس كغيرها من بلدان العالم الإسلامي، فقد استعملها الأندلسيون في معاملاتهم التجارية، وكانت الوحدات الشائعة في الوزن هي الرطل والقنطار والأوقية والدرهم⁽²⁾، ويمكننا حصرها بـ:

الأوقية:

كانت الكثير من السلع تباع بالأوقية⁽³⁾، واستخدمت الأوقية في عمليات البيع والشراء في مدينة غرناطة، ومثال ذلك أن ربع أوقية الجبنة كانت تباع بستة عشر درهماً، في حين بيعت ١٥ أوقية من خبر بربع درهم⁽⁴⁾.

الرطل⁽⁵⁾:

ذكره المقدسي (٤هـ / ١٠م) بقوله: "فأما الأبطال فكانت بغدادية في الإقليم كله"⁽⁶⁾، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الأثر المشرقي في وزن الرطل الأندلسي، ويبدو أن الرطل البغدادي لم يكن هو الوحيد المستخدم في أسواق الأندلس، إذ كان هناك الرطل الأندلسي⁽⁷⁾.

(1) العبادي: احمد مختار، مظاهر الحياة الاقتصادية، مجلة عالم الفكر، مج ١١، العدد الأول، الكويت، ١٩٨٠م، ص ١٥٧.

(2) القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ج 5، ص ١١٤.

(3) الأواقي جمع أوقية تساوي في الأصل 12/1 من الرطل هذا إلى إن التحويل فيها قائم على اعتبار أن الدرهم يساوي ٣,٠٨٩٨ غم وليس ٣,٢٥ غم. ينظر: هنتس، فالتر كتاب المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م، ص ١٩.

(4) المصدر نفسه.

(5) في الأندلس كان الرطل يزن ١١٢ أوقية وكل أوقية كانت تساوي ٨ مثاقيل، وكل مثقال ٤,٧٢٢ غم يساوي ٤٥٣,٣ غم. ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٣٧.

(6) المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٤٠.

(7) هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٣٧.

كما ذكرت وحدة الوزن هذه في الحديث من مدينة قرطبة وقصورها وما يتم توزيعه من حصص الطعام للعاملين فيها عند ابن غالب قائلًا: "كان لهم في كل يوم من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل والرطل ستة وثلاثون أوقية، يُغدق عليهم من عشرة أرطال إلى رطل واحد"⁽¹⁾، وهذا يشير إلى أن وزن الرطل في مدينة قرطبة بلغ ٣٦ أوقية في أيام الخلافة، وينبغي الإشارة إن مقادير الأوزان غير ثابتة في المدن الأندلسية فالرطل الأشبيلي في العصر الموحي كان من ستة عشر أوقية غير إن كل أوقية كانت من عشرة دراهم فقط⁽²⁾، وقد استخدم الرطل في عهد سلطنة غرناطة حيث كان يباع (اللحم بالرطل)، كما اختلف قيمة وزن الرطل حسب نوع السلعة⁽³⁾، كذلك اختلفت باختلاف المكان فكانت "المعاملة على أرطال تتضاءل في الزيادة والنقصان"⁽⁴⁾.

الفنية:

أوضح المقدسي إنها تزن نصف قفيز من ٦٠ رطلاً أي أنها تزن ٣٠ رطلاً⁽⁵⁾، ويشير البكري إن الفنية القرطبية كانت تساوي ٢٠ مدًا نبويًا⁽⁶⁾.

المثقال:

أما المثقال فقد جعل وحدة لوزن الذهب⁽⁷⁾، ويشير ابن غالب إلى أجرة الرجال الذين يحملون السواري من البلدان المجاورة إلى مدينة الزهراء في الأندلس "إذ كان يصلهم على كل سارية بثمانية مثاقيل ذهباً"⁽⁸⁾.

المدى:

- (1) ابن غالب: محمد بن أيوب الغرناطي الأندلسي (ت 5٧١هـ / ١١٧5 م)، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٢٧.
- (2) ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م، ص ٥٢١.
- (3) الشيزري: عبد الرحمن بن نصر نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر السيد الباز العريني، إشراف محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٤٦م، ص ١٥.
- (4) البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر تحقيق: البارون دي سيلان، الجزائر، ١٩٥٧م، ص ١٧.
- (5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٤٠.
- (6) المصدر نفسه، ص ١١٣-١١٢.
- (7) في الأندلس المثقال يزن ٤,٧٢٢ غم كما هي الحال مع أوزان العملة وبذلك يكون وزن الدرهم الذي يتناسب مع هذا المثقال ٣,٣ غم. ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ١٨.
- (8) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٢.

وتجدر الإشارة هنا إلى إن المدى كان يستخدم في عصر الخلافة بقرطبة، وهذا ما ذكره ابن غالب بحديثه عن مدينة الزهراء ⁽¹⁾ وهذا المدى القرطبي زنته ثمانية قناطير والستة أقفزة هي نصف مدى، زنته أربعة قناطير ⁽¹⁾، وهذا يعني أن المدى هو غير المد إذ أن المدى أكبر من المد ومن القفيز، وبما أن الفنيقة القرطبية تساوي نصف قفيز وتزن ٣٠ رطلاً، فإن المدى يزن قياساً على ذلك ٢٤ فنيقة ⁽²⁾.

ب - المكايل:

القسط ⁽³⁾:

ورد ذكره عند العذري في الإشارة إلى بنود الاتفاق الذي وقع بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وصاحب أوريوله وتدمير (تيود ميرو) سنة ٩٤هـ / ٧١٣م كان مفاده أن يدفع تيود ميرو وأتباعه الأحرار الجزية كل عام وهي: "الدينار وأربعة أمداء من قمح وأربعة أمداء من شعير وأربعة أقساط خل وقسطا عسل وقسط زيت وعلى كل عبد نصف هذا" ⁽⁴⁾، كما كان ما يجبي من كورة البيرة (غرناطة) في عهد الحكم الأول (الريضي) وابنه عبد الرحمن الأوسط ١٢٠٠ قسط زيت ⁽⁵⁾، ويتضح إن مكيال القسط كان يستخدم في وزن العسل والزيت والخل (أي السائل بشكل عام).

القفيز ⁽⁶⁾:

نلاحظ في المصادر إن القفيز في قرطبة كان يتسع لـ ٤٢ مداً من أمداد النبي ﷺ أي أنه كان يكيل ٤٤,١٦ لتر، وكان القفيز المكيال الرسمي لقرطبة في عصر الخلافة استناداً إلى المعلومات التي أوردها ابن غالب الذي يشير إلى أن الستة أقفزة هي نصف مدى و١٢ قفيزاً تعادل مدياً من ٧٦٨ رطل أو ٧ قناطر من ٩٦

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٦١.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٤٠.

(3) أحد مكايل السعة (الحجم). ينظر: هنتس، المكايل والأوزان، ص ٦٥.

(4) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥.

(5) المصدر نفسه، ص ٩٣.

(6) القفيز = صاع النبي أي 4,2125 لتر، والصاع الشرعي يتألف من أربعة أمداد. ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٦٣.

رطل⁽¹⁾، ويشير الزهري إلى استخدام القفيز في الأندلس بقوله: "إن جميع الأندلس يبلغ زرعها إذا انتهى خمسة وعشرين قفيزاً وزرعها يبلغ إذا طاب الخمسين والستين وينتهي إلى المائة"⁽²⁾.
الكيل⁽³⁾:

للأندلسيين مكيالاً خاص يدعى (الكيل القرطبي)⁽⁴⁾، وقد ذكره ابن غالب عندما أورد من بين ما أنفقه الخليفة الناصر عند بناء مدينة الزهراء: "من الدراهم القاسمية بالكيل القرطبي ثمانون وستة أقفزة وزائد أكيال"⁽⁵⁾.
المد⁽⁶⁾:

اختلفت سعته في العالم الإسلامي حسب الأمكنة والعصور والمذاهب⁽⁷⁾، وأشار كل من المقدسي والبكري على أن القفيز القيرواني كان يعادل ١٩٢ مداً، أما القفيز القيرواني⁽⁸⁾ فكان يساوي خمسة أقفزة قرطبية إلا ستة أمداد، في حين القفيز القرطبي كان يساوي ٤٢ مداً نبوياً، لذا يبدو القفيز القيرواني كان يساوي ٢٠٤ مداً نبوياً⁽⁹⁾.

المكوك:

- (1) والقفيز كلمة عربية انتقلت إلى اسبانيا المسيحية تحت اسم (Cahiz). ينظر: أبو مصطفى: كمال السيد، تاريخ الأندلس الاقتصادي (في عصر دولتي المرابطين والموحدين)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، (د.ت)، ص ٣٢٩.
- (2) الزهري: أبو عبد الله محمد بن بن أبي بكر (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦٠م)، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد صباح صادق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦٨م، ص ١٠٠.
- (3) الكيل: تعني بالأندلس مكيال أو معيار معين، وكان الكيل يستخدم في وزن السوائل والأشياء الصلبة إلى جانب كيل الحبوب ويتردد ذكر الكيل في المصادر الأندلسية على أنه مكيال محدد. ينظر: أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص ٣٢٥.
- (4) في الأندلس كان الربع مكيال يتسع لمقدار من الشراب يزن ١٨ رطلاً، كل رطل ١٢ أوقية، كل أوقية ٨ مثاقيل إلى ٨,١٦ لتر وهو يساوي تماماً نصف مكيال النبيذ الأسباني (Arraba) الذي يتسع لـ ١٧,١٦ لتر. ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٦٣.
- (5) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٢.
- (6) أداة للكيل، والمد نوعان المد الشرعي (مد النبي) ويساوي في فجر الإسلام 4/1 صاع، والمد الكبير الذي كان يساوي أربعة أضعاف المد النبوي. ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٧٤.
- (7) الحكيم: أبو الحسن علي بن يوسف (عاش في القرن ٨هـ / ١٤م)، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، ط ٢، مطابع الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ص ٨٥-٨٦.
- (8) في القيروان كان القفيز القيرواني ٤ - ٣٢ ثمناً وكل ثمن يساوي ٦ أمداد من أمداد النبي. ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٦٨.
- (9) وكان المد يعادل خمسة صناعات. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص ١٤.

وحدة من وحدات الكيل، تعادل مكيال، والذي يعادل بدوره ثلاث كيلجات، والكيلجة تعادل مناً وسبعة أثمان المن والأخير يساوي رطلين⁽¹⁾، هذا وذكر القزويني واصفاً كثرة خيرات مدينة شنقنيرة بقوله: "أن أرضها (يرتفع من المكوك من بذره مائة مكوك. ليست هذه الخاصية لشيء من أراضي غيرها"⁽²⁾.

ويمكن القول أن هناك العديد من المكايل التي عرفت في بلاد الأندلس لم نجد ذكر لدى بلدانينا، بل وجدنا إشارات لها في كتب الحسبة مثل الثمن⁽³⁾ والقذح⁽⁴⁾ والمكينة⁽⁵⁾.

ومن الجدير بالإشارة هنا أنه من الأمور التي لم نعثر عليها في مدونات البلدانين ظاهرة الغش والتدليس عند التجار في المكايل والموازين، وقد اختصت كتب الحسبة بإيضاحها والاستفاضة فيها، منها استغلال التجار لأنواع المختلفة من الموازين والمكايل استغلالاً أضر بمصلحة المستهلك، فكانوا يغشون في مقاديرها أو يستعملون الحجارة بدلاً من صنح حديد، وتزخر كتب الحسبة بالأسئلة عن أساليب التجار هذه وتقترح قطع دابر تلك الممارسات وإن تسم الأكيال والموازين باسم معلوم عندهم⁽⁶⁾.

ج - المقاييس:

(1) الرازي: محمد بن أبي بكر بن القادر، (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م)، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م، ص ٦٣٠.
(2) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٥٤٣.

(3) في مصر يساوي الثمن واحد على ثمانية قدح وهو يساوي الآن ٢,٥٨ لتر. ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٦١.

(4) مكيال مصري له حجامان القدح الصغير والقدح الكبير وكل له وزنه الخاص. المصدر نفسه، ص ٦٥.

(5) ابن عبدون: محمد أحمد التجيبي (ت في النصف الثاني من القرن ١٢هـ / ١٢م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٥٣.

(6) ابن عبد الرؤوف: أحمد بن عبد الله (ت في النصف الثاني من القرن ١٢هـ / ١٢م)، رسالة في الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ١٠٦.

أشارت كتب البلدانيين إلى إن مقاييس الطول المتبعة في الأندلس منها الميل⁽¹⁾ فنجد ان المسافة بين الأندلس الإسلامية والمسيحية تقاس بالأميال وكذلك الفرسخ⁽²⁾، والشبر والذراع الرشاشية⁽³⁾، ويحدد ابن غالب في أثناء وصفه لجامع قرطبة ومدينة الزهراء قياس الذراع الرشاشي، بقوله: "وهو ذراع واحد وثلاث ذراع"، وهو بهذا يعادل 1/3 من الذراع العادي (اليدي)، لان الذراع العادي يعادل ثلاثة أرباع الذراع الرسمي الذي يعرف بـ(الرشاشي) الذي كان من ٣٢ إصبع⁽⁴⁾.

ويشير الحميري نقلاً عن ابن حيان في تاريخه قائلاً: "عثر فيه الخندق الذي خندق بخارج سور مجريط على قبر برمة عادية فيه جيفة (حيوان)، كان طولها إحدى وخمسين ذراعاً، التي هي مائة شبر وشبران، من نمركة رأسه إقمة إلى طرف قدميه"⁽⁵⁾، أي يستنتج من هذا النص إن الذراع قد يكون قياسه شبرين كبيرين طبقاً لما دونه الحميري.

كما يشير الحميري في وصفه لصنم قادس إلى نوع من المقاييس يعرف بـ(الذراع الكبير) يساوي ثلاثة أشيار ونصف⁽⁶⁾، وهناك العديد من المقاييس لم نجدها في كتابات البلدانيين، منها مثلاً استخدام الأندلسيين لـ(الحبل) في المقاييس، وهو مقياس المسح الأرض كان يساوي في غربي الأندلس ٤٠ ذراعاً رشاشية كل

(1) الميل وحدة قياس تبلغ ٤٠٠ ذراع شرعية، أي أنه يساوي 3/1 فرسخ. ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥.

(2) الفرسخ يساوي 3 أميال، كل ميل ألف باع، وكل باع ٤ أذرع شرعية، أي أن طول الفرسخ كان يقدر بـ ٦ كم. ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤.

(3) نسب إلى محمد بن الفرج القياس الذي عرف باسم الرشاش، وقد دخل الأندلس في العصر الأموي مقياس آخر أساسه الذراع الشامي ويبلغ ٣٢ إصبغاً، واستخدم في مصر لقياس ارتفاع منسوب مياه نهر النيل، وعرف في الأندلس بالرشاشي. ينظر: أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص ٣٣٢؛ وهو ذو ست قبضات كانت أكثر ما تستعمل في المغرب وفي إسبانيا، وكانت تعادل الذراع السوداء تماماً أي إن طولها كان ٥٤,٠٤ سم والذراع السوداء تساوي ٢٤ إصبغ وقد استحدثت في عهد الخليفة المأمون العباسي. ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٨٨.

(4) هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٣١.

(5) الحميري: عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتحقيق: أ. لافي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧ م، ص ١٠٨.

(6) ويعادل ٣٢ بوصة أو ٧٤٣ ملليمتر أي يعادل تقريباً ٧٤,٣ سم. بنظر: أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص ٣٣٢.

ذراع ٥٤,٠٤ سم = ٢١,٦١٦ متر^(١) كما استعمل المرجع^(٢) في قياس الأراضي الزراعية بأشبيلية في عصر الموحدين^(٣).

الأسعار:

إن أسعار السلع والبضائع في أسواق الأندلس بصورة عامة تتأثر بعوامل السوق، كما أن الأحوال العامة للدولة والمجتمع تأثر هي الأخرى سلباً وإيجاباً، ففي القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي (عهد الخلافة) وهو عهد رخاء وازدهار اقتصادي^(٤)، دون لنا ابن حوقل معلومات فريدة عن مستوى الأسعار بالأندلس في أيامه قائلاً: "وإما أسعارهم فتضاهي النواحي الموصوفة بالرخص وكثرة الخير والسعة. وفواكههم مع طيبة فيها وسطة فكالملباحة التي لا ثمن لها"^(٥)، هذا ويضيف موضحاً "ويغلب عليها... الرخص والسعة في جميع الأحوال إلى نيل النعيم والتملك الفاخي في الخاصة والعامة فينال ذلك أهل مهنهم وأرباب صنائعهم"^(٦). ولدينا إشارات قليلة، جاءت من كتب البلدانيين عن بعض أسعار السلع والبضائع في أسواق الأندلس منها ما أشار الزهري له في أن سعر التين في بلنسية بقوله: "إن الرجل يشتري من التين الأخضر بربع درهم"^(٧)، وينوه الإدريسي إلى أن مدينة قلعة أيوب اشتهرت بكثرة الأشجار والثمار الرخيصة الأسعار^(٨).

كانت أسعار السلع داخل الأسواق تخضع للحالة الاقتصادية التي تمر بها البلاد عامة فالاستقرار السياسي لم يكن هو الحاكم وحده مع أهميته الكبيرة في انخفاض الأسعار وارتفاع مستوى المعيشة، ذلك إن الشروط الاقتصادية للسوق قد تتأثر ولأسباب مختلفة بالتقلبات التي تنشأ في بعض الحالات من كثرة المعروض من السلع وقلة الطلب عليها إلى درجة تؤدي إلى انخفاض أسعارها مقارنة بسلع أخرى تحافظ على أسعارها نظراً للتوازن بين مستوى المعروض منها في السوق وبين طلب المستهلك لها ومثل هذه الحالات نجد لها

(١) هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٨٢.

(٢) مقياس مساحة مغربي مفضل يبلغ ٤٠ ذراعاً رشاشية مربعة، أي ٦٧,٤م^٢. ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٨.

(٣) ابن صاحب الصلاة: عبد الملك (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م)، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط3، دار المغرب الإسلامي، الرباط، ١٩٨٧م، ص ٤٦٦.

(٤) ابن خاقان: أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الاشبيلي (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٤م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١١٤.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٠٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٧) الزهري، الجغرافية، ص ١٠٢.

(٨) المصدر نفسه.

إشارات في ما دونه البلدانون فيذكر ان العنب يباع في مدينة مالقة باثمان زهيدة حيث يقول ابن بطوطة: "رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرتال بدرهم صغير"⁽¹⁾، ويذكر الحميري إلى إن "بالمرية من فواكه واديها الكثير الرخيص"⁽²⁾، ولا بد من الالتفات، ونحن نقرأ نص الحميري الأخير، أن الحميري عاصر النصف الأخير من حياة سلطنة غرناطة بل وزار الأندلس أيام حكم بني نصر، تلك السلطنة التي صمدت أمام تحديات خارجية كبرى بالإضافة إلى التحديات الداخلية فنراه أي الحميري يتكلم عن رخص أسعار الفاكهة في المرية وهي جزء من السلطنة بل ومن مراكزها الحيوية مما يعطي انطبعا عن رخص الأسعار فيها بشكل عام، وهذا الأمر يضعنا أمام تخمينات عدة منها: إن رخص أسعار الفواكه خضع للقاعدة الاقتصادية المذكورة كما نوهنا، أو أن المرية ظلت تتمتع بالنشاط التجاري المزدهر حتى في ظل ظروف التحدي، أو أن الحميري نقل من بلدانين سابقين له كانوا قد وصفوا المدن التي وصفها بهذه الأوصاف، وهو الاحتمال الراجح كون الحميري لم يستقر في الأندلس مدة طويلة وعرف عنه النقل من الإديسي الشيء الكثير⁽³⁾، ويصف الحميري مدينة جيان بأنها (رخيصة الأسعار)⁽⁴⁾، وما عرضناه بشأن الحميري ينطبق إلى حد كبير على ما أورده العمري الذي يذكر أن في وادي بجانة نجد الشيء الكثير والرخيص من الفواكه المختلفة⁽⁵⁾.

واشتهرت غرناطة بإنتاجها الوفير لأنواع الفواكه والخضر⁽⁶⁾، "لقد غصت الدكاكين بالخضر... والفواكه الطيبة والثمر المزخرة"⁽⁷⁾.

- (1) ابن بطوطة: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، المغرب، ١٩٩٧م، مج4، ص ص 219-220.
- (2) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٤.
- (3) كراتشكوفسكي: اغناطيوس يوليانونفتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة ايغور بلياييف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٤٨٥.
- (4) المصدر نفسه، ص ٧٠.
- (5) العمري: احمد بن يحيى بن فضل الله (٧٤٩ هـ / ١٣٤٩م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مصطفى أبو ضيف احمد، مطبعة الدار البيضاء الجديدة، بغداد، ١٩٨٨م، ص ١٦٣.
- (6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص ٢١٥.
- (7) ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد التلمساني (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ج 1، ص ص ١٥-١٦.

وينطبق كلامنا، في ما يخص القاعدة الاقتصادية المذكورة آنفاً، على المنتجات الحيوانية أيضاً، إذ إن وفرة السمك في الأندلس، نظراً لوجود انهار كثيرة زاخرة بالثروة السمكية، أدى إلى رخص أثمانه في السوق، فيذكر ابن غالب أنه كان يباع في قرطبة: "لمن أنواع السمك المملوح وغيره في كل يوم على اختلاف أجناسه أيام جريانه بعشرين ألف دينار قاسمية على اعتدال القيم"⁽¹⁾.

أما في أيام الفتن والاضطرابات تتدخل السلطة لتحديد أسعار السلع والبضائع، لذلك طلب من أهل الحوانيت وضع أسعار معلنة على بضائعهم، وإلى جانب ذلك شهدت أسواق الأندلس الأخرى نتيجة للاستخدام المتواصل للبغال في عملية البناء إذ كانت هذه البغال تؤجر في بناء مدينة الزهراء بـ "أجر كل بغل منها في الشهر ثلاثة دنانير من الذهب الجعفري"⁽²⁾، وهذه حركة بيع وشراء قوية لهذه الدابة وقد عثرنا على نص يوضح ثمن البغال في الأندلس في عصر الخلافة، فيقول ابن حوقل: "ورأيت فيها غير بغل بيع بخمسائة دينار فأما ما يبلغ المائة والمائتي دينار فأكثر من أن يحصى"⁽³⁾، ويؤكد ذلك ياقوت الحموي بقوله: "الوفي قرطبة بغال يبلغ ثمن البغلة عندهم خمسمائة دينار... لحسن شكلها وألوانها وقودها وعلوها وصحة قوائمها"⁽⁴⁾.

وفيما يخص أسعار المنسوجات، كان سعر الثوب الذي ينسج من دابة (ابو قلمون) غالي الثمن إذ لا يقتنيه إلا الملوك من بني أمية يزيد الثوب عن ألف دينار لعزه وحسنه⁽⁵⁾.

ولكون معرفة أسعار البضائع مرتبطة في حقيقة الأمر بمعرفة دخل فئة العمال الذين يمتنون الحرف في الأسواق ودواوين الدولة يسهل عملية تقدير الأسعار إلا أن كتب البلدانيين لا تكاد توضح ذلك، ولم نعثر فيها على معلومات دقيقة فيما يخص دخل العاملين سواء في الحرف والمهن في الأسواق أو العاملين في دواوين الدولة، والإشارات القليلة لا تعطي للباحث مساحة للمقارنة وتخمين الأسعار في ذلك الوقت فيذكر ابن غالب في أثناء حديثه عن جامع قرطبة: "كان يعمره ويخدمه من الخطباء والأئمة والمؤذنين والقومة مائة رجل وعشرات لهم من الدنانير على اختلاف منازلهم ثمانمائة دينار في الشهر مكافأة على رتبهم"⁽⁶⁾.

(1) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٧.

(2) المصدر نفسه، ص ٣١.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٠.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ج ٧، ص ٣٢.

(5) الاصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر، مراجعة:

محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد، مصر، ١٩٦١م، ص ٣٥.

(6) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٠.

وفي أثناء بناء مدينة الزهراء في القرن ٤هـ / ١٠م "كان عدة حذاق البناء بها في كل يوم ثلاثمائة بناء، وعدة حذاق التجاريين مانتا نجار، وعدة الأجراء في كل يوم خمسمائة أجير تنتمه ألف عامل... وجلب إليها الرخام... وكانوا الذين يجلبونه وينتخبونه ثلاثة رجال، وكان يصلهم على كل رخامة كبيرة أو صغيرة بعشرة دنانير قاسمية أجره لهم سوى ما كان يلزمها من المؤن والتسفير، وكان يصلهم عن كل سارية بثمانية مثاقيل ذهباً"⁽¹⁾.

الخاتمة:

توصل البحث الى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها بما يأتي:

- 1- كانت العملة المتبادلة في الأندلس هي العملة المنقوشة باللغة اللاتينية، وكانت أول عملة إسلامية في الأندلس مزدوجة باللغة اللاتينية والعربية مثال على ذلك كان الدينار يضرب على غرار الدينار. بيزنطي، ثم بدأ الإصلاح النقدي بسك النقود العربية في الأندلس سنة ٩٨هـ / ٧١٦م.
- ٢- وفي عهد الامارة بدأ العمل بضرب النقود في مدينة قرطبة، وهذا يعني ان الضرب كان للدراهم والفلس وليس للدنانير، كما عثر على دراهم غير رسمية كانت لبعض الثوار الخارجين على أمراء بني أمية ومنهم ديسم بن اسحاق من فرسان عمر بن حفصون.
- 3- في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حيث شهدت بلاد الأندلس رخاء وازدهاراً اقتصادياً، كما تعددت دور سك العملة من الدنانير والدراهم في عهد المرابطين والموحدين واستمر حتى في العهد الأخير في عهود السيادة الإسلامية في الأندلس ٦٣٥-٨٩٧هـ / ١٤٣٨-١٤٩٠م.
- ٤- تميزت الأندلس وأسواقها في استخدام الموازين والمكاييل والمقاييس الخاصة بها في المعاملات التجارية واشتركت بصورة عامة مع أسواق المشرق الإسلامي في الكثير من وحدات الوزن أو القياس كما لم تختلف عن نظم وقوانين اسواق البلدان العربية، مثال على ذلك يذكر المقدسي ان الرطل البغدادي لم يكن الوحيد يستخدم في أسواق الأندلس، اذ كان هناك الرطل الأندلسي.
- 5- كانت أسعار السلع والبضائع في أسواق أن الأندلس شأنها شأن أي أسواق البلاد العربية الإسلامية في كل زمان ومكان تتأثر بالأحوال العامة والخاصة للدولة والمجتمع سلباً وإيجاباً حيث كانت أسعار السلع داخل الاسواق تخضع للحالة الاقتصادية التي تمر بها البلاد عامة، فكان الاستقرار السياسي لم يكن هو الحاكم وحده مع أهميته الكبيرة في انخفاض الاسعار وارتفاع مستوى المعيشة.

(1) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٣٢.

المصادر المراجع

- (1) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
- (٢) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، إعمال الأعلام فيمن بويح قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط ٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.
- (٣) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م.
- (٤) ابن العطار، الفقيه موفق محمد بن أحمد الأموي (٣٩٩-٣٣٠هـ / ٩٣٤-١١٠٨م)، الوثائق والسجلات، تحقيق ونشر: ب. شالميتا ف كورينطي المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.
- (٥) ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، المغرب، ١٩٩٧م.
- (٦) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، صورة الأرض، ط ٢، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت.).
- (٧) ابن حيان، أبو مروان بن حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)، كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: ب. شالميتا وآخرون، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- (٨) ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الاشبيلي (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٤م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- (٩) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون، ط 5، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢م.
- (١٠) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف دار المعارف، مصر، ١٩٥٣م.
- (١١) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م)، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط ٣، دار المغرب الإسلامي، الرباط، ١٩٨٧م.

- (١٢) ابن عبد الرؤوف، احمد بن عبد الله (ت في النصف الثاني من القرن ١٢هـ / ١٢م)، رسالة في الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- (١٣) ابن عبدون، محمد احمد التجيبي (ت في النصف الثاني من القرن ١٢هـ / ١٢م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- (١٤) ابن عذاري، أبو العباس احمد بن محمد المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.
- (١٥) ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي الأندلسي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥ م)، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م.
- (١٦) الهمذاني، أبو عبد الله احمد بن محمد بن اسحاق (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م)، مختصر كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٩٦م).
- (١٧) الزهري، أبو عبد الله محمد بن بن أبي بكر (ت ٥٥٦هـ / ١١٦٠م)، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد صباح صادق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦٨م.
- (١٨) أبو مصطفى، كمال السيد، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، (د.ت).
- (١٩) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر، مراجعة: محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد، مصر، ١٩٦١م.
- (٢٠) البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر تحقيق: البارون دي سيلان، الجزائر، ١٩٥٧م.
- (٢١) الجحاني، الحبيب دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
- (٢٢) الحسيني، محمد باقر كاظم، الإصلاح النقدي في المغرب والأندلس، مجلة أفاق عربية، عدد ٢، السنة الثانية، ١٩٧٦م.
- (٢٣) الحسيني، محمد باقر كاظم، نقود المغرب والأندلس، مجلة المسكوكات العدد ١٢-١٣، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨١-١٩٨٢م.
- (٢٤) الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف (عاش في القرن ٨هـ / ١٤م)، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، ط ٢، مطابع الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م.

- (٢٥) الحميري، عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتحقيق: أ. لافي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.
- (٢٦) خابط، صباح الجوانب الاقتصادية للأندلس في ضوء كتاب معجم البلدان، مجلة الآداب، ع ٧٥، بغداد، ٢٠٠٦م.
- (٢٧) الذهبي، شمس الدين بن احمد (٧٤٨هـ / ١٣٧٤م)، سير إعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وصلاح السم، ط ٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.
- (٢٨) الرازي، محمد بن أبي بكر بن القادر، (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م)، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.
- (٢٩) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر: السيد الباز العريني إشراف: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٤٦م.
- (٣٠) العبادي، احمد مختار، مظاهر الحياة الاقتصادية، مجلة عالم الفكر، مج ١١، العدد الأول، الكويت، ١٩٨٠م.
- (٣١) العذري، احمد بن عمر بن انس الدلائي (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهوائي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.
- (٣٢) العمري، احمد بن يحيى بن فضل الله (٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مصطفى أبو ضيف احمد، مطبعة الدار البيضاء الجديدة، بغداد، ١٩٨٨م.
- (٣٣) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- (٣٤) القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العربية، بيروت، ١٩٨٧م.
- (٣٥) الكبيسي، حمدان أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.
- (٣٦) كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة: ايغور بلياييف لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

- (٣٧) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وتكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مطبعة ريدنير، مجريط، ١٨٦٧م.
- (٣٨) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
- (٣٩) مكّي، محمود، تاريخ الأندلس السياسي ٩٢-٨٩٧هـ، الحضارة العربية الإسلامية. (د.مك)، (د.ت).
- (٤٠) هنتس، فالتر، كتاب المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.
- (٤١) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، تقديم: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.

الكيمياء في حياتنا اليومية (استخدام البوليمرات العضوية في تنقية المياه)

م.م. سعاد عكموش شناوه كاطع

المديرية العامة للتربية في محافظة القادسية

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة الدور الحيوي للبوليمرات العضوية في معالجة المياه، حيث يتم استعراض أنواعها المختلفة وتأثيراتها الكيميائية في إزالة الملوثات. يهدف البحث إلى تقديم تحليل معمق لاستخدام هذه المواد كبديل مستدام للمخثرات المعدنية التقليدية، مع التركيز على كفاءتها في معالجة مياه الصرف الصحي والصناعي. تخلص الدراسة إلى أن الاعتماد على البوليمرات العضوية يساهم في تحسين جودة المياه المخرجة مع تقليل حجم الحمأة الناتجة، مما يجعله خياراً اقتصادياً وبيئياً ناجحاً.

الكلمات المفتاحية: الكيمياء، الحياة اليومية، البوليمرات العضوية، تنقية المياه.

Research Summary

This study examines the vital role of organic polymers in water treatment, reviewing their various types and their chemical effects in pollutant removal. The research aims to provide an in-depth analysis of the use of these materials as a sustainable alternative to traditional mineral coagulants, focusing on their efficiency in treating sewage and industrial wastewater. The study concludes that relying on organic polymers contributes to improving the quality of the treated water while reducing the volume of sludge produced, making it an economically and environmentally viable option.

Keywords: Chemistry, everyday life, organic polymers, water purification.

المقدمة

تتزايد الحاجة إلى تقنيات تنقية المياه مع تفاقم أزمة الشح المائي والتلوث الصناعي. تكمن الأهمية في قدرة البوليمرات العضوية على تقديم حلول مرنة وعالية الكفاءة بجرعات منخفضة، مما يقلل من الأثر البيئي للمواد الكيميائية التقليدية ويحافظ على استدامة الموارد المائية. وتتمثل المشكلة في تزايد الملوثات المعقدة التي لا تستطيع الطرق التقليدية إزالتها بكفاءة، بالإضافة إلى المخاطر الصحية الناتجة عن بقايا المخثرات المعدنية في مياه الشرب، مما يدفعنا للبحث عن حلول عضوية أكثر أماناً وتخصصاً. ويفترض البحث أن استخدام البوليمرات العضوية ذات الأوزان الجزيئية العالية يرفع من كفاءة الترسيب والترشيح بنسبة كبيرة مقارنة بالمخثرات اللاعضوية، مما يقلل من تكلفة المعالجة الكلية. وتتجسد مشكلة البحث بسؤال التالي: كيف تساهم البنية الجزيئية للبوليمر في جذب الجسيمات الملوثة؟ وما هو الفارق الجوهرى بين أداء البوليمرات الطبيعية والاصطناعية في الظروف البيئية المختلفة؟. تتوزع الدراسة على ثلاثة فصول؛ الأول يتناول الإطار النظري والتصنيفات، والثاني يركز على التطبيقات والميكانيكا الكيميائية، والثالث يستعرض التقييم الفني والاقتصادي والبيئي.

الفصل الأول: البوليمرات العضوية: ماهيتها وتصنيفاتها وخصائصها

1.1 التعريف الكيميائي للبوليمرات العضوية وتصنيفاتها البنائية

تعتبر البوليمرات العضوية من الركائز الأساسية في علوم المواد الحديثة، وهي عبارة عن جزيئات عملاقة (Macromolecules) تتكون من ارتباط وحدات بنائية متكررة تسمى "المونومرات" عبر روابط تساهمية قوية. إن مفهوم البوليمر العضوي في تنقية المياه يتجاوز مجرد كونه مادة مضافة، بل هو نظام كيميائي متكامل

يعتمد على توزيع الشحنات والكتلة المولية. تبدأ عملية التصنيف الأساسية لهذه المواد بناءً على مصدرها الأولي، حيث نجد البوليمرات الطبيعية التي يتم استخلاصها من الكائنات الحية، مثل السليلوز والشيتوزان والنشا. هذه المواد تتميز بقابليتها العالية للتحلل الحيوي، مما يجعلها خياراً ممتازاً للمحطات التي تسعى لتقليل البصمة الكربونية. من ناحية أخرى، تبرز البوليمرات الاصطناعية مثل البولي أكريلاميد (PAM) ومشتقاته، والتي يتم تصميمها في المختبرات للتحكم الدقيق في طول السلسلة وكثافة الشحنة، وهو ما يمنحها تفوقاً في التعامل مع أنواع محددة من الملوثات الصناعية التي قد تستعصي على المواد الطبيعية (1).

إن البنية الجزيئية للبوليمرات العضوية المستخدمة في المعالجة تتخذ أشكالاً متعددة، منها السلاسل الخطية التي تسمح بمرونة عالية في التغلغل بين الجسيمات العالقة، ومنها السلاسل المتفرعة التي تزيد من فرص التصادم والارتباط بالملوثات. كما توجد البوليمرات المتشابكة التي تشكل شبكات ثلاثية الأبعاد قادرة على احتجاز المواد العضوية الدقيقة بداخلها. وتعتمد كفاءة هذه المواد بشكل مباشر على "درجة البلمرة"، وهي عدد الوحدات المتكررة في السلسلة الواحدة، حيث أن زيادة هذه الدرجة تؤدي إلى زيادة الوزن الجزيئي، مما يعزز من قدرة البوليمر على العمل كمخثر من خلال آلية "الجسور الجزيئية". في هذه الآلية، يمتص البوليمر على سطح عدة جسيمات ملوثة في وقت واحد، مما يؤدي إلى تكوين تكتلات كبيرة الحجم (Flocs) تسقط بفعل الجاذبية بسرعة فائقة (2).

بالإضافة إلى التصنيف المصدري، تُصنف البوليمرات العضوية بناءً على شحنتها الكهربائية إلى: بوليمرات أيونية (سالبة الشحنة)، وبوليمرات كاتيونية (موجبة الشحنة)، وبوليمرات غير أيونية (متعادلة)، وبوليمرات أمفوتيرية (تحمل الشحنتين معاً). هذا التنوع الشحني هو المفتاح السحري في عملية تنقية المياه، حيث أن أغلب المواد العالقة في المياه الطبيعية والملوثة تحمل شحنات سالبة، مما يجعل استخدام البوليمرات الكاتيونية هو الأكثر شيوعاً لمعادلة تلك الشحنات وتحفيز عملية التجمع. ومع ذلك، قد يتطلب الأمر

(1) محمد جاسم العبيدي، "تقنيات معالجة المياه المعاصرة"، دار الفكر العربي، القاهرة 2019، ص. 85.

(2) سعاد حسن العامري، "الكيمياء الفيزيائية للبوليمرات"، منشورات جامعة بغداد، بغداد 2021، ص. 142.

استخدام بوليمرات أنيونية في مراحل لاحقة لزيادة حجم التكتلات الناتجة بعد عملية التعادل الشحني الأولي (1).

تعد الخصائص الريولوجية والفيزيائية للبوليمرات العضوية المحرك الأساسي لكفاءتها في أنظمة تنقية المياه المعقدة. فعند دراسة السلوك الجزيئي لهذه المواد في الأوساط المائية، نجد أن طول السلسلة البوليمرية ودرجة تفرعها يؤثران بشكل مباشر على قدرتها في اقتناص الشوائب. إن البوليمرات ذات السلاسل الطويلة جداً تمتلك ما يعرف بـ "نصف قطر الدوران" (Radius of Gyration) الكبير، مما يمنحها مساحة سطحية هائلة للتفاعل مع الجسيمات الغروية العالقة. وتتجلى أهمية هذه البوليمرات في قدرتها على العمل وفق آلية "التجسير الجزيئي" (Interparticle Bridging)، حيث تمتد السلسلة البوليمرية لترتبط بين عدة جسيمات ملوثة في آن واحد، مما يؤدي إلى تكوين كتل ثقيلة الوزن يسهل ترسيبها بفعل الجاذبية الأرضية في أحواض الترسيب (2).

علاوة على ذلك، تلعب "الكثافة الشحنة" (Charge Density) دوراً محورياً في تحديد مدى استجابة البوليمر لنوع الملوثات الموجودة. فالبوليمرات الكاتيونية، التي تحمل شحنات موجبة موزعة على طول هيكلها الكربوني، تعمل بفاعلية منقطعة النظير في معالجة المياه التي تحتوي على نسبة عالية من المواد العضوية الطبيعية (NOM) أو الطحالب، نظراً لأن هذه الملوثات غالباً ما تكون ذات شحنة سطحية سالبة. إن التفاعل الكهروستاتيكي بين الشحنات المتضادة يؤدي إلى زعزعة استقرار النظام الغروي (Destabilization)، وهي الخطوة الأولى والأساسية في دورة التنقية. ومن الناحية الكيميائية، يتم التحكم في هذه الكثافة الشحنة خلال عملية التصنيع عن طريق ضبط نسبة "المونومرات المشحونة" إلى "المونومرات المتعادلة"، وهو ما يسمح بإنتاج بوليمرات مخصصة (Tailor-made) تتناسب طبيعة المياه في كل منطقة جغرافية على حدة (3).

⁽¹⁾ روبرت سميث، "دليل هندسة البيئة والمياه"، ترجمة: أحمد المومني، دار اليازوري العلمية، عمان 2018، ص. 310.

⁽²⁾ زيدان هندي، "تكنولوجيا البوليمرات وتطبيقاتها الصناعية"، الجزء الثاني، دار الكتب الجامعية، القاهرة 2017، ص. 112.

⁽³⁾ منى كمال، "معالجة المياه والفضلات الصناعية"، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2020، ص. 89.

ومن الزوايا التقنية التي يجب فحصها بدقة، هي تأثير "الوزن الجزيئي" (Molecular Weight) على سرعة تكوين الندف (Flocs) وقوتها الميكانيكية. فالبوليمرات ذات الوزن الجزيئي المرتفع (أكثر من 10 ملايين دالتون) تنتج ندفاً كبيرة الحجم لكنها قد تكون هشة وسهلة التفكك عند تعرضها لقوى القص (Shear Forces) الناتجة عن التقليب في أحواض المعالجة. بينما توفر البوليمرات ذات الأوزان الجزيئية المتوسطة توازناً بين حجم الندفة وقوتها، مما يضمن عدم تكسرها أثناء مرورها في مراحل الفلتر والترشيح اللاحقة. إن هذا التباين الفيزيائي يستوجب إجراء تجارب "اختبار الجرة" (Jar Test) لتحديد النوع الأمثل والجرعة الدقيقة، حيث أن أي زيادة طفيفة في كمية البوليمر قد تؤدي إلى نتائج عكسية تماماً، مسببة ما يعرف بـ "إعادة الاستقرار" (Restabilization)، حيث يتم تغليف الجسيمات الملوثة بطبقة بوليمرية تمنعها من الاندماج مع غيرها، مما يزيد من تعقيد عملية التنقية بدلاً من تسهيلها⁽¹⁾.

وبالانتقال إلى تفصيل نوعي للبوليمرات العضوية الطبيعية (Natural Biopolymers) التي باتت تشكل حجر الزاوية في الكيمياء الخضراء الموجهة لتنقية الموارد المائية. إن الاعتماد على هذه المواد ينبع من تركيبها الكيميائي الفريد الغني بالمجموعات الوظيفية النشطة التي تمنحها قدرة انتقائية عالية في جذب الملوثات. ومن أبرز هذه المواد نجد "الشيتوزان" (Chitosan)، وهو بوليمر خطي يتكون من وحدات عشوائية التوزيع من البوليمر المرتبط بجزيئات الغلوكوزامين. يستخلص الشيتوزان أساساً من "الكيتين" الموجود في قشور السرطانات والجمبري عبر عملية نزع الأستيل الكيميائية. تكمن القوة الكيميائية للشيتوزان في وجود مجموعات "الأمين" (NH_2 -) و"الهيدروكسيل" (OH -) على طول سلسلته الكربونية، حيث تتحول مجموعات الأمين إلى أيونات موجبة (Protonation) عند انخفاض الرقم الهيدروجيني للمياه، مما يجعل البوليمر مغناطيسياً طبيعياً لأيونات السالبة والمعادن الثقيلة والصبغات العضوية⁽²⁾.

علاوة على ذلك، تبرز "الألجينات" (Alginates) المستخلصة من الطحالب البنية كبوليمرات أنيونية قوية تمتلك قدرة فائقة على التبادل الأيوني. تتكون الألجينات من سلاسل من حمض المانورونيك وحمض

⁽¹⁾ عبد السلام صالح، "البيئة المائية وكيمياء التلوث"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 2015، ص. 204.

⁽²⁾ حسن علي الهاشمي، "الكيمياء الحيوية والبيئة"، دار المعرفة، دبي 2022، ص. 45.

الغولورونيك، وهي مجموعات تمتاز بقدرتها على تكوين روابط تناسقية مع الأيونات ثنائية التكافؤ مثل الكالسيوم والرصاص والنحاس. إن عملية التنقية باستخدام الألبينات تعتمد على تكوين ما يعرف بـ "نموذج صندوق البيض" (Egg-box model)، حيث يتم احتجاز أيونات المعادن الثقيلة داخل فجوات السلسلة البوليمرية، مما يؤدي إلى ترسيبها بشكل فوري وتخليص المياه منها. كما تشير الدراسات المعملية إلى أن استخدام مشتقات النشا المعدلة كبوليمرات عضوية يساهم في خفض معدلات العكارة في المياه السطحية بنسبة تصل إلى 95 بالمئة، وذلك بفضل قدرة النشا على الاندماج مع الحبيبات الطينية وتكوين تكتلات صلبة لا تتأثر بالتغيرات المفاجئة في درجات حرارة المياه⁽¹⁾.

ومن الجوانب البيئية الهامة للبوليمرات الطبيعية هي سميتها المعدومة تماماً وقابليتها الكاملة للتحلل الحيوي بواسطة الكائنات الدقيقة الموجودة في التربة والمياه، مما يعني أن الحمأة الناتجة عن عملية التنقية يمكن استخدامها كأسمدة عضوية دون خوف من تراكم مواد كيميائية ضارة. كما نجد "التانينات" (Tannins)، وهي مركبات بوليفينولية تستخلص من لحاء الأشجار، وتمتاز بقدرتها العالية على العمل كمخثرات عضوية في مياه الصرف الصحي، حيث تقوم مجموعات الفينول النشطة فيها بترسيب البروتينات والمواد العضوية المعقدة. إن التكامل بين هذه الأنواع يوفر نظاماً دفاعياً بيئياً متكاملاً يحمي الأنظمة المائية من التلوث الكيميائي الناتج عن المخثرات المعدنية التقليدية التي قد تسبب أمراضاً عصبية إذا ما تسربت بقاياها إلى مياه الشرب⁽²⁾.

2.1 الخصائص الفيزيوكيميائية للبوليمرات وآليات التفاعل الجزيئي

تعتمد كفاءة البوليمرات العضوية في تنقية المياه على حزمة من الخصائص الفيزيائية والكيميائية المتداخلة التي تحدد سلوكها عند الاختلاط بالوسط المائي الملوث. وتأتي "الذوبانية" (Solubility) في مقدمة هذه الخصائص، حيث يجب أن يتمتع البوليمر بقدرة عالية على الانتشار المتجانس في الماء لضمان أقصى قدر من التصادم مع الجسيمات العالقة. إن عملية ذوبان البوليمرات العضوية ليست مجرد اختفاء للمادة

⁽¹⁾ نادية محمود يوسف، "المعالجة البيولوجية للمياه"، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 2016، ص. 92.

⁽²⁾ إبراهيم خليل، "البوليمرات الطبيعية في الصناعة"، جامعة الملك سعود، الرياض 2020، ص. 14.

في المذيب، بل هي عملية معقدة تتضمن انتفاخ السلاسل البوليمرية أولاً ثم انفصالها التدريجي لتشكل محلولاً غروباً. وتتأثر هذه العملية بشكل مباشر بالوزن الجزيئي؛ فكلما زاد الوزن الجزيئي زادت لزوجة المحلول، وهو ما يتطلب تقنيات خلط متطورة لضمان عدم تكون "كتل هلامية" تعيق عملية التفاعل. وتعد اللزوجة الذاتية (Intrinsic Viscosity) مقياساً حيوياً يستخدمه الكيميائيون لتقدير الحجم الفراغي للسلسلة البوليمرية، حيث تعكس هذه اللزوجة مدى امتداد السلسلة وقدرتها على اصطيايد الملوثات عبر مسافات جزيئية بعيدة⁽¹⁾.

علاوة على ذلك، يلعب التركيب الفراغي (Stereochemistry) دوراً حاسماً في كيفية ترتيب المجموعات الوظيفية على طول الهيكل الكربوني للبوليمر. فالتوزيع المتناسق للمجموعات المشحونة يضمن عدم حدوث تجاذب داخلي يؤدي إلى تكور السلسلة على نفسها، وهو ما يعرف بظاهرة "الالتفاف الجزيئي" التي تقلل من كفاءة البوليمر بنسبة كبيرة. إن الهدف من التصميم الكيميائي للبوليمرات المخصصة لمعالجة المياه هو الحفاظ على السلسلة في حالة "الامتداد الأقصى" لزيادة فرص تكوين الجسور بين الحبيبات الملوثة. ويتم تحقيق ذلك من خلال التنافر الكهروستاتيكي بين المجموعات الوظيفية ذات الشحنة المتشابهة على طول السلسلة، مما يجبرها على الابتعاد عن بعضها البعض والبقاء في حالة مفردة تسمح لها بالارتباط بأكثر من جسيم ملوث في آن واحد⁽²⁾.

ومن الخصائص الفيزيائية الأخرى التي لا تقل أهمية هي "درجة الانتقال الزجاجي" (Glass Transition Temperature) وثباتية البوليمر تجاه قوى القص الميكانيكي. ففي محطات التنقية الكبرى، تتعرض المياه لعمليات تقليب سريعة وعنيفة في أحواض الخلط السريع، وإذا لم يمتلك البوليمر متانة هيكلية كافية، فإن السلاسل الطويلة قد تتعرض للتكسر الميكانيكي (Mechanical Degradation)، مما يحولها من بوليمرات

⁽¹⁾ محمود عبد القوي، "كيمياء البوليمرات المتقدمة"، دار الفكر العربي، القاهرة 2018، ص. 225.

⁽²⁾ جابر الغزالي، "تقنيات تنقية المياه والفضلات"، الطبعة الثالثة، مكتبة المجتمع العربي، عمان 2019، ص. 144.

ذات أوزان جزيئية عالية إلى قطع صغيرة تفقد قدرتها على التجميع والترسيب. لذا، يتم تدعيم البوليمرات الاصطناعية بروابط عرضية خفيفة لزيادة مقاومتها لهذه القوى دون التأثير على ذوبانيتها. (1).

تنتقل الدراسة الآن لتحليل خاصية "جهد زيتا" (Zeta Potential) وعلاقتها بالكثافة الشحنة للبوليمر، وهي الخاصية التي تحكم الاستقرار الكهربائي للجسيمات العالقة في الماء. إن معظم الملوثات الطبيعية مثل حبيبات الطين، الطحالب، والمواد الدبالية، تحمل شحنة سطحية سالبة تمنعها من التجمع بسبب التنافر الكهروستاتيكي المستمر. وهنا يأتي دور البوليمرات العضوية الكاتيونية التي تمتلك شحنات موجبة قوية؛ حيث تقوم هذه البوليمرات بالامتصاص على سطح الجسيمات الملوثة ومعادلة شحنتها السالبة. إن الهدف التقني في محطات المعالجة هو الوصول بجهد زيتا إلى نقطة قريبة من الصفر، وهي النقطة التي تنعدم فيها قوى التنافر وتبدأ فيها قوى "فان در فال" الجاذبة في العمل، مما يسمح للجسيمات بالالتحام وتكوين كتل مجهرية أولية (2).

إن الكثافة الشحنة للبوليمر (Charge Density) هي التي تحدد كمية المادة المطلوبة للوصول إلى نقطة التعادل. فالبوليمرات ذات الكثافة الشحنة العالية جداً تعمل بآلية "التجميع الرقعي" (Patching Mechanism)، حيث تتكون رقع مشحونة إيجابياً على سطح الجسيم السالب، مما يجذب جسيماً آخر لم تتعادل شحنته بعد، مؤدياً إلى تجمع سريع وقوي. بينما البوليمرات ذات الشحنة المنخفضة والوزن الجزيئي العالي تعمل بآلية "التجسير" التي سبق ذكرها. إن اختيار التوازن الدقيق بين الوزن الجزيئي والكثافة الشحنة هو ما يحدد نجاح عملية التنقية من فشلها. وتتأثر هذه التفاعلات الكيميائية بشدة بتركيز الأيونات الأخرى الموجودة في الماء (القوة الأيونية)، حيث أن وجود أملاح ذائبة بتركيزات عالية قد يؤدي إلى "حجب"

(1) ناصر العبيدي، "البيئة المائية وكيمياء الملوثات"، منشورات جامعة البصرة، البصرة 2020، ص. 312.

(2) سامي الجبوري، "هندسة العمليات الكيماوية في معالجة المياه"، دار الكتب العلمية، بيروت 2021، ص. 98.

الشحنات البوليميرية وتقليل فعاليتها، وهو ما يتطلب تعديل الجرعات في حالات المياه المالحة أو المياه العسرة⁽¹⁾.

علاوة على ذلك، تبرز أهمية "المجموعات الوظيفية الجانبية" في توفير مواقع ارتباط كيميائية متخصصة. فمثلاً، البوليمرات التي تحتوي على مجموعات "الكربوكسيل" (COOH-) تظهر كفاءة استثنائية في إزالة الأيونات المعدنية الموجبة مثل الرصاص والكاديوم عبر تكوين معقدات مخلبية (Chelation). إن هذا النوع من التفاعل لا يعتمد فقط على الجذب الكهربائي البسيط، بل يتعداه إلى تكوين روابط كيميائية تناسقية قوية تحجز المعدن السام داخل البنية البوليميرية وتمنعه من الانطلاق مرة أخرى في الماء. وتعتبر هذه الخاصية من أهم مميزات البوليمرات العضوية مقارنة بالمخثرات المعدنية، حيث توفر حلاً مزدوجاً: إزالة العكارة (الجسيمات العالقة) وإزالة السموم المعدنية الذائبة في خطوة واحدة، مما يرفع من جودة المياه المنتجة إلى مستويات المعايير الدولية للصحة العامة⁽²⁾.

في هذه المرحلة من البحث، نتناول "التفاعلات الهيدروفوبية" (Hydrophobic Interactions) والدور الذي تلعبه في إزالة الملوثات العضوية الذائبة مثل المبيدات الحشرية والمشتقات النفطية. إن العديد من البوليمرات العضوية الحديثة يتم تصميمها لتكون "برمائية" (Amphiphilic)، أي أنها تحتوي على أجزاء محبة للماء (Hydrophilic) تضمن ذوبانها، وأجزاء كارهة للماء (Hydrophobic) تتجذب للملوثات العضوية غير القطبية. فعند إضافة هذه البوليمرات إلى الماء الملوث بالزيوت، تتجه الأجزاء الكارهة للماء نحو قطرات الزيت وتحيط بها، بينما تظل الأجزاء المحبة للماء متجهة نحو الخارج، مما يؤدي إلى تكوين ما يشبه "المذيلات" (Micelles) الضخمة التي يمكن فصلها بسهولة عبر عمليات القشط أو الترسيب. إن هذا السلوك الجزيئي المزدوج يمنح البوليمرات العضوية قدرة فريدة على التعامل مع مياه الصرف الصناعي المعقدة التي تحتوي على مزيج من العكارة المعدنية والملوثات النفطية⁽³⁾.

⁽¹⁾ ليلى عبد المجيد، "الكيمياء الغروية وتطبيقاتها البيئية"، جامعة عين شمس، القاهرة 2017، ص. 156.

⁽²⁾ ستيفن ميلر، "مبادئ تنقية المياه بالبوليمرات"، ترجمة: خالد الياسين، دار المناهج للنشر، عمان 2019، ص. 204.

⁽³⁾ عدنان التكريتي، "تقنيات الفصل الكيميائي في البيئة"، دار وائل للنشر، عمان 2015، ص. 182.

كما يجب فحص تأثير "درجة التفرع" (Degree of Branching) في الهيكل البوليمري على سرعة الترسيب. فالبوليمرات ذات البنية الشجرية (Dendrimers) أو البوليمرات عالية التفرع تمتلك مساحات سطحية هائلة مقارنة بالبوليمرات الخطية التقليدية. هذا التفرع يزيد من عدد "الأطراف النشطة" المتاحة للارتباط بالملوثات، مما يسرع من تكوين الندف (Flocs) ويجعلها أكثر كثافة ومقاومة للانحيار. إن الندف الناتجة عن البوليمرات المتفرعة تمتاز بكونها ذات بنية مسامية تسمح بمرور الماء من خلالها أثناء عملية الترسيب، مما يقلل من مقاومة الموائع ويزيد من سرعة هبوط الكتلة إلى قاع حوض المعالجة. هذا التأثير الفيزيائي يساهم في تقليل حجم أحواض الترسيب المطلوبة في محطات المعالجة، مما يعني توفيراً مباشراً في المساحات الأرضية والتكاليف الإنشائية للمشاريع المائية⁽¹⁾.

ومن الزوايا الكيميائية المتقدمة، نجد دور "الروابط الهيدروجينية" وقوى "لندن" في تدعيم استقرار التجمعات الناتجة. فالبوليمرات الطبيعية مثل السليلوز والنشا تعتمد بشكل كبير على الروابط الهيدروجينية للارتباط بجزيئات المياه والشوائب. هذه الروابط، رغم أنها أضعف من الروابط التساهمية، إلا أن كثرتها وتكرارها على طول السلسلة البوليمرية يخلق قوة تماسك جماعية هائلة. وتتجلى أهمية هذه القوى عند التعامل مع الملوثات المجهرية التي لا تحمل شحنة واضحة، حيث يكون التجاذب الفيزيائي عبر الروابط الهيدروجينية هو الوسيلة الوحيدة لاحتجازها. إن هذا التعدد في آليات الارتباط (جذب كهروستاتيكي، تجسير، روابط هيدروجينية، تداخل هيدروفوبي) هو ما يجعل البوليمرات العضوية أدوات "ذكية" وشاملة في هندسة تنقية المياه المعاصرة، قادرة على التكيف مع مختلف سيناريوهات التلوث بمرونة عالية⁽²⁾.

3.1 المزايا الاقتصادية والبيئية والمقارنة الفنية مع المخثرات التقليدية

⁽¹⁾ منذر الفهداوي، "البوليمرات في خدمة التنمية المستدامة"، جامعة الأنبار، الرمادي 2022، ص. 67.

⁽²⁾ سالم الحارثي، "معالجة مياه الصرف الصناعي"، دار الكتب الجامعية، صنعاء 2018، ص. 240.

تعد المفاضلة الاقتصادية والفنية بين استخدام البوليمرات العضوية والمخثرات المعدنية التقليدية (مثل كبريتات الألمنيوم وكلوريد الحديد) من أهم الركائز التي تعتمد عليها استراتيجيات إدارة الموارد المائية الحديثة. إن الميزة الاقتصادية الأبرز للبوليمرات العضوية تكمن في "كفاءة الجرعة المنخفضة"؛ حيث أثبتت الدراسات التطبيقية أن كمية البوليمر المطلوبة لتحقيق نفس مستوى التنقية تقل بمقدار 10 إلى 50 ضعفاً عن كمية الأملاح المعدنية. هذا الانخفاض الجوهرى في كمية المادة المضافة يترجم مباشرة إلى تقليل تكاليف النقل والتخزين والمناولة داخل المحطات. علاوة على ذلك، فإن استخدام البوليمرات العضوية يقلل بشكل كبير من الاعتماد على المواد الكيميائية التصحيحية للأس الهيدروجيني (pH) مثل الجير أو الصودا الكاوية، لأن البوليمرات، وخاصة غير الأيونية منها، لا تستهلك القلوية الطبيعية للمياه ولا تسبب انخفاضاً حاداً في حموضتها كما تفعل الأملاح المعدنية⁽¹⁾.

ومن الناحية التشغيلية، تساهم البوليمرات العضوية في إطالة العمر الافتراضي للمعدات الميكانيكية في محطات المعالجة. فالمخثرات التقليدية غالباً ما تسبب تآكلاً كيميائياً (Corrosion) للأنابيب والمضخات نتيجة طبيعتها الحامضية، بينما تتمتع البوليمرات العضوية بخصائص غير أكالة، مما يقلل من تكاليف الصيانة الدورية واستبدال قطع الغيار. كما أن الندف (Flocs) الناتجة عن استخدام البوليمرات تمتاز بكونها أكثر تماسكاً وخصاماً، مما يسهل عملية فصلها في أحواض الترسيب السريع، وهذا يؤدي بالضرورة إلى زيادة الطاقة الاستيعابية للمحطة دون الحاجة لتوسعات إنشائية مكلفة. إن تسريع زمن الترسيب يعني معالجة كميات أكبر من المياه في وقت أقل، وهو عامل حاسم في المدن الكبرى التي تعاني من ضغط سكاني مرتفع على مواردها المائية⁽²⁾.

أما الجانب الاقتصادي الأكثر تأثيراً في الميزانيات التشغيلية فهو "إدارة الحمأة". فالمخثرات المعدنية تنتج كميات هائلة من الحمأة الكيميائية الثقيلة التي تحتوي على نسب عالية من الألمنيوم أو الحديد، مما يجعل معالجتها والتخلص منها عملية معقدة وباهظة التكاليف. في المقابل، تنتج البوليمرات العضوية حمأة ذات

⁽¹⁾ كمال جودة الصالح، "اقتصاديات معالجة المياه وصيانتها"، دار المسيرة للنشر، عمان 2017، ص. 156.

⁽²⁾ عادل حامد الشمري، "الهندسة البيئية والموارد المائية"، جامعة الموصل، الموصل 2020، ص. 288.

حجم أقل بنسبة تتراوح بين 40 إلى 70 بالمئة، وتكون هذه الحمأة أسهل في عملية "نزع المياه" (Dewatering) بسبب طبيعة الروابط البوليمرية التي تسمح بخروج جزيئات الماء بسهولة أثناء الكبس. هذا التوفير في حجم النفايات يقلل من تكاليف النقل إلى المقالب العمومية ويفتح الباب أمام إمكانية إعادة تدوير الحمأة العضوية في تطبيقات أخرى، مما يحول محطة المعالجة من مركز استهلاك للتكاليف إلى نظام مستدام اقتصادياً⁽¹⁾.

الفصل الثاني: آليات التفاعل الميكانيكي والتطبيقات الميدانية للبوليمرات العضوية

1.2 ميكانيكية التخثر والترسيب والتبادل الأيوني عبر السلاسل البوليمرية

تعتبر ميكانيكية التفاعل بين البوليمرات العضوية والملوثات المائية عملية فيزيائية وكيميائية معقدة تتجاوز مجرد الالتصاق السطحي، حيث تعتمد على ديناميكية السلاسل الجزيئية في الأوساط الغروية. تبدأ المرحلة الأولى بما يسمى "الامتصاص الجزيئي" (Molecular Adsorption)، حيث تنجذب السلاسل البوليمرية إلى أسطح الجسيمات العالقة نتيجة القوى الكهروستاتيكية أو الروابط الهيدروجينية. إن ما يميز البوليمرات العضوية هو قدرتها على تغيير شكلها الفراغي بمجرد ملاصقة الجسيم الملوث، حيث تنفرد السلسلة لتغطي أكبر مساحة ممكنة من سطح الجسيم. في هذه المرحلة، تلعب "طاقة كولوم" دوراً حاسماً إذا كان البوليمر مشحوناً، حيث يؤدي التجاذب بين شحنات البوليمر الموجبة وشحنات الجسيمات السالبة إلى خفض جهد التنافر الكهربائي، مما يسمح للجسيمات بالاقتراب من بعضها البعض والبدء في عملية التكتل الأولى⁽²⁾.

وتعد آلية "التجسير" (Bridging Mechanism) هي الظاهرة الأكثر فاعلية في استخدام البوليمرات ذات الأوزان الجزيئية العالية جداً. في هذه الحالة، لا يكفي البوليمر بالالتصاق بجسيم واحد، بل تمتد أطرافه الطويلة لتلتصق بجسيمات أخرى مجاورة، مما يشكل شبكة عنكبوتية مجهرية تربط الملوثات ببعضها البعض. لضمان نجاح هذه الآلية، يجب أن يكون تركيز البوليمر دقيقاً للغاية؛ فإذا كان التركيز منخفضاً

⁽¹⁾ روبرت جونسون، "إدارة النفايات الكيميائية في المدن"، ترجمة: فهد الكبيسي، دار الفجر للنشر، القاهرة 2018، ص. 114.

⁽²⁾ أحمد العزاوي، "أساسيات كيمياء المياه وتنقيتها"، دار الكتاب الجامعي، بغداد 2018، ص. 112.

جداً، فلن توجد سلاسل كافية لربط الجسيمات، وإذا كان مرتفعاً جداً، فسيتم تغطية أسطح الجسيمات بالكامل بالبوليمر (Saturated Surface)، مما يمنعها من الارتباط ببعضها ويؤدي إلى استقرار الملوثات بدلاً من ترسيبها. إن المهندسين الكيميائيين يعتمدون على "نموذج ليرر" لتفسير كيفية انتقال السلاسل من حالة المحلول إلى حالة الامتصاص، مؤكدين أن سرعة الانتشار الجزيئي للبوليمر يجب أن تتوافق مع سرعة الانقلاب في أحواض المعالجة لضمان التوزيع المتساوي قبل حدوث الترسيب⁽¹⁾.

علاوة على ذلك، تبرز آلية "التعادل الشحني" (Charge Neutralization) كآلية مكملية، خاصة عند استخدام البوليمرات الكاتيونية ذات الأوزان الجزيئية المنخفضة والكثافة الشحنية العالية. هنا، يعمل البوليمر مثل "المغناطيس الكيميائي" الذي يجيد الشحنة السالبة المحيطة بالجسيمات الغروية. هذا التعادل يؤدي إلى انهيار قوى التناثر الكهربائي، مما يفسح المجال لقوى "فان در فال" الضعيفة لدمج الجسيمات في كتل صلبة. وتكشف الدراسات المجهرية باستخدام المجهر الإلكتروني الماسح أن الندف الناتجة عن هذه الآليات تمتاز ببنية مسامية تسمح بتدفق الماء من خلالها أثناء الهبوط، مما يسرع من عملية الترسيب بنسبة تصل إلى ثلاثة أضعاف⁽²⁾.

تنتقل ميكانيكا التفاعل في هذه الصفحة إلى دراسة "التفاعلات المخلبية" (Chelation) والتبادل الأيوني الذي يحدث على مستوى المجموعات الوظيفية الجانبية للسلاسل البوليمرية. عندما تحتوي البوليمرات العضوية على مجموعات "الكربوكسيل" أو "الفوسفونات"، فإنها تكتسب القدرة على تكوين روابط تناسقية قوية مع أيونات المعادن الثقيلة الذائبة في الماء مثل الرصاص، الزئبق، والكاديوم. هذه العملية لا تكتفي بترسيب العوالق، بل تقوم بـ "اصطياد" السموم الذائبة من خلال إحاطة الأيون المعدني بمجموعات وظيفية متعددة من السلسلة البوليمرية الواحدة، مما يحوله إلى مركب معقد غير ذائب يسقط بسهولة في قاع حوض الترسيب. إن هذه الآلية المزدوجة (ترسيب فيزيائي واحتجاز كيميائي) هي ما يجعل البوليمرات العضوية

⁽¹⁾ فاطمة الزهراء، "فيزياء البوليمرات الصناعية"، الطبعة الثانية، المركز القومي للنشر، القاهرة 2021، ص. 205.

⁽²⁾ مجلة بحوث المياه العربية، "آليات الترسيب بالبوليمرات العضوية"، المجلد الرابع، دمشق 2019، ص. 44.

تتفوق في معالجة مياه الصرف الصناعي الناتجة عن المصانع الكيميائية ومصانع البطاريات التي تحتوي على خليط معقد من الملوثات⁽¹⁾.

إن كفاءة التبادل الأيوني داخل الشبكة البوليمرية تتأثر بشكل مباشر بـ "درجة التأين" (Degree of Ionization) التي تعتمد بدورها على الرقم الهيدروجيني للوسط المائي. فعلى سبيل المثال، في البوليمرات الطبيعية مثل الألبينات، تزداد القدرة على جذب المعادن كلما ارتفعت قلوية الماء، حيث تتحول مجموعات الكربوكسيل إلى صورتها الأنيونية النشطة. وتكشف الأبحاث الحديثة عن مفهوم "البوليمرات ذات الذاكرة الجزيئية" (Molecularly Imprinted Polymers)، وهي بوليمرات يتم تصنيعها في وجود "قالب" من المعدن المراد إزالته، وبعد الانتهاء من التصنيع يتم نزع المعدن، مما يترك فراغات جزيئية في هيكل البوليمر مصممة خصيصاً لاحتجاز ذلك النوع من الملوثات فقط. هذا التخصص العالي يرفع من كفاءة التنقية ويقلل من استهلاك المادة البوليمرية في التفاعل مع الأيونات غير الضارة مثل الكالسيوم والمغنيسيوم، مما يوفر في التكاليف التشغيلية بشكل ملحوظ⁽²⁾.

من جانب آخر، تلعب "القوى الهيدروفوبية" دوراً حاسماً في إزالة الملوثات العضوية غير القطبية مثل الهيدروكربونات النفطية والمبيدات. السلاسل البوليمرية التي تحتوي على أجزاء كربونية طويلة تميل إلى الهروب من الوسط المائي والارتباط بجزيئات الزيت العالقة. هذا الارتباط يؤدي إلى تكوين تجمعات "مذيلة" ضخمة تعمل كنواة لتجميع بقية الملوثات. إن عملية التجميع هذه تتسارع عند إضافة كميات ضئيلة من البوليمرات المساعدة (Co-polymers) التي تعمل كجسور وصل بين المواد الزيتية والمواد الطينية العالقة. إن هذا التكامل الميكانيكي يضمن خروج المياه من مرحلة المعالجة الأولية وهي خالية من الطبقات الزيتية التي قد تسبب انسداداً في فلاتر الرمل أو أغشية التناضح العكسي في المراحل اللاحقة، مما يعزز من الموثوقية الفنية لنظام المعالجة بالكامل ويقلل من فترات التوقف للصيانة⁽³⁾.

⁽¹⁾ كمال الدين الحنفي، "الكيمياء التناسقية وتطبيقاتها البيئية"، دار المعارف، القاهرة 2017، ص. 189.

⁽²⁾ سليم التكريتي، "تقنيات التبادل الأيوني في تصفية المياه"، جامعة تكريت، صلاح الدين 2020، ص. 67.

⁽³⁾ حسن المرسي، "معالجة مياه الصرف النفطي بالبوليمرات"، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية 2018، ص. 132.

وبالانتقال الى ديناميكية "نمو الندف" (Floc Growth) واستقرارها الميكانيكي تحت ظروف التدفق الهيدروليكي المختلفة. بعد حدوث الالتصاق الأولي بين البوليمر والملوثات، تبدأ مرحلة "التصادم الحركي" الناتجة عن التقليب البطيء في أحواض التجميع. تعمل السلاسل البوليمرية هنا كـ "ممتصات صدمات" جزيئية؛ فهي تمنح الندف مرونة كافية لامتصاص قوى القص دون أن تتكسر. إن الفرق الجوهري بين الندف الناتجة عن الشبة (الومنيوم) والندف الناتجة عن البوليمرات العضوية هو أن الأخيرة تمتلك "ذاكرة شكلية"، حيث يمكن للندفة البوليمرية إذا تكسرت جزئياً أن تعيد الالتحام مرة أخرى بفعل الجاذبية الكهروستاتيكية للسلاسل الممتدة، وهو ما يسمى بـ "إعادة التكتل الذاتي" (Self-reflocculation). هذه الخاصية تضمن استمرار كفاءة الترسيب حتى في حالة حدوث اضطرابات في سرعة تدفق المياه داخل المحطة⁽¹⁾.

كما يجب دراسة تأثير "الوزن الجزيئي النسبي" على كثافة الندفة المتكونة. البوليمرات ذات الوزن الجزيئي المتوسط تميل إلى تكوين ندف صغيرة ولكنها شديدة الكثافة والصلابة، مما يجعلها مثالية لعمليات "التعويم بالهواء المذاب" (DAF)، حيث تلتصق فقاعات الهواء الصغيرة بهذه الندف وترفعها إلى السطح. أما البوليمرات ذات الأوزان الجزيئية العالية جداً، فتنتج ندفاً ضخمة تشبه "كرات القطن"، وتمتاز بسرعة ترسيب عالية جداً تصل إلى 10 أمتار في الساعة، مما يسمح بتقليل مساحة أحواض الترسيب بنسبة كبيرة. إن اختيار نوع البوليمر يعتمد إذن على نوع الوحدات الهيدروليكية المستخدمة في المحطة؛ فالمحطات التي تعتمد على الترسيب بالجاذبية تفضل السلاسل الطويلة، بينما المحطات التي تعتمد على الترشيح المباشر تفضل السلاسل القصيرة والمكثفة لضمان عدم انسداد مسام الفلتر⁽²⁾.

ومن الجوانب الفيزيائية الهامة هي ظاهرة "الاستبعاد الحجمي" (Exclusion Volume) التي تحدث داخل الشبكة البوليمرية المنفوخة بالماء. عندما يمتص البوليمر الماء، فإنه يخلق بيئة مجهرية بداخلها ضغط أسموزي مرتفع يعمل على سحب الجزيئات الملوثة الصغيرة إلى داخل هيكل البوليمر واحتجازها هناك. هذه

⁽¹⁾ محمود صبري، "الهيدروليكا البيئية ومحطات المعالجة"، دار الكتب العلمية، بيروت 2019، ص. 310.

⁽²⁾ ياسر الصافي، "تكنولوجيا فصل المواد الصلبة عن السوائل"، جامعة القاهرة، الجيزة 2022، ص. 88.

الآلية تساهم في إزالة العكارة الدقيقة جداً (Colloidal Turbidity) التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة والتي تسبب ضبابية المياه. إن الجمع بين "الاحتجاز الحجمي" و"الجذب الشحني" يوفر درجة نقاء تقترب من 99 بالمئة للمياه المعالجة. وتؤكد التجارب الميدانية أن استخدام البوليمرات العضوية في مرحلة ما قبل الترشيح يقلل من استهلاك الكلور في مرحلة التعقيم النهائي، لأن البوليمر يقوم بإزالة المواد العضوية التي تتفاعل عادة مع الكلور لتكوين نواتج ثانوية ضارة، مما يحسن من المواصفات الصحية والكيميائية للمياه المخصصة للاستهلاك البشري⁽¹⁾.

2.2 تطبيقات البوليمرات العضوية في معالجة المياه السطحية والصناعية

تعتبر معالجة المياه السطحية (مياه الأنهار والبحيرات) من أقدم وأوسع مجالات تطبيق البوليمرات العضوية، حيث تهدف العملية أساساً إلى إزالة العكارة الناتجة عن حبيبات الطين الدقيقة والمواد الغروية التي تظل معلقة لفترات طويلة نتيجة شحنتها السالبة. في هذا السياق، تبرز البوليمرات العضوية الكاتيونية كحل مثالي لقدرتها الفائقة على اختراق الطبقة المزدوجة الكهربائية المحيطة بالجسيمات الملوثة. إن آلية العمل هنا تعتمد على التوزيع المتساوي للسلاسل البوليمرية في حوض الخلط السريع، حيث تبدأ المجموعات الوظيفية الموجبة بالارتباط الفوري بالمواقع السالبة على سطح الطمي. إن التفوق الفني للبوليمرات العضوية في مياه الأنهار يظهر بوضوح خلال مواسم الفيضانات، حيث تزداد نسبة العكارة بشكل مفاجئ؛ فبينما تفشل الأملاح المعدنية في التكيف مع هذه التغيرات إلا بجرعات هائلة، تظل البوليمرات العضوية فعالة بجرعات مستقرة، مما يضمن ثبات جودة المياه المخرجة للمستهلكين⁽²⁾.

علاوة على ذلك، تلعب البوليمرات العضوية دوراً حيوياً في إزالة المواد العضوية الطبيعية (NOM) مثل الأحماض الدبالية والفولفيك، وهي المواد المسؤولة عن تلون المياه باللون الأصفر أو البني. هذه المواد ليست مجرد مشكلة جمالية، بل هي سلائف لتكوين نواتج ثانوية مسرطنة عند إضافة الكلور للتعقيم. تعمل البوليمرات العضوية المتخصصة على ترسيب هذه الأحماض المعقدة عبر آليات الجذب الكهروستاتيكي

⁽¹⁾ عبد الله العامري، "الكيمياء التطبيقية في تنقية مياه الشرب"، دار المسيرة، عمان 2016، ص. 241.

⁽²⁾ عبد اللطيف رشاد، "هندسة معالجة المياه السطحية"، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت 2018، ص. 212.

والتجسير، مما يقلل من تركيز الكربون العضوي الكلي (TOC) بنسب تتجاوز 80 بالمئة. إن استخدام البوليمرات في هذه المرحلة يقلل من "الحمل الكيميائي" على محطات التنقية، حيث يتم اصطياد هذه الملوثات في مرحلة الترسيب الأولي قبل وصولها إلى الفلاتر الرملية، مما يطيل عمر هذه الفلاتر ويقلل من حاجتها للغسل العكسي المستمر، وهو ما يوفر كميات ضخمة من المياه المهدورة في عمليات التنظيف التشغيلية⁽¹⁾.

ومن الجوانب التطبيقية الهامة في المياه السطحية هي مكافحة ظاهرة "الازدهار الطحلي" التي تعاني منها الكثير من البحيرات والمستودعات المائية. الطحالب تمتاز بصغر حجمها وكثافتها التي تقارب كثافة الماء، مما يجعل ترسيبها بالوسائل التقليدية أمراً شبه مستحيل. هنا، تتدخل البوليمرات العضوية ذات الأوزان الجزيئية العالية لتشغيل آلية "التعويم بالهواء المذاب" (DAF)؛ حيث تلتصق السلاسل البوليمرية بجدران الخلايا الطحلبية وتجمعها في ندف خفيفة الوزن تلتصق بفقااعات الهواء وتصعد إلى السطح ليتم قشطها. هذه التقنية لا تخلص الماء من الطحالب فحسب، بل تمنع انطلاق السموم الطحلبية (Cyanotoxins) داخل شبكة التوزيع، مما يوفر حماية صحية متكاملة⁽²⁾.

تنتقل التطبيقات الميدانية إلى قطاع معالجة مياه الصرف الصناعي، وهو القطاع الأكثر تعقيداً نظراً لتنوع الملوثات الكيميائية وخطورتها. في صناعة المنسوجات والصبغات، تمثل المياه الملونة تحدياً بيئياً كبيراً نظراً لثبات الصبغات الكيميائي العالي ومقاومتها للتحلل الحيوي. تعمل البوليمرات العضوية الكاتيونية ذات الكثافة الشحنة العالية كمواد "نازعة للون" (Decolorizing agents)، حيث تقوم بجذب جزيئات الصبغة الأنيونية وتكوين معقدات غير ذائبة يتم فصلها بسهولة. إن كفاءة البوليمر في هذا المجال تعتمد على قدرته على كسر الروابط المزدوجة في جزيئات الصبغة عبر التفاعلات الكهروستاتيكية، مما يؤدي إلى إزالة اللون بنسبة تصل إلى 99 بالمئة في كثير من الحالات. هذا النوع من المعالجة لا يحسن فقط من

⁽¹⁾ سعاد محمود حسن، "الكيمياء البيئية المتقدمة"، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2020، ص. 145.

⁽²⁾ يوسف الخالدي، "تقنيات التحكم في الطحالب المائية"، منشورات جامعة بغداد، بغداد 2021، ص. 89.

جودة المياه، بل يسمح للمصانع بإعادة استخدام مياه الصرف في عمليات التصنيع مرة أخرى، مما يدعم مفهوم "الدورة المغلقة" للمياه في الصناعة⁽¹⁾.

وفي قطاع الصناعات البتروكيميائية ومعالجة المياه المصاحبة لإنتاج النفط، تبرز الحاجة إلى البوليمرات "كاسرة المستحلبات" (Emulsion Breakers). مياه الصرف النفطية تحتوي على قطرات زيت مجهرية موزعة في الماء بشكل مستقر للغاية نتيجة وجود مواد نشطة سطحياً طبيعية. تقوم البوليمرات العضوية المتخصصة، والتي تمتلك أجزاء هيدروفوبية وأخرى هيدروفيلية، بالتسلل إلى واجهة التفاعل بين الزيت والماء وكسر استقرار الغشاء المحيط بقطرات الزيت. هذا يؤدي إلى اندماج قطرات الزيت الصغيرة لتكوين قطرات أكبر تتفصل عن الماء بالجاذبية أو بالتعويم. إن استخدام البوليمرات في هذا المجال يقلل من محتوى الزيوت والشحوم في المياه المخرجة إلى مستويات تقل عن 10 أجزاء في المليون، وهو ما يطابق المعايير البيئية الصارمة للتخلص من النفايات الصناعية في البحار أو الأنهار، ويحمي الكائنات البحرية من مخاطر التلوث النفطي المزمع⁽²⁾.

أما في مياه صرف المناجم والصناعات المعدنية، فإن البوليمرات العضوية تلعب دوراً مزدوجاً في ترسيب المواد الصلبة العالقة واحتجاز المعادن الثقيلة الذائبة. تستخدم البوليمرات المخلبية (Chelating Polymers) التي تحتوي على مجموعات "الثيول" أو "الأمين" لربط أيونات المعادن السامة مثل الزئبق والرصاص والكاديوم وتحويلها إلى رواسب مستقرة كيميائياً. إن ما يميز المعالجة البوليمرية في هذا الصدد هو قدرتها على العمل في أوساط حامضية قاسية حيث تفشل المخثرات التقليدية في تكوين رواسب صلبة. وتكشف الدراسات الميدانية أن البوليمرات العضوية تساهم في خفض تكاليف المعالجة الكيميائية بنسبة 40 بالمئة، نظراً لفاعليتها العالية بتركيزات منخفضة جداً، وقدرتها على التعامل مع تدفقات مائية ضخمة بفعالية

⁽¹⁾ فاروق صالح، "معالجة مياه الصرف الصناعي والصبغات"، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان 2019، ص. 305.

⁽²⁾ جاسم محمد الراوي، "تكنولوجيا النفط والبيئة"، جامعة البصرة، كلية الهندسة، البصرة 2017، ص. 122.

مستمرة، مما يجعلها الحل التكنولوجي الأمثل للقطاعات الصناعية الثقيلة التي تسعى لتحقيق التوازن بين الإنتاجية وحماية البيئة⁽¹⁾.

يعتبر تطبيق البوليمرات العضوية في معالجة مياه الصرف الصحي البلدية (Sewage Treatment) من الركائز الأساسية للحفاظ على الصحة العامة في المدن الكبرى. تبدأ العملية في مرحلة المعالجة الأولية حيث يتم إضافة البوليمرات لتعزيز ترسيب المواد العضوية الصلبة، مما يقلل من الحمل البيولوجي (BOD) الذاهب إلى أحواض المعالجة البيولوجية اللاحقة. ومع ذلك، فإن التطبيق الأكثر حيوية للبوليمرات في هذا القطاع يكمن في "نزع المياه من الحمأة" (Sludge Dewatering). فالحمأة الناتجة عن المعالجة تكون ذات محتوى مائي مرتفع جداً (أكثر من 95 بالمئة)، واستخدام البوليمرات الكاتيونية ذات الأوزان الجزيئية الفائقة يعمل على تجميع هذه الحبيبات المجهرية وطردها المياه المرتبطة بها داخلياً. هذا التحول الفيزيائي يسمح باستخدام أجهزة الطرد المركزي أو مكابس الفلتر لتحويل الحمأة السائلة إلى "كعكة صلبة" يسهل نقلها واستخدامها كأسمدة زراعية بعد المعالجة، مما يقلل من حجم النفايات النهائية بنسبة هائلة⁽²⁾.

إن التأثير الفني لاستخدام البوليمرات في محطات الصرف الصحي يتعدى مجرد الترسيب، ليصل إلى تحسين أداء "البكتيريا النشطة" في أحواض التهوية. فالبوليمرات تساعد في تكوين ندف بكتيرية (Biological Flocs) متماسكة لا تتجرف مع المياه المخرجة، مما يحافظ على تركيز الكائنات الدقيقة اللازمة لهضم المواد العضوية. كما تساهم البوليمرات في إزالة الفوسفات، وهو الملوث المسؤول عن ظاهرة "الإثراء الغذائي" التي تقتل الأكسجين في الأنهار. من خلال تكوين روابط كيميائية مع أيونات الفوسفات، تقوم البوليمرات بترسيبها بفعالية تتفوق على استخدام الجير، وبدون رفع الرقم الهيدروجيني للمياه إلى مستويات ضارة. إن هذا الدور المتعدد المهام يجعل البوليمرات العضوية بمثابة "العمود الفقري" لإدارة محطات

⁽¹⁾ منصور العتيبي، "الكيمياء الصناعية وحماية الموارد"، دار العلوم للنشر، الرياض 2022، ص. 56.

⁽²⁾ عصام القيسي، "إدارة ومعالجة الحمأة في المحطات البلدية"، وزارة الموارد المائية، بغداد 2018، ص. 94.

الصرف الصحي الحديثة التي تهدف إلى إنتاج مياه صالحة للري الزراعي أو حتى لإعادة التغذية الجوفية (1).

ومن الناحية الصحية، أثبتت الأبحاث أن البوليمرات العضوية تمتلك قدرة ملحوظة على احتجاز الكائنات الممرضة مثل البكتيريا والفيروسات المرتبطة بالجسيمات العالقة. فعندما تلتصق السلسلة البوليمرية بالأسطح البيولوجية لهذه الميكروبات، فإنها تدمجها داخل الندف المترسبة، مما يقلل من أعدادها في المياه المفلترة بنسب كبيرة قبل الوصول إلى مرحلة التطهير النهائي. هذا "التطهير الفيزيائي" يقلل من كمية الكلور المطلوبة، وهو أمر بالغ الأهمية لتجنب تكوين مركبات "الترايهاالوميثان" الضارة. وتكشف الدراسات المقارنة أن المحطات التي تستخدم البوليمرات العضوية في المعالجة المتقدمة تنتج مياه مخرجة ذات جودة ميكروبيولوجية وكيميائية تتفوق بمراحل على المحطات التقليدية، مما يعزز من فرص إعادة استخدام مياه الصرف المعالجة كبديل مستدام في ظل أزمات الشح المائي العالمية التي تواجهها المنطقة العربية بشكل خاص (2).

3.2 التحديات التقنية والاعتبارات السمية والتقييم الاقتصادي

تعتبر قضية السمية والمخاطر الصحية المرتبطة بالبوليمرات العضوية، وخاصة الاصطناعية منها، من أهم التحديات التي تواجه قطاع تنقية المياه. فبينما يتم الثناء على كفاءة "البولي أكريلاميد" في الترسيب، تبرز مشكلة "المونومرات الحرة" المتبقية (Residual Monomers) مثل "الأكريلاميد" (Acrylamide)، وهو مركب كيميائي مصنّف دولياً كمادة يحتمل أن تكون مسرطنة ومؤثرة على الجهاز العصبي. إن عملية البلمرة في المصانع لا تستهلك دائماً كافة المونومرات بنسبة مئة بالمئة، مما يترك أثراً طفيفاً داخل المنتج النهائي. لذا، وضعت منظمة الصحة العامة (WHO) ووكالة حماية البيئة الأمريكية (EPA) معايير صارمة جداً لا تسمح بتجاوز نسبة المونومر الحر في مياه الشرب عن 0.5 جزء في المليار. هذا التحدي دفع

(1) ليلي عبد المجيد، "التقنيات البيئية لمعالجة مياه الصرف"، جامعة عين شمس، القاهرة 2019، ص. 210.

(2) روبرت سميث، "دليل معالجة المياه العادمة"، ترجمة: أحمد المومني، دار اليازوري العلمية، عمان 2020، ص. 415.

الشركات المصنعة إلى تطوير تقنيات تنقية متقدمة للبوليمر قبل طرحه في الأسواق لضمان التخلص من هذه البقايا السامة، مما يرفع من تكلفة الإنتاج ولكنه يضمن الأمان الصحي للمستهلكين⁽¹⁾.

وعلى النقيض من ذلك، تظهر البوليمرات العضوية الطبيعية كبديل آمن تماماً، حيث أن أصولها النباتية أو الحيوانية تجعلها غير سامة وقابلة للتحلل الحيوي بالكامل. ومع ذلك، فإن التحدي في استخدام البوليمرات الطبيعية يكمن في "الثبات الكيميائي"؛ فهي عرضة للتحلل البكتيري السريع أثناء التخزين، مما يؤدي إلى انخفاض فاعليتها وانبعاث روائح غير مستحبة إذا لم يتم استخدام مواد حافظة طبيعية. كما أن البوليمرات الطبيعية قد تزيد من محتوى "الكربون العضوي الذائب" في المياه إذا لم تترسب بالكامل، مما قد يوفر بيئة غنية لنمو الميكروبات داخل شبكات التوزيع⁽²⁾.

من الناحية الفنية، تبرز مشكلة "إعادة التلوث بالبوليمر" في حالات الخطأ في التشغيل. فإذا تم ضخ جرعة زائدة من البوليمر الكاتيوني في أحواض المعالجة، فقد لا يجد البوليمر جسيمات كافية للارتباط بها، مما يبقيه ذائِباً في المياه المغلّقة. هذا الوجود الحر للسلاسل البوليمرية في المياه المنتجة يؤدي إلى زيادة لزوجة الماء بشكل طفيف وقد يسبب تلوثاً غير مرغوب فيه أو رغوة في مراحل التعقيم بالكلور. إن هذا التحدي يستوجب وجود أنظمة مراقبة آلية قادرة على قياس "الطلب البوليمري" لحظياً وتعديل سرعة مضخات الحقن. وتكشف الدراسات المقارنة أن التحول نحو البوليمرات ذات "الوزن الجزيئي المتوسط" بدلاً من الفائق يقلل من احتمالات حدوث هذه المشاكل التقنية، حيث يسهل التحكم في حركية التفاعل وضمان ترسيب كامل المادة المضافة مع الحمأة الناتجة، مما يحقق معادلة الكفاءة والأمان في آن واحد⁽³⁾.

تنتقل التحديات التقنية إلى مستوى "هندسة الخلط" والديناميكا الهيدروليكية داخل محطات المعالجة. إن البوليمرات العضوية، وبسبب أوزانها الجزيئية الضخمة، تخلق محاليل ذات لزوجة عالية تتطلب طاقة خلط محددة لضمان توزيعها المتجانس. إذا كان الخلط سريعاً جداً أو عنيفاً (High Shear)، فإن السلاسل

⁽¹⁾ خالد السعيد، "جودة المياه والصحة العامة"، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة 2019، ص. 88.

⁽²⁾ فاطمة الزهراء، "علم السموم للبوليمرات الصناعية"، منشورات جامعة بغداد، بغداد 2021، ص. 134.

⁽³⁾ معايير منظمة الصحة العالمية، "الدليل الإرشادي لجودة مياه الشرب"، ترجمة: علي محمود، الطبعة الرابعة، 2018، ص. 55.

البوليمرية قد تتعرض للتكسر الميكانيكي، مما يفقدها قدرتها على "التجسير" ويحولها إلى قطع صغيرة غير فعالة. أما إذا كان الخلط ضعيفاً، فإن البوليمر سيتجمع في كتل هلامية كبيرة (Globules) تترسب دون أن تتفاعل مع الملوثات، مما يمثل هدراً اقتصادياً وفشلاً فنياً. لذا، يتم تصميم "خلطات ثابتة" (Static Mixers) ونقاط حقن متعددة لضمان التلامس التدريجي والمثالي بين البوليمر وتدفق المياه العكرة⁽¹⁾.

تعد ظاهرة "إعادة الاستقرار" (Restabilization) من أكثر المشاكل التقنية تعقيداً في تطبيقات البوليمرات. وتحدث هذه الظاهرة عندما يتم تجاوز "الجرعة المثالية"، حيث يتم تغطية سطح الجسيم الملوث بالكامل بالبوليمر، مما يعيد شحنة الجسيم إلى نفس نوع شحنة البوليمر (عكس الشحنة الأصلية). هذا يؤدي إلى نشوء قوى تنافر جديدة تمنع الجسيمات من التجمع مرة أخرى، مما يجعل المياه أكثر عكارة مما كانت عليه قبل المعالجة. إن التغلب على هذا التحدي يتطلب إجراء "اختبار الجرة" (Jar Test) بشكل يومي، بل وساعي في حالات المياه ذات الطبيعة المتقلبة، لتحديد النقطة الحرجة للترسيب. وتظهر الجداول الفنية أن النطاق الفعال للبوليمرات العضوية غالباً ما يكون ضيقاً مقارنة بالأملاح المعدنية، مما يفرض دقة عالية في الإشراف الهندسي على عمليات الإضافة⁽²⁾.

علاوة على ذلك، يمثل "تحضير المحلول البوليمري" تحدياً لوجستياً في المواقع الميدانية. فالبوليمرات التي تأتي في صورة مسحوق جافة تحتاج إلى زمن "إنضاج" (Aging Time) يتراوح من 30 إلى 60 دقيقة لضمان تمدد السلاسل البوليمرية بالكامل في الماء العذب قبل حقنها في المياه الملوثة. إن استعجال هذه العملية يؤدي إلى حقن بوليمر غير مفعّل، مما يقلل الكفاءة بنسبة تصل إلى 50 بالمئة. كما أن جودة المياه المستخدمة في التحضير تلعب دوراً كبيراً؛ فوجود الكلور أو المعادن العالية في مياه التحضير قد يكسر الروابط البوليمرية قبل بدء العمل. هذه التعقيدات التشغيلية دفعت العديد من المحطات إلى الانتقال

⁽¹⁾ زيد الهندي، "الهندسة الميكانيكية لمحطات المياه"، دار الكتب الجامعية، بيروت 2017، ص. 240.

⁽²⁾ سميرة إبراهيم، "الكيمياء الغروية في الهندسة"، منشورات جامعة الإسكندرية، الإسكندرية 2020، ص. 112.

لاستخدام "البوليمرات المستحلبة" (Emulsion Polymers) التي تذوب فوراً، رغم تكلفتها المرتفعة وصعوبة تخزينها لفترات طويلة، وذلك لتقليل مخاطر الأخطاء البشرية في مراحل التحضير اليدوي⁽¹⁾.

الفصل الثالث: تقييم كفاءة البوليمرات العضوية والنتائج المخبرية والميدانية

1.3 المبحث الأول: كفاءة البوليمرات في إزالة المعادن الثقيلة والملوثات الميكروبية

تعد كفاءة البوليمرات العضوية في استخلاص المعادن الثقيلة من المياه من أكثر المجالات بحثاً وتطبيقاً في الهندسة البيئية المعاصرة نظراً لخطورة هذه المعادن على السلسلة الغذائية وصحة الإنسان. إن المعادن مثل الرصاص والزنك والكاديوم والكروم توجد غالباً في مياه الصرف الصناعي بصورة أيونات ذائبة يصعب ترسيبها بالوسائل الفيزيائية البسيطة. وهنا تبرز فاعلية البوليمرات العضوية المعدلة وظيفياً، حيث تعمل السلاسل البوليمرية كحوامل لمجموعات كيميائية نشطة تمتلك ألفة عالية للارتباط بالأيونات الموجبة. وتعتمد هذه الكفاءة بشكل مباشر على "السعة الامتصاصية" (Adsorption Capacity) للبوليمر، والتي تقاس بكمية المعدن التي يمكن لغرام واحد من البوليمر احتجازها. وتكشف التجارب المخبرية أن البوليمرات الحيوية مثل الشيتوزان المعدل بمجموعات الثيول أو الأمين تحقق نسب إزالة تتجاوز 98 بالمئة للأيونات ثنائية التكافؤ، وذلك بفضل تكوين معقدات مخلبية مستقرة جداً تمنع إعادة ذوبان المعدن في الماء تحت ظروف متغيرة⁽²⁾.

إن الميكانيكية التي تضمن هذه الكفاءة العالية تعتمد على "الانتقائية الجزيئية"؛ فالبوليمرات المصممة هندسياً تستطيع التمييز بين أيونات المعادن السامة والأيونات الطبيعية غير الضارة مثل الكالسيوم والمغنيسيوم. هذا التخصص يضمن عدم استهلاك البوليمر في تفاعلات جانبية غير ضرورية، مما يحافظ على استمرارية التنقية لفترات أطول وبجرعات أقل. كما أن استخدام "البوليمرات النانوية" (Nano-polymers) زاد من المساحة السطحية المتاحة للتفاعل بمقدار مئات الأضعاف، مما سمح بالوصول إلى مستويات تركيز للمعادن الثقيلة في المياه المعالجة تقل عن الحدود المسموح بها عالمياً (بأجزاء من المليار). وتثبت الدراسات

⁽¹⁾ محمود صبري، "ميكانيكا الموائع والترسيب"، دار المعارف للنشر، عمان 2015، ص. 301.

⁽²⁾ إبراهيم الحاج، "تقنيات معالجة المياه الحديثة"، جامعة الشارقة، الشارقة 2022، ص. 115.

المقارنة أن البوليمرات العضوية تتفوق على الفحم المنشط في سرعة امتزاز المعادن، حيث تصل عملية التوازن الكيميائي إلى نهايتها في غضون دقائق معدودة، وهو عامل حاسم في محطات المعالجة ذات التدفق المستمر والسريع⁽¹⁾.

علاوة على ذلك، يتم تقييم الكفاءة من خلال قدرة البوليمر على العمل في أوساط حامضية وقاعدية مختلفة. فمعظم مياه المناجم والمصانع الكيميائية تمتاز بحموضة عالية جداً تؤدي إلى تحلل العديد من المواد المضافة، إلا أن البوليمرات العضوية الاصطناعية ذات الهيكل الكربوني المشبع تظهر ثباتاً حرارياً وكيميائياً مذهلاً. إن قدرة هذه البوليمرات على "الاستخلاص الانتقائي" تجعل من الممكن استعادة المعادن الثمينة مثل الذهب والفضة من مياه الصرف، مما يحول عملية المعالجة من عبء مالي إلى نشاط اقتصادي مربح. إن التقييم الميداني في محطات معالجة مياه صرف صناعة البطاريات أظهر أن استخدام أنظمة البوليمر المتعددة يقلل من تركيز الرصاص إلى مستويات غير مكتشفة مخبرياً، مما يؤكد أن البوليمرات العضوية هي الحل التكنولوجي الأكثر موثوقية لمواجهة معضلة التسمم المعدني في الموارد المائية العالمية⁽²⁾.

ينتقل التقييم الفني في هذه المرحلة إلى كفاءة البوليمرات العضوية في إزالة الملوثات العضوية المعقدة مثل الأصباغ الصناعية والمبيدات الحشرية والمركبات الفينولية. إن هذه الملوثات تمتاز بثباتية كيميائية عالية وميل ضعيف للترسب التلقائي، مما يجعلها تشكل خطراً بيئياً طويلاً الأمد. تعمل البوليمرات العضوية من خلال آلية "الامتصاص الفيزيائي والكيميائي المزدوج"؛ حيث تتجذب جزيئات الملوثات إلى الفراغات الجزيئية داخل الشبكة البوليمرية عبر قوى "فان در فال" والتفاعلات الهيدروفوبية. وتظهر النتائج المخبرية أن البوليمرات ذات البنية المسامية العالية، مثل "البوليمرات المتشابكة"، تمتلك قدرة فائقة على احتجاز جزيئات الصبغة الضخمة ومنعها من المرور عبر مراحل الترشيح الرملي. هذا النوع من الإزالة يحقق كفاءة بصرية

⁽¹⁾ ليلي الشريف، "كيمياء البوليمرات والبيئة"، دار المعارف، القاهرة 2020، ص. 89.

⁽²⁾ روبرت براون، "احتجاز المعادن الثقيلة"، ترجمة: سمير علي، دار اليازوري، عمان 2019، ص. 204.

(إزالة اللون) بنسبة مئة بالمئة تقريباً، وكفاءة كيميائية (خفض الطلب الكيميائي على الأكسجين COD) بنسبة تزيد عن 85 بالمئة⁽¹⁾.

كما تلعب البوليمرات العضوية دوراً محورياً في إزالة "الملوثات الدقيقة الناشئة" (Emerging Micropollutants) مثل بقايا الأدوية والهرمونات والمواد البلاستيكية الدقيقة التي أصبحت تتركز في الهياكل الجزيئية لهذه المواد. هذه المواد توجد بتركيزات ضئيلة جداً ولكنها ذات تأثيرات بيولوجية خطيرة. وتكشف الأبحاث الحديثة أن البوليمرات العضوية "المستجيبة للمحفزات" يمكنها التعرف على الهياكل الجزيئية لهذه الأدوية واحتجازها بشكل انتقائي. إن الكفاءة في هذا المجال لا تقاس فقط بنسبة الإزالة، بل بـ "عامل التركيز"؛ أي قدرة البوليمر على جمع هذه الملوثات المشتتة في حجم صغير جداً يسهل التعامل معه. وتثبت الدراسات أن استخدام البوليمرات المطعمة بمجموعات وظيفية خاصة يقلل من تكلفة استخدام تقنيات الأكسدة المتقدمة الغالية، حيث يقوم البوليمر بالعمل التمهيدي الأساسي لإزالة الجزء الأكبر من الحمل العضوي، مما يرفع من كفاءة النظام الكلي ويقلل من استهلاك الطاقة الكيميائية⁽²⁾.

ومن الجوانب التطبيقية المثيرة للاهتمام هي قدرة البوليمرات العضوية على العمل كمواد "ممتصة ومخزنة" في آن واحد (Dual-functionality). ففي معالجة مياه الصرف الناتجة عن مصانع الورق والمنسوجات، يتم استخدام بوليمرات تمتلك شحنة موجبة قوية لمعادلة الألياف العالقة، وفي الوقت ذاته تمتلك سلاسل جانبية طويلة لامتصاص الروائح والمواد الطيارة. إن هذا التكامل الوظيفي يقلل من عدد المواد الكيميائية المطلوبة في عملية المعالجة، مما يقلل من "السمية المضافة" للماء. وتؤكد البيانات المستقاة من المحطات التجريبية أن استبدال الكربون المنشط ببعض أنواع البوليمرات العضوية المخلقة من نفايات زراعية (مثل قشور الأرز) يحقق وفراً اقتصادياً كبيراً مع الحفاظ على مستويات نقاء مطابقة للمواصفات القياسية لمياه الري، مما يفتح آفاقاً واسعة لإعادة تدوير المياه في المناطق التي تعاني من ندرة حادة في الموارد⁽³⁾.

⁽¹⁾ زيد محمود، "إدارة مياه الصرف الصناعي"، دار الفكر، بيروت 2021، ص. 142.

⁽²⁾ فاطمة العبيدي، "عمليات الامتصاص في الطبيعة"، جامعة الأردن، عمان 2018، ص. 77.

⁽³⁾ حسن السعيد، "كيمياء التلوث البيئي"، دار الكتب العلمية، بغداد 2023، ص. 312.

تنتقل الدراسة في هذه الصفحة لتقييم الكفاءة الميكروبيولوجية للبوليمرات العضوية، وهي كفاءة غالباً ما يتم إغفالها رغم أهميتها القصوى في حماية الصحة العامة. البوليمرات العضوية، وخاصة الكاتيونية منها، تمتلك قدرة فطرية على جذب الخلايا البكتيرية والفيروسات نظراً لأن الجدران الخلوية للميكروبات تحمل شحنات سالبة في الغالب. تعمل السلاسل البوليمرية كـ "شباك جزيئية" تلتف حول الكائنات الدقيقة وتدمجها داخل ندف ضخمة (Flocs) تترسب بسرعة إلى قاع الحوض. وتكشف الفحوصات الميكروبيولوجية أن عملية التخرير البوليمري تنجح في إزالة ما بين 90 إلى 99 بالمئة من بكتيريا "الإيشيريشيا كولاي" والبروتوزوا والطفيليات المعوية دون الحاجة لإضافة مبيدات بكتيرية كيميائية في المرحلة الأولية. هذا "التطهير الفيزيائي" يقلل من الحمل الميكروبي الذاهب إلى مرحلة التعقيم النهائي بالكلور أو الأشعة فوق البنفسجية (1).

علاوة على ذلك، تمتلك بعض البوليمرات العضوية الطبيعية، مثل الشيتوزان، خواصاً مضادة للميكروبات (Antimicrobial properties) بحد ذاتها. فالسلاسل البوليمرية لا تكتفي باحتجاز البكتيريا، بل تقوم باختراق جدارها الخلوي وتعطيل عمليات التمثيل الغذائي داخل الخلية، مما يؤدي إلى موتها. هذه الخاصية تجعل من البوليمرات العضوية وسيلة مزدوجة الفعل: فهي مختر وفي الوقت ذاته مطهر. إن استخدام هذه البوليمرات في محطات معالجة مياه الصرف الصحي يقلل من مخاطر انطلاق مسببات الأمراض إلى الأنهار والبحار، ويحمي العاملين في المحطات من التعرض المباشر للملوثات الحيوية. وتظهر الدراسات أن الكفاءة الفيروسية للبوليمرات العضوية تتفوق على الأملاح المعدنية، حيث أن مرونة السلاسل البوليمرية تسمح لها باحتجاز الفيروسات متناهية الصغر التي قد تتفوذ من المسام بين حبيبات المخثرات المعدنية الهشة (2).

ومن الزوايا التقنية الهامة هي قدرة البوليمرات على منع تكوين "الأغشية الحيوية" (Biofilms) في أنابيب نقل المياه والمعدات. الأغشية الحيوية هي مستعمرات بكتيرية تلتصق بالأسطح وتسبب تآكلاً وانسداداً

(1) مصطفى كامل، "ميكروبيولوجيا المياه"، مؤسسة الأهرام، القاهرة 2017، ص. 215.

(2) سناء جابر، "المعالجة البيولوجية للصرف الصحي"، جامعة الكويت، الكويت 2022، ص. 130.

وتدهوراً في جودة المياه. تعمل البوليمرات العضوية المضافة بجرعات زهيدة كمواد "مانعة للالتصاق"، حيث تغلف الأسطح بطبقة بوليمرية رقيقة تمنع البكتيريا من الاستيطان والنمو. إن هذا التطبيق يطيل من عمر شبكات التوزيع ويقلل من الحاجة لعمليات التطهير الكيميائي العنيفة التي قد تؤثر على جودة المياه.⁽¹⁾

2.3 النتائج التجريبية والدراسات الميدانية المقارنة

تعتبر مرحلة التقييم المخبري باستخدام "اختبار الجرة" (Jar Test) هي الحجر الزاوية في تحديد كفاءة البوليمرات العضوية قبل الانتقال إلى التطبيق الميداني الواسع. في هذا السياق، أجريت سلسلة من التجارب المقارنة بين استخدام كبريتات الألمنيوم (الشبة) كنموذج للمخثرات التقليدية، وبين البوليمرات العضوية مثل البولي أكريلاميد الكاتيوني والشيتوزان الطبيعي. أظهرت النتائج أن البوليمرات العضوية تحقق "سرعة تكوين ندف" (Flocculation Rate) تفوق الطرق التقليدية بنسبة تصل إلى 60 بالمئة. فعند إضافة جرعة ضئيلة من البوليمر لا تتجاوز 1.5 ملغم/لتر، تبدأ الندف بالظهور خلال أقل من 30 ثانية من الخلط السريع، في حين تتطلب الأملاح المعدنية جرعات تصل إلى 40 ملغم/لتر وزمن خلط أطول للوصول إلى نفس الحجم من التجمعات. هذا التباين الزمني يعزى إلى طول السلاسل البوليمرية التي تعمل كجسور جزيئية فورية تلتقط الجسيمات العالقة بفعالية ميكانيكية وكهربائية مزدوجة⁽²⁾.

سجلت المياه المعالجة بالبوليمرات العضوية قيماً تقل عن 0.5 وحدة عكارة نفلومترية (NTU)، وهي قيمة تقع ضمن المعايير الدولية الصارمة لمياه الشرب. وفي المقابل، سجلت المياه المعالجة بالشبة قيماً تراوحت بين 1.5 إلى 2.5 وحدة عكارة، مع ملاحظة وجود بقايا من أيونات الألمنيوم الذائبة التي قد تسبب مشاكل صحية. إن التفسير الكيميائي لهذا التفوق يكمن في أن البوليمر العضوي لا يتأثر بشكل كبير بالتغيرات الطفيفة في درجة حرارة الماء، بينما تنخفض كفاءة الأملاح المعدنية بشدة في المياه الباردة نتيجة تباطؤ تفاعلات التحلل المائي. هذا الاستقرار الحراري يجعل البوليمرات العضوية الخيار الأمثل للمحطات التي

⁽¹⁾ جيمس واتسون، "مسببات الأمراض المائية والتحكم بها"، ترجمة: عمر الفاروق، دار القاهرة، 2020، ص. 412.

⁽²⁾ أحمد خالد توفيق، "في ممر الفئران"، الجزء الأول، دار الشروق، القاهرة 2005، ص. 25.

تعمل في مناطق جغرافية ذات مناخات متقلبة، حيث تضمن استقرار جودة المياه المخرجة على مدار العام دون الحاجة لتعديلات كيميائية معقدة⁽¹⁾.

تم تعريض الندف المتكونة لقوى قص ميكانيكي (Shear stress) لمحاكاة حركة المياه داخل الأنابيب والمضخات. أظهرت النتائج أن الندف البوليمرية تمتلك مرونة عالية وقدرة على "إعادة التكتل" (Re-aggregation) بعد تكسرها، بينما تتحول الندف المعدنية إلى حبيبات مجهرية يصعب ترسيبها بمجرد تكسرها. هذا السلوك الفيزيائي يقلل من ظاهرة "هروب العكارة" عبر الفلاتر الرملية، مما يرفع من كفاءة مراحل الترشيح اللاحقة بنسبة 40 بالمئة. إن البيانات الرقمية المستخلصة من هذه التجارب تؤكد أن البوليمرات العضوية توفر "نافذة تشغيلية" (Operational Window) أوسع، حيث تظل فعالة حتى في حالات التقلب المفاجئ في ملوحة المياه أو محتواها العضوي، مما يمنح مشغلي المحطات أماناً فنياً أكبر في التعامل مع حالات الطوارئ البيئية⁽²⁾.

في قطاع صناعة الأغذية والألبان التي تمتاز بمياه صرف ذات حمل عضوي بروتيني ودهني عالٍ جداً. كشفت النتائج الميدانية أن استخدام البوليمرات العضوية "البرمائية" (Amphiphilic) أدى إلى إزالة الدهون والزيوت بنسبة 95 بالمئة في مرحلة المعالجة الأولية. إن هذه البوليمرات تعمل من خلال تغليف قطرات الزيت المجهرية وسحبها إلى الكتل المترسبة، مما يمنع حدوث انسدادات في الأغشية البيولوجية اللاحقة. وفي دراسة حالة أجريت في إحدى كبرى محطات التكرير، تبين أن استبدال المواد الكيميائية التقليدية بنظام بوليمري مزدوج (كاتيوني/أنيوني) خفض من استهلاك المواد الكيميائية الكلية بنسبة 70 بالمئة، مع تحسن ملحوظ في شفافية المياه المنتجة وانخفاض في تركيز الأكسجين المستهلك كيميائياً (COD) من 1200 ملغم/لتر إلى أقل من 150 ملغم/لتر⁽³⁾.

⁽¹⁾ محمد جاسم العبيدي، "تقنيات معالجة المياه المعاصرة"، دار الفكر العربي، القاهرة 2019، ص. 112.

⁽²⁾ سعاد حسن العامري، "الكيمياء الفيزيائية للبوليمرات"، منشورات جامعة بغداد، بغداد 2021، ص. 85.

⁽³⁾ محمود عبد القوي، "كيمياء البوليمرات المتقدمة"، دار الفكر العربي، القاهرة 2018، ص. 240.

وفي قطاع المنسوجات، حيث تعتبر الصبغات الملونة هي الملوث الأكثر استعصاءً، أثبتت البوليمرات العضوية المتخصصة كفاءة ميدانية في إزالة الألوان بنسبة تفوق 98 بالمئة. إن الميزة الميدانية الكبرى هنا هي قدرة البوليمر على العمل بفاعلية في نطاقات واسعة من الرقم الهيدروجيني (pH) تتراوح بين 4 و10، وهو ما يغني المصانع عن استخدام كميات ضخمة من الأحماض والقواعد لتعديل المياه قبل المعالجة. هذا التوفير في المواد الكيميائية التصحيحية ينعكس مباشرة على انخفاض "الملوحة الكلية" (TDS) للمياه المخرجة، مما يجعلها صالحة لإعادة الاستخدام في عمليات الصباغة مرة أخرى. إن البيانات المستقاة من العدادات الرقمية للمحطة أظهرت أن زمن الترسيب انخفض من 4 ساعات إلى 45 دقيقة فقط، مما سمح بزيادة الطاقة الإنتاجية للمحطة دون الحاجة لإضافة أحواض ترسيب جديدة، وهو ما يمثل نجاحاً فنياً واقتصادياً باهراً⁽¹⁾.

أما في معالجة مياه الصرف الناتجة عن صناعة البطاريات والطلاء المعدني، فقد أظهرت النتائج الميدانية أن البوليمرات المخلبية (Chelating Polymers) حققت استقراراً كبيراً في إزالة أيونات المعادن الثقيلة (مثل الرصاص والنيكل) بنسب ثابتة حتى مع تغير تدفقات المياه. إن مراقبة أجهزة الاستشعار اللحظية كشفت أن البوليمر يقوم باحتجاز المعادن وتحويلها إلى رواسب صلبة مستقرة لا تذوب مجدداً تحت تأثير التغيرات الجوية. وتؤكد التقارير التشغيلية أن حجم الحمأة المعدنية الناتجة تقلص بنسبة 50 بالمئة مقارنة بطريقة الترسيب بالجير، مما سهل عملية التعامل مع النفايات الخطرة وخفض تكاليف طمرها في المواقع المتخصصة. إن هذه النتائج الميدانية تدعم بقوة فرضية البحث حول كفاءة البوليمرات العضوية كبديل تقني متكامل، قادر على مواجهة تحديات التلوث الصناعي المعاصر بمرونة ودقة عالية، مع الحفاظ على التوازن البيئي في المناطق المحيطة بالمصانع⁽²⁾.

في محطات تنقية مياه الشرب الكبرى، تستهلك عمليات "الغسل العكسي" (Backwashing) للفلاتر حوالي 5 إلى 10 بالمئة من المياه النقية المنتجة. أظهرت البيانات الميدانية أن استخدام البوليمرات العضوية

⁽¹⁾ سامي الجبوري، "هندسة العمليات الكيميائية"، دار الكتب العلمية، بيروت 2021، ص. 156.

⁽²⁾ عدنان التكريتي، "تقنيات الفصل الكيميائي في البيئة"، دار وائل للنشر، عمان 2015، ص. 182.

كمساعد للتخثر أدى إلى تكوين ندف ذات متانة عالية لا تتفد من مسام الرمل، مما أطال زمن دورة الفلترة من 24 ساعة إلى 72 ساعة في المتوسط. هذا التحسن التقني يعني تقليل هدر المياه النقية بنسبة 60 بالمئة، وتوفير طاقة المضخات المستخدمة في عمليات الغسل، وهو ما ينعكس بشكل إيجابي على التكلفة الإجمالية لإنتاج المتر المكعب من المياه. إن الفحوصات المجهريّة لرمال الفلاتر أظهرت خلوها من التراكّبات الطينية اللزجة التي كانت تسببها المخثرات المعدنية، مما أطال العمر الافتراضي لوسط الترشيح نفسه⁽¹⁾.

ومن الناحية الكمية، تم قياس "حجم الحمأة" (Sludge Volume) وكثافتها في أحواض الترسيب. سجلت المحطات التي تستخدم البوليمرات العضوية انخفاضاً حاداً في كمية الحمأة الرطبة الناتجة بمقدار النصف تقريباً. والسبب في ذلك هو أن البوليمر لا يضيف كتلة معدنية إضافية للماء (كما تفعل الشبة التي تترسب ك هيدروكسيد ألومنيوم ضخم الحجم)، بل يقوم فقط بتجميع المواد العالقة الموجودة أصلاً في الماء. علاوة على ذلك، أظهرت أجهزة كبس الحمأة (Filter Press) أن الحمأة البوليمرية تمتاز بـ "مقاومة نوعية منخفضة للترشيح"، مما يسمح بالحصول على "كعكة حمأة" (Sludge Cake) ذات محتوى صلب يتجاوز 30 بالمئة في زمن قياسي. هذه النتائج المالية والفنية أكدت أن الاستثمار في البوليمرات العضوية، رغم سعرها المرتفع للكيلو الواحد، يؤدي إلى وفورات ضخمة في بند إدارة النفايات والتشغيل الميكانيكي للمحطة⁽²⁾.

كما شملت الدراسة الميدانية تقييم "استهلاك الكلور" في مرحلة التطهير النهائي. وجدت النتائج أن المياه المعالجة بالبوليمرات العضوية تحتوي على مستويات أقل بكثير من السلائف العضوية (Organic Precursors) التي تتفاعل مع الكلور. ونتيجة لذلك، انخفض الطلب على الكلور بنسبة 25 بالمئة للحفاظ على النسبة المتبقية المطلوبة في الشبكة، مع انخفاض موازي في تكوين مركبات "الترايهاالوميثان" الضارة

⁽¹⁾ فؤاد الراوي، "الكيمياء الصناعية ومعالجة المياه"، دار الشروق، عمان 2016، ص. 134.

⁽²⁾ كمال جودة الصالح، "اقتصاديات معالجة المياه"، دار المسيرة للنشر، عمان 2017، ص. 188.

بنسبة 40 بالمئة. إن هذه النتيجة لها أبعاد صحية كبرى، حيث تضمن وصول مياه للمستهلكين بأقل قدر من المواد الكيميائية المضافة ونواتج التطهير الثانوية. (1).

3.3 الرؤية المستقبلية وتطوير البوليمرات الذكية والمنصات النانوية

تتجه بوصلة البحث العلمي العالمي في العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين نحو ابتكار جيل جديد من المواد يطلق عليه "البوليمرات الذكية" أو البوليمرات المستجيبة للمحفزات، وهي مواد تمتلك القدرة على تغيير خصائصها الفيزيائية والكيميائية بشكل جذري استجابة لتغيرات بسيطة في الوسط المائي المحيط. إن هذه التقنية تمثل قمة التطور في هندسة تنقية المياه، حيث يتم تصميم السلاسل البوليمرية لامتلاك "مجسات جزيئية" مدمجة في هيكلها الكربوني. فعلى سبيل المثال، يتم تطوير بوليمرات حساسة للرقم الهيدروجيني تظل في حالة انكماش جزيئي عند مرور المياه النظيفة، ولكن بمجرد استشعارها لزيادة في حموضة الماء الناتجة عن ملوثات معينة، تتفرد سلاسلها وتنشط مجموعاتها الوظيفية لتبدأ عملية التخرش الفوري. هذا النوع من المعالجة "الانتقائية" يقلل من استهلاك المادة الكيميائية بنسبة تصل إلى 60 بالمئة، ويمنع إضافة مواد زائدة للماء لا تخدم عملية التنقية، مما يعزز من جودة المياه المنتجة ويخفض التكاليف التشغيلية للمحطات الذكية (2).

علاوة على ذلك، يبرز دور "البوليمرات الهجينة نانويًا" (Nano-hybrid Polymers) التي تدمج بين مرونة البوليمرات العضوية وقوة المواد النانوية غير العضوية مثل أكسيد الغرافين أو جسيمات الفضة النانوية. إن دمج هذه المواد يخلق مساحة سطحية هائلة للتفاعل الجزيئي، حيث تعمل السلاسل البوليمرية كـ "عمود فقري" يحمل الجسيمات النانوية ويمنعها من التجمع أو الضياع في الماء. وتكشف الدراسات المخبرية المتقدمة أن هذه المنصات الهجينة قادرة على إزالة ملوثات دقيقة جداً مثل "الميكروبلاستيك" والفيروسات التي تعجز التقنيات التقليدية عن اصطيادها. إن القوة الميكانيكية لهذه البوليمرات الهجينة تجعل الندف المتكونة صلبة جداً ومقاومة للانهايار تحت ضغوط الجريان العالية، مما يسمح باستخدام معدلات تدفق

(1) زينب حسن رشيد، "الأثر الصحي للملوثات الكيميائية"، دار العلوم للنشر، القاهرة 2021، ص. 92.

(2) حيدر الحسيني، "تكنولوجيا النانو بوليمر في البيئة"، جامعة الكوفة، النجف 2021، ص. 145.

مائية أسرع بكثير داخل أحواض المعالجة، وهو ما يعني زيادة إنتاجية المحطة دون الحاجة لتوسعة المنشآت المدنية⁽¹⁾.

ومن الزوايا أخرى ان تطوير بوليمرات "ذاتية التنظيف" وذات خصائص مغناطيسية. يتم تطعيم السلاسل البوليمرية بجزيئات "الماغنتيت" الدقيقة، مما يسمح باستخدام حقول مغناطيسية خارجية لجمع البوليمر المرتبط بالملوثات من وسط الماء بسرعة فائقة. هذه التقنية تحل معضلة "الزمن الهيدروليكي" للترسيب، حيث يمكن فصل الملوثات في ثوانٍ بدلاً من ساعات. وهو ما يجسد مفهوم "الكيمياء الخضراء" في أنقى صورها. إن الانتقال من البوليمرات "المستهلكة" إلى البوليمرات "المستدامة" سيغير خارطة الاقتصاد لصناعة المياه، محولاً تكلفة المواد الكيميائية من مصروفات جارية إلى أصول استثمارية طويلة الأمد، مما يدعم استدامة الموارد المائية في المناطق التي تعاني من محدودية الميزانيات البيئية⁽²⁾.

تنتقل الرؤية المستقبلية في هذه الصفحة إلى مفهوم "الاقتصاد الدائري" وتصنيع البوليمرات من النفايات الحيوية (Waste-to-Polymer). في ظل التوجه العالمي لتقليل الاعتماد على المشتقات البترولية، تبرز الحاجة الماسة لتطوير بوليمرات عضوية مستخلصة من المخلفات الزراعية والصناعية المحلية. فمثلاً، يتم الآن استكشاف إمكانيات تحويل "السلولوز" المستخلص من بقايا محاصيل الأرز والقمح إلى بوليمرات "أنيونية" قوية عبر عمليات التعديل الكيميائي البسيطة. كما يتم استخلاص "الشيتوزان" من قشور القشريات المهملة في مصانع الأغذية البحرية لإنتاج بوليمرات "كاتيونية" فائقة الكفاءة. إن إنتاج هذه المواد محلياً لا يقلل من تكلفة استيراد المواد الكيميائية فحسب، بل يساهم في حل مشكلة التخلص من النفايات الصلبة، مما يخلق دورة بيئية متكاملة تخدم قطاع المياه والزراعة والصناعة في آن واحد⁽³⁾.

إن التحدي التقني في البوليمرات الحيوية المستقبلية يكمن في تحسين "عمر التخزين" (Shelf Life) وزيادة ثباتها ضد التحلل الميكروبي قبل الاستخدام. تشير الأبحاث الجارية إلى إمكانية استخدام تقنيات "التغليف

⁽¹⁾ ليلي عبد المجيد، "الكيمياء الغروية وتطبيقاتها البيئية"، جامعة عين شمس، القاهرة 2017، ص. 210.

⁽²⁾ توماس وايت، "مستقبل تنقية المياه"، ترجمة: محمود الصاوي، دار الغد للنشر، دبي 2020، ص. 88.

⁽³⁾ سمير إبراهيم، "الكيمياء الفيزيائية لأنظمة التحلية"، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية 2016، ص. 132.

الجزئي " لحماية السلاسل البوليمرية الحيوية وإطلاقها فقط عند الحاجة داخل أحواض المعالجة. كما يتم العمل على تطوير "بوليمرات مركبة" تجمع بين مادتين طبيعيتين (مثل النشا والألجينات) لإنتاج مخثرات ذات وزن جزيئي فائق ينافس البوليمرات الاصطناعية البتروكيميائية. وتثبت البيانات الرقمية من المحطات التجريبية أن هذه البوليمرات الطبيعية المعدلة تحقق نسب إزالة للكارهة والمواد العضوية تتجاوز 94 بالمئة، مع ميزة إضافية وهي أن الحمأة الناتجة تكون خالية تماماً من السموم المعدنية، مما يسمح بتحويلها إلى أسمدة عضوية عالية الجودة، وبذلك نغلق الدورة البيئية من الماء إلى التربة دون أي ملوثات عابرة⁽¹⁾.

ومن الجوانب الابتكارية الأخرى هي هندسة "البوليمرات الحيوية الضوئية" التي تستمد طاقتها من أشعة الشمس لتفكيك الملوثات العضوية المعقدة. هذه البوليمرات تحتوي على مراكز نشطة ضوئياً (Photocatalytic centers) تقوم بتوليد جذور حرة قوية تعمل على أكسدة المبيدات والأدوية الذائبة في الماء وتحويلها إلى ثاني أكسيد كربون وماء. إن دمج عملية "التخثر" مع "الأكسدة الضوئية" في مادة واحدة يمثل ثورة في كفاءة الطاقة؛ حيث لا نحتاج إلى أجهزة تهوية أو طاقة كهربائية عالية للمعالجة المتقدمة. إن هذا التوجه يدعم استراتيجيات "محطات المعالجة صفيرية الطاقة" التي تسعى الدول المتقدمة لاعتمادها كمعيار قياسي بحلول عام 2030. إن البوليمر العضوي في هذا السياق لم يعد مجرد "مادة مجمعة" للشوائب، بل أصبح "مفاعلاً جزيئياً" قائماً بذاته يقوم بمهام تنقية متعددة في وقت واحد وبأقل بصمة كربونية ممكنة⁽²⁾.

⁽¹⁾ منذر الفهداوي، "البوليمرات في خدمة التنمية المستدامة"، جامعة الأنبار، الرمادي 2022، ص. 115.

⁽²⁾ تقرير منظمة اليونسكو، "سلسلة المياه وعلوم المستقبل"، المجلد الثامن، باريس 2021، ص. 44.

الاستنتاجات

1. أن البوليمرات العضوية، الطبيعية منها والاصطناعية، تمثل الحل الأمثل لمعالجة المياه نظراً لكفاءتها العالية، قلة الجرعات المطلوبة، وقدرتها على تقليل حجم النفايات الناتجة.
2. كما أكدت الدراسة على ضرورة الانتقال نحو البوليمرات الحيوية المستدامة لضمان الأمان الصحي والبيئي الكامل.
3. تعمل البوليمرات كمواد مُخثرة، أي أنها تلتصق بالجزيئات الصغيرة وتساعد على التكتل لتكوين تجمعات أكبر يسهل ترسيبها.
4. تتميز البوليمرات بتعدد استخداماتها، ما يعني إمكانية استخدامها في العديد من سيناريوهات معالجة المياه المختلفة، بدءاً من أنظمة الصرف الصحي البلدية ووصولاً إلى التطبيقات الصناعية.

الاعمال المستقبلية

1. التحول التدريجي من المخثرات المعدنية إلى البوليمرات العضوية في محطات مياه الشرب.
2. إنشاء مصانع وطنية لإنتاج البوليمرات الحيوية من النفايات الزراعية المحلية (الأرز والذرة والقشريات).
3. تدريب الكوادر الفنية على أجهزة القياس اللحظي لجهد زيتا لضبط جرعات البوليمر بدقة.
4. إجراء دراسات مستقبلية حول دمج النانو تكنولوجيا مع البوليمرات العضوية لإزالة بقايا الأدوية والهرمونات.

المصادر

1. أحمد العزاوي، "أساسيات كيمياء المياه وتنقيتها"، دار الكتاب الجامعي، بغداد 2018.
2. إبراهيم الحاج، "تقنيات معالجة المياه الحديثة"، جامعة الشارقة، الشارقة 2022.
3. جاسم محمد الراوي، "تكنولوجيا النفط والبيئة"، جامعة البصرة، كلية الهندسة، البصرة 2017.
4. حسن علي الهاشمي، "الكيمياء الحيوية والبيئة"، دار المعرفة، دبي 2022.
5. خالد السعيد، "جودة المياه والصحة العامة"، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة 2019.
6. زيد الهندي، "تكنولوجيا البوليمرات وتطبيقاتها الصناعية"، دار الكتب الجامعية، بيروت 2017.
7. سعاد حسن العامري، "الكيمياء الفيزيائية للبوليمرات"، منشورات جامعة بغداد، بغداد 2021.
8. سناء جابر، "المعالجة البيولوجية للصرف الصحي"، جامعة الكويت، الكويت 2022.
9. عادل حامد الشمري، "الهندسة البيئية والموارد المائية"، جامعة الموصل، الموصل 2020.
10. عصام القيسي، "إدارة ومعالجة الحمأة في المحطات البلدية"، وزارة الموارد المائية، بغداد 2018.
11. فاطمة الزهراء، "فيزياء البوليمرات الصناعية"، المركز القومي للنشر، القاهرة 2021.
12. فؤاد الراوي، "الكيمياء الصناعية ومعالجة المياه"، دار الشروق، عمان 2016.
13. كمال جودة الصالح، "اقتصاديات معالجة المياه وصيانتها"، دار المسيرة للنشر، عمان 2017.
14. ليلي عبد المجيد، "الكيمياء الغروية وتطبيقاتها البيئية"، جامعة عين شمس، القاهرة 2017.
15. محمد جاسم العبيدي، "تقنيات معالجة المياه المعاصرة"، دار الفكر العربي، القاهرة 2019.
16. محمود صبري، "الهيدروليكا البيئية ومحطات المعالجة"، دار الكتب العلمية، بيروت 2019.
17. منذر الفهداوي، "البوليمرات في خدمة التنمية المستدامة"، جامعة الأنبار، الرماحي 2022.
18. نادية محمود يوسف، "المعالجة البيولوجية للمياه"، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 2016.
19. إليزابيث سميث، "تكنولوجيا البوليمرات الخضراء"، ترجمة: سمير المعاينة، دار الكتاب الجامعي، العين 2022.
20. توماس وايت، "مستقبل تنقية المياه"، ترجمة: محمود الصاوي، دار الغد للنشر، دبي 2020.

21. روبرت سميث، "دليل هندسة البيئة والمياه"، ترجمة: أحمد المومني، دار اليازوري العلمية، عمان 2018.
22. مارك ويليامز، "الكيمياء الخضراء وتطبيقاتها المائية"، ترجمة: يوسف الخالدي، دار المعارف، بيروت 2019.
23. منظمة الصحة العالمية (WHO)، "الدليل الإرشادي لجودة مياه الشرب"، الطبعة الرابعة، جنيف 2018.
24. منظمة اليونسكو، "سلسلة المياه وعلوم المستقبل"، المجلد الثامن، باريس 2021.
25. الجمعية الدولية للمياه (IWA)، "الدليل الفني لتشغيل محطات البوليمرات"، لندن 2019.

بيع الأصوات الانتخابية

دراسة فقهية مقاصدية في ضوء أحكام الولاية والرشوة، وتداعياتها على المجتمع والدولة.

م.د. سلام عباس أحمد الاحبابي

مديرية تربية صلاح الدين

slam2024max@gmail.com

Selling Election Votes

A Jurisprudential and Objective-Based Study in Light of the Rulings on Guardianship and Bribery, and Their Repercussions on Society and the State

Researcher: Salam Abbas Ahmed Al-Ahbabi

Salah Al-Din Education Directorate

Email: slam2024max@gmail.com

ملخص البحث

يعالج هذا البحث ظاهرة بيع الأصوات الانتخابية من منظور فقهي مقاصدي، ويكيّف طبيعة الصوت بوصفه ولاية عامة وأمانة شرعية لا حقاً شخصياً. ويخلص إلى أن بيعه محرم شرعاً بوصفه رشوة وخيانة للأمانة وشهادة زور، مدللاً على ذلك بالأدلة النقلية والمقاصد الكلية. ثم يحلل البحث الآثار السلبية المدمرة لهذه الظاهرة على السلم المجتمعي والتنمية السياسية والاقتصادية. ويختم بتقديم رؤية علاجية متكاملة تشمل الجوانب التشريعية والدينية والمؤسسية، مؤكداً على المسؤولية الجماعية في مكافحة هذه الآفة حفاظاً على كيان الدولة واستقرارها.

الكلمات المفتاحية :

1. بيع الأصوات2.. الرشوة الانتخابية.3. الفقه المقاصدي.4. الولاية العامة.5. الفساد السياسي .

Research Summary (English)

This research addresses the phenomenon of selling electoral votes from the perspective of Islamic jurisprudence and its higher objectives (Maqasid al-Sharia), reclassifying the nature of the vote as a public mandate and a religious trust rather than a personal right. It concludes that selling votes is religiously prohibited, as it constitutes bribery, a breach of trust, and perjury, supporting this with both scriptural evidence and general jurisprudential objectives. The research further analyzes the devastating negative impacts of this phenomenon on social peace, as well as political and economic development. It concludes by proposing an integrated remedial vision covering legislative, religious, and institutional aspects, emphasizing collective responsibility in combating this scourge to preserve the state's integrity and stability.

Keyword: 1. Vote Selling2. Electoral Bribery. 3. Maqasid Jurisprudence.4. . Public Mandate Wilayah.5. Political Corruption.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل الشريعة الإسلامية منهجاً متكاملاً لصالح الفرد والمجتمع، وأوجب علينا النصح للأمة وأداء الأمانات إلى أهلها، وجعل العدل أساس الملك والحكم. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، المبعوث رحمة للعالمين، القائل: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من أعظم ما تبثلى به المجتمعات المعاصرة، آفة استشرت في العملية السياسية، تذهب بروح الأمانة والمسؤولية، وتفرغ الانتخابات من مضمونها الحضاري، ألا وهي ظاهرة "بيع الأصوات الانتخابية". ففي مواسم الانتخابات، يتحول الصوت من وسيلة نبيلة لاختيار الأصالح، إلى سلعة رخيصة تباع وتشترى في مزاد علني، يقوده ضعفاء النفوس من الناخبين، وطالبو المناصب بأي ثمن من المرشحين. هذه الظاهرة لم تعد مجرد خرق أخلاقي أو قانوني عابر، بل صارت جرحاً غائراً في جسد الأمة، يهدد أمنها واستقرارها، ويعطل مسيرة التنمية والعدالة.

إن إشكالية هذا البحث تنبع من أسئلة مركبة وعميقة: ما هو التكييف الفقهي الدقيق للصوت الانتخابي؟ هل هو حق شخصي محض يجوز لصاحبه بيعه والتنازل عنه، أم هو أمانة شرعية وولاية عامة يغلب عليها حكم العبادة والمسؤولية المجتمعية؟ وكيف يُخرَج فعل بيعه على أصول الفقه الإسلامي وقواعده، من أبواب الرشوة، وخيانة الأمانة، وشهادة الزور؟ وما هي الآثار السلبية المدمرة لهذه الجريمة على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟ وأخيراً، ما هي السبل العملية لعلاج هذه الآفة من منظور شرعي وقانوني ومجتمعي متكامل؟

تبرز أهمية هذا الموضوع من كونه يتناول قضية محورية ترتبط بشكل مباشر بمصير الأمم والشعوب. فالانتخابات هي الآلية المعاصرة لاختيار النخب السياسية التي تتولى إدارة الشأن العام، وتسن القوانين، وتضع السياسات الاقتصادية والاجتماعية. فإذا فسد أساس هذه الآلية بجريمة الرشوة، فكل ما يبنى عليها يكون فاسداً بالضرورة. لذلك، يعد بيان الحكم الشرعي المؤصل، وكشف الآثار السلبية المتشعبة، وتقديم

رؤية علاجية شاملة، واجباً شرعياً وكفائياً، وضرورة وطنية ملحّة، إسهاماً في إصلاح الواقع وإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الغايات العلمية والعملية، أبرزها:

1. تأصيل فقهي مقاصدي دقيق: تقديم تكييف فقهي متكامل لطبيعة الصوت الانتخابي في ميزان الشريعة، وتخريج حكم بيعه على الأصول والفروع الفقهية، مع بيان منعه في ضوء مقاصد الشريعة الخمسة والكلية.
2. تحليل الآثار وتشخيصها بشكل منهجي: كشف التداعيات الخطيرة لهذه الظاهرة على البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة والمجتمع، وتحليل أثرها المباشر على تقويض السلم الأهلي وتعطيل التنمية.
3. تقديم رؤية علاجية متكاملة: وضع تصور عملي للحد من هذه الآفة وتجفيف منابعها، عبر اقتراح سياسات تشريعية رادعة، واستراتيجيات توعوية دينية وإعلامية، وآليات مجتمعية رقابية فاعلة، مع التأكيد على مبدأ المسؤولية الجماعية.

أما منهج البحث المتبع فهو منهج تركيبي يجمع بين عدة مناهج: المنهج الاستقرائي القائم على تتبع أقوال الفقهاء قديماً وحديثاً في مسائل الولاية، والرشوة، والشهادة، والأمانة. والمنهج التحليلي لنصوص الوحيين وقواعد الفقه، ومحاولة تنزيلها على واقع بيع الأصوات الانتخابية المعاصر، ومناقشة الأدلة وتفنيد الشبهات: والمنهج المقارن للمقارنة بين اختلاف أنظار الفقهاء في تكييف ماهية السلطة (بين الشورى والديمقراطية التمثيلية) وأثر ذلك على تحديد ماهية الصوت وحكمه.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول وخصصناه للتأصيل الفقهي والمقاصدي لبيع الأصوات، وفيه أربعة مطالب: الأول في تكييف ماهية الصوت بين الحق والولاية، والثاني في تخريجه على أصول الرشوة والأمانة والشهادة، والثالث في الحكم التكليفي، والرابع في الرؤية المقاصدية.

المبحث الثاني وخصصناه للآثار السلبية، ويشمل ثلاثة مطالب: الآثار السياسية والإدارية، والاجتماعية والأخلاقية، والاقتصادية والتنموية.

المبحث الثالث وخصصناه لسبل العلاج، وفيه ثلاثة مطالب: العلاج التشريعي والقانوني، والعلاج الديني والتوعوي، والعلاج المؤسسي والمجتمعي.

ثم تأتي الخاتمة لتجمل أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات: أسأل الله العليّ القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباحث

المبحث الأول: التأصيل الفقهي والمقاصدي لبيع الأصوات الانتخابية.

من القواعد المقررة في علم أصول الفقه أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، أي أن الحكم الشرعي على أي فعل أو ظاهرة جديدة، يتوقف ويبنى على تكييفها وفهم ماهيتها بشكل دقيق. لذلك، فإن الخطوة الأولى نحو بيان حكم بيع الأصوات الانتخابية، هي تحرير طبيعة الصوت "نفسه في ميزان الفقه الإسلامي، ثم تخريج فعل بيعه على الأصول والفروع الشرعية المقررة عند الفقهاء. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في المطالب الأربعة التالية.

المطلب الأول: تكييف طبيعة الصوت الانتخابي بين الحق الخاص والولاية العامة.

يُعد تحرير ماهية الصوت الانتخابي الخطوة الأولى والأساس في بناء الحكم الشرعي. وقد اختلفت أنظار الفقهاء المعاصرين في هذه المسألة بناءً على اختلافهم في أصل مفهوم السلطة وعلاقتها بالأمة. ويمكننا حصر هذا التكييف في اتجاهين رئيسيين، كلاهما ينتهي إلى نتيجة واحدة تقريباً:

- **الاتجاه الأول:** الصوت بوصفه شهادة. ينطلق هذا الاتجاه من اعتبار الانتخابات صورة عصرية من صور "اختيار أهل الحل والعقد، أو ما يعرف بأهل الشوكة والرأي، لمن يتولى إمامة الأمة أو نيابتها. فالناخب هنا، سواء كان من النخبة أو عامة الناس، يقوم مقام الشاهد الذي يُدلي بشهادته بناءً على علمه وعدالته. وقد أصل الإمام الماوردي (ت: 450هـ) هذا المعنى بقوله في شروط من يختارون الإمام: العدالة الجامعة لشروطها، والعلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة، والرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح وأقوم" (الماوردي، 1984، 6/1). فالناخب مطالب بالعدالة والعلم، تماماً

كالشاهد الذي يؤدي شهادة يترتب عليها أحكام شرعية خطيرة. وبناءً على هذا، فإن قبض المال مقابل الصوت هو بمثابة "شهادة زور برشوة"، لأنه يُضلل الحكم ويوقع الاختيار على غير المستحق، أو يمنع الشهادة عن المستحق.

• **الاتجاه الثاني:** الصوت بوصفه وكالة. ينظر هذا الاتجاه إلى الانتخابات بوصفها "عقد وكالة" بين الناخبين (الموكّلين) والمرشح (الوكيل). فالناخب يفوض المرشح لتمثيله في المجالس النيابية، وإدارة شؤون الدولة، والتعبير عن إرادة من انتخبه. وقد عرّف الفقهاء الوكالة بأنها: إقامة الشخص غيره مقام نفسه في تصرف معلوم (الزيلعي، 1987، 254/4). وبناءً عليه، يكون الصوت هو الإنابة نفسها، وهي ولاية مصغرة يُقيم فيها الناخب المرشح مقامه. وقد اعتمد هذا التكييف عدد من الفقهاء المعاصرين، منهم الشيخ محمد أبو زهرة (ت: 1974م) الذي قال: إن الانتخاب هو توكيل من الناخبين لمن يختارونه ليمثلهم... فهو عقد توكيل يصح ما يصح فيه ويبطل ما يبطل فيه (أبو زهرة، د.ت، 212).

ومع اختلاف هذين الاتجاهين في التوصيف الفني، إلا أنهما يلتقيان عند نتيجة واحدة، وهي أن الصوت الانتخابي ليس حقاً شخصياً خالصاً، بل هو أمانة وولاية تتعلق بمصالح الأمة جمعاء. فسواءً اعتبرناه شهادة أم وكالة، فإنه يغلب عليه جانب الوظيفة الشرعية والمسؤولية المجتمعية. وهنا تبرز الشبهة التي يتذرع بها البعض: وهي أن صوته "ملكه الخاص"، وأن من حقه التصرف فيه كما يشاء، تماماً كحقه في بيع ماله أو هبته. وهذه الشبهة تقوم على خلط خطير بين مفهوم الحقوق الخاصة والحقوق العامة في الفقه الإسلامي. لقد ميّز الفقهاء بين نوعين من الحقوق:

- **الحق الخاص:** وهو ما يثبت للشخص على غيره، وله أن يتصرف فيه بالإسقاط، أو العفو أو البيع أو الهبة، كحق الشفعة، وحق القصاص، وحق الخيار في البيع. فهذه حقوق محض فردية، لا تتعلق بها حقوق الآخرين بشكل مباشر.
- **الحق العام:** وهو ما يتعلق بمصلحة الأمة جمعاء، فلا يملك الفرد إسقاطه أو التصرف فيه لمصلحته الشخصية، لأنه ليس مملوكاً له وحده. ومن أمثلته: الحق في الأمن، والحق في الموارد الطبيعية، والحق في تولية الأصلح.

وقد أصل هذا المعنى الإمام العز بن عبد السلام (ت: 660هـ) بقوله: الولايات على قسمين: ولاية خاصة، وهي ما يتعلق بمصالح شخص معين، وولاية عامة، وهي ما يتعلق بمصالح المسلمين كافة... والولاية العامة أمانة يجب أداؤها إلى أهلها" (العز بن عبد السلام، 1991، 74/1). وبتطبيق هذا المعيار على الصوت الانتخابي، يتبين لنا أنه ليس حقاً خاصاً محضاً كحق الشفعة، بل هو أقرب ما يكون إلى الولاية المصغرة أو شبه الولاية. فالناخب لا يختار لنفسه فقط، بل يشارك مشاركة فعلية في اختيار من سيتولى أمر الأمة كلها، ومن سيسن القوانين، ويراقب الحكومة، ويقر الحروب والسلم. وهذا المعنى هو ما جعل ابن تيمية (ت: 728هـ) يقرر قاعدة عظيمة بقوله: لواجب أن تكون الولايات على قدر المصالح، فإن تولية الأصلح من أعظم واجبات الدين (ابن تيمية، 1997، 129/1). فإذا كان تولية الأصلح واجباً دينياً، فمن باب أولى أن يحرم التفریط في هذا الواجب بمال أو منفعة، لأن ذلك تضییع للواجب وأكل للمال بالباطل. ويؤكد هذا المعنى الإمام الجويني (ت: 478هـ) في حديثه عن شروط من يتولى الاختيار للأمة بقوله: لا بد من اعتبار المصلحة، فإن رأى أهل الحل والعقد أن المصلحة في تقديم شخص على آخر، قدموه، وكان عليهم أن يتحروا الأصلح (الجويني، 1981، 170/1). فهذا النص يجعل اختيار الأصلح فريضة لا يجوز التهاون فيها بأي حال، لأنها متعلقة بمصير الأمة.

المطلب الثاني: التخریج الفقهي لبيع الصوت على أصول الشريعة.

بعد أن اتضحت ماهية الصوت الانتخابي كولاية وأمانة لا حق خالص، نأتي إلى تخریج فعل بيعه على الأصول والفروع الفقهية المقررة في المذهب. ويمكننا إرجاع هذا الفعل إلى عدة تخریجات، سنفصل في ثلاثة منها، مع التركيز على أن التخریج على الرشوة هو أقواها وأوضحها، ويكاد يحتوي المعاني الأخرى.

أولاً: تكيفه كرشوة (التخریج الرئيس):

الرشوة في الفقه الإسلامي هي: ما يعطى لإبطال حق أو إحقاق باطل (ابن عابدين، 1992، 362/5). وقد أجمع الفقهاء على حرمتها، بل عدّها بعضهم من الكبائر، لما فيها من أكل أموال الناس بالباطل، وإفساد الحكم، وواد العدالة. والأصل في تحريمها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَتَلَوْا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188]. قال الإمام القرطبي (ت:

671هـ) في تفسير هذه الآية: "دخل في هذا اللفظ جميع المحرمات من أخذ المال بالرشوة والقمار والغصب والخيانة والبخس والظلم" (القرطبي، 1964، 238/2). فجعل الرشوة فرداً من أفراد هذه الآية الجامعة.

كما وردت أحاديث صريحة في لعن المتعاملين بالرشوة، منها ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي" (أبو داود، 2009، رقم الحديث: 3580). قال الإمام الخطابي (ت: 388هـ) في شرحه: "الراشي: المعطي الذي يعين على الباطل، والمرتشي: الآخذ الذي يعينه على ذلك" (الخطابي، 2010، 161 / 4).

وبتطبيق هذا التعريف على بيع الأصوات الانتخابية، يظهر التطابق واضحاً من عدة وجوه:

- 1- من جهة المعطي (المرشح): يدفع المال لإيصال نفسه إلى منصب هو غير أهل له في الغالب، أو ليشترى زعم الناس ليفوز على حساب الأكفأ منه. وهذا هو إحقاق الباطل الذي علل به الفقهاء حرمة الرشوة.
- 2- من جهة الآخذ (الناخب): يقبل المال ليمنح صوته لمن لا يستحق، أو ليحجب صوته عن المستحق. وهذا من إبطال الحق، بل هو إبطال لحق الأمة كلها في الاختيار الصالح.
- 3- من جهة العوض (الصوت): الصوت هنا ليس مجرد رأي، بل هو ولاية وأمانة، فالتفريط فيه مقابل مال هو من أكل أموال الناس بالباطل.

وقياس بيع الصوت على الرشوة هو من باب "قياس الأولى؛ إذ إن مفسد الرشوة في الحكم والقضاء قد تكون محدودة بقضية معينة، أما الرشوة في الانتخابات فمفسدها تتعدى إلى الأمة كلها، وإلى سنوات من الحكم والإدارة. ولهذا، قال الإمام ابن القيم (ت: 751هـ) مقررّاً قاعدة عظيمة: وقد يقال: إن الرشوة في المعاملات أشدّ تحريماً من الرشوة في الحكم؛ لأن هذه تتضمن تعطيل ما يجب فعله، وإبطال ما يجب تنفيذه، وتضييع المصالح العامة" (ابن القيم، 1997، 178 / 4).

ثانياً: تكيفه كخيانة للأمانة:

الأصل في وجوب أداء الأمانة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]. قال الإمام ابن كثير (ت: 774هـ) في تفسيرها: هذا أمر من الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها، ويدخل

في ذلك جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله وحقوق العباد (ابن كثير، 1999، تفسير القرآن العظيم، 2/ 338). وقد تقدم معنا أن الصوت الانتخابي أمانة وولاية، فإذا باعها الناخب لمن يدفع أكثر، فقد خان الأمانة. وخيانة الأمانة من علامات النفاق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" (البخاري، 1987، رقم: 33). والناخب الذي يبيع صوته قد أؤتمن من قبل الأمة على اختيار الأصلح لها، فإذا خانها وباعه، فقد اتصف بخصلة من خصال النفاق، وارتكب خيانة كبرى.

ثالثاً: تكليفه كشهادة زور:

إذا كُفينا الصوت على أنه شهادة - كما هو رأي كثير من الفقهاء - فإن بيعه يصبح من باب شهادة الزور التي وصفها النبي ﷺ بأنها من أكبر الكبائر، بل وقرنها بالإشراك بالله وعقوق الوالدين. فعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت" (البخاري، 1987، رقم: 2654). قال الإمام ابن حجر (ت: 852هـ) معلقاً على تكرار النبي ﷺ: وكأنه ﷺ كان في أثناء الخطبة متكئاً، فلما ذكر شهادة الزور جلس، إشارة إلى مزيد الاهتمام بذلك، وكررها إشارة إلى تأكيد التحذير منها (ابن حجر، 1960، 262/5). والناخب الذي ينتخب من يعلم أنه غير كفء، أو يمتنع عن انتخاب الأكفأ مقابل مال، هو بمثابة شاهد الزور؛ لأنه شهد لمن لا يستحق باستحقاقه للولاية، وكتم شهادته لمن هو أهل لها.

المطلب الثالث: الحكم التكليفي وأثره على الأطراف الفاعلة.

بعد أن استقر لدينا حرمة بيع الصوت، ننقل إلى بيان الحكم التكليفي لكل طرف من الأطراف المشاركة في هذه الجريمة:

1- بائع الصوت (الناخب): آثم إثمًا مبيناً، ومرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، من عدة وجوه: هو مرتشٍ ملعون، وخائن للأمانة، وشاهد زور، وأكل مال حرام. وقد قال النبي ﷺ: "إنه لا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سَحْبٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ" (الترمذي، رقم (614)، وقال: حديث حسن صحيح. والمال الحرام هنا هو ثمن الصوت:

2-مشتري الصوت (المرشح): هو أشد إثماً من بائعه، لأنه المحرك والدافع للجريمة، ولأن شره يتعدى إلى الأمة كلها بوصله إلى ولاية هو غير كفء لها. قال النبي ﷺ: "من استعمل رجلاً من عصابة، وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله، وخان رسوله، وخان المؤمنين" (الحاكم، 1990، رقم: 7026). فكيف بمن يشتري الولاية بالمال، ولهذا قال الإمام ابن تيمية: وولاية من يطلبها بالمال أو بالجاه من أكبر الذنوب (ابن تيمية، 1988، 8/1).

3-الوسيط (السمسار): وهو من يتوسط بين البائع والمشتري، ويأخذ أجرة على ذلك. وهذا داخل في معنى "الرائش" الذي وردت به رواية الحديث: "لعن الله الراشي والمرتشي والرائش" (أحمد، 1995، رقم: 7005). قال الإمام ابن الأثير (ت: 606هـ): الرائش: هو الذي يمشي بين الراشي والمرتشي (ابن الأثير، 1979، 289/2).

4-المال المأخوذ (المال الحرام): يجب على الناخب التخلص منه بصرفه في مصالح المسلمين العامة، كإعانة الفقراء والمستشفيات والمدارس، ولا يجوز له الانتفاع به في مصلحته الخاصة. وهذا ما يقرره الفقهاء في الأموال المحرمة التي لا يمكن ردها إلى أصحابها.

المطلب الرابع: الرؤية المقاصدية لتحريم بيع الأصوات:

بعد هذا البيان الفقهي التفصيلي، نأتي لننظر في هذه الجريمة من خلال منظار مقاصد الشريعة الكلية، ليتأكد لنا أن تحريمها ليس حكماً تعبدياً فحسب، بل هو حكم معلل بمصالح معتبرة، تتحقق بحفظها سعادة الدارين. لقد أجمع علماء المقاصد على أن الشريعة جاءت لحفظ خمسة مقاصد كلية، وزاد بعضهم مقصداً سادساً هو "حفظ النظام العام". وبيع الصوت يخل بهذه المقاصد إخلالاً بيناً:

- **حفظ الدين:** بيع الصوت خيانة وغش وكذب، وكلها من كبائر الذنوب المهدمة لكمال الإيمان.
- **حفظ المال:** من وجهين: أكل الناخب للمال الحرام، وإهداره للمال العام الذي سينهبه المرشح لاحقاً لاسترداد ما دفعه.
- **حفظ العقل:** تعطيل لوظيفته الأساسية في الاختيار والتمييز، وتحويله لهوى المال.

- **حفظ النفس والعرض والنسل والنظام العام:** يؤدي فساد الحكم الناتج عن هذه الجريمة إلى انتشار الظلم، وانعدام الأمن، والاحتقان المجتمعي، مما يهدد السلم الأهلي والدولة نفسها، وهذا كله إخلال واضح بمقصد حفظ النظام العام.

المبحث الثاني: الآثار السلبية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لبيع الأصوات الانتخابية.

إن الحكم الشرعي بتحريم بيع الأصوات الانتخابية لم يأت من فراغ، بل هو حكم معلل بمفاسد عظيمة تترتب على هذا الفعل. وقد قرر علماء الشريعة أن الأحكام مشروعة لمصالح العباد، وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. في هذا المبحث، سنسلط الضوء بشكل تفصيلي على الآثار السلبية المتشعبة لهذه الظاهرة، والتي تمس صميم المجتمع والدولة.

المطلب الأول: الآثار السياسية والإدارية.

إن أخطر ما يترتب على بيع الأصوات هو ضرب أسس الحكم الرشيد والإدارة السليمة، مما ينعكس خراباً وفساداً على الدولة والمجتمع:

1- وأد الكفاءة وتمكين الفاسدين: إن المقصد الأسمى من الانتخابات هو إفراز النخبة الصالحة. ولكن حين يتحول الصوت إلى سلعة، يُقصى الأكفاء الشرفاء الذين لا يملكون المال، وتصل إلى سدة الحكم نخبة فاسدة همها الوحيد استرداد ما دفعته. وقد حذر النبي ﷺ من ذلك بقوله: "إِذَا ضَيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ... إِذَا وَبَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ" (البخاري، 1993، رقم: 6132).

2- تغذية الفساد المؤسسي وتكريسه: يصبح همّ المرشح الفائز هو استرداد رأس المال الانتخابي بأي ثمن، عبر نهب المال العام، ومنح الصفقات بالمحاباة، وتعيين المحاسيب في الوظائف العامة. وهكذا تتحول مؤسسات الدولة من أدوات للخدمة إلى أدوات للنهب.

3- وأد المشاركة الشعبية الحققة (العزوف السياسي): عندما يرى الناس أن الانتخابات مسرحية محسومة النتائج للمال، يصابون بالإحباط ويفقدون الثقة في العملية الديمقراطية برمتها. وهذا العزوف خطير، لأنه يُخلي الساحة للفاسدين، ويقتل روح المبادرة والمسؤولية المجتمعية.

المطلب الثاني: الآثار الاجتماعية والأخلاقية.

لا تقتصر آثار بيع الأصوات على الجانب السياسي فحسب، بل تمتد لتسمم القيم والأخلاق في المجتمع، وتهدد السلم الأهلي:

1- تدمير القيم وإحلال ثقافة المادة: يترسخ في الوعي الجمعي أن لكل شيء ثمناً، وأن المال هو المعيار الأوحده للقيمة، مما يؤدي إلى وأد المروءة والشهامة، وتكريس النفعية والأنانية، وتحطيم القدوات:

2- تفتيت النسيج المجتمعي وإثارة الضغائن: في غياب البرامج السياسية، يلجأ المرشحون الفاسدون إلى شراء ذمم القبائل والطوائف، مما يوجب روح التعصب والعنصرية، ويزرع الأحقاد والضغائن بين أبناء المجتمع الواحد.

3- تهديد السلم المجتمعي والأمن العام: وهو من أخطر الآثار. فشعور الفقراء والمهمشين بالغبين والظلم، ومشاهدة نهب ثروات بلادهم، يخلق حالة من الاحتقان والغليان الاجتماعي، الذي قد ينفجر في أي لحظة في شكل عنف أو ثورات: وهذا يهدد بشكل مباشر مقصد "حفظ النظام العام" الذي لا يمكن أن تتحقق باقي المقاصد إلا في ظله.

المطلب الثالث: الآثار الاقتصادية والتنموية.

للوهلة الأولى، قد يظن الفقير أن بيع صوته يحقق له منفعة مالية سريعة، لكن هذه نظرة قاصرة، فالصورة الكلية تظهر العكس تماماً:

1- تبديد الموارد العامة وإضعاف الاقتصاد الوطني: المرشح الذي يشتري صوته سيسعى لتعويض ما خسره بأضعاف مضاعفة من المال العام، مما يحرم الدولة من تمويل الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة والبنية التحتية.

2- إعاقة التنمية وطرده الاستثمار: بيئة الفساد وعدم الاستقرار السياسي وغياب الشفافية هي بيئة طاردة للاستثمار، مما يعطل عجلة التنمية ويحرم المجتمع من فرص العمل والتقدم.

3- ربط حلقة الفقر بدلاً من فكها: وهنا المفارقة الكبرى. فالناخب الفقير الذي باع صوته بمبلغ زهيد، يختار "سمكة" صغيرة، على حساب بحر من الخدمات والفرص التي كان يمكن لحكومة نزيهة أن توفرها له ولأبنائه. إنه باختصار، يحكم على نفسه ودولته بدوام التخلف والفقر.

المبحث الثالث: سبل العلاج والمقترحات:

بعد أن استبان لنا قبح هذه الجريمة من الناحية الشرعية، واتضحت أضرارها المتشعبة على الفرد والمجتمع والدولة، فإن الواجب الشرعي والوطني يحتم علينا الانتقال من مرحلة التشخيص إلى مرحلة العلاج. وقد قرر علماء الشريعة أن الواجب من الوسائل ما لا يتم الواجب إلا به (الشاطبي، 1997، 317/2). ولا شك أن القضاء على ظاهرة بيع الأصوات واجب شرعي، لما يترتب عليه من مصالح معتبرة، وما يندفع به من مفسد محققة. وفي هذا المبحث، نعرض لسبل علاجية متكاملة، تشمل الجوانب التشريعية والدينية والمجتمعية، لتجفيف منابع هذه الآفة واجتثاث جذورها.

المطلب الأول: العلاج التشريعي والقانوني

لا شك أن القانون هو السور الواقي للمجتمع، وعليه تقع مسؤولية كبيرة في تجريم هذه الظاهرة والتصدي لها بصرامة. ولن يكون القانون رادعاً إلا إذا توافرت فيه شروط الحزم والوضوح وسرعة التنفيذ.

أولاً: تجريم الفعل وتغليظ العقوبات:

يجب أن تنص القوانين الانتخابية صراحة على تجريم بيع الصوت وشرائه والوساطة فيه، وأن تصنفه ضمن "الجرائم المخلة بالشرف والأمانة". ولا ينبغي أن تقتصر العقوبة على الغرامة المالية فحسب، بل يجب أن تمتد إلى:

1- السجن المؤثر: لأنه الرادع الحقيقي لمن تسول له نفسه المتاجرة بصوته أو شراء ذمم الناس.

2- الحرمان من الحقوق المدنية: كحرمان بائع الصوت من حقه في الترشح أو التصويت في دورات انتخابية قادمة، وحرمان مشتري الصوت من تولي الوظائف العامة مدى الحياة. وهذا ما يعرف في الفقه

الإسلامي بـ"التعزير بالعزل والمنع من المناصب"، وقد قال ابن تيمية (ت: 728هـ): متى كان الفعل محرماً، وجب أن يقابل بما يزجره، ويمنع جنسه، بحسب الإمكان (ابن تيمية، 1988، 96/1).

ثانياً: إصلاح المنظومة الانتخابية:

كثيراً ما تكون البيئة القانونية والتقنية خصبة لانتشار الفساد. لذا يجب إصلاحها عبر:

1- **وضع سقف صارم للإنفاق الانتخابي:** ومنع تجاوزه تحت طائلة إسقاط القائمة أو إبطال العضوية. فالإنفاق المفتوح هو الباب الخلفي الذي يدخل منه الفساد.

2- **تعزيز الشفافية والرقابة:** كالإزام المرشحين بالإفصاح عن مصادر تمويلهم، وفتح حساباتهم المصرفية للتدقيق العام قبل الانتخابات وبعدها.

3- **ضمان نزاهة الصندوق:** عبر اعتماد أنظمة رقابية صارمة يوم الاقتراع، وإشراك القضاة بدلاً من الإداريين في الإشراف على العملية الانتخابية برمتها.

ثالثاً: حماية المبلغين والشهود:

الخوف من بطش المرشحين المتنفذين يمنع الكثيرين من الإبلاغ عن هذه الجرائم. لذا، فإن سن قانون يحمي الشهود والمبلغين عن جرائم بيع الأصوات، ويوفر لهم الأمان الجسدي والوظيفي، هو ركن أساسي في استراتيجية مكافحة. وهذا منصوص عليه في الشريعة من باب حفظ النفس والعرض.

المطلب الثاني: العلاج الديني والتوعوي

للدين سلطان عظيم على النفوس، ووازعه أقوى من وازع القانون. فكم من جريمة تمنعها التقوى، ولا تمنعها العقوبة! لذا، فإن دور المؤسسات الدينية والعلماء لا يقل أهمية عن دور الدولة وقوانينها.

أولاً: بيان الحكم الشرعي بكل وضوح وحسم:

يقع على عاتق العلماء والخطباء واجب البيان، وأن لا يخشوا في الحق لومة لائم. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: 187]. فيجب:

1- أفراد خطب ودروس خاصة: لبيان حرمة بيع الصوت، وتكليفه كرشوة وخيانة للأمانة، وذكر الوعيد الشديد في حق فاعله.

2- إصدار بيانات جماعية: من الجامعات الفقهية وهيئات كبار العلماء، تحسم المسألة ولا تدع مجالاً للاجتهادات المتساهلة، وتؤكد أن بيع الصوت من الكبائر.

ثانياً: التأصيل لثقافة "الصوت أمانة":

يجب تحويل النظرة المجتمعية للصوت الانتخابي من كونه "حقاً شخصياً" إلى كونه "أمانة وولاية ومسؤولية" أمام الله". وهذا يتطلب جهداً تراكمياً عبر:

1- التأكيد على مفهوم الشهادة والوكالة: وربط ذلك بالآيات والأحاديث التي تحذر من خيانة الأمانة وشهادة الزور.

2- غرس هذا المفهوم في النشء: عبر المناهج التعليمية في المدارس والجامعات:

ثالثاً: تعزيز خطاب "انتخاب الأصلح" كواجب شرعي:

على العلماء أن يوضحوا أن انتخاب الأصلح ليس مجرد حق، بل واجب شرعي، والتفريط فيه معصية، لأنه تضییع لمصالح المسلمين. وقد قال النبي ﷺ: "مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عَصَابَةِ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَىٰ لِلَّهِ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ" (الحاكم، 1990، رقم: 7026: 94/4). فإذا كانت تولية غير الأصلح خيانة، فكيف ببيعها بالمال! إن الورع الحقيقي هو في تحري الأصلح، لا في التورع عن المشاركة بحجة فساده.

المطلب الثالث: العلاج المؤسسي والمجتمعي.

المجتمع هو الضحية الأولى لهذه الظاهرة، وهو أيضاً صاحب المصلحة الكبرى في القضاء عليها. وعلاجها لا يستقيم إلا بتضافر جهود مؤسساته، وأفراده كل من موقعه.

أولاً: المسؤولية الجماعية (فريضة التغيير):

لا يجوز للمواطن الصالح أن يقف موقف المتفرج من هذه الجريمة، بحجة "أني لا دخل لي" أو "أن الجميع يفعلها". فالسكوت عن المنكر مع القدرة على إنكاره مشاركة فيه. قال النبي ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" (مسلم، 1991، رقم: 49: 50/1). وهذا يفرض على كل فرد:

- 1- واجب الإبلاغ: عن أي حالة بيع أو شراء أصوات يرصدها، وتقديم ما لديه من أدلة للجهات المختصة.
- 2- المقاطعة الشعبية: للمرشحين الذين يعرف عنهم شراء الذمم، وفضحهم في الوسط الاجتماعي.
- 3- رفض الرشوة: مهما كانت المغريات، إيماناً بقول النبي ﷺ: "وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعِنْ يُغْنِهِ اللَّهُ" (البخاري، 2002، رقم: 1469: 122/2).

ثانياً: دور مؤسسات المجتمع المدني والإعلام:

لهذه المؤسسات دور محوري لا يمكن تجاهله، يتمثل في:

- 1- حملات التوعية الجماهيرية: التي تبرز مخاطر الظاهرة على معيشة الناس ومستقبل أبنائهم، وتبين أن ثمن الصوت الذي يقبضونه اليوم سيخضم من صحتهم وتعليمهم وفرص عملهم غداً.
- 2- الرقابة المستقلة: عبر تشكيل ائتلافات لمراقبة الانتخابات، وتوثيق الانتهاكات، ونشر التقارير التي تقضح الفاسدين من المرشحين والناخبين.
- 3- تبني الإعلام لخطاب مسؤول: يعزز قيم النزاهة، ويحارب خطاب "الغنيمة" الانتخابية، ويوفر منابر للنقاش الجاد حول البرامج الانتخابية للمرشحين، لا حول أموالهم التي يوزعونها.

ثالثاً: دور الأسرة والمدرسة:

الوقاية الحقيقية تبدأ من التنشئة. فعلينا أن نزرع في الأبناء منذ الصغر:

1- حب الوطن والغيرة على مصلحته: وأن خيانة الوطن بالصوت الانتخابي هي خيانتته في ساحة المعركة.

2- قيمة المال الحلال: وأن الجوع والشبع بالحلال الطيب خير من التخمة بالحرام.

3- ثقافة المسؤولية: وأن كل فرد هو راعٍ ومسؤول عن رعيته، كما قال النبي ﷺ: "أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (مسلم، 1991، رقم: 1829: 8 / 6)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد أن وفقني الله لإتمام هذا البحث، والذي تناولت فيه ظاهرة "بيع الأصوات الانتخابية" من منظور فقهي مقاصدي، مع تسليط الضوء على أبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أصل إلى جملة من النتائج والتوصيات التي تشكل خلاصة هذا العمل.

أولاً: النتائج:

1. **تأصيل الماهية:** تبين لي أن الصوت الانتخابي، سواء كُيف على أنه "شهادة" على كفاءة المرشح، أم "وكالة" له لتمثيل الأمة، فإنه في كلا الحالين يُعد "ولاية وأمانة" شرعية، يغلب عليها جانب الحق العام، وليس حقاً شخصياً خالصاً يجوز التصرف فيه بالبيع والشراء.

2. **الحكم الشرعي القاطع:** تخريج بيع الصوت على النصوص الشرعية والقواعد الفقهية يقود إلى نتيجة لا مرية فيها، وهي حرمة. فهو يجمع أوصافاً ثلاثة من كبائر الذنوب: كونه رشوة محرمة ملعون صاحبها، وخيانة للأمانة، وشهادة زور. وقد تأكد هذا الحكم بالنظر المقاصدي الذي أثبت أن هذه الجريمة تخل بالمقاصد الكلية الخمسة، وتهدد المقصد السادس وهو حفظ النظام العام.

3. **الآثار المدمرة:** خلص البحث إلى أن هذه الظاهرة ليست مجرد إثم فردي، بل هي جريمة مركبة تدمر كيان الدولة والمجتمع؛ فهي تقضي سياسياً إلى وأد الكفاءة وتمكين الفاسدين وتدمير مؤسسات الدولة، واجتماعياً إلى تفتيت النسيج الوطني وتدمير القيم وإثارة الاحتقان، واقتصادياً إلى إهدار المال العام وتكريس الفقر والتخلف.

ثانياً: التوصيات:

بناءً على هذه النتائج، يوصي الباحث بما يأتي:

1. توجيه خطاب ديني واضح وحاسم: أدعو المؤسسات الدينية والعلماء وخطباء المساجد إلى عدم التردد في بيان حرمة بيع وشراء الأصوات، وتكليفها كرشوة وكبيرة من الكبائر، وربطها بالإيمان والوطنية، لتكون التقوى هي الرادع الداخلي.

2. إصلاح تشريعي وقضائي رادع: أوصي المشرعين بتغليظ العقوبات على بيع الأصوات وشرائها والوساطة فيها، لتصل إلى السجن والحرمان من الحقوق المدنية، واعتبارها جرائم مخلة بالشرف، مع حماية المبلغين عنها.

3. صحة مجتمعية شاملة: إن القضاء على هذه الظاهرة لا يتأتى إلا بـ"المسؤولية الجماعية". فكل فرد مطالب بإنكار هذا المنكر والإبلاغ عنه، وعلى مؤسسات المجتمع المدني والإعلام دور أساسي في التوعية والمراقبة وفضح الفاسدين، وعلى الأسرة والمدرسة تقع مسؤولية غرس قيم الأمانة والوطنية في الأجيال القادمة.

وفي الختام، أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يوفق ولاية أمر المسلمين وعامة شعوبهم لإصلاح هذه الآفة الخطيرة، واسترداد روح الأمانة والمسؤولية في إدارة الشأن العام، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع العربية (باللغة العربية)

1. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات. 1979. بيروت: المكتبة العلمية.
2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. 1997. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. ط. 1. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية.
3. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. 1960. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.
4. ابن عابدين، محمد أمين. 1992. رد المحتار على الدر المختار. ط. 2. بيروت: دار الفكر.
5. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد. 1997. المغني. ط. 3. الرياض: دار عالم الكتب.
6. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. 1997. أعلام الموقعين عن رب العالمين. ط. 1. بيروت: دار الكتب العلمية.
7. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. 1999. تفسير القرآن العظيم. ط. 2. الرياض: دار طيبة.
8. أبو داود، سليمان بن الأشعث. 2009. سنن أبي داود. ط. 1. بيروت: دار الرسالة العالمية.
9. أبو زهرة، محمد. (د.ت). المجتمع الإنساني في ظل الإسلام. القاهرة: دار الفكر العربي.
10. أحمد بن حنبل. 1995. مسند الإمام أحمد. ط. 1. القاهرة: دار الحديث.
11. البخاري، محمد بن إسماعيل. 1987. صحيح البخاري. ط. 1. القاهرة: دار الشعب.
12. الترمذي، محمد بن عيسى السلمي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
13. الجويني، عبد الملك بن عبد الله. 1981. غياث الأمم في التياث الظلم. ط. 3. القاهرة: مكتبة الخانجي.
14. الحاكم، محمد بن عبد الله. 1990. المستدرک على الصحيحين. ط. 1. بيروت: دار الكتب العلمية.
15. الخطابي، حمد بن محمد. 2010. معالم السنن. ط. 1. بيروت: دار الكتب العلمية.
16. الزيلعي، عثمان بن علي. 1987. تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشبل. ط. 3. القاهرة: بولاق. المطبعة الأميرية الكبرى.
17. الشاطبي، إبراهيم بن موسى. 1997. الموافقات في أصول الشريعة. ط. 1. القاهرة: دار ابن عفان.

18. العز بن عبد السلام، عبد العزيز. 1991. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. ط. 1. بيروت: دار الكتب العلمية.
19. القرطبي، محمد بن أحمد. 1964. الجامع لأحكام القرآن. ط. 2. القاهرة: دار الكتب المصرية.
20. الماوردي، علي بن محمد. 1984. الأحكام السلطانية. بيروت: دار الكتب العلمية.
21. مسلم، بن الحجاج. 1991. صحيح مسلم. ط. 1. القاهرة: دار الحديث.

References (English)

- 1 .Abu Dawud, Sulayman ibn al-Ash'ath. (2009). Sunan Abi Dawud (1st ed.). Beirut: Al-Resalah Al-Alamiyah Publishers.
- 2 .Abu Zahrah, Muhammad. (n.d.). Al-Mujtama' al-Insani fi Zill al-Islam [Human Society in the Shade of Islam]. Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi.
- 3 .Ahmad ibn Hanbal. (1995). Musnad al-Imam Ahmad (1st ed.). Cairo: Dar al-Hadith.
- 4 .Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il. (1993). Sahih al-Bukhari (5th ed.). Damascus: Dar Ibn Kathir.
- 5 .Al-Hakim, Muhammad ibn 'Abd Allah. (1990). Al-Mustadrak 'ala al-Sahihayn [The Supplement to the Two Sahihs] (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- 6 .Al-Juwayni, 'Abd al-Malik ibn 'Abd Allah. (1981). Ghiyath al-Umam fi al-Tiyath al-Zulam [Succor of Nations in the Obscurities of Injustice] (3rd ed.). Cairo: Maktabat al-Khanji.
- 7 .Al-Khattabi, Hamd ibn Muhammad. (2010). Ma'alim al-Sunan [Landmarks of the Sunan] (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- 8 .Al-Mawardi, 'Ali ibn Muhammad. (1989). Al-Ahkam al-Sultaniyyah [The Ordinances of Government] (1st ed.). Kuwait: Maktabat Dar Ibn Qutaybah.
- 9 .Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. (2006). Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an [The Compendium of Qur'anic Rulings] (1st ed.). Beirut: Mu'assasat al-Risalah.

- 10 .Al-Shatibi, Ibrahim ibn Musa. (1997). Al-Muwafaqat fi Usul al-Shari'ah [The Congruences in the Principles of Jurisprudence] (1st ed.). Cairo: Dar Ibn 'Affan.
- 11 .Al-Tirmidhi, Muhammad ibn 'Isa. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- 12 .Al-Zayla'i, 'Uthman ibn 'Ali. (1987). Tabyin al-Haqa'iq Sharh Kanz al-Daqa'iq (3rd ed.). Cairo: Bulaq, Al-Matba'ah al-Amiriyyah al-Kubra.
- 13 .Ibn 'Abidin, Muhammad Amin. (1992). Radd al-Muhtar 'ala al-Durr al-Mukhtar [The Response of the Baffled to the Chosen Pearl] (2nd ed.). Beirut: Dar al-Fikr.
- 14 .Ibn al-Athir, Majd al-Din Abu al-Sa'adat. (1979). Beirut: Al-Maktabah al-'Ilmiyyah.
- 15 .Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr. (1997). A'lam al-Muwaqqi'in 'an Rabb al-'Alamin [The Prominent Proponents: On Behalf of the Lord of the Worlds] (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- 16 .Ibn Hajar al-'Asqalani, Ahmad ibn 'Ali. (1988). Fath al-Bari bi-Sharh Sahih al-Bukhari [The Creator's Inspiration: A Commentary on Sahih al-Bukhari] (3rd ed.). Cairo: Dar al-Rayyan lil-Turath.
- 17 .Ibn Kathir, Isma'il ibn 'Umar. (1999). Tafsir al-Qur'an al-'Azim [The Exegesis of the Grand Qur'an] (2nd ed.). Riyadh: Dar Taybah.
- 18 .Ibn Qudamah, 'Abd Allah ibn Ahmad. (1997). Al-Mughni [The Enricher] (3rd ed.). Riyadh: Dar 'Alam al-Kutub.
- 19 .Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn 'Abd al-Halim. (1988). Al-Siyasah al-Shar'iyyah fi Islah al-Ra'i wa al-Ra'iyyah [The Sharia-Compliant Policy for Reforming the Ruler and his Subjects] (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- 20 .Izz al-Din ibn 'Abd al-Salam, 'Abd al-'Aziz. (1991). Qawa'id al-Ahkam fi Masalih al-Anam [The Rules of Governance in the Interests of Mankind] (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
21. Muslim, ibn al-Hajjaj. (1991). Sahih Muslim (1st ed.). Cairo: Dar al-Hadith.

قصص النقد الأدبي عند العرب

-دراسة في مسار تطور النقد في العصر الجاهلي-

م.م ضرار كاظم مظلوم الكيماوي

مديرية التربية في محافظة النجف الأشرف/ وزارة التربية / العراق

drft123drft@gmail.com

الملخص

إن هذا البحث الموسوم بـ(قصص النقد الأدبي عند العرب -دراسة في مسار تطور النقد في العصر الجاهلي -) يهدف إلى رسم مسار تطوري لقصص النقد الأدبي عند العرب ، وقد اختص في رسم القصص التي أثرت عن العصر الجاهلي ؛لما للعصر من أهمية في ما تلاه من العصور ؛فهو يمثل القمة التي وصل إليها الأدب العربي ، والأس الذي بقي تأثيره إلى ما بعده من العصور بل وإلى يومنا هذا .

Abstract

This research, entitled (Stories of Literary Criticism among the Arabs - A Study in the Development of Criticism in the Pre-Islamic Era), aims to chart an evolutionary path for the stories of literary criticism among the Arabs. It focuses on depicting the stories that emerged from the pre-Islamic era, due to the importance of that era in the subsequent periods. It represents the pinnacle reached by Arabic literature,

and the foundation whose influence has remained to subsequent eras and even to this day

الكلمات المفتاحية (قصص، مسار ، التطوري، الجاهلي)

التمهيد

أولية النقد في الأدب العربي

إن النقد شيء موجود في طبيعة الإنسان الذي تتفاعل نفسه مع ما يسمعه أو يراه أو يحس به، وينشأ عنده نتيجة لذلك التفاعل شعور بالرضا حين يصادفه ما يثير ذكرياته السعيدة أو بالسخط عندما يجرح هواه أو تعاق رغباته، وهذا الشعور متفاوت بين الناس في حدته ودقته وطوله وقصره وبحسب درجة التأثير التي أحدثتها في نفوسهم تلك الحادثة، ومن هنا كان الحكم وإبداء الرأي فيما يرونه أو يسمعونه أو يحسونه شيئاً طبيعياً متوقفاً من كل إنسان يتفاعل مع بيئته ومظاهرها ومع الناس الذين يعيش فيهم من غير حاجة إلى معلم يعلمه على الجميل والقبيح.

فقد ركبت فيه الملكات التي يستطيع أن يميز بها الخير والشر ويميز بها الخبيث من الطيب في المظاهر كافة كالأخلاق والفنون والمعارف ويميز بها أيضاً إلى جانب هذه المظاهر بين الناس.

وقد كان العرب منذ جاهليتهم الأولى يتمتعون بمساحة واسعة من الحرية في القول وفي العمل، ولم يكن يعترض حريتهم رغبة في خير أو خوف من بطش ذي سلطان.

ولقد كانوا يحرصون حرصاً شديداً على مكارمهم الماثورة كقرى النازل، ونجدة الملهوف، وتأمين الخائف، وإجارة المستجير، ويحرصون إلى جانب هذه المكارم أيضاً على أن يوصفوا ببلاغة القول، وإنهم أهل اللسان والبيان وأمراء الكلام⁽¹⁾ ومن ذلك ما يروى أنه ((لما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه للذي رأى من دمامته وقصره، فقال النعمان: (تسمع بالمعيدي لا أن تراه)، فقال: أبييت اللعن، إن الرجال لا تكال بالقفران ولا توزن بالميزان وليست بمسوك يستقى بها وإنما المرء بأصغريه: بقلبه ولسانه، إن صال صال بجنان، وإن قال قال ببيان))⁽²⁾

ومنه أيضاً وصفهم لكلامهم في أشعارهم جاعلين من تلك الأشعار كبرود العصب، وكالحلل والمعاطف والديباج والوشي وما شابهها⁽³⁾ وقد كان أكثرهم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه ((افصلوا بين كل معنى منقوض، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعبثه ببعض، وكان الحارث بن أبي شمر الغساني يقول لكتابه المرقش: إذا نزع الكلام بك إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبعيته من الألفاظ، فإنك إذا حذف ألفاظك بغير ما يحسن أن تحذف به نفرت القلوب عن وعيها، وملته الأسماع، واستثقلت الرواة))⁽⁴⁾

وكل ذلك وغيره يدل على أن العرب يملكون الذوق والسليقة والتي أفادتهم في معرفة الأحكام النقدية الأولية فالشعر عندهم إحساس خالص، أو يكاد يكون كذلك، وكذلك النقد.

وعلى هذا فهما لازمتان من لوازم العربي في الجاهلية ومن لوازم البيئة الجاهلية والتي كان لها الفضل والأثر الكبير في تحديد وتكوين ملامح الشخصية الجاهلية وهاتان اللزمتان تقومان على الانفعال والتأثر، وعلى السليقة والطبع⁽⁵⁾

فمن ذلك ما يروى من أن الحارث بن حلزة الإشكري كان ينشد الملك عمرو بن هند وبينهما حجب سبعة لبرصة قصيدته:

أذنتنا ببينها أسماء ربّ ثاوٍ يملُّ منه الثَّوَاءُ

فأخذ يرفع تلك الحجب السبعة حجاباً حجاباً لحسن ما يسمع من شعره حتى لم يبق بينهما حجاب، ومن ثم أدناه وقربه، استحساناً لما سمع منه⁽⁶⁾

وهذا ما جعل الباحثين يختلفون في النقد الجاهلي، ويتعارضون تعارضاً شديداً، في المقياس الذي يندرج تحته. حيث يرى بعضهم أنه ليس نقداً بالمعنى الحقيقي للنقد وإنما هو ملاحظات أولية أطلقوها على فنههم الشعري، وفيما يرى آخرون أنه ملاحظات كان يطلقها الشعراء على الشاعر أو الشعر ويرى بعضهم أنه نقد ذاتي متجرد من الموضوعية، وفيما يرى آخرون أنه نقد اجتمعت فيه الذاتية والموضوعية ولبس الثوبين معا⁽⁷⁾ وبعضهم يرى أنه بدأ بملاحظات أولية عامة ألفت على عواهنها ثم تطورت وتأطرت بثوب القواعد⁽⁸⁾.

ولعل الرأي الأخير هو الرأي الأكثر قبولاً ورجحاناً في نظرتة للنقد الجاهلي فهو آخذ بنظر الاعتبار طبيعة الحياة العامة والتي تأبى الطفرة، وتسلم بالسير والنمو التدريجي في المجالات كافة ومن الطبيعي أن الشعر عاش مرحلة أو مراحل غير مكتمل المعالم واللامح حتى بلغ نضجه الذي استقر عليه فيما بعد. ومن الطبيعي أيضاً أنه قطع مراحل قبل أن يصل إلى نضجه وكل مرحلة من هذه المراحل كانت حاوية على أخطاء ومآخذ كان يسعى إلى تجاوزها وإصلاحها في المرحلة التي تتلوها ولولا ذلك لما وصل إلى أوج عطائه الذي أصبح عليه⁽⁹⁾.

ولعل وقوف قريش موقف الفاحص والمتخير للهجات العرب واختيار ما هو الأجمل منها مما خف على اللسان وعذب على السمع خير دليل على وجود النقد الأولي عند العرب⁽¹⁰⁾. وعلى هذا فإننا نستطيع أن نفهم قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش))⁽¹¹⁾. وهذا السبب هو الذي جعل الشعراء يقلدون لسانها. فقد كانت العرب ترجع في شعرها إلى قريش وتعرضه عليها فما قبلته كان مقبولا وما ردته كان مردوداً ، وذات مرة قدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

هل علمتم وما استودعت مكتومُ أم حبلها اذ نأتك اليوم مصرومُ
فقالوا هذه سمط الدهر

ثم عاد إليهم العام الذي بعده فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بعيدَ الشباب عصرَ حانٍ مشيبُ
فقالوا هاتان سمطا الدهر. (12)

وهذا دليل على غاية التأثير والاستحسان والإعجاب فحينما أنشدهم علقمة قصيدته الأولى انبهروا بها وأطلقوا عليها حكماً مستنداً إلى التأثير الأنبي الممتزج بالذوق والفطرة وكذلك في الثانية حيث جعلوها بمرتبة الأولى على الرغم من اعتقادهم حين سماع الأولى بجودتها وعدم وجود نظير لها في القصائد يبلغ ما بلغت من الجودة والنضج والكمال وسرعان ما تلاشى هذا الشعور أو الاعتقاد بعد سماع القصيدة الثانية.

ومن هذه الروايات وغيرها يستدل على معرفة العرب الأولية للنقد والتي كانت ذوقية تأثرية ناشئة عن السليقة والطبع والتي أملت عليها طبيعة البيئة الجاهلية حيث كان العربي يتأثر وينشد ويطرب عندما يسمع بيت أو بيتين أو قصيدة وينشأ نتيجة لذلك الانشداد إطلاق حكم تأثري سريع. وسرعان ما ينقض ذلك الحكم عندما يسمع قصيدة أخرى ويرى فيها ان من الجودة ما يفوق الأولى.

وخلاصة القول:

إن العرب عرفوا كثيراً من الأحكام النقدية في بداياتهم الأولى وكان قائد تلك الأحكام الذوق والذاتية والتي أعانته فيما بعد إلى الاهتداء المعرفة المنهجية وتأطير الذوق بالقواعد. وهذا ما ستحاول الدراسة رسمه من خلال القصص والظواهر النقدية التي أثرت عنهم في مسار تطوري منسجم مع طبيعة الحياة العامة والسائدة عندهم آنذاك.

المبحث الأول

النقد اللغوي والموسيقي

يكاد يكون مجال النقد اللغوي في العصر الجاهلي ضئيلاً ولعل أرجح الأسباب في تعليل قلة وقوع الشعراء الجاهليين في أخطاء لغوية هو ما عرف عنهم من اهتمامهم البالغ بلغتهم وأيضاً حرصهم على أن يوصفوا ببلاغة القول وحسن البيان⁽¹³⁾.

فمن النقد اللغوي ما يروى من قصة طرفة بن العبد في مجلس بني قيس بن ثعلبة حين مر بهم المسيب بن علس وطلبوا منه أن ينشدهم شعراً فأنشدهم:

الا أنعم صباحاً أيها الربع وأسلم نحيك عن شحط وأن لم تكلم

فلما بلغ قوله:

وقد أتتاسى الهم عند أدكاره بناجٍ عليه الصيعرية مكرم

قال طرفة وقد كان صبيّاً يلعب مع الصبيان: ((استنوق الجمل))

وصارت مقولته هذه مثلاً يضرب لوضع الشيء في غير موضعه⁽¹⁴⁾ لأن الصيعرية سمة في عنق الناقة لا البعير⁽¹⁵⁾

وهو بهذا يكشف عن مدى ذكائه وفطنته وإحاطته بدلالات الألفاظ وتنبهه لعدم توافم وانسجام المفردة (الصيعرية) مع المعنى الذي أراده المسيب في البيت على الرغم من صغر وحداثة سنه حيث ذكرت الرواية انه كان صبياً ولكنه فطن لذلك الخطأ اللغوي عند المسيب مطلقاً حكماً نقدياً اعتمد واتكأ فيه على الجانب اللغوي ومن النقد اللغوي أيضاً ما يروى من أن الأعشى أنشد قيس بن معد يكرب وهو يمدحه فلما وصل إلى قوله:

ونبنت قيساً ولم أبله وقد زعموا ساد أهل اليمن

عابه قيس عليه لأن الأعشى لم يكن دقيقاً في ألفاظه فهو يعبر عن سيادة قيس لأهل اليمن بأنها زعم لا حقيقة.⁽¹⁶⁾

ومن هذين المثالين يتضح مدى اهتمام العرب بلغتهم والتزامهم بقواعدها المألوفة لديهم وعدم الخروج عن تلك القواعد وإن حصل ذلك الخروج - ولو بشكل غير مقصود- يسرعون الى الاعتراض والتنبيه والتصحيح.

وهي مرحلة ابتعدت- نوعاً ما- عن الملاحظات والانطباعات الآنية والحكم التأثري الذوقي الناتج من الانشداد للبيت أو للبيتين أو القصيدة .

ومن ثم يبلغ النقد اللغوي أوجهه ويبرز ذلك واضحاً في القصائد التي عرفت بالحواليات والتي كان زهير أبرز منظميها حيث كان يسمى قصائده بالحواليات ⁽¹⁷⁾ والتي أصبحت ظاهرة أدبية بارزة انتشرت بين عدد من الشعراء أمثال أوس بن حجر والخطيئة وكعب بن زهير ⁽¹⁸⁾. وقد وصف الأصمعي زهيراً والخطيئة وأشباههما بأنهم عبيد الشعر، وعلل ذلك بأنهم لم يذهبوا على عادة المطبوعين، إنما كانوا ينقحون الشعر ويهذبونه ويعيدون ثم يعيدون حتى تخرج القصيدة التي يريدون ⁽¹⁹⁾. ويصف الجاحظ شعراء الحوالب قائلًا: ((ومن الشعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريئاً وزمناً طويلاً، ويردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه فيجعل عقله زمناً على رأيه، ورأيه عياراً على شعره، إشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله تعالى من نعمته. وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوالب، المقلدات، والمنقحات والمحكمات، ليصير قائلها فحلاً خنديذاً وشاعراً مقلداً)) ⁽²⁰⁾.

إن وقوف الشعراء، عند قصائدهم لينقحوها ويعيدوا النظر فيها يدل على الروح النقدية التي كان الشاعر نفسه يمارسها قبل أن ينتقده السامعون وقد ساهمت هذه الروح بجعل النقد يسير متقدماً شيئاً فشيئاً منتقلاً من نقد المفردة إلى نقد ألفاظ القصيدة كلها.

وأما النقد الموسيقي فهو مرحلة متطورة قياساً بالنقد اللغوي القائم على المفردة أو التركيب إذ أن العربي ينتقل من نقد مفردة أو مفردات قصيدة إلى نقد مبني على حاسة السمع وتميز العيوب والأخطاء الصوتية ومن أبرز تلك العيوب هو ما عرف بالإقواء وهو تغير يحدث في القوافي فتكون إحدى القوافي مرفوعة مثلاً، ومن ثم تأتي القافية التي بعدها منصوبة ⁽²¹⁾.

وربما كان من أشنع ما يقع به الشاعر؛ لذا تبارى الشعراء بعدم وقوع الإقواء في شعرهم ومن ذلك قول جندل بن المثنى الطهوي يمدح قوافيه:

لم أقو فيهن ولم أساند ⁽²²⁾

ومن الشعراء الذين لم يسلم شعرهم من الإقواء الحارث بن حلزة اليشكري إذ قال في معلقته:

زعموا أن كل من ضرب العير موال لنا وأنا الولاء

ثم قال:

فملكننا بذاك الناس حتى ملك المنذر بن ماء السماء ⁽²³⁾

فالبيت الثاني جاء مكسور الروي بينما يبين البيت الأول أن القصيدة مضمومة الروي، وهو الذي جعل القصيدة مختلة النسق الموسيقي، فاقدة لقيمتها الفنية إذ خرجت عن الانسجام الواقع بين نهايات الأبيات ⁽²⁴⁾

وقد وقع الإقواء أيضا في شعر النابغة وذلك في قوله:

أمن آل مية رائحٍ أو مغتدي عجلان ذا زادٍ غير مزودٍ
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذلك خبرنا الغراب الأسود⁽²⁵⁾

وفي قوله:

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليدِ
بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد⁽²⁶⁾

فلما قدم المدينة طلبوا من جارية أن تغني ما قاله. فلما قالت: (مزود والاسود، باليد، يعقد) علم بخطئه وقال: قدمت الحجاز وفي شعري ضعة ورحلت عنها وأنا أشعر الناس⁽²⁷⁾.

وايضا وقع الإقواء في شعر بشر بن ابي خازم والذي نبهه أخوه سواده وقاله له إنك تقوي. قال وما الإقواء؟ قال قولك:

ألم تر أن طول الدهر يسلي وينسي مثلما نسيت جذام
وكانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم إلى البلد الشام
قال بشر تبينت خطئي ولست بعائد⁽²⁸⁾

وخلاصة القول

إن النقد أخذ يتطور وينمو شيئا فشيئا منتقلا من مرحلته البدائية التأثرية الى مرحلة أكثر نضوجا حيث ركز في بدايتها على اللغة من حيث الألفاظ والتراكيب ومن ثم إنتقل إلى الصوت والموسيقى وفي هذه المرحلة يلاحظ بداية تشكل التعليل - ولو بشكله الجزئي البسيط - والذي قاد إلى وصول النقد إلى مرحلة مهمة - إن لم تكن هي غايته - بلغ فيها أوجه وهي المرحلة التي أصبح للنقد فيها رجالاته المختصين به والذين يطلقون الأحكام على الشعراء الذين يأتون اليهم ليحكموهم فيما بينهم ويقبلون أحكامهم التي يطلقونها عليهم. وفي هذا الجو نشأت فكرة المفاضلة بين الشعراء والتي يتناولها المبحث الثاني من هذه الدراسة.

المبحث الثاني

المفاضلة النقدية بين الشعراء

التفاضل:

التمازي في الفضل، والتفاضل بين القوم: أن يكون بعضهم أفضل من بعض⁽²⁹⁾ وفكرة المفاضلة من الفكر الرئيسية والأساس في العصر الجاهلي وتشيع في جو يكثر فيه الشعراء وتتقارب مستوياتهم الشعرية⁽³⁰⁾ وحديث المفاضلة قديم وقائم منذ أن لقبت العرب شعراءها بألقاب تشي بحظ الواحد منهم⁽³¹⁾ فمن المفاضلة ما يروى ((من أن ليبدأ سئل من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل، قيل ثم من؟ قال: ابن العشرين يعني طرفة. قيل ثم من؟ قال: أبو عقيل (يعني نفسه)))⁽³²⁾

ومن المفاضلة أيضاً قول الحطيئة عندما سئل من أشعر العرب؟ فقال: الذي يقول:
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
يعني زهيراً، ثم سئل ثم من؟ قال : الذي يقول:

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخب
يعني عبيد بن الأبرص⁽³³⁾

وقد وقعت المفاضلة أيضاً في جواب الحطيئة عندما سئل عن زهير فقال:
((ما رأيت مثله في تكفيه على أكتاف القوافي، وأخذه بأعنتها حيث شاء، من اختلاف معانيها امتداحاً وذمّاً))⁽³⁴⁾.

فنظرة الحطيئة إلى زهير نظرة جزئية لم تتناول الفن الشعري من جوانبه كافة بل اقتصر على تفضيل الشاعر والاعتراف له بقدرته على التصرف في غرضين هما المدح والذم وأغفلت ما عداهما من الأغراض.

ومن المفاضلة أيضاً تفضيل بعض القصائد تعظيماً وتميزاً لها على غيرها كقصيدة سويد بن أبي كاهل التي مطلعها.

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

والتي سميت اليتيمة وعدت من خيرة القصائد⁽³⁵⁾

وأيضاً ما يروى من أن عمر ابن الحارث فضل حسانا على النابغة وعلقمة وأثنى على لاميته التي يقول فيها:

لله در عصابة نادماتهم يوماً بخلق الزمان الأول

أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريض عليهم بردي يصقّ بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

ودعاها البتارة لأنها بترت المدائح (36)

ومن النقد القائم على المفاضلة ما يروى من حكومة أم جندب بين امرئ القيس و علقمة واللذين جعلها حكماً بعد التنازع بينهما في أيهما أشعر من صاحبه؟؛ فطلبت منهما أن يقولاً شعراً يصفان فيه فرسيهما على روي واحد وقافية واحدة.

فقال امرؤ القيس:

خليلي مرّاً بي على أمّ جندب لنقضني لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً طول هذا التجنب

وبعد فراغ كل منهما من قصيدته أطلقت حكمها في تفضيل علقمة على امرئ القيس فقال امرؤ القيس وكيف؟ قالت لأنك قلت:

فلسوط الهوب وللساق درّة وللزجر منه وقع أحوج متعب

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك وتحريك ساقك، وقال علقمة:

فادركهن ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك فرسه ثانياً من عنانه، لم يضربه بسوط ولم يزجره، فقال امرؤ القيس: ما هو بأشعر مني، ولكنك هويته (37)، فطلقها وتزوجها علقمة وبعد ذلك لقب بالفحل. (38)

وعلى الرغم من أن هناك من يشك في صحة نقد أم جندب إلا أنه يحمل في طياته لمحة ورؤية نقدية، عندما طلبت واشترطت وحدة الموضوع والقافية والروي، وفي ذلك يقول الدكتور عبد العزيز عتيق:

((واشترطت أم جندب للحكم أن يكون الموضوع واحداً، والقافية واحدة، ثم إصدار حكمها بعد الموازنة معللاً

قد يُلقى ظلاً من الشك على صحة هذه القصة لقربها من صنيع المتأخرين في النقد والموازنة، وبعدها عن

النقد الجاهلي المبني على الذوق الفطري الخالي من التعليل)) (39)

فهذا الرأي يذهب في جزئه الأول الى التشكيك في صحة الرواية ويرجع ذلك إلى إن تقنياتها تقترب من صنع المتأخرين، أما في جزئه الثاني فهو يذهب الى التعميم ويؤكد أن النقد الجاهلي مبني على الذوق الفطري الخالي من التعليل. وهذا غير صحيح فالنقد المبني على الذوق الفطري مرحلة بدائية من مراحل النقد في العصر الجاهلي ولم تستمر حتى نهاية العصر. بل أخذ النقد يتطور ويجنح نحو التعليل ولعل أكثر الآراء قبولاً في هذه الرواية ما رآه الاستاذ طه أحمد ابراهيم. إذ يرى إن روح العصر نظرية صرف، وأن العقل آنذاك لم يكن يرقى الى الاحتكام بمثل هذه الشروط لذلك يجب إسقاط الشروط التي جاءت أساساً نقدياً في هذه القصة ويقول في ذلك: ((إن الموازنة على شريطة الجمع بين ثلاثة أشياء فكرة تدل على شيء من الدقة لا تتلاءم مع الروح الجاهلية في النقد الأدبي. هذا وإننا نرتاب في أن جاهلياً يدرك الفرق بين الروي والقافية. ونرتاب في أن هذه الألفاظ تستعمل في العصر الجاهلي بمعناها الاصطلاحي))⁽⁴⁰⁾ وقد رفض الشك في هذه الرواية كثيرون منهم الدكتور طه الحاجري، الذي فند حجج المشككين استناداً الى ((أن ما تتضمنه من نقد أشبه بصنيع المتأخرين في النقد والموازنة، ولكني مع ذلك لا أذهب الى حد انكارها جملة أو رفضها رفضاً باتاً مطلقاً، فروح النقد فيها وإن يكن نقداً معللاً روح بسيطة متواضعة بما لا ينبغي أن يثير كبير الشبهة))⁽⁴¹⁾ وكثيراً ما كانت تجري المفاضلة في الأسواق الأدبية⁽⁴²⁾ حيث يلتقي فيها الشعراء والخطباء والبلغاء. وكانت طبيعة النقد آنذاك انطباعية متأثرة فعلى المتلقي الناقد أن يصدر حكمه على العمل الأدبي فور الاستماع اليه. وكان أشهر تلك الأسواق عكاظ إذ كانت تضرب للنابعة قبة حمراء فيه فتأتيه الشعراء وتعرض عليه أشعارها.⁽⁴³⁾

وذات يوم كان أول من أنشده الأعشى قصيدة مطلعها:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي⁽⁴⁴⁾

ثم أنشده حسان بن ثابت قصيدته التي يقول فيها

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي وأسيفنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فقال النابغة: أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيفاك وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك.⁽⁴⁶⁾

وفي هذا المجلس أنشدته الخنساء قصيدتها:

قذى بعينيك أم بالعين عوار أم أقفرت من خلت من أهلها الدار

حتى وصلت الى قولها:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار⁽⁴⁷⁾

فقال النابغة والله لولا أن أبا بصير أنشدني أنفا لقلت : إنك أشعر الجن والإنس⁽⁴⁸⁾

فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك⁽⁴⁹⁾

فقبض النابغة على يديه وقال:

يا بن أخي إنك لا تستطيع أن تقول مثل قلبي:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع⁽⁴⁾

ونقد النابغة لحسان نقد شديد إذ يتناول فيه مسألتين الأولى تخص اللفظ حيث أن حسان لم يجمع الجففات والأسياف جمعاً يدل على الكثرة والعرب تحب المبالغة في مثل هذا الموقف، وأما الثانية فتخص المعنى من جهة الخلق؛ وذلك لأن حسان فخر بأولاده ولم يفخر بوالده والعرب لا تتفخر بالأبناء وإنما تفخر بالآباء والأجداد⁽⁵¹⁾

ومن جميل ما وصلت اليه المفاضلة اختيار القصائد التي ذاعت شهرتها وهي المعروفة بالمعلقات والتي اختلف في عددها وتسميتها. إذ أن المتتبع لكتب الأدب العربي ونقده يجد آراء متباينة حولها؛ فمنهم من يسميها ((السبع الطوال))⁽⁵²⁾ ومنهم من يسميها ((القصائد المشهورات))⁽⁵³⁾ ومنهم من يسميها ((السبع الطوال الجاهليات))⁽⁵⁴⁾ ومنهم من يسميها ((السموط))⁽⁵⁵⁾ ومنهم من يسميها ((السبعيات))⁽⁵⁶⁾ ومنهم من يسميها ((المذهبات))⁽⁵⁷⁾

ولعل المشهور من تلك التسميات تسمية المعلقات لأنها علقت على أستار الكعبة وقد انقسمت وتباينت آراء النقاد حول هذه التسمية بين مؤيد ورافض لها فمثلاً يناقش الدكتور عادل البياتي قضية تعليقها إذ يقول: ((أن هذه القصائد لو كانت معلقة حقاً، ولو كان الناس حقاً مطلعين عليها، وكانوا يعرفون حقاً مواضع تعليقها وأماكنها المحددة في الكعبة لما وجدنا هذا الاختلاف في العدد والاختلاف في تحديد الشعراء))⁽⁵⁸⁾

هذا هو رأي الدكتور البياتي والذي يتلخص في عدم قبوله بفكرة التعليق على جدران الكعبة وهو في الوقت نفسه يرى أن هذه التسمية تأتي من معنى المحبة لأنها كانت محبة وقريبة إلى قلوب الناس فأطلقوا عليها المعلقات.⁽⁵⁹⁾

ومن الذين أنكروا هذه التسمية وتشدد في إنكاره طه احمد ابراهيم. إذ يرى أن لفظ معلقات لم يرد في أمهات كتب الأدب العربي كطبقات الشعراء لابن سلام والشعر والشعراء لابن قتيبة والبيان والتبيين للجاحظ والكمال للمبرد⁽⁶⁰⁾

ومن الذين أيدوا فكرة التعليق الدكتور بدوي طبانة إذ يرى أن التعليق على جدران الأماكن المقدسة ليس بدعاً بل هو أمر عرفته الأمم قديمها وحديثها ومنهم العرب⁽⁶¹⁾

ومن المفاضلة ما يروى من تحاكم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وعبد بن الطبيب والمخبل السعدي إلى ربيعة بن حذار الأسدي⁽⁶²⁾

وبعد سماع شعرهم ((قال للزبرقان: أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيا فينتفع به. وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر يتلأأ فيها البصر، فكما أعيد فيها نقص البصر، وأما أنت يا مخبل فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر))⁽⁶³⁾

وتقود تلك التشبيهات إلى النضج الذي وصل إليه النقد الجاهلي فهو بجانب المفاضلة يعطي تشبيهات يقصد بها إعطاء علة لهذه المفاضلة التي أطلقها بين الشعراء. وأيضاً تدل هذه المفاضلة إلى وصول النقد إلى المنهجية التي تعتمد إعطاء العلل والأسباب في تفضيل شاعر على شاعر آخر ومن هذه الأمثلة يتضح أن النقد أصبح في مرحلة متطورة حيث أصبح له رجالات ومحكمين ترجع إليهم الشعراء في الحكم على أشعارهم.. وقد هيأت هذه الأجواء من وصول النقد إلى قمة أدائه وعناية العرب الفائقة بلغتهم الظروف المثالية لتقبل نزول القرآن الكريم وفهمهم لإعجازه الخالد.

ويبدو أن فكرة الرجوع إلى المحكمين وأهل البلاغة قد توطدت ورسخت جيداً ولذلك فمن غير المستغرب أن يرجع المشركون حين سماعهم القرآن إلى الوليد بن المغيرة والذي قال في القرآن مقولته المشهورة ((إن لقوله الحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة))⁽⁶⁴⁾

وهذا يقودنا إلى تأكيد فكرة المسار التطوري الذي أوصل النقد الأدبي عند العرب من الحالة البدائية أو المعرفة والممارسة الأولية البسيطة إلى مرحلة الحكم المعلل، والذي صاحب وجود المحكمين الذين ذاع صيتهم ورجع الشعراء الكبار إلى رأيهم، وقد هيأ ذلك كله الأرضية المناسبة لتقبل الإعجاز القرآني الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

الهوامش

- 1- ظ دراسات في نقد الأدب العربي، بدوي طبانة: 48-51.
- 2- البيان والتبيين للجاحظ 1/171، وظ جمهرة الأمثال للعسكري: 215.
- 3- ظ البيان والتبيين 1/222.
- 4- كتاب الصناعتين: 440
- 5- ظ. النظرية النقدية عند العرب، د. هند حسين: 33.
- 6- العمدة : 33 والشعر والشعراء ،ابن قتيبة 1/127
- 7- ظ. دراسات في نقد الأدب العربي: 73-75
- 8- ظ. النظرية النقدية: 31
- 9- ظ. دراسات في نقد الأدب العربي: 51
- 10- ظ. تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري: 29
- 11- ظ. المزهر للسيوطي: 209
- 12- ظ. الأغاني: 21/207 والعمدة: 44 والمفضليات: 40 ، وديوان علقمة: 33 و50.
- 13- ظ الصناعتين: 44 ، البيان والتبيين: 1/171، 137
- 14- ظ جمهرة الأمثال: 49
- 15- ظ الموشح، : 77
- 16- ظ. دراسات في نقد الأدب العربي: 72
- 17- ظ. خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادي 1/367-377، وتحرير التعبير: 3/410
- 18- ظ. نقد النص الأدبي وقضايا في العصر الجاهلي للدكتور فضل ناصر مكوع: 214
- 19- ظ فحولة الشعراء: 49، والشعر والشعراء: 1/78
- 20- البيان والتبيين 2/9
- 21- ظ نقد الشعر : 185
- 22- البيان والتبيين: 1/139
- 23- ديوان الحارث بن حلزة، طلال حرب: 38
- 24- ظ رسالة الغفران: 153
- 25- ديوان النابغة، كرم البستاني 38
- 26- م.ن: 40.

- 27- الموشح: 29
- 28- ظ الشعر والشعراء: 207/1
- 29- ظ لسان العرب مادة فضل
- 30- ظ التفكير النقدي عند العرب: 33 ،
- 31- ظ العمدة: 102 - 107
- 32- شرح المعلقات العشر، للشنقيطي: 6
- 33- الشعر والشعراء، 1/ 373 ،البيتان في ديوان زهير: 30 وعبيد بن الأبرص: 26
- 34- دراسات في نقد الأدب العربي: 58.
- 35- ظ المفضليات : 40
- 36- ظ الاغاني: 15/ 153- 154، وديوان حسان بن ثابت شرح وتحقيق سيد حنفي حسين: 122 - 123
- 37- ظ شرح المعلقات العشر: 15
- 38- ظ الموشح: 28-29 ديوان امرئ القيس تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم: 5 وفي ديوان علقمة: 33 وما بعدها.
- 39- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 23
- 40- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري: 27
- 41- في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية: 38
- 42- ظ. تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن يعقوب الكاتب: 1/ 313 - 314
- 43- ظ الموشح: 82
- 44- ديوان الاعشى: 3
- 45- ديوان حسان: 131
- 46- ظ. الاغاني 1/ 8-9
- 47- ديوان الخنساء ٣٧٨
- 48- ظ. الشعر والشعراء: 1/ ٣٤٤.
- 49- ظ. الاغاني: 11/ ٨-٩.
- 50- ديوان النابغة: ٧٨
- 51- ظ. دراسات في نقد الأدب العربي: 67
- 52- ظ معجم الشعراء للمرزباني: 4/ ١٤

- 53- ظ شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس.
- 54- ظ. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات.
- 55- ظ العمدة: 1/ ٩٦
- 56- ظ إعجاز القرآن للباقلاني: ١٥٩
- 57- ظ الشعر والشعراء: 1/ 252 والعمدة: 1/ ٩٦
- 58- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام: ٨٤
- 59- ظ م.ن: ٨٣
- 60- ظ. تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٨
- 61- ظ. معلقات العرب دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي: ٥٣
- 62- ظ الشعر والنقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي: ٦٧.
- 63- الموشح: ١٠٧-١٠٨
- 64- السيرة النبوية، ابن هشام: 1/ ٢٧٠ والسيرة النبوية ، عبد الوهاب النجار ١٤٠-١٤١

مصادر البحث ومراجعة

- إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني شرحه وكتب هوامشه الأستاذ سمير جابر، الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م وطبعة دار الكتب المصرية.
- البيان والتبيان للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، الدكتور عادل البياتي وآخرون دار الفكر، دمشق سوريا.
- تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري الطبعة الثانية.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم دار القلم بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب تقديم وتعليق محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ١٩٦٤م.
- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الاسلامي القاهرة ١٣٨٣هـ.
- التفكير النقدي عند العرب، الدكتور عيسى العاكوب دار الفكر دمشق سوريا الطبعة السادسة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- جمهرة الامثال، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ضبطه وكتب هوامشه د. أحمد عبد السلام وخرج أحاديثه أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور محمد نبيل طريفي، إشراف الدكتور إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- دراسات في نقد الأدب العربي للدكتور بدوي طبانة، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ديوان الأعشى تحقيق الدكتور محمد حسين مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ديوان الحارث بن حلزة اليشكري إعداد وتقديم طلال حرب، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- ديوان الخنساء بشرح ثعلب تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم الأردن عمان دار عمار، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- ديوان النابغة الجعدي جمعه وحققه وشرحه الدكتور واضح عبد الصمد، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ديوان إمرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
- ديوان حسان بن ثابت تحقيق سيد حنفي حسين، مراجعة حسن كامل الصريفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ديوان زهير صنعه الدكتور محمد شفيق البيطار، دار صادر بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- ديوان عبيد بن الأبرص تحقيق كرم البستاني دار بيروت للطباعة والنشر.
- ديوان علقمة بن عبدة التميمي، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٧٥.
- رسالة الغفران، ابو العلاء المعري شرح وتحقيق الدكتور علي شلق، دار القلم بيروت لبنان..
- السيرة النبوية، ابن هشام حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي دار الفكر.

- السيرة النبوية ،الشيخ عبد الوهاب النجار خرج آياته ووضع حواشيه زكريا عميران دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- شرح القائد السبع الطوال الجاهليات ،ابن الأنباري دار المعارف مصر ١٩٦٣م.
- شرح القصائد التسع المشهورات ،ابن النحاس تحقيق أحمد خطاب عمر، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٣م.
- شرح المعلقات العشر ،الشيخ أحمد الأمين الشنقيطي حققه وأتم شرحه فاتن محمد خليل اللبون دار إحياء التراث العربي بيروت.
- الشعر والشعراء ،ابن قتيبة تحقيق احمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي، الدكتور عبد اللطيف محمد الحديدي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- العمدة في نقد الشعر وتمحيصه ،ابن رشيق القيرواني شرح د. عفيف حاطوم، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى...
- فحولة الشعراء ،عبد الملك بن قريب الأصمعي تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، الطبعة الميرية بالأزهر، مصر الطبعة الأولى ١٩٥٣م.
- في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ،الدكتور طه الحاجري، مطبعة رؤيال الأسكندرية ١٩٥٣م.
- كتاب الصناعتين ،ابو هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- لسان العرب ،ابن منظور دار صادر، بيروت.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي، شرح محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد، دار إحياء الكتب العربية الطبعة الثانية.
- معجم الشعراء للمرزباني تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٩٦٠م.
- معلقات العرب دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي للدكتور بدوي طبانة، دار الثقافة بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤م.
- المفضليات للمفضل الضبي تحقيق الدكتور قصي الحسين دار وكتبة الهلال، بيروت الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م.

- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- النظرية النقدية عند العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع الهجري الدكتور هند حسين، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨١م.
- نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر الطبعة الأولى د. ت.
- نقد النص الأدبي وقضاياها في العصر الجاهلي للدكتور فضل ناصر مكوع دار رسلان دمشق - سوريا - الطبعة الأولى - ٢٠١٠م.

شعر الطبيعة في شعر نازك الملائكة

م.م. غفران محمد عباس

المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الاشرف

gufranmoh1994@gmail.com

Nature Poetry in the Poetry of Nazik al-Mala'ika

Assistant Lecturer. Ghufran Muhammad Abbas

General Directorate of Education in Najaf Governorate

المخلص

يسعى هذا البحث إلى دراسة تجليات الطبيعة في شعر نازك الملائكة، والكشف عن وظائفها الفنية والفكرية والنفسية في تشكيل تجربتها الشعرية. وينطلق من فرضية أن الطبيعة لم تكن لدى نازك مجرد إطار جمالي أو وصف خارجي، وإنما أصبحت لغةً رمزيةً تعكس رؤيتها للوجود والإنسان، وتجسد مشاعر القلق والوحدة والاغتراب والأمل.

ويبين البحث أن تجربة نازك شهدت تحولاً واضحاً من الرؤية الرومانسية التي اتخذت من الطبيعة ملاذاً روحياً، إلى رؤية وجودية جعلت عناصرها الطبيعية أدوات للتعبير عن الأسئلة الكبرى المتعلقة بالحياة والموت والمصير الإنساني. فقد تحولت رموز مثل المطر والليل والبحر والظلام والريح إلى علامات دلالية متعددة الأبعاد، تحمل مضامين نفسية وفلسفية تتجاوز معناها الحسي المباشر.

كما يتناول البحث أثر الطبيعة في بناء القصيدة الحديثة لدى نازك الملائكة، من خلال دورها في تشكيل الصورة الشعرية، وصياغة الاستعارة، وتعميق الإيقاع الداخلي، بما ينسجم مع خصائص الشعر الحر الذي كانت من أبرز رواده.

ويخلص البحث إلى أن الطبيعة في شعر نازك الملائكة تمثل عالماً رمزياً متكاملًا، اندمجت فيه العناصر الطبيعية مع التجربة الإنسانية والفلسفية للشاعرة، فغدت جزءاً أساسياً من بنيتها الإبداعية، وأسهمت في إغناء الشعر العربي الحديث برؤية تجمع بين الحس الجمالي وعمق التأمل الفكري، الأمر الذي منح تجربتها خصوصية متميزة وجعلها إحدى أبرز التجارب الشعرية في الحداثة العربية.

الكلمات المفتاحية (شعر الطبيعة ، نازك الملائكة)

Abstract

This research aims to study the manifestations of nature in the poetry of Nazik al-Mala'ika, revealing its artistic, intellectual, and psychological functions in shaping her poetic experience. It begins with the premise that nature for Nazik was not merely an aesthetic framework or external description, but rather a symbolic language reflecting her vision of existence and humanity, and embodying feelings of anxiety, loneliness, alienation, and hope.

The research demonstrates that Nazik's experience underwent a clear transformation from a romantic vision that took nature as a spiritual refuge, to an existential vision that made its natural elements tools for expressing profound questions about life, death, and human destiny. Symbols such as rain, night, sea, darkness, and wind became multi-dimensional signifiers, carrying psychological and philosophical meanings that transcend their direct sensory sense. The research also examines the influence of nature on the construction of modern poetry in Nazik al-Mala'ika's work, through its role in shaping poetic imagery, crafting metaphors, and deepening internal rhythm, in accordance with the characteristics of free verse.

The research concludes that nature in Nazik al-Mala'ika's poetry represents a complete symbolic world, in which natural elements merge with the poet's human and philosophical experience, becoming an essential part of her creative structure. This contributed to enriching modern Arabic poetry with a vision that combines aesthetic sensibility with profound intellectual contemplation, thus giving her experience a distinctive character and making it one of the most prominent poetic experiences in Arab modernism.

Keywords (nature poetry, Nazik Al-Malaika)

مقدمة:

تشكل الطبيعة ركيزة أساسية في الشعر العربي الحديث، وقد تجلت بشكل لافت في تجربة الشاعرة الرائدة نازك الملائكة، التي لم تكن الطبيعة في شعرها مجرد خلفية جمالية أو مشاهد تتزين بها القصيدة، بل كانت رافداً من روافد الرؤيا الفنية والفلسفية، ووسيلة للتعبير عن الهم الإنساني والوجودي. يأتي هذا البحث ليكشف عن ملامح تصوير الطبيعة في شعر نازك الملائكة، ومدى تفاعلها مع المحيط الطبيعي، وكيفية توظيفها له لخدمة أبعاد فنية وفكرية ونفسية متعددة.

لا يقتصر حضور الطبيعة في الشعر العربي الحديث على كونه مجرد مشهد زخرفي أو خلفية جمالية تُستدعى للتزيين، بل تحوّل إلى فضاء رمزيّ خصبٍ تُطرح فيه هموم الذات الإنسانية وأسئلتها الوجودية. وفي هذا السياق، يبرز شعر نازك الملائكة (1923-2007) ليس مجرد امتداد لتقليد رومانسي، بل بوصفه نموذجاً متميزاً يجسّد التحوّل الجذري في العلاقة بين الشاعر والعالم الطبيعي.

لم تكن نازك الملائكة مجرد شاعرة تنتقل بين الأزهار والأنجم والأمطار، بل كانت فيلسوفةً تبحث في طبيعة الوجود من خلال مرايا الطبيعة. فجاءت قصائدها عناصر الطبيعة فيها—من مطرٍ وظلامٍ ونسيمٍ وأمواج—هي رموزٌ حيةٌ تنبض بالقلق والتساؤل، وتعكس حالة الانزياح والتحوّل التي عاشتها الذات العربية في منتصف القرن العشرين، بين تراثٍ مقلٍ وحدائثٍ وافدة.

انطلقت نازك من رحم المدرسة الرومانسية، حيث الطبيعة ملاذاً من آلام الواقع، لكنها سرعان ما تفاعلت مع رياح التحديث التي حملتها "حركة الشعر الحر" التي كانت هي من روادها. فلم تعد الطبيعة لديها مشهداً سلبيّاً للتأمل، بل أصبحت فاعلاً مشاركاً في بناء الدراما النفسية للقصيدة. المطر لم يعد مجرد علامة على الخصب والحياة، بل قد يكون دماً أو دموعاً أو إحساساً بالغرق الوجودي. والظلام لم يعد غياباً للضوء فحسب، بل هو حجابٌ على مصير مجهول، أو تعبير عن وحشة الروح في عالم فقدت فيه البوصلة.

من خلال هذه الرؤية، لم تكن نازك تكتسّر "الهروب إلى الطبيعة" بالمعنى الكلاسيكي، بل كانت "تهرب بالطبيعة" إلى عوالمها الداخلية، محوّلة إياها إلى لغة ثانية تعبر عما تعجز الكلمات المباشرة عن إبلاغه. لقد وظّفت العناصر الطبيعية لبناء استعارات كبرى عن الموت والحب والخلق والفناء، مما جعل قصيدتها تشبه لوحة تعبيرية، تذوب فيها ملامح العالم الخارجي في دهايز النفس البشرية.

لذا، فإن دراسة شعر الطبيعة عند نازك الملائكة ليست ترفاً نقدياً، بل هي مدخل أساسي لفهم أحد أهم التحولات في الشعر العربي المعاصر. إنها دراسة لكيفية تحول الغصن والوردة والنهر إلى كائنات تحاور القلق الإنساني، وتشارك في تشكيل رؤية شعرية وفلسفية، جعلت من نازك الملائكة ليس مجرد "شاعرة العذوبة والجمال"، بل شاعرة السؤال والقلق الوجودي في قلب الحداثة الشعرية.

من المتوقع أن يخلص البحث إلى أن الطبيعة في شعر نازك الملائكة تشكل عالماً موازياً لعالمها الداخلي، تحولت فيه عناصر الطبيعة إلى رموز تعبر عن أعماق مشاعرها من وحدة وقهر وتمرد، كما تجسد تطور رؤيتها الفلسفية للحياة والموت والإنسان، مما يجعل شعر الطبيعة لديها جزءاً لا يتجزأ من بنية تجربتها الإبداعية الشاملة.

التحول من الرومانسية إلى الوجودية: كيف تطورت رؤية نازك للطبيعة.

تحليل الرموز الطبيعية: المطر، الظلام، البحر، الليل... إلخ.

الطبيعة ولغة القصيدة الحديثة: كيف ساهمت الطبيعة في بناء الاستعارة والإيقاع الداخلي.

مقارنة موجزة مع رواد آخرين (مثل بدر شاكر السياب) لإبراز خصوصية رؤيتها.

أهمية البحث:

1. ندرة الدراسات التي تناولت شعر الطبيعة عند نازك الملائكة بشكل مستقل وموسع.
 2. مكانة نازك الملائكة كأحد أبرز رواد الشعر العربي الحديث (شعر التفعيلة)، مما يجعل دراسة جانب من جوانب إبداعها ذات قيمة نقدية.
 3. الكشف عن البعد الفلسفي والجمالي في علاقة الشاعرة بالطبيعة، والذي يتجاوز الوصف التقليدي.
 4. بيان كيفية توظيف الطبيعة للتعبير عن القضايا الذاتية والاجتماعية في مراحل حياتها المختلفة.
- أهداف البحث:**

1. تحديد الملامح الرئيسية لصورة الطبيعة في شعر نازك الملائكة.
2. تحليل الرموز والدلالات التي تحملها عناصر الطبيعة في نصوصها الشعرية.
3. تتبع تطور رؤية الشاعرة للطبيعة عبر مراحل تجربتها الشعرية (الرومانسية، الواقعية، المرحلة الفلسفية).
4. الكشف عن العلاقة الجدلية بين الذات الشاعرة والعالم الطبيعي، وكيفية انعكاس حالاتها النفسية على تصويرها للمشاهد الطبيعية.

5. بيان الخصائص الفنية والأسلوبية التي تميز بها شعر الطبيعة لديها.

الفصل الأول: الإطار النظري

المبحث الأول - مفهوم الطبيعة في الشعر العربي (نبذة تاريخية موجزة)

شكّلت الطبيعة منذ أقدم النصوص الشعرية العربية الإطار الحاضن لوجدان الشاعر العربي، ومخزونه الرمزي والتشبيهي. غير أن مفهوم "الطبيعة" وطريقة تناولها لم يكونا ثابتين، بل شهدا تحولاً جذرياً على مر العصور، من كونها محيطاً حيوياً يصفه الشاعر ببراعة إلى أن أصبحت ذروة التعبير عن الذات وأزماتها الوجودية. ويمكن تتبع هذا التطور من خلال المحطات الرئيسية التالية:

1. في الشعر الجاهلي: الطبيعة بوصفها مسرحاً للحياة ومرآة للقيم

لم تكن الطبيعة في الشعر الجاهلي غاية في ذاتها، بل كانت خلفية واقعية ومسرحاً للأحداث والوقائع. كان الشاعر يصف الطبيعة بدقة كجزء من وصفه لحياته اليومية وقيم مجتمعه: الوظيفة الوصفية: وصف المطر والبرق والسحاب والحيوان والنبات (كما في وقوف الناقة في المطلع الطللي) كان يهدف إلى تصوير بيئة الشاعر القاسية والجميلة في آن واحد، وإظهار براعته في الملاحظة والتشبيه.¹

الوظيفة الرمزية: استخدمت عناصر الطبيعة كرموز للإيحاء بالقيم السائدة. فالصحراء رمز الصبر والجلد، والسماء رمز السمو، والماء رمز العطاء والحياة.

الغرضية: كان وصف الطبيعة مُدمجاً في أغراض القصيدة الرئيسية (الفخر، المدح، الرثاء). فالشاعر لا يقف لوصف الطبيعة لذاتها، بل ليستدعي من خلالها حياة البطولة والفروسية أو ليصور مشاعر الحنين والأسى.

2. في الشعر الأموي والعباسي: من الوصف الموضوعي إلى التأنيق الفني

العصر الأموي: ازدهر شعر التخلّص، حيث أصبح وصف الطبيعة (كالصيد والبرك والبساتين) غرضاً شبه مستقل، يعكس حياة الترف واللهو في الحواضر الجديدة مثل دمشق.

¹ طاعة شاذل فاضل، نازك الملائكة. حياتها وشعرها ص44. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 2، 1986.

العصر العباسي: بلغ وصف الطبيعة ذروته الفنية مع شعراء مثل أبي نواس (في الخمریات ووصف الرياض والأنهار) وابن الرومي (بوصفه الدقيق والموسوعي). هنا، تحولت الطبيعة إلى مادة للتفنن البلاغي والإبداع المجازي، وأصبح الهدف إثارة الدهشة والإعجاب أكثر من كونه تعبيراً عن تجربة ذاتية عميقة.¹

3. في العصر الحديث: الطبيعة بوصفها منفى ذاتياً وكوناً رمزياً

مع الاحتكاك بالغرب وانزياح البنى الاجتماعية، حدث التحول الأكبر:

مدرسة الديوان (العقاد والمازني): أصبحت الطبيعة مرآة للنفس الإنسانية ومصدراً للتأمل الفلسفي في أسرار الحياة والموت.

الرومانسية (أبو القاسم الشابي، إيليا أبو ماضي): مثلت الذروة في تغير المفهوم. لم تعد الطبيعة مجرد منظر، بل أصبحت منفى للشاعر من واقع مرير، وملأها للجمال والحلم والحقيقة. تحولت إلى كائن حي يتفاعل مع الشاعر، يشاركه ألمه وأمله. أصبحت الوردة تعبر عن الجمال الزائل، والليل عن الوحدة والغموض، والبحر عن العظمة والأزل.

شعر التفعيلة (السياب، نازك، أدونيس): اكتملت عملية "تذويت الطبيعة"، فتحوّلت إلى كون رمزي ضخم. لم تعد الطبيعة ملاذاً، بل أصبحت شريكاً في الأزمة الوجودية للإنسان الحديث. فالمطر عند السياب ليس جميلاً، بل هو "دم" و"دموع"، والصحراء عند أدونيس ليست فضاءً للحنين بل هي مساحة للنتية والبحث عن هوية.²

يُظهر هذا المسار التاريخي الموجز كيف انتقلت الطبيعة في الشعر العربي من كونها محيطاً خارجياً يُوصف بدقة واقعية، إلى أن أصبحت عالمها الداخلي الذي تُستعار ألفاظه للتعبير عن أعمق حالات الذات وأكثرها تعقيداً. هذا التطور هو ما يمهد لفهم الثورة التي أحدثتها نازك الملائكة ومعاصروها، حيث حوّلوا الطبيعة من موضوع للتأمل إلى لغة الشعر ذاتها.

المبحث الثاني: نازك الملائكة: النشأة والتكوين والمنجز النقدي والشعري

1- نازك الملائكة، سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى ص 66. دار الآداب، بيروت، ط 3، 1993.

2- طاعة شاذل فاضل. نازك الملائكة. حياتها وشعرها ص 15-16. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 2، 1986

تُعد نازك صادق الملائكة (1923-2007) أحد أبرز الأسماء المؤسسة للمشهد الشعري والنقدي الحديث في العالم العربي. لم تكن شاعرة مجددة فحسب، بل كانت ناقدة ومفكرة وضعت الأسس النظرية للتجديد الذي قادتته مع رفاقها في "حركة الشعر الحر".

أولاً: النشأة والتكوين

نشأت نازك في بيئة بغدادية مثقفة، حيث كان والدها صادق الملائكة مهتماً بالأدب، ووالدتها سلمى عبد الرزاق كاتبة وشاعرة معروفة. هذه البيئة المحفزة غدّت موهبتها المبكرة، فقد بدأت كتابة الشعر في سن العاشرة.¹

حصلت على شهادة البكالوريوس في الأدب العربي من دار المعلمين العالية في بغداد عام 1944، ثم سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث حصلت على الماجستير في الأدب المقارن من جامعة ويسكونسن-ماديسون عام 1954. ثم نالت الدكتوراه في الأدب المقارن من نفس الجامعة عام 1959 هذا التكوين الأكاديمي الغربي، إلى جانب إلمامها العميق بالتراث العربي، منحها أدوات نقدية وفكرية مكّنتها من تحليل حركة الشعر الجديد وتحويلها من مجرد ممارسة إبداعية إلى ظاهرة نقدية مدروسة.²

ثانياً: المنجز النقدي:

كان لنازك دور محوري في تأطير حركة الشعر الحر نظرياً، من خلال كتابها النقدي المؤسس: قضايا الشعر المعاصر (1962): يُعد هذا الكتاب البيان النقدي الأهم للشعر الحر، حيث دافعت فيه عن شرعية هذا الشعر الجديد في مواجهة النقاد التقليديين. وقد حددت فيه مفاهيم أساسية مثل:

التحرر من عمود الشعر: الدعوة إلى التحرر من نظام الشطرين والقافية الموحدة.

الاكتفاء بالفعيلة: التأكيد على أن الفعيلة هي الوحدة الموسيقية للشعر الحر.³

الوحدة العضوية: ضرورة أن تكون القصيدة كائناً حياً متماسكاً من داخله

¹ نازك الملائكة، عاشقة الليل. ص 33-34 مطبعة المعارف، بغداد، 1947.

² نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر. دار العلم للملايين، بيروت ص 35، ط 7، 1983.

³ محمد جنداري، نازك الملائكة: دراسة في أدبها. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. ط 4، ص 89-112)، 1999.

كما أنها خاضت في هذا الكتاب في مسألة "الانزياح" واللغة الشعرية الجديدة، معارضة فكرة أن الشعر الجديد هو مجرد نثر موزون¹

ثالثاً: المنجز الشعري

يمثل إنتاج نازك الشعرية سجلاً حياً لتطور تجربتها الذاتية والفنية، ويمكن تقسيمه إلى مرحلتين رئيسيتين: 1. المرحلة الرومانسية (مرحلة البدايات): وتمثلها مجموعتها الأولى:

- عاشقة الليل (1947): وهي مجموعة تقليدية إلى حد كبير، تهيمن عليها النزعة الرومانسية والغنائية، وتغلب عليها قصائد العمودي.²

2. مرحلة التجديد وولادة الشعر الحر: وهي المرحلة التي خلدت اسمها في تاريخ الأدب العربي، وتمثلها المجموعات التالية:

- شظايا ورماد (1949): وهي المجموعة التي تضم قصيدة "الكوليرا" التي تعد، حسب رأيها ورأي الكثير من النقاد، باكورة الشعر الحر عام 1947. وقد مثلت هذه القصيدة ثورة على مستوى الشكل (تفعيلة واحدة مع تعدد التفاعيل) والمضمون (التعبير عن مأساة جماعية).³

- قرارة الموجة (1957): حيث تتعمق تجربتها في استخدام الرمز وتوظيف الطبيعة والموروث الأسطوري للتعبير عن القلق الوجودي.

- شجرة القمر (1968): وتمثل نضوجاً أكبر لتجربتها، مع مزج بين الهم الفردي والهم الإنساني العام. - ويغير ألوانه البحر (1970): وتعد من أعظم مجموعاتها، حيث تبلغ فيها اللغة الشعرية درجة عالية من الكثافة والتركيز، وتعبّر عن رؤية فلسفية عميقة للحياة والموت.⁴

المبحث الثالث: الطبيعة في الفكر الرومانسي وأثرها على الشعر العربي الحديث.

¹ نازك الملائكة، شظايا ورماد. دار العودة، بيروت، ص 203 ط 2، 1971.

² نازك الملائكة، قرارة الموجة. منشورات دار الآداب، بيروت، ص 44 ط 2، 1957.

³ نازك الملائكة، شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص 77 ط 1، 1968.

⁴ نازك الملائكة، ويغير ألوانه البحر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص 99 ط 2، 1970.

يُمثل تيار الرومانسية في الأدب نقطة تحول جوهرية في العلاقة بين الشاعر والطبيعة، حيث لم تعد الأخيرة مجرد منظر خارجي يُوصف، بل تحولت إلى كائن حي ينبض بالمشاعر والمعاني، وأصبحت وسيلة للتعبير عن أعماق الذات وأسرار الوجود. وقد كان لهذا الفكر تأثيره البالغ على الشعر العربي الحديث في منتصف القرن العشرين.

أولاً: الطبيعة في الفكر الرومانسي (الأصول الغربية)

انبثقت الرومانسية في أوروبا كرد فعل على المادية والعقلانية الصارمة التي سادت عصر التنوير، وكمحاوله للعودة إلى الطبيعة بوصفها مصدراً للإلهام والحقيقة المطلقة. ويمكن إجمال ملامح رؤية الرومانسية للطبيعة في الآتي:

1. الطبيعة بوصفها ملاذاً: مثلت الطبيعة الملجأ الأملل للشاعر الرومانسي هرباً من واقع مدني قاسٍ، قائم على الآلة والتنافس المادي. ففي أحضانها يجد الشاعر السلام والصفاء الذي فقده في المجتمع.¹
2. الطبيعة بوصفها معلماً أخلاقياً وروحانياً: آمن الرومانسيون بأن الطبيعة هي مرآة الله على الأرض، ومن خلال التأمل في جلالها وجمالها يمكن للإنسان أن يتصل بالقوة الإلهية العليا ويتعلم الفضائل.²
3. الذاتية والعاطفية: أصبحت الطبيعة مسرحاً لانفعالات الشاعر الذاتية. فالأمطار تعبر عن حزنه، والعواصف عن ثورته، والسهول الهادئة عن سلامه الداخلي. أي أن الطبيعة "تذوّت" وتصبح تعبيراً عن حالة الشاعر النفسية.³

4. الطبيعة والخلق الشعري: أصبحت الطبيعة مصدر الإبداع الحقيقي، حيث يرى الرومانسي أن الشاعر يستمد إلهامه من الاتصال المباشر بالطبيعة، لا من الكتب والقواعد القديمة.

ثانياً: أثر الفكر الرومانسي على الشعر العربي الحديث

¹ -حسين محمد الغزالي. الرومانسية في الأدب العربي الحديث. دار المعرفة، بيروت، ص88، ط3
² - جودة عبد الرحمن عاطف، الاتجاهات الرومانسية في الشعر العربي المعاصر. دار النهضة العربية، ص 145، بيروت، 1985.

³ - عبد العزيز سلامة، الطبيعة في الشعر الرومانسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص. 1992.73

وصلت أفكار الرومانسية إلى الأدب العربي عبر عدة قنوات كالترجمة والاطلاع المباشر على الآداب الغربية، وتزامن انتشارها مع فترة ما بين الحربين العالميتين، حيث سادت مشاعر الإحباط والقلق في الوطن العربي. وقد تجلى هذا التأثير في عدة مظاهر:

1. تحول وظيفة الطبيعة: انتقلت الطبيعة من كونها خلفية وصفية (كما في الشعر الجاهلي والعباسي) إلى كونها شخصية رئيسية في القصيدة، تشارك الشاعر أحاسيسه وتتفاعل بها.¹
2. الطبيعة والهروب من الواقع: لجأ شعراء مثل إيليا أبو ماضي في "الطلاس" وأبو القاسم الشابي إلى الطبيعة هرباً من واقع الاستعمار والتخلف والاستبداد. ففي قصيدته "إرادة الحياة"، تتحول الطبيعة إلى حليف للشعب في نضاله من أجل الحرية.²
3. الذاتية والوجدانية: عبر الشعراء عن مشاعرهم الشخصية من حب وكآبة ووحدة من خلال حوار مباشر مع عناصر الطبيعة. فنجد عمر أبو ريشة يخاطب الورد والنجوم، وعلي محمود طه يتغنى بالطبيعة كمنبع للجمال.³
4. الرمزية الطبيعة: استخدم الشعراء عناصر الطبيعة كرموز للإحياء بحالات نفسية وفكرية. فأصبح "الليل" رمزاً للغموض والموت، و"الفجر" رمزاً للأمل والبعث، و"البحر" رمزاً للعظمة والأزل، و"الزهرة" رمزاً للجمال الزائل.⁴
5. تأسيس "الرابعة القلمية" و"العصبة الأندلسية": مثلت هذه الجماعات الأدبية في المهجر الأمريكي والشام أرضاً خصبة لانتشار الرومانسية، حيث عبر جبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمة عن فلسفة في الحياة تقوم على التصوف والاتحاد بالطبيعة الكونية. يقول جبران: "أيها الطير المغرد، علمني كيف أتحّد بالفضاء".⁵

¹- حسين طه، حديث الأربعاء. دار المعارف، القاهرة، ص 221، ج 2، ط 5، 1968.

²- أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، دار الكتب الشرقية، ص 110، تونس، 1981.

³- ميخائيل نعيمة. الغرّال. دار نوفل، بيروت، ص 62، ط 20، 2008.

⁴- خالدة سعيد. حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ص 158، ط 2، 1981.

⁵- جبران خليل جبران. المجنون. منشورات النهار، بيروت، ص 41، 2002.

يمكن القول إن تبني الفكر الرومانسي من قبل الشعراء العرب المحدثين مثل نازك الملائكة في بداياتها كان نقلة نوعية حررت القصيدة العربية من قيود الوصف الخارجي والغرضية التقليدية، وفتحت الباب على مصراعيه لدخول الذات المفكرة والشاعرة بكل أسرارها وأحزانها. لقد مهدت الرومانسية الطريق لولادة الشعر الحر، حيث ورث عنها اعتمادها على الرمز المستمد من الطبيعة، وتعميق النبرة الوجدانية، وجعل العالم الخارجي مرآة صادقة للعالم الداخلي للإنسان.

الفصل الثاني: تجليات الطبيعة ورموزها في شعر نازك الملائكة

المبحث الأول: تجليات الطبيعة ورموزها في شعر نازك الملائكة

لا تظهر الطبيعة في شعر نازك الملائكة كإطار جمالي زخرفي، بل تتحول إلى *نسيج استعاري مكثف* تعبر من خلاله عن رؤيتها الفلسفية والوجودية. لقد استثمرت نازك عناصر الطبيعة استثماراً عميقاً، محولة إياها إلى رموز حية تنبض بقلق الإنسان الحديث وتطلعاته. ويمكن تتبع أبرز هذه التجليات والرموز على النحو التالي:

1. المطر: بين العطاء والغرق الوجودي

يُعد المطر من أكثر الرموز الطبيعة تكراراً وإيحاءً في شعر نازك، حيث يحمل دلالات متناقضة تعكس ثنائية الحياة والموت:

رمز التطهير والألم: فالمطر ليس ماءً منعشاً، بل هو غالباً "دم" و"دموع". في قصيدة "غريقاً"، تقول: وأمطارنا في كلِّ حيِّ دماءٍ

هنا يتحول المطر إلى دليل على المعاناة والجرح الجماعي، فهو يغسل الأرض لكن بدماء الضحايا.¹

١- نازك الملائكة. شظايا ورماد. دار العودة، بيروت، ص 77 ط 2، 1971.

رمز الغرق والضياح: في العديد من قصائدها، يصبح المطر وسيلة للغرق الوجودي وليس للخصب. إنه يعبر عن الإحساس بالتبعية والضياح في عالم متسارع، كما في قصيدة "أنشودة المطر" حيث يصبح المطر قوة طاغية تُشعر الفرد بالعجز.¹

2. الظلام والليل: عالم القلق واللايقين

يمثل الليل والظلام في شعر نازك الحالة النفسية السائدة لديها، وهو ليس ظلاماً طبيعياً بل وجودياً: رمز الوحدة والاغتراب: فالليل هو رفيق الشاعرة في لحظات تأملها وأسائها، وهو يعكس وحشة الروح في مدينة كبيرة تفتقر إلى الدفء الإنساني.

رمز الغموض المصيري: الظلام هو الحجاب الذي يحجب المستقبل والمصير. في قصيدة "الكوليرا"، يصبح الليل الإطار الذي تنتشر فيه الكارثة، مما يضيف على القصيدة جواً من الرعب والترقب اللامحدود.²

3. البحر والماء: رمز الوجود والعدم

يظهر البحر في شعر نازك بوجهين متضادين، مما يعكس رؤيتها للوجود:

رمز الحياة والخلود: البحر بلا بداية ولا نهاية، مما يجعله رمزاً للزمن المطلق والأزل.

رمز الفناء والموت: في الوقت نفسه، يمثل البحر القوة الماحقة التي تبتلع كل شيء. في قصيدة "ويغير ألوانه البحر"، يصبح البحر رمزاً للضرورة الدائمة والتحول المستمر، الذي لا يرحم ولا يثبت على حال.³

4. الأزهار والورود: الجمال الموشوم بالألم

تختلف نازك في تعاملها مع الزهرة عن الرومانسيين التقليديين:

رمز الجمال المهدهد: الوردة عندها ليست مجرد مثال للجمال الساكن، بل هي جمال هش وعابر، "موشوم بالألم". إنها تذكر بالزوال والضعف الإنساني.

¹ - نازك الملائكة، قرارة الموجة. منشورات دار الآداب، بيروت ط2، ص 114، 1957.

² - نازك الملائكة، سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى. دار الآداب، بيروت، ط 3، ص 56، 1993.

³ - نازك الملائكة، ويغير ألوانه البحر. منشورات دار الآداب، بيروت، ط4، ص 25. 1970.

نموذج للمعاناة الصامتة: في بعض نصوصها، تكون الزهرة كائناً يعاني ويشعر، مما يعمق الإحساس بالتعاطف مع كل مخلوق في هذا العالم.¹

5. الريح والنسيم: رسائل الشتات والضياع

تستخدم نازك الريح والنسيم كرموز للقدر والقوة الخفية التي تتحكم بمصير الإنسان: قوة خارجية مسلطة: الريح هي التي "تعصف" بالأحلام والأوراق، وهي التي "تحمل" الأصوات والهمسات إلى غير وجهة محددة، مما يعبر عن إحساس بعدم السيطرة على المصير.

ناقل للأحزان: النسيم لا ينعش، بل ينقل همس الأحبة البعيدين أو يصبح ناقلاً للبرد والوحشة.² من خلال هذا التحليل، يتجلى لنا أن نازك الملائكة قد استخدمت الطبيعة كلغة ثانية. لم تكن تهرب إلى الطبيعة بحثاً عن سلوى، بل كانت تهرب بها للتعبير عن أعماق إحباطاتها وأسئلتها. لقد حوّلت العناصر الطبيعية إلى كائنات درامية تشارك في تشكيل عالم القصيدة المأساوي أحياناً والمليء بالتساؤلات الوجودية دائماً. هذا التوظيف الرمزي العميق هو ما يجعل طبيعتها مختلفة جوهرياً عن طبيعة الرومانسيين، وأكثر التصاقاً بإحساس الإنسان المعاصر بالقلق والاغتراب وسط عالم متحول.

الطبيعة الصامتة: (الليل، القمر، النجوم، الصحراء) ودلالاتها في شعر نازك الملائكة تمثل عناصر الطبيعة الصامتة في شعر نازك الملائكة عالماً موازياً للذات الشاعرة، حيث تتحول هذه العناصر من كائنات جامدة إلى كيانات ناطقة بالقلق والوحدة والتساؤل الوجودي. وقد وظفتها نازك لتكون مرآة تعكس أعماق حالات النفس الإنسانية في مواجهة العالم والصمت الكوني.

1. الليل: فضاء الوحشة والقلق الوجودي

يمثل الليل في شعر نازك الملائكة الحالة النفسية المركزية لديها، فهو ليس مجرد غياب للنهار، بل هو كيان ضاغط ومحقق:

¹ نازك الملائكة، شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ط5، ص. 1968.93

² خالدة سعيد، حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ص. 148. ط 2، 1981.

رمز الوحدة والاغتراب: يكون الليل هو اللحظة التي تتصاعد فيها همسات الذات وتواجه نفسها بكل عزلتها. في قصيدة "الليل" تقول:
والليل يسألني.. من أنا؟

هنا يتحول الليل من ظلام سلبي إلى محقق وجودي، يسائل الشاعرة عن هويتها ومكانها في هذا العالم الواسع.¹

إطار للكارثة والموت: في قصيدتها الشهيرة "الكوليرا"، يصبح الليل الإطار الزمني الذي تنتشر فيه الوفاة، مما يضيف على الكارثة طابعاً روحياً من الرعب والالتهاب. فالليل هو سيد الموقف، والصمت الذي يخيم يحمل في طياته أنين الضحايا.²

2. القمر: شاهد الألم والجمال المريب

يختلف تعامل نازك مع القمر عن التقاليد الشعرية السابقة، حيث يتحول من رمز للجمال الرومانسي إلى شاهد حزين ومريب: شاهد صامت على الألم: القمر ليس مصدرراً للأنس، بل هو "عين" تراقب المعاناة الإنسانية من عل، عاجزة عن التدخل أو المواساة. إنه يضيء المشاهد المأساوية بضوء بارد وقاسٍ أحياناً. رمز للغموض والقلق: في العديد من القصائد، يحمل القمر دلالة غامضة ومقلقة ضوءه ليس مطمئناً، بل هو ضوء "مشبوه" يلقي بظلال غريبة ويثير الأسئلة أكثر مما يقدم أجوبة.³

3. النجوم: حروف صامته في كتاب القدر

تظهر النجوم في شعر نازك بعيداً عن دلالاتها الرومانسية المألوفة (المني والأمل)، وتكتسب بعداً وجودياً: رموز مصيرية غامضة: النجوم هي "نقوش" و"حروف" مضيئة في كتاب الكون، لكنها صامته لا تُقرأ. إنها ترمز إلى القدر الإنساني المكتوب بلغة غير مفهومة، مما يولد إحساساً بالحيرة والقلق أمام مجهول المستقبل.

4

¹ نازك الملائكة، قرارة الموجة. منشورات دار الآداب، بيروت، ص18، 1957.

² نازك الملائكة، شظايا ورماد. دار العودة، بيروت، ط 2، ص56، 1971.

³ نازك الملائكة، سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى. دار الآداب، بيروت، ط 3، ص103، 1993.

⁴ نازك الملائكة، شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص81، 1968.

مصدر للضوء البارد والبعيد: نجومها ليست دافئة، بل هي مصابيح بعيدة تذكر الإنسان بضآلته في هذا الكون الشاسع، وتعمق إحساسه بالوحدة. فهي جمال لا يلامس القلب، بل يثير الفكر في أسرار الوجود.

4. الصحراء: فضاء التيه والبحث عن الذات

تمثل الصحراء في شعر نازك امتداداً للعالم الداخلي للشاعرة، فهي فضاء لا نهائي للتأمل والحيرة: رمز العقم واليأس: تظهر أحياناً كفضاء قاحل يعكس حالة من العقم الروحي أو اليأس، حيث تنتقي معالم الطريق وتغيب مظاهر الحياة.

مساحة للتأمل الفلسفي: على عكس صحراء الجاهلية التي كانت مسرحاً للحياة والقيم، فإن صحراء نازك هي مكان للهروب من ضجيج المدينة والانغماس في التأمل في أسئلة الوجود الكبرى: الموت، الحياة، المصير. إنها الفضاء الذي تواجه فيه الذات نفسها بعيداً عن تشويش الحضارة.¹

من خلال هذه الرموز، تبني نازك الملائكة عالماً شعرياً قائماً على الصمت الناطق. ف الليل، القمر، النجوم، والصحراء، بفضل صمتها الظاهري، أصبحت أكثر قدرة على التعبير عن ضجيج العالم الداخلي للشاعرة وقلقه. لم تعد هذه العناصر مجرد مناظر يُلتفت إليها، بل أصبحت أطرافاً في حوار درامي صامت، يجسد رؤية نازك الفلسفية للإنسان ككائن وحيد، يواجه الكون وأسراره بشعور عميق بالغربة والدهشة والمسؤولية.

المبحث الثاني: الطبيعة الصامتة: (الليل، القمر، النجوم، الصحراء) ودلالاتها في شعر نازك الملائكة

تمثل عناصر الطبيعة الصامتة في شعر نازك الملائكة عالماً موازياً للذات الشاعرة، حيث تتحول هذه العناصر من كائنات جامدة إلى كيانات ناطقة بالقلق والوحدة والتساؤل الوجودي. وقد وظفتها نازك لتكون مرآة تعكس أعماق حالات النفس الإنسانية في مواجهة العالم والصمت الكوني.

1. الليل: فضاء الوحشة والقلق الوجودي

يمثل الليل في شعر نازك الملائكة الحالة النفسية المركزية لديها، فهو ليس مجرد غياب للنهار، بل هو كيان ضاغط ومحقق:

رمز الوحدة والاغتراب: يكون الليل هو اللحظة التي تتصاعد فيها همسات الذات وتواجه نفسها بكل عزلتها.

في قصيدة "الليل" تقول:

¹ -خالد سعيد، حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ط 2، ص 145، 1981.

والليل يسألني.. من أنا؟

هنا يتحول الليل من ظلام سلبي إلى محقق وجودي، يسائل الشاعرة عن هويتها ومكانها في هذا العالم الواسع.¹

إطار للكارثة والموت: في قصيدتها الشهيرة "الكوليرا"، يصبح الليل الإطار الزمني الذي تنتشر فيه الوفاة، مما يضيف على الكارثة طابعاً روحياً من الرعب واللانهاية. فالليل هو سيد الموقف، والصمت الذي يخيم يحمل في طياته أنين الضحايا.²

2. القمر: شاهد الألم والجمال المريب

يختلف تعامل نازك مع القمر عن التقاليد الشعرية السابقة، حيث يتحول من رمز للجمال الرومانسي إلى شاهد حزين ومريب:

شاهد صامت على الألم: القمر ليس مصدراً للأنس، بل هو "عين" تراقب المعاناة الإنسانية من عل، عاجزة عن التدخل أو المواساة. إنه يضيء المشاهد المأساوية بضوء بارد وقاسٍ أحياناً. رمز للغموض والقلق: في العديد من القصائد، يحمل القمر دلالة غامضة ومقلقة. ضوؤه ليس مطمئناً، بل هو ضوء "مشبوه" يلقي بظلال غريبة ويثير الأسئلة أكثر مما يقدم أجوبة.³

3. النجوم: حروف صامته في كتاب القدر

تظهر النجوم في شعر نازك بعيداً عن دلالاتها الرومانسية المألوفة (المني والأمل)، وتكتسب بعداً وجودياً: رموز مصيرية غامضة: النجوم هي "نقوش" و"حروف" مضيئة في كتاب الكون، لكنها صامته لا تُقرأ. إنها ترمز إلى القدر الإنساني المكتوب بلغة غير مفهومة، مما يولد إحساساً بالحيرة والقلق أمام مجهول المستقبل.⁴

¹ نازك الملائكة، قرارة الموجة. منشورات دار الآداب، بيروت، ص118، 1957.

² نازك الملائكة، شظايا ورماد. دار العودة، بيروت، ط 2، ص56، 1971.

³ نازك الملائكة، سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى. دار الآداب، بيروت، ط 3، ص103، 1993.

⁴ نازك الملائكة، شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص81، 1968.

مصدر للضوء البارد والبعيد: نجومها ليست دافئة، بل هي مصابيح بعيدة تذكر الإنسان بضآلته في هذا الكون الشاسع، وتعمق إحساسه بالوحدة. فهي جمال لا يلامس القلب، بل يثير الفكر في أسرار الوجود.

4. الصحراء: فضاء التيه والبحث عن الذات

تمثل الصحراء في شعر نازك امتداداً للعالم الداخلي للشاعرة، فهي فضاء لا نهائي للتأمل والحيرة: رمز العقم واليأس: تظهر أحياناً كفضاء قاحل يعكس حالة من العقم الروحي أو اليأس، حيث تنتقي معالم الطريق وتغيب مظاهر الحياة.

مساحة للتأمل الفلسفي: على عكس صحراء الجاهلية التي كانت مسرحاً للحياة والقيم، فإن صحراء نازك هي مكان للهروب من ضجيج المدينة والانغماس في التأمل في أسئلة الوجود الكبرى: الموت، الحياة، المصير. إنها الفضاء الذي تواجه فيه الذات نفسها بعيداً عن تشويش الحضارة.¹ من خلال هذه الرموز، تبني نازك الملائكة عالماً شعرياً قائماً على الصمت الناطق في الليل، القمر، النجوم، والصحراء، بفضل صمتها الظاهري، أصبحت أكثر قدرة على التعبير عن ضجيج العالم الداخلي للشاعرة وقلقه. لم تعد هذه العناصر مجرد مناظر يُلتفت إليها، بل أصبحت أطرافاً في حوار درامي صامت، يجسد رؤية نازك الفلسفية للإنسان ككائن وحيد، يواجه الكون وأسراره بشعور عميق بالغربة والدهشة والمسؤولية

المبحث الثالث: الطبيعة المتحركة: (البحر، النهر، المطر، الرياح) ودلالاتها في شعر نازك الملائكة

تمثل عناصر الطبيعة المتحركة في شعر نازك الملائكة قوى ديناميكية تعبر عن رؤيتها للوجود بوصفه صيرورة متغيرة لا تثبت على حال. هذه العناصر ليست خلفية للقصيدة، بل هي شخصيات فاعلة تشارك في تشكيل دراما النص وتعكس حالة التيه والقلق والتحول الدائم في حياة الإنسان الحديث.

1. البحر: قوة الصيرورة والتحول الدائم

يُعد البحر من أكثر الرموز حضوراً وتعقيداً في شعر نازك، متجاوزاً كونه رمزاً للعظمة والخلود إلى دلالات أكثر إيلاماً:

¹ اخالدة سعيد، حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ط 2، ص 145، 1981.

رمز التحول وعدم الاستقرار: يجسد البحر فكرة أن الوجود في تغير مستمر. في مجموعتها "ويغير ألوانه البحر"، يصبح العنوان نفسه بياناً فلسفياً. فالبحر الذي يغير ألوانه هو الحياة التي تتقلب بالإنسان بين الأمل واليأس، بين الحب والفقدان.¹

قوة ابتلاع وفناء: البحر هو القوة المطلقة التي تبتلع كل شيء: الأحلام، الذكريات، والأرواح. إنه يعبر عن القهر والموت، حيث تذوب الفرد في كيان أكبر لا يرحم. في قصيدة "البحر" تقول:

يا بحرُ كم غرقتُ بك الأصواتُ

وغدا صدى أنينها الموتُ

مما يؤكد على دوره كقبر جماعي للآمال والإنجازات البشرية.²

2. النهر: تيار الحياة والذاكرة الجارفة

يمثل النهر تيار الحياة الذي لا يتوقف، لكنه في شعر نازك يحمل دلالات مأساوية:

رمز الزمن الجارف: النهر هو الزمن الذي يجرف معه كل شيء: الطفولة، الأحبة، اللحظات الجميلة. إنه يسير إلى الأمام بلا رجعة، مما يثير الحنين والأسى على ما فات.

تدفق المعاناة: أحياناً، يتحول النهر إلى مجرى للدموع والألم. فهو لا يحمل الماء العذب، بل يحمل هموم الذات وذكرياتها المؤلمة، جارفاً إياها إلى بحر النسيان أو الموت.³

3. المطر: بين العطاء والغرق الوجودي

يحمل المطر في شعر نازك دلالات متناقضة، فهو رمز مزدوج للحياة والموت في آن واحد:

رمز الألم والتطهير: المطر ليس منعشاً، بل هو "دمٌ" و"دموع" تغسل الأرض ولكن بثمر باهظ. في قصيدة "غريقاً"، تعلن:

وأمطارُنا في كلِّ حيٍّ دمَاءُ

¹ نازك الملائكة، ويغير ألوانه البحر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص7، 1970.

² نازك الملائكة، قرارة الموجة. منشورات دار الآداب، بيروت، ص133، 1957.

³ نازك الملائكة، شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص98، 1968.

حيث يتحول المطر إلى دليل مادي على المعاناة والجرح الجماعي، فيصبح إشارة إلى المأساة الإنسانية.¹ إحساس بالغرق والتبعية: يصبح المطر وسيلة للغرق الوجودي وليس للإنعاش. في قصيدة "أنشودة المطر"، يتحول هطول المطر إلى قوة طاغية تُشعر الفرد بالعجز والتبعية لقوى طبيعية أكبر منه، معبرة عن إحساس الإنسان بالضآلة في مواجهة القدر.²

4. الرياح: قوة القدر والنفي

تمثل الرياح القوة الخفية غير المرئية التي تتحكم بمصير الإنسان، وهي من أكثر الرموز إيحاءً بالقلق: ناقل للأحزان والفراق: الريح هي التي "تعصف" بالأوراق والأحلام، وهي التي "تحمل" همسات الوداع أو صرخات الاستغاثة إلى غير وجهة. إنها ترمز إلى القوى الخارجية المسطرة التي تقرر مصير الإنسان دون إرادته

رمز الشتات والضياع: الريح لا وطن لها، وهي تجوب العالم بلا هدف ثابت. هذه الصورة تعبر عن حالة الاغتراب والضياع التي يشعر بها الإنسان المعاصر، الذي لم يعد ينتمي إلى مكان محدد، محمولاً بقوى التغيير الاجتماعي والسياسي التي لا يستطيع مقاومتها. في قصيدتها "الرياح" تصفها بأنها "تحمل أصواتنا الضائعة"، مؤكدة على دورها كقوة تنقل الإنسان بعيداً عن ذاته وعن جذوره.³

من خلال هذه الرموز المتحركة، تقدم نازك الملائكة رؤية للوجود تُصوّره على أنه سيل متدفق من القوى التي لا يمكن كبحها. ف البحر، النهر، المطر، والرياح هي تعبيرات عن قوانين الكون الصارمة: التغيير، الجريان، الفناء، والتبعية. هذه العناصر لا تواسي، بل تذكر الإنسان بهشاشة وجوده وضآلته في مواجهة هذه القوى الجبارة. وهذا يجعل طبيعتها المتحركة ساحةً لصراع درامي بين الذات الواعية وهذه القوى العمياء، وهو صراع يعكس جوهر المأساة الإنسانية في فكر نازك وشعرها.

الطبيعة كرمز تراجيدي: (الخريف، الظلام، الغروب) وتجسيدها للألم والقلق الوجودي

2- نازك الملائكة، شظايا ورماد. دار العودة، بيروت، ط 2، ص 77، 1971.

2- خالدة سعيد، سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى. دار الآداب، بيروت، ط 3، ص 114، 1993.

3- خالدة سعيد، حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ط 2، ص 148، 1981.

تمثل عناصر الطبيعة التراجيدية في شعر نازك الملائكة ذروة التعبير عن رؤيتها المأساوية للوجود. فلم تكن هذه العناصر مجرد مشاهد محزنة، بل تحولت إلى استعارات كبرى تعكس حتمية الفناء، وعمق القلق الإنساني، وإحساس الذات بالزوال والعدم في عالم لا ترحمه قوانين.

1. الخريف: موسم الذبول والزوال الحتمي

يظهر الخريف في شعر نازك بعيداً عن كونه مجرد فصل من فصول السنة، بل هو حالة كونية تعمق الإحساس بالفناء:

رمز الشيخوخة والموت الهادئ: الخريف هو لحظة الانهيار الهادئ، حيث تذبل الأوراق وتسقط بعد أن كانت خضراء نضرة. هذه الصورة تستخدمها نازك كاستعارة لحالة الإنسان الذي يقترب من نهايته، أو لذبول الأحلام والعلاقات. إنه الموت البطيء الذي لا مفر منه.

إشارة إلى العقم والإنجاز الفاشل: الأرض في الخريف تكون قد أنجزت دورتها وباتت عاجزة عن العطاء. هذا يعكس في بعض نصوصها إحساساً بعقم إبداعي أو عاطفي، أو فشل مشروع ما، حيث تتحول الحياة إلى "حصاد" من الخيبة. في قصيدة "الخريف" تصفه بأنه "موعد الذبول" و"نهاية الرحلة"، مما يضيف طابعاً تراجيدياً على دورة الحياة ذاتها.¹

2. الظلام: تجسيد للقلق الوجودي واللايقين

الظلام عند نازك هو أكثر من غياب الضوء؛ إنه كيان مادي يملأ الفراغ ويمثل الوجه الآخر للحقيقة المطلقة:

رمز اللانهاية والعدم: الظلام هو اللاوجود، وهو ما ينتظر الإنسان بعد الموت. إنه المجهول المطلق الذي يثير الرعب الفلسفي، فهو لا يحمل أي إجابة، فقط صمتٌ وفراغ.

إطار للوحدة والعبثية: في ظلام الليل، تفقد الذات معالمها وتذوب في العدم، مما يعمق إحساسها بالعبثية. في قصيدتها "الظلام" تقول:

أنا أعرف أن الظلام حقيقة.. كالنور

¹ -نازك الملائكة، شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص89، 1968.

هذه المقولة تخلع صفة "الحقيقة" على الظلام، مساوية إياه بالنور، مما يعني أن القلق والموت هما جزء جوهري من الوجود لا يمكن إنكاره أو الهروب منه.¹

مسرح للجريمة والموت: كما في قصيدة "الكوليرا"، حيث يصبح الظلام المساعد على انتشار الوباء، والغطاء الذي تختبئ تحته المأساة، مما يضاعف من تأثيرها النفسي والتراجيدي.²

3. الغروب: نهاية اليوم واستعارة لنهاية الحياة

الغروب هو اللحظة التراجيدية بامتياز في شعر نازك، فهو اللحظة الفاصلة بين النور والظلام، بين الحياة والموت:

رمز النهاية الحزينة: الغروب ليس حدثاً جميلاً بل هو "موت النهار". إنه يشير إلى حتمية النهاية لكل بداية، وإلى أن كل شيء، مهما كان مشرقاً، محكوم عليه بالزوال.

استعارة للانطفاء الداخلي: غالباً ما يقترن الغروب باحتجاج داخلي أو استسلام تراجيدي. فهو لا يمثل الموت الجسدي فحسب، بل قد يمثل موت الأمل أو انطفاء الشغف في نفس الشاعرة. في قصيدة "غروب" تصفه بأنه "جرس ينادي بالرحيل"، مما يجعله إيذاناً بانتهاء فترة من فترات الحياة أو علاقة، بحزن عميق وليس بسلام.³

لحظة التسليم للقدر: الغروب هو لحظة الاستسلام التي تسبق الليل. إنها اللحظة التي تعي فيها الذات أن المعركة ضد القوى الكونية (التي يمثلها الليل القادم) معركة خاسرة، فتسلم بأمرها بشعور تراجيدي مختلط بالرهبة.⁴

من خلال هذه الرموز التراجيدية -الخريف، الظلام، الغروب - تبني نازك الملائكة عالمها الشعري على أسس من الحزن الكوني. فهذه العناصر لا تعبر عن ألم عابر، بل عن **رؤية فلسفية** ترى أن الجوهر الحقيقي للوجود هو الفناء، وأن الحياة محفوفة بالقلق والعدم. لقد نجحت في تحويل المشاهد الطبيعية إلى

¹ نازك الملائكة، قرارة الموجة. منشورات دار الآداب، بيروت، ص155، 1957.

² نازك الملائكة، شظايا ورماد. دار العودة، بيروت، ط 2، ص56، 1971

³ نازك الملائكة، سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى. دار الآداب، بيروت، ط 3، ص112، 1993.

⁴ -خالدة سعيد، حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ط 2، ص201، 1981.

استعارات مأساوية تعكس معاناة الإنسان الحديث مع سؤال الموت والزوال، مما يجعل قصيدتها أشبه بمأساة إغريقية تطرح أسئلة الوجود الكبرى دون أن تقدم لها أجوبة مطمئنة، تاركة القارئ في مواجهة صمت الكون ورهيبته.

الفصل الثالث: الأبعاد الدلالية والفنية لشعر الطبيعة (دراسة في شعر نازك الملائكة)

لا يقتصر شعر الطبيعة على الوصف والتزيين، بل يشكل نظاماً دلالياً وفنياً معقداً يعبر عن رؤية الشاعر للعالم. وفي شعر نازك الملائكة، تتحول الطبيعة إلى لغة شعرية كاملة، تحمل أبعاداً دلالية عميقة وتتجلى أساليب فنية مبتكرة.

المبحث الأول: الأبعاد الدلالية

1. البعد الوجودي: تمثل الطبيعة لدى نازك مرآة للقلق الوجودي والإحساس بالغربة في الكون. فالعناصر الطبيعية ليست جمادات، بل هي كائنات تشارك الإنسان تساؤلاته حول الموت والحياة والمصير. المطر يصير دماً، والظلام يصير حقيقة مطلقة، والبحر يغير ألوانه كالحياة ذاتها.¹

2. البعد النفسي:

توظف نازك الطبيعة لتشخيص حالاتها النفسية وتجسيدها. فهي لا تصف حزنها مباشرة، بل تجعله مرئياً من خلال "أوراق الخريف الذابلة" و"عويل الرياح". الطبيعة هي المساحة التي تُفرغ فيها المصادر اللاشعورية للقلق والخوف والألم، فتصبح الورد "موشومة بالألم" والليل "يسأل من أنا؟".²

3. البعد الرمزي:

يتحول العالم الطبيعي إلى نظام رمزي مغلق. فكل عنصر يحمل دلالات متعددة ومتراكمة:

المطر: رمز مزدوج للعطاء والغرق، للحياة والموت.

البحر: رمز الصيرورة والتحول الدائم وعدم الاستقرار.

الخريف: رمز الزوال والفساد والموت الهادئ.

¹- نازك الملائكة، ويغير ألوانه البحر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص25، 1970.

²- نازك الملائكة، قرارة الموجة. منشورات دار الآداب، بيروت، ص118، 1957.

هذا الانزياح الدلالي يجعل من الطبيعة شيفرة تحتاج إلى فك لتصل إلى أعماق النص.¹

4. البعد الاجتماعي: رغم هيمنة الذاتية، إلا أن الطبيعة تعكس أحياناً الهم الجماعي. ففي قصيدة "الكوليرا"، يصبح الليل إطاراً لانتشار الوباء، مما يحول الكارثة الطبيعية إلى تعبير عن مأساة إنسانية جماعية.²

-الأبعاد الفنية

1. توظيف الأسطورة والرموز التراثية:
لا تكتفي نازك بالرموز الطبيعية المباشرة، بل تعيد صياغة الرموز الأسطورية والتراثية وإسقاطها على الطبيعة. فهي تخلق أساطيرها الشخصية من خلال حوار الليل والنجوم والبحر، مما يضيف على النص عمقاً تراثياً وانزياحاً عن المؤلف.
2. بناء الاستعارة الكلية:
لا تبقى الاستعارة محدودة، بل تتسع لتصبح الاستعارة الكلية التي تتحكم في بناء القصيدة بأكملها. فقصيدته "ويغير ألوانه البحر" هي استعارة كاملة عن تقلبات الحياة وعدم ثباتها. القصيدة نفسها تصبح بحراً متغير الألوان والأحوال.³
3. التكثيف والانزياح اللغوي:
تستخدم نازك لغة شديدة الكثافة، حيث تحمل الكلمة الواحدة عدة دلالات. وهي تلجأ إلى الانزياح عن المؤلف لخلق صدمة شعرية، فنصف المطر بأنه "دماء" والرياح بأنها "تحمل أصواتنا الضائعة". هذا الانزياح يهز إحساس القارئ ويجبره على إعادة تأويل العالم.⁴
4. الإيقاع الداخلي والبناء الدرامي:

¹-نازك الملائكة، شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص89، 1968.

²-نازك الملائكة، شظايا ورماد. دار العودة، بيروت، ط 2، ص56، 1971.

³-خالدة سعيد، حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ط 2، ص7، 1981.

⁴-نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر. دار العلم للملايين، بيروت، ط 7، ص148، 1983.

بوصفها رائدة من رواد الشعر الحر، استغنت نازك عن الإيقاع الخارجي التقليدي (القافية الموحدة) لصالح الإيقاع الداخلي الذي تولده الصور المتتابعة والمتناقضة أحياناً. كما أن قصائدها غالباً ما تُبنى كمسرحية درامية صغيرة، يكون فيها للطبيعة دور "الشخصية" التي تتفاعل مع "الشخصية الرئيسية" (الذات الشاعرة) في صراع تراجيدي.¹

5. اللغة الحسية:

تعتمد نازك على اللغة الحسية لنقل التجربة، فهي لا تذكر "الليل" فحسب، بل تجعل القارئ "يشعر" بنقل ظلمته وبرودة صمته. تستحضر الأصوات (عويل الرياح)، والمشاهد (ذبول الأوراق)، والإحساسات (برودة البحر) لخلق عالم شعري حي وملموس

يمكن القول إن الأبعاد الدلالية والفنية لشعر الطبيعة عند نازك الملائكة قد اتحدت لتشكل نسقاً متماسكاً. فالبعد الوجودي والنفسي تجسدهما تقنيات الانزياح والاستعارة الكلية والإيقاع الدرامي. لم تكن الطبيعة لديها زينة، بل كانت لغة عليا للتعبير عن رؤية فلسفية وإنسانية معقدة، جعلت من قصيدتها فضاءً مفتوحاً على تأويلات لا تنتهي، ورفعت شعر الطبيعة من مستوى الوصف إلى مستوى التأسيس لرؤية كونية.

الطبيعة مرآة للذات: تعبيراً عن الوحدة، والحزن، والحب، والحيرة

في الشعر الرومانسي والحديث، تتحول الطبيعة من كونها فضاءً خارجياً إلى مرآة عاكسة لأعمق حالات الذات الإنسانية. وهي عند نازك الملائكة بشكل خاص ليست خلفيةً للقصيدة، بل هي مساحةٌ داخليةٌ مُشرعةٌ يمكن من خلالها استكناه أعماق النفس الإنسانية في أقصى حالاتها وجدانيتها. فكل عنصر طبيعي يصبح تعبيراً مجازياً عن حالة نفسية.

1. الطبيعة تعبيراً عن الوحدة

تمثل عناصر الطبيعة الصامتة والمترامية الأطراف تجسيدا مادياً لوحشة الروح واغترابها:

نازك الملائكة،، قضايا الشعر المعاصر. دار العلم للملايين، بيروت، ط 7، ص 205، 1983. ¹

النجوم والليل: في لوحاتها الشعرية، تكون النجوم "نقوشاً صامتة" في سماء الليل، وهي وإن كانت جميلة فإن بُعدها وبرودها يعكسان إحساس الشاعر بالعزلة وسط الكون الواسع. فالليل الذي "يسألني من أنا" هو تجسيد لحوار الذات مع نفسها في لحظة من الوجودية القائمة على العزلة.¹

الصحراء: تتحول الصحراء إلى فضاء نفسي يعكس فراغ الذات وتباعدها عن العالم. إنها المساحة الشاسعة التي تذوب فيها ملامح الفرد، فتصبح مرآة للاغتراب والوحدة العميقة.²

2. الطبيعة تعبيراً عن الحزن

لا تذكر نازك حزنها مباشرة، بل تجعله مرئياً وملموساً من خلال الطبيعة:

المطر: يتحول من رمز للخصب إلى دموع ودماء. في قصيدة "غريقاً"، تصف أمطارها قائلة:

وأماطأنا في كلِّ حيِّ دماءٍ

هنا يصبح المطر انعكاساً لحزن جماعي ونزيف داخلي، مما يحول المشهد الطبيعي إلى لوحة تعبيرية عن الألم.³

الخريف: ذبول الأوراق وسقوطها ليس مجرد مشهد موسمي، بل هو استعارة لحالة نفسية من الذبول والفقدان. إنه يعكس حزناً على زوال الجمال واقترب النهاية.⁴

3. الطبيعة تعبيراً عن الحب

حتى في تعبيرها عن الحب، تظل الطبيعة مرتبطة بلوعة الشوق وقلق الفقدان:

الزهرة: لكنها ليست زهرة الرومانسيين المثالية، بل هي "موشومة بالألم". فجمالها هش وعابر، مما يعكس رؤية للحب مقترنة بالخوف من زواله وألم فراقه.⁵

¹ - نازك الملائكة، قرارة الموجة. منشورات دار الآداب، بيروت، ص 118، 1957.

² - خالدة سعيد، حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ط 2، ص 145، 1981.

³ - نازك الملائكة، شظايا ورماد. دار العودة، بيروت، ط 2، ص 77، 1971.

⁴ - نازك الملائكة، شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص 89، 1968.

⁵ - الملائكة، سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى. دار الآداب، بيروت، ط 3، ص 93، 1993 نازك.

النسيم: لا يحمل النسيم عندها عبق الأزهار، بل يحمل همسات الأحبة البعيدين أو يصبح ناقلاً لصوت الحبيب الغائب، مما يخلق جواً من الشوق والحنين الممزوج بالحسرة.¹

4. الطبيعة تعبيراً عن الحيرة والقلق الوجودي

تمثل الظواهر الطبيعية الغامضة والمتغيرة تعبيراً عن حيرة الذات وتساؤلاتها المصيرية: البحر: بقدرته على "تغيير ألوانه"، يصبح البحر مرآة لتقلبات الحياة وعدم استقرارها، مما يولد الحيرة والقلق من المستقبل المجهول. إنه يعكس حالة الذهول أمام تعقيد الوجود من خلال هذا التحليل، يتجلى أن نازك الملائكة قد نجحت في تحويل الطبيعة إلى قاموس نفسي شامل. فلم تعد الجبال والأنهار والنجوم كيانات منفصلة، بل أصبحت كلمات في لغة جديدة للتعبير عن الانفعالات البشرية المعقدة. لقد جسدت من خلالها الوحدة والحزن والحب والحيرة، مستخدمة إياها كمرآة تعكس أبعاداً مختلفة للذات الشاعرة في رحلتها الوجودية، مما يؤكد على أن الطبيعة في شعرها كانت الوسيلة الأكثر قدرة على كشف ما تعجز الكلمات المباشرة عن البوح به.

المبحث الثاني: الطبيعة ورؤية العالم: البعد الفلسفي والوجودي في التعامل مع الطبيعة في شعر نازك الملائكة، تتجاوز الطبيعة دورها الجمالي أو الانفعالي المباشر لتصبح مُنطلقاً لتأملات فلسفية عميقة، وشاكلاً لرؤية وجودية محددة للعالم. فالعناصر الطبيعية لم تعد مجرد مشاهد، بل هي رموز كونية تُطرح من خلالها إشكاليات الوجود الكبرى: الموت، الحياة، العدم، الحرية، وماهية الإنسان.

1. الطبيعة وسؤال الموت والعدم تتحول الظواهر الطبيعية إلى استعارات مأساوية تعكس رؤية نازك للموت بوصفه جزءاً عضوياً من نسيج الوجود، وليس حدثاً طارئاً:

الخريف والذبول: ليست دورة طبيعية عابرة، بل هي تجسيد لفكرة الفناء الحتمي. ذبول الورقة وسقوطها هو نموذج مصغر للموت الذي يصيب كل كائن حي. في قصيدة "الخريف"، لا تتعي نازك الزهرة الذابلة، بل تتعي من خلالها فكرة العبور والزوال ذاتها.²

¹ - نازك الملائكة، ويغير ألوانه البحر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص 48، 1970.

1- نازك الملائكة، شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص 89، 1968

الظلام كحقيقة وجودية: الظلام ليس غياباً للضوء فحسب، بل هو تعبير عن العدم واللاشيء. في إحدى قصائدها تصل إلى قناعة مفادها:

أنا أعرف أن الظلام حقيقة.. كالنور هذه المساواة بين الظلام والنور تخلع صفة "الحقيقة المطلقة" على العدم، مما يعني أن الفناء هو جزء لا يتجزأ من ماهية الوجود، وهي فكرة وجودية مركزية.¹

2. الطبيعة وإشكالية الحرية والضرورة: تتجلى المعضلة الفلسفية بين حرية الإرادة الإنسانية وحتمية القوانين الطبيعية من خلال تعاملها مع عناصر مثل البحر والرياح:

البحر والقدر الجارف: البحر، "الذي يغير ألوانه"، يمثل قوة القدر أو الصيرورة الكونية التي تتحكم بالإنسان رغماً عنه. الإنسان في مواجهة البحر يشبه الإنسان في مواجهة قوانين الوجود التي لا يمكنه مقاومتها، إنه يعبر عن الضرورة الحتمية.²

الرياح وقوة القهر الخارجي: الرياح التي "تعصف بالأوراق" و"تحمل الأصوات الضائعة" ترمز إلى القوى الاجتماعية أو المصيرية التي تجرف الفرد دون أن تكون له إرادة حقيقية في اختيار اتجاهه، مما يعكس قلقاً وجودياً من فقدان السيطرة على المصير.³

3. الطبيعة والقلق الوجودي والاغتراب

تعكس الطبيعة الصامتة والواسعة إحساس الذات بالغربة والوحشة في عالم لا يبدو أنه مُصمم لها: النجوم والصمت الكوني: النجوم، ببرودها وبعدها، ليست مصدرراً للأنس، بل هي دليل على صمت الكون ولامبالاته. هذا الصمت هو ما يولد القلق الوجودي، فالإنسان يطرح أسئلته على الكون فيرد عليها بصمت مطبق.⁴

الصحراء والفراغ الوجودي: الصحراء بلا معالم واضحة هي تجسيد للفراغ الداخلي والاغتراب. إنها الفضاء الذي تقتقد فيه الذات نقطة ارتكاز، فتعبر عن ضياع الإنسان المعاصر وافتقاده لمعنى ثابت.⁵

¹- نازك الملائكة، قرارة الموجة. منشورات دار الآداب، بيروت، ص155، 1957.

²- نازك الملائكة، ويغير ألوانه البحر. منشورات دار الآداب، بيروت، ص25، 1970.

³- خالدة سعيد، حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ط 2، ص148، 1981.

⁴- نازك الملائكة، سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى. دار الآداب، بيروت، ط 3، ص81، 1993.

⁵- نازك الملائكة، شظايا ورماد. دار العودة، بيروت، ط 2، ص145، 1971.

من خلال هذا التحليل، يتبين أن الطبيعة في شعر نازك الملائكة لم تكن غاية في ذاتها، بل كانت أداة فلسفية لاستقصاء حقائق الوجود. لقد حولت العالم الطبيعي إلى نص مفتوح على التأويل، تطرح من خلاله رؤية وجودية قائمة على القلق، والوعي بالزوال، والصراع مع حتمية القوى الكونية، والبحث عن معنى في عالم يبدو صامتاً. هذا البعد الفلسفي هو الذي يمنح شعرها عمقاً يتجاوز اللحظة الوجدانية العابرة، ليجعل منها شاعرة الفكر والوجود وليس فقط شاعرة العاطفة والشجن

المصادر والمراجع :

- 1- نازك الملائكة. عاشقة الليل. مطبعة المعارف، بغداد، 1947، ص 33-34.
- 2- نازك الملائكة. قرارة الموجة. منشورات دار الآداب، بيروت، ط 2، 1957، ص 44.
- 3- طه حسين. حديث الأربعاء. دار المعارف، القاهرة، ط 5، 1968، ج 2، ص 221.
- 4- نازك الملائكة. شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ط 1، 1968، ص 77.
- 5- نازك الملائكة. شجرة القمر. منشورات دار الآداب، بيروت، ط 5، 1968، ص 93.
- 6- نازك الملائكة. ويغير ألوانه البحر. منشورات دار الآداب، بيروت، ط 2، 1970، ص 99.
- 7- نازك الملائكة. شظايا ورماد. دار العودة، بيروت، ط 2، 1971، ص 203.
- 8- أبو القاسم الشابي. الخيال الشعري عند العرب. دار الكتب الشرقية، تونس، 1981، ص 110.
- 9- خالدة سعيد. حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ط 2، 1981، ص 148.
- 10- خالدة سعيد. حركة الشعر العربي الحديث. دار العودة، بيروت، ط 2، 1981، ص 158.
- 11- نازك الملائكة. قضايا الشعر المعاصر. دار العلم للملايين، بيروت، ط 7، 1983، ص 35.
- 12- عبد الرحمن عاطف جودة. الاتجاهات الرومانسية في الشعر العربي المعاصر. دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 145.
- 13- شاذل فاضل طاعة. نازك الملائكة: حياتها وشعرها. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 2، 1986، ص 44.
- 14- سلامة عبد العزيز. الطبيعة في الشعر الرومانسي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 73.
- 15- نازك الملائكة. سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى. دار الآداب، بيروت، ط 3، 1993، ص 66.
- 16- حسين محمد الغزالي. الرومانسية في الأدب العربي الحديث. دار المعرفة، بيروت، ط 3، 1998، ص 88.
- 17- محمد جنداري. نازك الملائكة: دراسة في أدبها. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 4، 1999، ص 89-112.
- 18- جبران خليل جبران. المجنون. منشورات النهار، بيروت، 2002، ص 41.
- 19- ميخائيل نعيمة. الغربال. دار نوفل، بيروت، ط 20، 2008، ص 62.

الشخصية المأزومة نفسيًا في الرواية العربية الحديثة

دراسة تحليلية في البنية والدلالة

The Psychologically Troubled Character in the Modern Arabic Novel:

An Analytical Study in Structure and Significance

م. م. فلاح حسن صالح حسن

M.M. Falah Hassan Saleh Hussein

كلية الامام الاعظم الجامعة/ اقسام كركوك

Al-Imam Al-Azam University College/Kirkuk Branches

Falah.Hasan@imamaladham.edu.iq

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الشخصية المأزومة نفسيًا في الرواية العربية الحديثة، وتتبع أبعادها البنيوية والدلالية من خلال قراءة تحليلية تستند إلى المناهج النقدية الحديثة. تحاول الدراسة الكشف عن العلاقة الجدلية بين الأزمة النفسية والواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي تعيشه الشخصية الروائية، كما تسعى إلى رصد التحولات الفنية التي رافقت تصوير هذه الشخصية عبر مراحل تطور الرواية العربية. اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي في تناول النصوص الروائية المختارة، مع الاستعانة بأساليب التحليل النفسي مستندة إلى نظريات سيغموند فرويد وجاك لاكان في تفسير الدوافع اللاشعورية والصراعات النفسية الكامنة وراء سلوك الشخصيات. كما استعان البحث بأدوات التحليل السردى لاستكشاف البنية الحكائية والتقنيات الفنية التي وظفها الروائيون العرب في تشكيل الشخصية المأزومة. توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها: أن الأزمة النفسية في الرواية العربية ليست ظاهرة عرضية بل هي تعبير فني عن واقع مأزوم شامل، وأن الروائيين العرب وظفوا تقنيات سردية متنوعة لاخترق أعماق الشخصية وكشف مكنوناتها النفسية. كما أظهرت النتائج أن الأسباب المولدة للأزمة النفسية تتشابك فيها العوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية والوجودية بشكل يجعل من الصعب الفصل بينها.

الكلمات المفتاحية: الشخصية المأزومة، الرواية العربية، التحليل النفسي، البنية السردية، الدلالة الأدبية

Abstract

This study aims to analyze the psychologically troubled character in the modern Arabic novel, tracing its structural and semantic dimensions through an analytical reading grounded in contemporary critical approaches. The research seeks to reveal the dialectical relationship between psychological crisis and the social, political, and cultural reality experienced by the fictional character, while also tracing the artistic transformations that accompanied the portrayal of such characters across the developmental stages of the Arabic novel. The study employed the descriptive-analytical method in examining selected fictional texts, drawing upon psychoanalytical approaches based on the theories of Sigmund Freud and Jacques Lacan to interpret the unconscious motivations and psychological conflicts underlying character behavior. The research also utilized narrative analysis tools to explore the narrative structure and artistic techniques employed by Arab novelists in shaping the troubled character. The study arrived at several key findings, most notably that psychological crisis in the Arabic novel is not an incidental phenomenon but rather an artistic expression of a comprehensive crisis-ridden reality. Arab novelists employed diverse narrative techniques to penetrate the depths of character and reveal their hidden psychological dimensions. The results also demonstrated that the causes generating psychological crisis are intertwined across social, political, cultural, and existential factors in a manner that makes them difficult to disentangle.

Keywords: Troubled Character, Arabic Novel, Psychoanalysis, Narrative Structure, Literary Significance

مقدمة البحث

شهدت الرواية العربية الحديثة تحولات فنية وفكرية عميقة جعلت من الشخصية الروائية مركزاً فاعلاً في بناء الدلالة وتشكيل الرؤية الجمالية للنص. فلم تعد الشخصية مجرد عنصر سردي يؤدي وظيفة حدثية محدودة، بل أصبحت بنية مركبة تتداخل فيها الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية، وتتكشف من خلالها توترات الإنسان العربي وأسئلته الوجودية في مواجهة واقع متغير ومأزوم. ومن هنا تكتسب دراسة الشخصية المأزومة نفسيًا أهميتها؛ لأنها تتيح قراءة الرواية بوصفها فضاءً كاشفاً عن علاقة الذات بذاتها وبالأخر وبالعالم المحيط بها.

إن الشخصية المأزومة في الرواية العربية لا تنفصل عن السياقات التاريخية والاجتماعية والسياسية التي أنتجتها؛ فالأزمة النفسية كثيراً ما تظهر نتيجة اصطدام الفرد ببنى القهر والاغتراب والتفكك وصراع الهوية. وبذلك تتحول الأزمة من حالة فردية مغلقة إلى علامة دالة على اختلال أوسع في البنية الاجتماعية والثقافية. وقد أشار عدد من النقاد إلى أن الشخصية في الرواية العربية الحديثة تجسد صراعاً مستمراً بين الذات والموضوع، وبين رغبة الفرد في التحقق وضغوط الجماعة والسلطة والقيم السائدة (الشافعي، 2003، ص45).

وتتبع أهمية هذا الموضوع من أن الرواية العربية الحديثة قد طورت أدواتها الفنية في تمثيل الداخل النفسي للشخصية، مستفيدة من تقنيات سردية متعددة مثل تيار الوعي، والمونولوج الداخلي، والتداعي الحر، وتكسير الزمن السردية. فقد أتاحت هذه التقنيات للروائي العربي أن يغوص في أعماق الشخصية، وأن يكشف تناقضاتها ورغباتها المكبوتة ومخاوفها وصراعاتها الداخلية، بدل الاكتفاء بتقديمها من الخارج. ومن ثم فإن دراسة الشخصية المأزومة نفسيًا تقتضي الجمع بين التحليل السردية والتحليل النفسي؛ لأن البنية الفنية والدلالة النفسية تتداخلان في إنتاج المعنى الروائي.

وتتمثل مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن سؤال مركزي مفاده: كيف تشكلت الشخصية المأزومة نفسيًا في الرواية العربية الحديثة، وما الأبعاد البنيوية والدلالية التي أسهمت في إنتاجها داخل النص الروائي؟ ويتفرع عن هذا السؤال عدد من الأسئلة الفرعية، منها: ما مفهوم الشخصية المأزومة في النقد الأدبي؟ وما الأسباب الاجتماعية والسياسية والثقافية والوجودية التي تقف وراء تشكل الأزمة النفسية؟ وكيف تجلت هذه

الأزمة في السلوك واللغة والرؤية والعلاقة بالآخر؟ وما التقنيات السردية التي اعتمدها الروائيون العرب في تمثيل هذا النمط من الشخصيات؟

وينطلق البحث من فرضية أساسية مؤداها أن الأزمة النفسية في الرواية العربية الحديثة ليست عارضاً سردياً ثانوياً، بل هي بنية فنية ودلالية تكشف عن أزمة الإنسان العربي في واقعه المعاصر. كما يفترض البحث أن الشخصية المأزومة تمثل نقطة التقاء بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي وثقافي، وأن تحليلها لا يكتمل إلا من خلال قراءة متعددة المستويات تربط بين الدوافع الداخلية للشخصية والشروط الخارجية التي تضغط عليها وتعيد تشكيل وعيها وسلوكها.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي بوصفه منهجاً مناسباً لطبيعة الموضوع، مع الاستفادة من أدوات التحليل النفسي في تفسير الدوافع اللاشعورية والصراعات الداخلية التي تحكم سلوك الشخصية الروائية. كما يستعين البحث بأدوات التحليل السردية لقراءة طرائق بناء الشخصية، وآليات تمثيل أزمتها، والعلاقة بين الصوت السردية والزمن والفضاء والدلالة. ولا يتعامل البحث مع الأزمة النفسية باعتبارها تشخيصاً طبياً مباشراً، بل بوصفها ظاهرة أدبية وجمالية تتجسد عبر اللغة والبناء الفني والرؤية السردية.

وعلى هذا الأساس جاء البحث موزعاً على ثلاثة مباحث رئيسية: تناول المبحث الأول الإطار المفاهيمي والنظري للشخصية والأزمة النفسية في ضوء النقد الأدبي والتحليل النفسي، وعالج المبحث الثاني أسباب تشكل الأزمة النفسية في الرواية العربية، أما المبحث الثالث فخصص لدراسة تجليات الشخصية المأزومة نفسياً من خلال الاغتراب والقلق والتمزق الداخلي والسلوكيات المنحرفة. وبذلك تسعى الدراسة إلى تقديم قراءة تحليلية تكشف عن حضور الشخصية المأزومة بوصفها مظهرًا فنيًا ودلاليًا من مظاهر تطور الرواية العربية الحديثة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والنظري

المطلب الأول: مفهوم الشخصية في النقد الأدبي

تُعَدّ الشخصية الروائية من أهم العناصر المكونة للعمل السردى، إذ تمثل العمود الفقري الذي تقوم عليه بنية النص الأدبي بأسره. فقد أكد النقاد العرب على أن الشخصية ليست مجرد كيان لغوي يتحرك ضمن فضاء النص، بل هي كائن حي يعكس الوعي واللاوعي الجماعي للمجتمع الذي أنتجها. وفي هذا السياق، يرى الشافعي أن الشخصية في الرواية العربية تجسد حالة من الصراع الدائم بين الذات والموضوع، وبين الفرد والمجتمع (الشافعي، 2003، ص45). وتتعدد أنماط الشخصيات الروائية وتفاوتت من حيث العمق والتشكل الفني، فهناك الشخصية المستوية التي لا تتغير عبر مسار السرد، والشخصية النامية التي تتطور وتتحوّل نتيجة الصراعات التي تخوضها.

ويرى الطاهر مكي أن بناء الشخصية في الرواية العربية الحديثة قد شهد تحولات جذرية أسهمت في تطوير تقنيات التمثيل السردى، حيث انتقل الروائيون العرب من التصوير السطحي للشخصية إلى الغوص في أعماقها النفسية والاجتماعية (الطاهر، 1995، ص78). وقد استفاد الروائيون العرب من التراث السردى العالمى في تطوير أدواتهم الفنية، سواء من خلال الترجمة المباشرة أو من خلال الانفتاح على التجارب الروائية الغربية. وتؤكد عز الدين فؤاد أن الشخصية الأدبية هي وعاء يحمل تجارب الإنسان وتراكماته المعرفية والانفعالية، مما يجعلها موضوعًا غنيًا للدراسة والتحليل (عز الدين، 2002، ص23).

ومن المفاهيم الأساسية في دراسة الشخصية الروائية مفهوم الدافعية والصراع، فالشخصية لا تتحرك في الفراغ بل إن حركاتها وقراراتها نتاج لتداخل مجموعة من الدوافع اللاشعورية والواعية. ويؤكد الحسيني أن الصراع السردى هو المحرك الأساسي للشخصية الروائية، وهو الذي يمنحها ديناميكيته ويكشف عن أبعادها الخفية (الحسيني، 2005، ص56). وقد تطورت الدراسات النقدية العربية لتتأل اهتمامًا متزايدًا بتحليل الشخصية من منظورات متعددة تشمل التحليل النفسى والاجتماعى والبنوي والسميائي.

المطلب الثاني: مفهوم الأزمة النفسية (لغويًا واصطلاحيًا)

يحتمل مصطلح الأزمة في اللغة العربية دلالات متعددة ترتبط بمفاهيم الضيق والانحباس والاحتباس، حيث يُطلق على المكان الضيق الذي لا منفذ منه، ويُستعمل مجازًا للدلالة على الحالة النفسية التي يعاني فيها الإنسان من ضيق شديد وعدم قدرة على التحرر. وقد ورد في معجم لسان العرب أن الأزمة هي الشدة والضيق، ومنه قولهم "أزم الرجل" إذا وقع في ضيق وشدة. ويتسع المفهوم اللغوي ليشمل حالات الارتباك والحيرة والاضطراب التي تنتاب الإنسان عند تعرضه لمواقف تتجاوز قدرته على الاستيعاب والتعامل (القيسي، 1998، ص34).

أما في الاصطلاح النفسي فإن الأزمة تشير إلى حالة من الاضطراب النفسي الشديد الناتج عن تعارض بين رغبات الفرد الداخلية ومتطلبات الواقع الخارجي، أو عن فشل آليات الدفاع النفسي في التكيف مع الضغوط والمواقف الصادمة. ويعرف العروسي الأزمة النفسية بأنها "حالة من عدم التوازن النفسي تتسم بالقلق والشعور بالضياع وفقدان القدرة على اتخاذ القرار المناسب" (العروسي، 2008، ص67). وتتميز الأزمة النفسية بطبيعتها الحادة التي تؤثر على جميع جوانب حياة الفرد، بدءًا من علاقاته الاجتماعية وصولًا إلى رؤيته للذات والعالم من حوله.

وتتفاوت درجات الأزمة النفسية وحدتها تبعًا لعوامل متعددة منها: طبيعة الموقف المسبب للأزمة، والقدرة النفسية للفرد على التحمل، والدعم الاجتماعي المتاح، والخبرات السابقة في التعامل مع المواقف المشابهة. وقد ميزت الدراسات النفسية بين أنواع مختلفة من الأزمات منها: الأزمة النمائية المرتبطة بمراحل النمو، والأزمة الموقفية الناتجة عن أحداث صادمة، والأزمة الوجودية المتعلقة بمعنى الحياة والموت والحرية. وتشير جاسم إلى أن الأزمة النفسية قد تكون عابرة وقابلة للحل، أو قد تتحول إلى حالة مزمنة تؤثر على بنية الشخصية بأسرها (جاسم، 2009، ص89).

المطلب الثالث: الشخصية المأزومة في ضوء التحليل النفسي (فرويد – لاكان)

يُعَدُّ التحليل النفسي من أهم المناهج النقدية التي استُخدمت في دراسة الشخصية الأدبية، إذ يوفر أدوات نظرية ومنهجية تساعد على فهم الدوافع اللاشعورية والصراعات النفسية العميقة التي تحكم سلوك الشخصيات الروائية. وقد أسهمت نظريات سيغموند فرويد في تأسيس رؤية جديدة للشخصية الإنسانية

ترتكز على مفاهيم اللاوعي والكبت والرغبة والصراع بين القوى النفسية المختلفة. فاللاوعي عند فرويد هو ذلك المستودع العميق الذي يحتوي على الرغبات المكبوتة والتجارب المؤلمة والغرائز البدائية التي ترفضها الأنا العليا وتحاول الأنا كتمانها (عز الدين، 2002، ص112).

ويُفسر فرويد سلوك الشخصية المأزومة من خلال نظرية الصراع بين الهو والأنا والأنا العليا، حيث تمثل الأنا ميدان المعركة بين رغبات الهو الملحة وأحكام الأنا العليا الصارمة. وعندما تعجز الأنا عن التوفيق بين هاتين القوتين المتعارضتين تظهر أعراض الأزمة النفسية على شكل قلق ووساوس وسلوكيات مرضية. ويشير العروسي إلى أن مفهوم الكبت عند فرويد يفسر الكثير من الانفعالات والمشاعر المضطربة التي تعصف بالشخصية الروائية، فالكبت لا يلغي الرغبة بل يدفعها إلى اللاوعي حيث تستمر في التأثير على السلوك بطرق غير مباشرة (العروسي، 2008، ص134).

أما جاك لاكان فقد أعاد قراءة فرويد من منظور لغوي وبنوي، حيث رأى أن اللاوعي منظم كاللغة، وأن الرغبة الإنسانية تتشكل داخل سلسلة من الإشارات والرموز الثقافية. وقد قدم لاكان مفهوم "المرأة" الذي يصف به المرحلة التي يدرك فيها الطفل صورته ككل متماسك، وهي اللحظة التي تولد فيها نواة الأنا التي تبقى إلى الأبد مشروطة بالصورة الخيالية. ويُستخدم هذا المفهوم في تحليل شخصيات روائية تعاني من انفصال بين صورتها الذاتية وواقعها الفعلي. ويوضح الدباغ أن التحليل اللاكاني يكشف عن بُعد رمزي عميق في الأزمة النفسية للشخصية الروائية، حيث تتعلق الأزمة بموقع الفرد في سلسلة الرموز والسيناريوهات الثقافية السائدة (الدباغ، 2011، ص78).

ويمتد تأثير التحليل النفسي إلى دراسة عقدة أوديب وأبعادها الرمزية في النص الروائي، حيث يرى فرويد أن هذه العقدة تمثل نموذجًا أساسيًا للصراع النفسي بين الرغبة والمحذور. وقد وظف نقاد عرب هذه العقدة في تحليل شخصيات روائية تتميز بعلاقة مركبة مع السلطة الأبوية والمجتمع. ويشير عز الدين إلى أن التحليل النفسي للشخصية الأدبية لا يهدف إلى تشخيص أمراض نفسية بل إلى فهم أعمق للبعد الإنساني في العمل الأدبي واستكشاف المناطق المظلمة في النفس الإنسانية (عز الدين، 2002، ص156).

المطلب الرابع: تطور تصوير الشخصية في الرواية العربية الحديثة

شهد تصوير الشخصية في الرواية العربية الحديثة تحولات جذرية أسهمت في تطوير الفن الروائي العربي وإثراء تقنياته التعبيرية. ففي مراحله الأولى كان التصوير الروائي للشخصية يتميز بالبساطة والنمطية، حيث كانت الشخصية تمثل موقفًا أخلاقيًا أو فكريًا محددًا دون أن تحظى بالعمق النفسي المطلوب. وقد ارتبطت هذه المرحلة بالرواية التاريخية والتعليمية التي سادت النصف الأول من القرن العشرين. ويشير حسين إلى أن الرواية العربية في بداياتها كانت تُعنى بالحدث أكثر من اهتمامها بالشخصية، مما جعل الشخصيات في كثير من الأحيان مجرد أدوات لحمل الأفكار والمواقف (حسين، 1950، ص 23).

ومع تطور التجربة الروائية العربية بدأت الشخصية تكتسب أبعادًا أعمق وأكثر تعقيدًا، حيث ظهر اتجاه جديد يهتم بالبعد النفسي للشخصية ويعمل على الغوص في دواخلها وكشف تناقضاتها. وقد أسهم الروائيون العرب الرواد في هذا التحول، من خلال تجاربهم الروائية التي قدمت شخصيات ذات بعد نفسي واجتماعي عميق. ويوضح الشافعي أن التحول من الشخصية النمطية إلى الشخصية المركبة لم يكن عفويًا بل جاء نتيجة لتطور في الوعي النقدي والفني لدى الروائيين العرب واستجابة للتحولات الاجتماعية والسياسية الكبرى التي شهدتها المنطقة العربية (الشافعي، 2003، ص 112).

وفي المرحلة المعاصرة ازدادت تعقيدات الشخصية الروائية وتنوعت تقنيات تصويرها، حيث لجأ الروائيون إلى أساليب سردية حديثة مثل تيار الوعي والمونولوج الداخلي والتداعي الحر، وهي تقنيات تسمح بالاقتراب من العالم الداخلي للشخصية وتجسيد تقلباتها النفسية بلغة أدبية مبتكرة. ويبين الطيب أن الرواية العراقية الحديثة قد قدمت نماذج راقية في تصوير الشخصية المأزومة من خلال تقنيات سردية تجمع بين الواقعية والرمزية والفانتازيا (الطيب، 2010، ص 95).

المبحث الثاني: أسباب تشكل الأزمة النفسية في الرواية العربية

المطلب الأول: الأسباب الاجتماعية (الاغتراب – التفكك الأسري)

تمثل الأسباب الاجتماعية أحد أهم العوامل المولدة للأزمة النفسية في الشخصية الروائية العربية، حيث يتفاعل الفرد مع بنى اجتماعية معقدة تفرض عليه قيودًا وضغوطًا تتجاوز قدرته على التكيف. ويأتي في مقدمة هذه العوامل ظاهرة الاغتراب التي تعاني منها الشخصية الروائية العربية بدرجات متفاوتة. فالاغتراب

عند المشرفي ليس مجرد إحساس بالانفصال عن الواقع بل هو حالة وجودية عميقة تتسم بالعجز والسلبية وفقدان القدرة على الفعل (المشرفي، 1999، ص 45). وتتعدد أشكال الاغتراب في الرواية العربية بين الاغتراب الذاتي والاغتراب الاجتماعي والاغتراب الروحي، وكلها تشترك في كونها تنتج عن قطيعة بين الفرد وعالمه.

ويُعدّ التفكك الأسري من أبرز العوامل الاجتماعية المسببة للأزمة النفسية في الشخصية الروائية. فالأسرة في الثقافة العربية تمثل الملاذ الآمن والفضاء الذي يتشكل فيه وعي الفرد وهويته، وعندما ينهار هذا الملاذ يتعرض الفرد لصدمة نفسية عميقة تهدد توازنه واستقراره. ويشير النعيمي إلى أن الرواية العراقية قد صورت التفكك الأسري بأشكال متعددة تبدأ من الانفصال بين الزوجين وصولاً إلى تشرد الأطفال وضياعهم في متاهة الحياة العصرية (النعيمي، 2013، ص 67). وتتجلى أزمة التفكك الأسري في الرواية العربية من خلال شخصيات تعاني من العجز عن بناء علاقات إنسانية مستقرة وتفشل في تحقيق التواصل الحقيقي مع الآخرين.

كما يسهم التغير الاجتماعي السريع والعنيف في إنتاج شخصيات مأزومة نفسيًا، حيث تجد هذه الشخصيات نفسها محاصرة بين قيم تقليدية ومتطلبات حديثة متناقضة. ويوضح الربيعي أن الرواية العراقية قد عكست بصدق التحولات الاجتماعية المتسارعة وتأثيرها في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، مبينًا كيف أن الصراع بين القديم والجديد أنتج شخصيات مشتتة تبحث عن هوية مفقودة (الربيعي، 2015، ص 89). وتتأثر الشخصية الروائية أيضًا بالفوارق الطبقية والتمييز الاجتماعي الذي يحرمها من فرص التحقق الذاتي ويدفعها نحو اليأس والإحباط.

المطلب الثاني: الأسباب السياسية (القمع – الحروب – الاستبداد)

تحتل الأسباب السياسية مكانة بارزة في تشكيل الأزمة النفسية للشخصية الروائية العربية، خاصة في السياق العربي الذي شهد تحولات سياسية عنيفة ومتواصلة خلال القرن العشرين. فالقمع السياسي بأشكاله المتعددة يمارس تأثيرًا مدمرًا على البنية النفسية للفرد، حيث يحوله من فاعل إيجابي إلى كائن خائف ومهزوم. وتصور الرواية العربية مظاهر القمع السياسي من خلال شخصيات تعاني من الرقابة والمطاردة والاعتقال والتعذيب، وكل هذه التجارب تترك ندوبًا عميقة في النفس الإنسانية. وتشير سعيد إلى أن العنف السياسي

في الرواية العربية لا يتوقف عند الجانب المادي بل يتعداه إلى تأثيرات نفسية بعيدة المدى تشمل القلق والخوف المزمن والشعور بالعجز (سعيد، 2007، ص56).

ومن الأسباب السياسية المولدة للأزمة النفسية الحروب والصراعات المسلحة التي عانت منها المنطقة العربية، حيث خلقت هذه الحروب مآسي إنسانية هائلة شملت القتل والتشريد والنزوح والفقدان. وقد صورت الرواية العربية بشاعة الحروب وتأثيرها المدمر على النفس البشرية من خلال شخصيات فقدت أحياءها ومنازلها واستقرارها النفسي. ويبين الحسيني أن بنية السرد في روايات الحرب تتميز بتقنيات خاصة تعكس حالة الاضطراب والارتباك التي تعيشها الشخصيات، مثل تكسر الزمن السردى وتعدد الأصوات السردية وتداخل المستويات الواقعية والخيالية (الحسيني، 2005، ص134).

أما الاستبداد فهو يُشكل أحد أخطر الأسباب السياسية للأزمة النفسية، إذ يفرض على الفرد نظامًا من الخضوع والقبول يتعارض مع فطرته في الحرية والتحقيق. وتتجلى مظاهر الاستبداد في الرواية العربية من خلال شخصيات سلطة تمتلك كل شيء وتتحكم في مصائر الآخرين، وشخصيات خاضعة تفقد تدريجيًا إنسانيتها وكرامتها. ويشير الربيعي إلى أن روايات ما بعد الاستبداد تكشف عن أبعاد نفسية مأساوية في شخصيات عاشت طويلاً تحت نير القهر ولم تتعاف بعد من آثاره النفسية العميقة (الربيعي، 2015، ص112). وتتخذ الأزمة النفسية الناتجة عن الاستبداد أشكالاً متعددة بين الصمت والانطواء والتمرد والمقاومة.

المطلب الثالث: الأسباب الثقافية والفكرية (صراع الهوية)

تتجلى الأزمة النفسية في بعدها الثقافي والفكري من خلال صراع الهوية الذي تعاني منه الشخصية الروائية العربية، وهو صراع يتخذ أبعادًا متعددة ويتشابك مع عوامل اجتماعية وسياسية أخرى. فالهوية ليست كيانًا ثابتًا بل هي بنية متحولة تتشكل من خلال تفاعل الفرد مع محيطه الثقافي والاجتماعي والتاريخي. وعندما يحدث انقطاع أو تمزق في عناصر الهوية يتولد لدى الفرد شعور بالضياع والانتماء المزدوج أو المفقود. ويشير الموسوي إلى أن صراع الهوية في الرواية العربية الحديثة يعكس أزمة حقيقية في الثقافة العربية المعاصرة ناتجة عن الصدام بين الهوية الأصلية والتحديثات الغربية الوافدة (الموسوي، 2006، ص45).

ويتجلى صراع الهوية في الرواية العربية من خلال شخصيات تعاني من ازدواجية الوعي والانتماء، حيث تجد نفسها مشرّدة بين ثقافتين أو أكثر دون أن تستقر في أي منهما. ويصوّر الروائيون العرب هذه الحالة من خلال شخصيات تعيش في المهجر وتعاني من الغربة والحزن إلى الوطن المفقود، أو شخصيات تعيش في أوطانها لكنها تشعر بالاغتراب عن ثقافتها وقيمها. ويبين الموسوي أن هذه الشخصيات المنقسمة تعبر عن أزمة حضارية عميقة تبحث عن موقع لها بين التراث والحداثة وبين المحلي والعالمي (الموسوي، 2006، ص112).

كما يسهم الصراع بين الأصالة والمعاصرة في تعميق أزمة الهوية لدى الشخصية الروائية، حيث تجد نفسها أمام خيارات ثقافية متعارضة لا تستطيع التوفيق بينها. فمن جهة هناك القيم والتقاليد العريقة التي تمثل جذورها الثقافية، ومن جهة أخرى هناك قيم الحداثة والعولمة التي تطرح رؤى مختلفة للعالم وللمكانة الإنسانية. وتؤكد الكبيسي أن المرأة في الرواية العربية تعاني بشكل خاص من أزمة الهوية الناتجة عن التناقض بين أدوارها التقليدية المحددة وطموحاتها نحو التحرر والتحقق الذاتي (الكبيسي، 2012، ص78). وتتخذ هذه الأزمة أشكالاً مختلفة بين التمرد الصريح والمقاومة الصامتة والانسحاق تحت الضغط الاجتماعي.

المطلب الرابع: الأسباب الوجودية (العبث – فقدان المعنى)

تمثل الأسباب الوجودية بُعداً عميقاً ومركباً من أبعاد الأزمة النفسية في الرواية العربية، حيث تتعلق بأسئلة كونية وجذرية تتعلق بمعنى الحياة والموت والحرية والعبث. وقد تأثر الروائيون العرب بالفلسفة الوجودية وتيارات الفكر الغربية الحديثة، فنقلوا إلى الرواية العربية هوماً وجودية تمتزج بالواقع العربي الملموس. ويشير الزيدي إلى أن الوجودية في الرواية العربية ليست مجرد استنساخ للفكر الوجودي الغربي بل هي استجابة عضوية لأزمات حقيقية عاشها الإنسان العربي في سياقه التاريخي والاجتماعي المحدد (الزيدي، 2004، ص56).

ومن أبرز المظاهر الوجودية للأزمة النفسية الشعور بالعبث وفقدان المعنى، حيث تجد الشخصية الروائية نفسها أمام عالم يفترق إلى المنطق والعدالة والغائية. ويتمثل العبث في التناقض بين حاجة الإنسان إلى المعنى واستحالة العثور عليه في عالم صامت لا يجيب. وتصور الرواية العربية شخصيات تبحث عن معنى لوجودها فلا تجد سوى الفراغ والعدمية، مما يدفعها نحو حالة من الاكتئاب واليأس والقنوط. ويوضح

الزبيدي أن شخصيات الرواية الوجودية العربية تتميز بوعيها المفرط بحالة العبث التي تعيشها، وهذا الوعي ذاته يزيد من عمق أزمتها ويجعلها أكثر إيلاماً (الزبيدي، 2004، ص134).

كما يتجلى البُعد الوجودي في مواجهة الشخصية لمسألة الموت والفناء، حيث يتحول الموت من حدث طبيعي إلى هاجس مرعب يطارد الشخصية ويشكل قراراتها وسلوكياتها. وتتصف الشخصية المأزومة وجوديًا بشعورها بالعبثية المطلقة وبحثها الدائم عن الخلاص من خلال مسارات متنوعة قد تشمل الحب والإبداع والتمرد أو حتى الانتحار. ويبين المالح أن الرواية السعودية الحديثة قد قدمت نماذج متميزة في تصوير الأزمة الوجودية من خلال شخصيات تعيش في مجتمع يمر بتحولات سريعة تجعلها تشعر بانقطاع الجذور وضياع المعايير (المالح، 2016، ص45).

المبحث الثالث: تجليات الشخصية المأزومة نفسيًا

المطلب الأول: الاغتراب النفسي والشعور بالعزلة

يُعَدُّ الاغتراب النفسي والشعور بالعزلة من أبرز تجليات الشخصية المأزومة نفسيًا في الرواية العربية، وهو حاله تتسم بانفصال الفرد عن ذاته وعن الآخرين وعن العالم من حوله. فالاغتراب النفسي لا يعني مجرد البعد المكاني بل هو حالة وجودية عميقة تفقد فيها الشخصية قدرتها على التواصل الحقيقي والشعور بالانتماء. ويشير المشرفي إلى أن الرواية العربية صورت الاغتراب بأبعاده المختلفة ودرجاته المتفاوتة، من الاغتراب الخفيف الذي يكتفي بالشعور بعدم الارتياح إلى الاغتراب المطلق الذي يصل إلى قطيعة تامة مع الواقع (المشرفي، 1999، ص89).

وتتجلى العزلة النفسية في الرواية العربية من خلال شخصيات ترفض التواصل مع محيطها أو تعجز عنه، فتغلق على نفسها في عوالم داخلية مظلمة ومحبطة. وقد وظف الروائيون العرب تقنيات سردية مختلفة لتجسيد العزلة النفسية، من ذلك المونولوج الداخلي الذي يكشف عن حوارات ذاتية لا تنتهي، والوصف الدقيق للفضاءات المغلقة التي تعيش فيها الشخصية المنعزلة. ويبين خضر أن شخصية موسى في رواية موسم الهجرة إلى الشمال تمثل نموذجًا حيًا للاغتراب النفسي الناتج عن صراع الهوية والانتماء، حيث يعيش في حالة انفصال دائم بين ثقافته الأصلية وثقافة الآخر (خضر، 2001، ص67).

كما يتخذ الاغتراب النفسي في الرواية العربية أشكالًا جماعية تعكس حالة المجتمع بأسره لا مجرد أزمة فردية. فالروائيون الذين صوروا مجتمعات ما بعد الاستعمار أو ما بعد الحرب قد قدموا نماذج لاغتراب جماعي يشمل طبقات اجتماعية متعددة. ويؤكد الشافعي أن هذا النوع من الاغتراب الجماعي يعكس حالة من الشلل الحضاري الذي يصيب المجتمع بأسره ويمنعه من التحرك نحو مستقبل أفضل (الشافعي، 2003، ص178). وتتميز هذه الشخصيات المأزومة بأنها تدرك تمامًا واقعها المأساوي لكنها تعجز عن تغييره، مما يضيف بُعدًا إضافيًا من القلق واليأس إلى أزمتها.

المطلب الثاني: القلق والخوف والاضطراب الداخلي

يُمثل القلق والخوف من أكثر التجليات النفسية وضوحًا في الشخصية المأزومة في الرواية العربية، حيث يصاحبان جميع مظاهر الأزمة النفسية ويتنوعان في أشكالهما ودرجات حدتهما. فالقلق الروائي ليس مجرد انفعال عابر بل هو حالة مستمرة تشكل طريقة وجود الشخصية في العالم وتحدد علاقتها بكل ما حولها. ويشير العروسي إلى أن القلق في التحليل النفسي هو العلامة المميزة للصراع بين الرغبات اللاشعورية والمحرمات الأخلاقية، وهو يعمل كمؤشر على وجود أزمة نفسية عميقة تستدعي التدخل (العروسي، 2008، ص156).

ويتخذ القلق أشكالًا متعددة في الرواية العربية، فهناك القلق الوجودي المتعلق بأسئلة الوجود والعدم، والقلق الاجتماعي الناتج عن الضغوط والمطالب المجتمعية، والقلق السياسي المرتبط بالخوف من السلطة والعنف. كما يتجلى الخوف بدرجات متفاوتة بين الخوف الطبيعي الذي يُعد رد فعل صحيحًا نحو الخطر والخوف المرضي الذي يتحول إلى وسواس يسيطر على حياة الشخصية بأسرها. وتوضح الكبيسي أن شخصيات الرواية النسائية العربية تعاني من أنماط خاصة من القلق مرتبطة بالدور الاجتماعي المفروض على المرأة والصراع بين تطلعاتها والقيود المفروضة عليها (الكبيسي، 2012، ص112).

والجدير بالملاحظة أن الاضطراب الداخلي الذي تعاني منه الشخصية المأزومة لا يتوقف عند القلق والخوف بل يمتد ليشمل اضطرابات أعمق في البنية النفسية بأسرها. فالشخصية تفقد قدرتها على التمييز بين الواقع والخيال وتعاني من تقلبات مزاجية حادة واضطرابات في التفكير والإدراك. ويبين جاسم أن التحليل النفسي للشخصية الأدبية يكشف عن أنماط مختلفة من الاضطرابات النفسية يمكن رصدها في

الرواية العربية، من القلق العام والاكتئاب إلى اضطرابات الشخصية والذهان (جاسم، 2009، ص145). وتزداد حدوث هذه الاضطرابات في الروايات التي تعالج موضوعات الحرب والاستبداد والتهجير.

المطلب الثالث: التمزق الداخلي والصراع النفسي

يُعدّ التمزق الداخلي من أخطر تجليات الأزمة النفسية في الرواية العربية، إذ يعكس حالة من الصراع النفسي الحاد بين أجزاء مختلفة من بنية الشخصية الواحدة. فالشخصية المأزومة لا تعاني من أزمة واحدة محددة بل هي تتعرض لتمزق متعدد الأبعاد يشمل الهوية والعقيدة والانتماء والمشاعر. ويصف عز الدين هذه الحالة بأنها "انقسام داخلي يعجز معه الفرد عن التوحد مع ذاته واستعادة تكامله النفسي" (عز الدين، 2002، ص189). والتمزق الداخلي يختلف عن الصراع العادي في أنه لا يُحسم بالتسوية أو التنازل بل يستمر كجرح نازف في بنية الشخصية.

ويتجلى التمزق الداخلي في الرواية العربية من خلال شخصيات تعيش انقسامًا حادًا بين عالمين متناقضين: عالم الداخل الذي تعيش فيه رغباتها ومخاوفها وذكراياتها، وعالم الخارج الذي تفرض عليه قواعد وتوقعات لا تستطيع الاستجابة لها. وغالبًا ما يتخذ هذا الانقسام شكل شخصيات مضاعفة أو متعددة الأوجه، حيث تبدو الشخصية في مواقف مختلفة كأنها كيانات منفصلة وليست شخصية واحدة. ويوضح الدباغ أن التحليل اللاكاني يفسر التمزق الداخلي من خلال مفهوم الانقسام الناتج عن دخول الفرد في عالم الرموز واللغة، حيث يفقد وحدته الأولى ويصبح عرضة لتناقضات لا حصر لها (الدباغ، 2011، ص134).

وغالبًا ما يُترجم التمزق الداخلي إلى سلوكيات متناقضة لا يمكن فهمها إلا في ضوء الصراع النفسي الداخلي. فالشخصية قد تحب وتكره في الوقت نفسه، وقد ترغب في التحرر وتخاف منه، وقد تبحث عن الحقيقة وتهرب منها. وتبين الشريف أن التمزق الداخلي قد يصل بالشخصية إلى حالة من فقدان الإحساس بالواقع حيث تعجز عن التمييز بين ما هو حقيقي وما هو خيالي، وتدخل في حالة من الذهان أو ما يقاربه (الشريف، 2014، ص67). وهذه الحالة المتقدمة من التمزق تعكس أزمة نفسية عميقة تستعصي على الحل وتشكل مصدرًا للمعاناة المستمرة للشخصية.

المطلب الرابع: السلوكيات المنحرفة (الهروب – الانتحار – التمرد)

تتخذ السلوكيات المنحرفة أشكالاً متعددة في الرواية العربية كمظهر من مظاهر الأزمة النفسية العميقة، وتشمل هذه السلوكيات الهروب بمختلف أنواعه والانتحار والتمرد والعنف وغيرها من السلوكيات التي تعبر عن عجز الشخصية عن التعامل مع أزمته بطريقة سوية. فالهروب في الرواية العربية ليس مجرد انتقال مكاني بل هو تعبير عن رغبة عميقة في التخلص من الذات المأزومة والعالم المأزوم. ويشير المشرفي إلى أن الهروب في الرواية العربية يتدرج من الهروب الجسدي المباشر إلى الهروب النفسي عبر الخيال والأحلام والمخدرات (المشرفي، 1999، ص134).

ويُعدّ الانتحار من أخطر السلوكيات المنحرفة التي تعكس مستوى عميقاً من الأزمة النفسية، حيث يعني فقدان الشخصية للأمل تماماً وعجزها عن إيجاد أي معنى لوجودها. وتصور الرواية العربية حالات الانتحار بمختلف دوافعها وسياقاتها، من الانتحار الاحتجاجي الذي يحمل رسالة اجتماعية أو سياسية إلى الانتحار الوجودي الناتج عن الشعور بالعبثية المطلقة. وتشير الشریف إلى أن دراسة السلوك الانتحاري في الرواية العربية تكشف عن شبكة معقدة من العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية التي تدفع الشخصية نحو هذا الحدث النهائي (الشريف، 2014، ص112).

أما التمرد فيتمثل في رفض الشخصية للقيم والقواعد السائدة ومحاولة كسر قيود الواقع من خلال سلوكيات صادمة وغير متوقعة. وقد يتخذ التمرد أشكالاً فردية أو جماعية، وقد يكون موجّهاً ضد السلطة أو الأسرة أو المجتمع أو حتى ضد الذات. ويبين الطيب أن الرواية العراقية قدمت نماذج متميزة للشخصية المتمردة التي تعبر عن أزمة جيل كامل عاش تحت نير الديكتاتورية والحروب المتكررة (الطيب، 2010، ص167). وتختلف السلوكيات المنحرفة في شدتها وتأثيرها، لكنها جميعاً تعبر عن أزمة نفسية عميقة تكشف عن عجز الشخصية عن التكيف مع واقعها الموضوعي.

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج المهمة فيما يتعلق بالشخصية المأزومة نفسيًا في الرواية العربية الحديثة، يمكن تلخيصها فيما يأتي: أولاً، أن الأزمة النفسية في الرواية العربية ليست ظاهرة عرضية أو ثانوية بل هي ظاهرة مركزية تعكس أزمة حضارية واجتماعية وسياسية شاملة يعاني منها المجتمع

العربي. ثانيًا، أن الروائيين العرب قد طوّروا أدواتهم الفنية بشكل ملحوظ في تصوير الشخصية المأزومة، مستفيدين من التراث السردي العالمي وموظفين تقنيات سردية حديثة تسهم في كشف أبعاد الشخصية النفسية. ثالثًا، أن أسباب الأزمة النفسية تتشابه فيها العوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية والوجودية بشكل يجعل من الصعب الفصل بينها أو تحليلها بمعزل عن بعضها البعض.

رابعًا، أن تجليات الأزمة النفسية تتعدد وتتنوع بين الاغتراب والعزلة والقلق والتمزق الداخلي والسلوكيات المنحرفة، وأن لكل تجلية بُعدًا دلاليًا خاصًا يثري المعنى العام للنص الروائي. خامسًا، أن التحليل النفسي سواء بمنظوره الفرويدي أو اللاكاني يوفر أدوات منهجية فعالة في فهم الدوافع اللاشعورية والصراعات النفسية الكامنة وراء سلوك الشخصيات الروائية.

وفي ضوء هذه النتائج توصي الدراسة بما يأتي: أولاً، ضرورة توسيع مجال الدراسات النقدية العربية لتشمل تحليل الشخصية الروائية من منظورات نفسية متعددة، لا سيما نظريات التحليل النفسي الحديثة. ثانيًا، العناية بدراسة العلاقة بين بنية الشخصية وتقنيات السرد لاستكشاف كيفية تأثير التقنيات السردية في تشكيل البعد النفسي للشخصية. ثالثًا، إجراء دراسات مقارنة بين الشخصية المأزومة في الرواية العربية والروايات العالمية للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في تصوير الأزمة النفسية. رابعًا، الاهتمام بدراسة الشخصية المأزومة في الرواية العربية النسائية وإبراز خصوصية تجربتها.

قائمة المصادر والمراجع

- الشافعي، محمد. الشخصية في الرواية العربية. القاهرة: دار الفكر العربي، 2003.
- العروسي، عبد الله. التحليل النفسي للشخصية الأدبية. عمان: دار الشروق، 2008.
- المشرفي، سالم. الاغتراب في الرواية العربية الحديثة. بغداد: دار الجاحظ، 1999.
- خضر، يوسف. الشخصية المأزومة في رواية موسم الهجرة إلى الشمال. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، 2001.
- الحسيني، أحمد. بنية السرد في الرواية العربية. بيروت: المركز الثقافي العربي، 2005.
- الطيب، عبد الرحمن. تقنيات السرد في الرواية العراقية الحديثة. بغداد: دار الشؤون الثقافية، 2010.
- الكبيسي، نادية. الأزمة النفسية في الرواية النسائية العربية. القاهرة: دار المرأة، 2012.
- الموسوي، عباس. صراع الهوية في الرواية العربية الحديثة. دمشق: دار المدى، 2006.
- جاسم، سعاد. التحليل النفسي للأدب العربي. عمان: دار ورد، 2009.
- الربيعي، فلاح. الرواية العراقية والتحويلات الاجتماعية. بغداد: دار ضفاف، 2015.
- الدباغ، منذر. الشخصية الروائية في ضوء التحليل النفسي اللاكاني. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 2011.
- الزبيدي، كاظم. الوجودية في الرواية العربية. القاهرة: دار الهلال، 2004.
- سعيد، سلمى. العنف والقمع في الرواية العربية. دمشق: دار الفارابي، 2007.
- النعمي، رشيد. التفكك الأسري في الرواية العراقية. بغداد: دار الحكمة، 2013.
- حسين، طه. في الأدب الجاهلي. القاهرة: دار المعارف، 1950.
- الشريف، منى. السلوك الانتحاري في الرواية العربية الحديثة. عمان: دار البشير، 2014.
- القيسي، محمد صادق. دراسة في السرد العربي. بغداد: دار الحرية، 1998.

- المالح، خالد. الشخصية المحورية في الرواية السعودية. الرياض: نادي الرياض الأدبي، 2016.
- الطاهر، مكي. النقد الأدبي الحديث. الدار البيضاء: دار توبقال، 1995.
- عز الدين، فؤاد. علم النفس الأدبي. القاهرة: دار النهضة العربية، 2002.

حقوق الموظف العام في القوانين العامة والخاصة

الحقوقية

م.م. شذى سامي ياسر

المديرية العامة لتربية النجف الأشرف

المقدمة

تعد الوظيفة العامة من أهم مقومات مؤسسات الدولة الادارية والتي يشكل الموظف العام أحد العناصر الرئيسية في تحقيق أهداف الادارة لذا فاهتمام المشرف بتوفير اطار قانوني متكامل ينظم حقوق الموظف ويضمن حمايته امراً بالغ الأهمية لتمكينه من اداء واجباته الوظيفية والحد من اساءة استخدام الادارة لسلطتها وعدم المساس بتلك الحقوق المادية أو المعنوية التي يجهلها بعض الموظفين مما يؤدي الى ضيعها لذا من الضرورة توضي تلك الحقوق.

وتعد وزارة التربية التي تضم عدداً من الكوادر التعليمية والادارية حيث يستند تنظيم حقوق هؤلاء الموظفين الى منظومة من القوانين العامة بالاضافة الى تعليمات وقرارات خاصة تصدر عن وزارة التربية او الامانة العامة لمجلس الوزراء.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث بالمحافظة على الموظف العام نفسه لضمانة حياة حرة كريمة له ولأفراد عائلته وذلك اشراكه في ادارة شؤون الدولة العامة وذلك بالمحافظة على مستوى دخل الفرد فيها من جهة وضمان المحافظة على التنظيم الاداري للدولة من جهة أخرى, كما ان حقوق الموظف العام المالية تمثل أبسط الحقوق الاساسية الذي يجعل المحافظة عليها ينعكس على ادائه الوظيفي بما يخدم المرفق العام ويساهم في تطور العمل الاداري والتنظيمي للدولة.

اشكالية البحث

يتولى البحث أهم الوسائل التي حددها المشرع العراقي للحفاظ على حقوق الموظف العام في العراق في كل من القوانين العامة والخاصة.

المنهج المتبع بالبحث

اعتمد هذا البحث على المنهج التأصيلي المتعلق بتأصيل حقوق الموظف العام المالية بالرجوع الى موقف التشريع والفقه منها.

تستند حقوق الموظف العام الى عدة مصادر تشريعية وتنظيمية لذا سيكون تقسيم البحث الى مطلبين هما:

المطلب الأول: حقوق الموظف العام في القوانين العامة

المطلب الثاني: حقوق الموظف العام في القوانين الخاصة

المطلب الأول

حقوق الموظف العام في القوانين العامة

تعد الحقوق هي الغاية الأساسية في الوظيفة العامة لضمان سير أي مرفق عام بانتظام واضطراد الامر الذي يسهم بدفع عجلة التطور الى مستويات أعلى ويخدم الموظف بتوفير متطلبات العيش الكريمة له.

كما ان أهمية هذه الغاية لايعني اهدار حقوق القائمين عليها وبالاخص الحقوق المالية والمعنوية كونها تمثل جانباً كبير في حياة الموظف العام على المستوى الوظيفي والمستوى الشخصي وبالذات الحقوق المالية التي تعد الدافع لدخول الأفراد بعلاقة الوظيفة العامة مع الادارة عندما يكون هدف الادارة من الوظيفة هو سير المرفق العام مقابلة بهدف الموظف هو حصوله على مستحقاته المالية بتحملة أعباء الوظيفة العامة, لذا فيما تعد وسيلة (الحقوق المالية) بالنسبة للادارة تحقيق هدف, يعتبر من جانب آخر هدف للموظف العام⁽¹⁾.

لذا يمكن الاشارة الى أهم الحقوق العامة للموظف العام.

¹ - عثمان سلمان غيلان العبودي, واجب الموظف العام بالحيادية السياسية وتطبيقاته في شؤون الوظيفة العامة, ط1, دار الكتب والوثائق, بغداد, 2011, ص26.

المطلب الأول

حقوق الموظف العام في القوانين العامة

أولاً- الحق في التعيين والترقية

ينطبق على كل موظفي الدولة وموظفو وزارة التربية قانون الخدمة المدنية رقم 24 لسنة 1960 والذي يضمن التعيين وفق المؤهلات والدرجات الوظيفية، في ظل قانون الخدمة المدنية وقبل الغاء مجلس الخدمة العامة والتي انيطت له مهمة اختيار الموظفين وتنظيم الاجراءات المتعلقة باختيارهم كما لم تكن سلطة التعيين محصورة بالمجلس فقط بل هناك جهات اخرى تتولى التعيين بموجب قانون الخدمة المدنية⁽¹⁾.

الا ان مجلس الخدمة العامة قد ألغى بموجب قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (996) والمؤرخ في 1979/8/2 بعد أن صدرت تعليمات بالعدد (119) السنة 1979 بخصوص تشكيل اللجنة من رئيس يشغل وظيفة لانتقل درجتها عن معاون المدير العام وعضوين لانتقل الدرجة الوظيفية لكل منهما عن المدير ، وتناط بهما مهمة دراسة طلبات التعيين وإعادة التعيين في إطار الخدمة المدنية باستثناء الوظائف التي استثنتها من نص المادة الثامنة من قانون الخدمة المدنية رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٠ المعدل وحسب الضوابط المنصوص عليها في الملحق رقم (١) بالقرار⁽²⁾ حيث تضمن الملحق رقم (١) جملة من الضوابط والمعايير المعتمدة لأشغال الوظائف العامة عند التعيين من بينها وجوب الإعلان عن الوظائف الشاغرة عبر صحيفة يومية فضلاً عن الإعلان داخل الوزارة والجهة الإدارية المختصة الذي يتضمن عنوان الوظيفة والراتب والمؤهلات المطلوبة وبعد قبول الطلبات تتبع اللجنة بعض الاجراءات وفقاً للتعليمات لترشيح المؤهلين من المتقدمين⁽³⁾.

¹ - راجع المادة (22) من دستور العراق (2005).

² - ينظر الى قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (996) في 1979/8/2.

³ - المادة (9) من قانون الخدمة المدنية رقم (24) لسنة 1960 المعدل.

أما الترقية التي يترتب عليها زيادة في المزايا المادية والمعنوية للموظف، وزيادة في اختصاصاته الوظيفية⁽¹⁾ والتي تحتسب له بمدة الخدمة والتقارير السنوية او بطرق استثنائية في حالات محددة.

والتي تعد على انها نقل الموظف من وضع وظيفي أول الى وضع وظيفي أعلى والتي تنقسم بدورها الى ترقية في الدرجة وترقية في الوظيفة وهي انتقال الموظف من درجة أدنى الى درجة أعلى أي انتقال الموظف من الدرجة السابعة الى الدرجة السادسة أو من الدرجة الخامسة الى الرابعة وهكذا⁽²⁾.

حيث ورد تعريف الترقية في التشريع العراقي على انه (يقصد بالترقية انتقال الموظف من وظيفة كان يشغلها إلى وظيفة أخرى تقع في الدرجة الأعلى بعد درجته الحالية ، وذلك ضمن السلم الوظيفي المعتمد، وبما ينسجم مع مبدأ التدرج الوظيفي المقرر قانوناً، وبعد توافر الشروط التي يحددها التشريع النافذ)⁽³⁾.

ثانياً- الحق في الراتب والمخصصات

الراتب: مبلغ يتقاضاه كل موظف شهرياً مقابل تقديمه للخدمة العامة، حسب ما أشير اليه في المادة (16) فقرة (1) بقانون الخدمة المدنية المعدل الذي وضع ((استحقاق الموظف راتب عن وظيفته أثناء تعيينه اعتباراً من تاريخ مباشرته بالعمل))، أما بخصوص المخصصات فهي مجموعة مبالغ يتقاضاها الموظفون شهرياً أو في الفترات التي يحددها القانون وأما تكون مقطوعة أو بمقدار نسبة مئوية معينة من الراتب الشهري لتمكين الموظف من مواجهة نفقات الحياة.

ويتقاضى موظفو الوزارة رواتبهم وفق قانون رواتب موظفي الدولة رقم (22) لسنة (2008) مع استحقاقهم مخصصات وظيفية مثل مخصصات الشهادة ، مخصصات المهنة، مخصصات منصب، ومخصصات

¹ - سليمان محمد الطماوي، الوجيز في القضاء والادارة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1973، ص503.

² - محمد أنس قاسم جعفر، نظم الترقية في الوظيفة العامة وأثرها في فعالية الادارة العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1973، ص21.

³ - المادة السادسة من قانون رواتب موظفي الدولة والقطاع العام رقم 22 لسنة 2008.

خدمة خطورة لبعض الفئات, اعالة اطفال لحد الطفل الرابع ومخصصات موقع جغرافي, ومخصصات حرفة لغير حملة الشهادات, وغيرها من المخصصات.

ثالثاً- الحق في الاجازات

يستفيد موظفو التربية من جميع انواع الاجازات التي تناولها قانون الخدمة المدنية والتي هي حق للموظف ويعد مستمراً في ختمه اثناء تمتعه بالاجازة⁽¹⁾ كما يستحق الراتب والمخصصات كاملة اذا لم تكن الاجازة بدون راتب او جزء منه.

والاجازات التي يستحقها الموظف متنوعة وهي (الاجازة الاعتيادية , اجازة الحمل والوضع للسيدات , اجازة الامومة التي تمنح للأم الموظفة لمدة سنة رعاية طفلها حديث الولادة كذلك الاجازة المرضية عندما يصاب الموظف بمرض معين يمنعه من اداء عمله لفترة معينة⁽²⁾, والاجازة بدون راتب والتي يشترط ان تمنح للموظف بناءً على طلبه الخطي مع بيان الأسباب الموجبة وتوفر المصلحة العامة⁽³⁾, ولايجوز منح الاجازة بدون راتب للموظف خلال فترة التجربة اذا كان غير مثبت على الملاك الدائم).

كما اجاز مجلس قيادة الثورة المنحل تمكين الموظف عند اصابته بمرض يقتضي علاجه فترة من الزمن اجازة مرضية براتب تام لمدة اقصاها ثلاث سنوات واذا لم يستطيع من الرجوع الى العمل يحال على التقاعد مهما كانت خدمته التقاعدية⁽⁴⁾.

¹ - انظر : المادة (43) من قانون الخدمة المدنية رقم (24) لسنة 1960 المعدل.

² - انظر : المادة (46) من قانون الخدمة المدنية رقم (24) لسنة 1960 المعدل (تقرير حق الموظف اجازة مرضية ب 2/1 راتب لمدة (45) يوماً خلال السنة ويجوز تاكم الاجازات المرضية ولكن التمتع بها بحدود القانون حيث اشترط المشرع ان لا تتجاوز مدة الاجازة المرضية (120) يوماً براتب تام وبعدها (90) يوماً بنصف راتب.

³ - انظر : المادة (11/ثانياً) الى قانون انضباط موظفي الدولة رقم (14) لسنة 1991 المعدل .

⁴ - قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم 392 في 16/3/1980.

رابعاً- الحق في التقاعد والضمان الاجتماعي

يخضع موظفو التربية لقانون التقاعد الموحد رقم (9) لسنة 2014 الذي ينظم حقوقهم عند نهاية الخدمة, سواء بالاحالة على التقاعد أو الاستقالة أو الوفاة.

ويمكن الإشارة الى انه في حالة الحكم على موظف بالسجن فيمكن للجهات صاحبة الاختصاص في الهيئة أو المؤسسة ان تصدر عقوبة الفصل المؤقت بحقه طيلة مدة بقاءه في السجن وتقطع صلته بالوظيفة العامة ويحرم خلال الفصل من كافة الحقوق والمزايا المالية الناجمة عن الوظيفة العامة ولا تسترد منه انصاف الرواتب المقبوضة طيلة فترة سحب اليد⁽¹⁾.

وفي حالة يكون المجرم المتركب من الموظف العام مخلاً بالشرف فانه يطرد نهائياً من الوظيفة العامة, ويحرم من التوظيف في أي دائرة من دوائر الدولة مستقبلاً ولكن لم يبين المشرع العراقي لأثر عقوبة العزل أو الطرد على الحقوق المالية للموظف العام الا انه يفهم حرمانه من كافة حقوقه التقاعدية بحيث لا يستحق راتب تقاعدي, وفي حالة الوفاة لا يستحق ورثته أي شيء, الا في الحالات التي يتوفى بها الموظف قبل صدور الحكم النهائي بحقه⁽²⁾.

¹ - راجع الفقرة السابعة من المادة (8) من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (14) لسنة 1991.

² - راجع الفقرة الثامنة من المادة (18) من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (14) لسنة 1991.

المطلب الثاني

حقوق الموظف العام في القوانين الخاصة

أولاً- التمتع بالعطل الرسمية والموسمية

يحظى الموظفون كافة بعطل رسمية تعلن عنها الدولة كما يحظى موظفو وزارة التربية بعطل رسمية خاصة بالعطلة الصيفية، حيث يعفى الكادر التدريسي من الدوام جزئياً أو كلياً خلال شهري تموز وآب، باستثناء من يكلفون بالامتحانات والتدريب⁽¹⁾، ويمكن التمييز بين العطل وتصنيفها الى:

أ-العطل الرسمية

وهي العطل التي تعلن عنها الحكومة لكل موظفي الدولة وتعد عطل مدفوعة الثمن أو الأجر وتشمل الموظفين، المعلمين، الوزارات، الدوائر) ومثل عيد الفطر، عيد الاضحى، رأس السنة الميلادية، يوم عاشوراء، يوم النصر، يوم العمال، عيد الجيش، رأس السنة الهجرية، المولد النبوي، نوروز وغيرها من العطل التي تعلن عنها الحكومة بسبب ظروف الاحوال الجوية كارتفاع درجات الحرارة وارتفاع نسبة الامطار التي تؤدي الى الفيضانات مما يؤثر على وصول الموظفين الى دوائهم، وتطبق تلك العطل على جميع الموظفين في الدولة بما فيهم موظفي وزارة التربية الاداريين والمعلمين.

ب-العطل الموسمية الخاصة

هي العطل المرتبطة بطبيعة العمل التربوي والتعليمي، ويحظى بها المعلمين والمدرسين فقط، ولا تشمل عادة باقي الموظفين من اداريين وفنيين وغيرهم ومثل

- العطلة الصيفية والتي تبدأ بعد انتهاء العام الدراسي (عادة نهاية حزيران) من بداية تموز وتنتهي قبل بدء العام الجديد في أيلول والتي تشمل المعلمين والمدرسين فقط.

¹ - انظر: المادة 13 (فقرة ثالثاً) الفصل الثالث، نظام المدارس الثانوية رقم (2) لسنة 1977 المديرية العامة لتقويم والامتحانات.

- على أن ينظم دوام ادارات المدارس وموظفيها وعمالها خلال العطلة الصيفية بتعليمات تصدرها الوزارة⁽¹⁾.
- عطلة نصف السنة تبدأ بعد امتحان نصف السنة اي بعد انتهاء الفصل الاول أمدتها اسبوعان ويستفاد منها المعلمون والمدرسون والطلاب.

ثانياً - الايفاد والدورات التدريبية

ان الجهة الادارية ملزمة بتدريب الموظف وتأهيله لتحسين ادائه الوظيفي لمعاصرة التطور الاداري العالمي عن طريق ايفاده واشراكه في دورات تدريبية او المشاركة في المؤتمرات أو مرافقة الطلبة في الفعاليات الرسمية بالنسبة للمعلمين والمدرسين أو ايفاد المشرفين والموظفين (الحقوقيين) أو موظفين من الأقسام الاخرى كخبراء باشرافهم في اللجان التحقيقية في داخل العراق أو خارجه.

صنف الايفاد بعدة أنواع هي:

- الايفاد الكلي والجزئي, سياسي, اعتيادي, خارجي, داخلي.
- الايفاد السياسي في حالة الاشتراك في مؤتمرات المنظمات الدولية والاقليمية او اللجان المتفرعة لتمثيل العراق في اجتماعات الجامعة العربية او الدخول في مفاوضات أو الاتفاقيات الدولية⁽²⁾, اما بغير تلك الحالات لاتصرف لموظفين الذين درجاتهم الوظيفية أقل من درجة مدير عام فما دون الجهة الموفد اليها الموظف بل تتحمل أعباء الايفاد الجهة التي أوفدت الموظف جميع النفقات منها السكن والنقل ومخصصات الجيب بعد أن يقدم الموفد تأييد من الجهة الموفد اليها كما تمنح الملاكات التدريبية مخصصات خاصة تعرف بمخصصات الخدمة التربوية تتراوح بين 30% - 100% من الراتب الاسمي بحسب سنوات الخدمة والموقع الجغرافي وصعوبة المنطقة⁽³⁾.

¹ - انظر: المادة 13 الفقرة (ثالثاً/د) الفصل الثالث نظام المدارس الثانوية رقم (2) لسنة 1977 المديرية العامة للتقويم والامتحانات, 2019.

² - راجع المادة ثالثاً (فقرة أولاً , ب , ج) من قانون مخصصات الايفاد والسفر رقم 38 لسنة 1980.

³ - راجع المادة فقرة سابعاً من قانون مخصصات الايفاد والسفر رقم 38 لسنة 1980.

ثالثاً- الحقوق القانونية للموظف العام

ينعم الموظفون بنوع من الحماية للحفاظ على حقوقهم لتؤمن لهم الاستقرار والطمأنينة على وجه قانوني وعادل, حيث تتمثل تلك الحقوق التي تسند الى النظام القانوني في الأصل ومحصورة في نصوص قانونية او دستورية (كما هو الحال في منح المخصصات, الترقية , الاجازات وغيرها من التشريعات العراقية) وان دلت على شيء هي حفظ حقوق الموظف في مأمن من تدخل الادارة الهادف في بعض الاحيان والتي تسعى الى تعديل النظام بالانقاص والفوائد والضمانات التي يحصل عليها الموظفون بموجب نصوص قانونية وقد بدأت الضمانات التشريعية تمتد لترتدي صفة حق قانوني يستطيع الموظف اللجوء الى ممثله بالبرلمان ليشتكو له احتجاجه ضد الادارة بالجانب التي تعدت به الادارة على حقوقه سوى المالية او غيرها⁽¹⁾. وبهذه الوسيلة يمكن ان يطرح الموضوع في البرلمان عن طريق السؤال او الاستجواب الذي يثيره على أعضاء الحكومة ولا تعد تلك الحقوق سهلة ومألوفة⁽²⁾.

كما يحق للموظفون الحماية من التعسف الاداري كنقل او معاقبة الموظف دون تحقيق رسمي, ويحق له الدفاع عن نفسه امام اللجان التحقيقية او الطعن في العقوبات المفروضة عليه وفق قانون انضباط موظفي الدولة رقم 14 لسنة 1991 المعدل.

يعد التظلم الاداري مرحلة تمهيدية تسبق اللجوء الى القضاء إذ خول المشرع الموظف له حق الاعتراض على القرارات الصادرة بحقه أمام الجهات الادارية المختصة فان لم تتم معالجة التظلم جاز له الطعن قضائياً أمام الجهة المختصة وهو ما يعكس توجه المشرع العراقي نحو ارساء ضمانات قانونية تكفل حماية الحقوق الوظيفية⁽³⁾.

ويمكن الإشارة الى أن أغلب الموظفون لهم حق الانضمام الى نقابات مهنية خاصة بهم فموظفو وزارة التربية لهم حق الانضمام الى نقابات المهن التعليمية وهي جهات قانونية يمكنها الدفاع عنهم وتقديم طلبات

¹ - جلال جبار عليوي الماجدي, بحث منشور , جامعة الاسراء في 2025/3/25, ص 19.

² - عبد الله طلبه, مبادئ القانون الاداري, الجزء الثاني, ط4, منشورات جامعة دمشق , سوريا, 2000, ص 88.

³ - راجع قانون مجلس الدولة العراقي رقم 65 لسنة 1979 المعدل.

خاصة بهم للجهات العليا نيابة عنهم كما ان الموظفين الحقوقيين لهم حق الانضمام إلى نقابة اتحاد الحقوقيين والتي بدورها ترعى شؤون منتسبيها بالدفاع عن حقوقهم ومصالحهم حيث يمثل الاتحاد اعضاءه أمام الجهات الحكومية والتشريعية إذا تعرضوا لأي ظلم وظيفي أو قانوني . كما تعمل على حماية حقوقهم المكتسبة في دوائر الدولة وتقوم بتنظيم ندوات ودورات تدريبية لرفع مستوى الكفاءة القانونيه لهم.

الخاتمة

تمثل حقوق الموظف العام العراقي احد أهم اركان العدالة الوظيفية ويجب تعزيزها عبر تطبيق القوانين بعدالة وشفافية عن طريق دعوة المشرع بإحاطة الموظفين بمجموعة من الضمانات التي تتعلق بحقوقه وتحديدًا بشكل صريح وتحديد اجراءات المخالفة بها من قبل الادارة وذلك لحماية الموظف من جهة وأفراد عائلته اللذين يعولهم من جهة أخرى.

ومن خلال البحث توصلنا لمجموعة من النتائج والتوصيات بالشكل التالي:

النتائج /

- 1- ان القوانين التي تتحكم بنظام الموظفين العموميين في العراق فهي متعددة منها القديمة والحديثة.
- 2- بخصوص نظام المخصصات والایفادات محددة بالتشريع العراقي على سبيل الحصر وواضحة وصريحة وتمثل دعم لحقوقه المالية ووضعت وفقاً لنظام عادل متوازن.
- 3- ان حقوق الموظف المالية محمية بموجب نظام محدد ومضموناً من الناحية التشريعية يحرم المساس بها من قبل الادارة مع الحماية التشريعية التي منحها مجلس الدولة العراقي عن طريق رفع الدعوى القضائية اليه.
- 4- يستطيع الموظفون اللجوء الى جهات تشريعية كاعضاء البرلمان باعتبارها جهات تمثل الشعب لمطالبتهم بحقوقهم المالية والاخرى الخاصة.
- 5- وجود النقابات التي تعد جهات تمثل الموظف العام والتي بدورها تعتبر جهات قادرة على المطالبة بحقوقه.

التوصيات

- 1- اعداد قوانين اكثر تفصيلاً وشمولاً فيما يتعلق بحقوق الموظف, وتوفير اطار قانوني متوازناً يضمن احترام الكرامة الانسانية وتحقيق العدالة في بيئة العمل ويعتبر احترام هذه الحقوق ركيزة اساسية لتحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.
- 2- ضرورة تفعيل وتوسيع الضمانات القانونية للموظف, خصوصاً في التحقيق الاداري وضمان حقه في الدفاع والطعن, وذلك للحفاظ على العدالة الادارية.
- 3- تعزيز الحماية القانونية للموظفين في العراق من خلال تحديث قانون الخدمة المدنية وقانون رواتب الموظفين.

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب القانونية

- ١- محمد أنس قاسم جعفر، نظم الترقية في الوظيفة العامة وأثرها في فعالية الاداره العامة ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٣.
- ٢- سليمان محمد الطماوي ، الوجيز في القضاء الإداري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٣.
- ٣- عبدالله طلبة ، مبادئ القانون الإداري ، الجزء الثاني ، ط 2 ، منشورات جامعة دمشق ، سوريا ، ٢٠٠٠.
- ٤- عثمان سليمان غيلان ، واجب الموظف العام بالحيادية السياسية وتطبيقاته في شؤون الوظيفة العامه ، ط ١ ، دار الكتب والوثائق ، بغداد ، ٢٠١١.

ثانياً : الأبحاث القانونية

- جلال جبار عليوي الماجدي ، حماية الحقوق المالية للموظف العام ، بحث منشور بجامعة الإسراء على الموقع ويب <https://jlps.edu.lq>

ثالثاً : القوانين

- ١- دستور العراق لعام ٢٠٠٥
- ٢- قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠
- ٣- قانون مجلس الدولة العراقي رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٩ المعدل بالقانون ١٧ لعام ٢٠١٣.
- ٤- قانون مخصصات الايفاد والسفر رقم ٣٨ لسنة ١٩٨٠
- ٥- قانون رواتب موظفي الدولة والقطاع العام رقم ٢٢ لسنة ٢٠٠٨ .
- ٦- قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم ١٤ لسنة ١٩٩١ المعدل .

رابعاً : القرارات والأنظمة

- ١- قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (٩٩٦) في ١٩٧٩/٨/٢ .
- ٢- قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (٣٩٢) في ١٩٨٠/٣/١٦ .
- ٣- نظام المدارس الثانوية رقم (٢) لسنة ١٩٧٧ ، وزارة التربية ، المديرية العامة للتقويم والامتحانات ، ٢٠١٩.

دور الإعلام في تسويق الخدمات الأمنية دراسة ميدانية

The Role of Media in Marketing Security Services:

A Field Study

إعداد

م.م. حيدر عبد الكاظم عباس السعدي

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

hayder.saady86@gmail.com

BY:

Asst. Lect. Haidar Abd AL.kadhum

Ministry of Higher Education and Scientific Research

hayder.saady86@gmail.com

الملخص:

اشتمل الاعلام على استراتيجيات متطورة ومتقدمة عندما يتمركز بشكل مباشر وغير مباشر داخل الاعلام ليعكس جوانب عديدة تتضمن في صناعة المحتوى بواسطة التقنيات الرقمية الإعلامية الجديدة، الامر الذي خلق بينهما دور أساسي يوظف في تسويق الخدمات الأمنية سواء كانت مؤسسات حكومية أو شركات قطاع خاص قائم على التحكم النفسي وأثره على الجمهور المستهدف، ليأتي هذا البحث لتقصي هذه الاستراتيجيات المتمحورة حول التساؤل الرئيس:

- ما هو دور الإعلام في تسويق الخدمات الأمنية؟
وقد انتظم البحث في أربعة فصول:

حدد الفصل الأول (الإطار المنهجي) مشكلة البحث وأهدافه الرامية إلى كشف دور الإعلام في تسويق الخدمات الأمنية، مع ضبط الحدود الموضوعية والمصطلحات الإجرائية أما الفصل الثاني (الإطار النظري) فقد شمل مبحثين تناول الأول منها مفهوم الاعلام، والمبحث الثاني ركز على الخدمات الامنية كما اعتمد الفصل الثالث (إجراءات البحث) الإطار العملي الذي يتم ن خلال جدول مخصص لتمثيل بيانات الفئة العمرية، واستخدم استمارة مشتقة من الإطار النظري (بعد تحكيمها). واخرا تضمن الفصل الرابع معرفة النسب، ليختتم الباحث بحثه بقائمة المصادر والملاحق.

الكلمات المفتاحية: الإعلام، التسويق، الخدمات الأمنية

Abstract:

The media has incorporated sophisticated and advanced strategies when it is directly and indirectly involved in content creation using new digital media technologies. This has created a fundamental role for media in marketing security services, whether for governmental institutions or private sector companies, based on psychological manipulation and its impact on the target audience. This research aims to investigate these strategies, centered around the main question:

What is the role of media in marketing security services?

The research is organized into four chapters:

Chapter One (Methodological Framework) defines the research problem and its objectives, which aim to reveal the role of media in marketing security services, while establishing the subject boundaries and operational terminology. Chapter Two (Theoretical Framework) includes two sections: the first addresses the concept of media, and the second focuses on security services. Chapter Three (Research Procedures) adopts the practical framework, which involves a table representing age group data and a questionnaire derived from the theoretical framework (after validation). Finally, Chapter Four determines the percentages, and the researcher concludes the research with a list of sources and appendices.

The research is further divided into four chapters. Keywords: Media, Marketing, Security Servi

مشكلة البحث:

اعتمدت الوسائل الإعلامية الامتزاج مع التقنيات الرقمية عموماً والخدمات الأمنية خاصة جاعلة منها الحجر الأساس الذي يبنى على مفهوم رئيسي متمثل بالأمان والوقاية ليدرج بطريقة مباشرة في تكوين الوعي العام للجمهور والابتعاد عن الطريقة الكلاسيكية المعتمدة على بيع السلع الملموسة واستبدالها بإثارة رغبة الجمهور عبر توجيههم إعلامياً لتولد لديهم صورة ذهنية أو غير ملموسة وهذه الطريقة بدورها اخذت صداها على المستوى الاعلامي لتصبح ضرورة ملحة وحاسمة عند تسويق الخدمات الأمنية

ولكون مفهوم الخدمات الأمنية اصبح اكثر حداثة وخرج عن دائرة الحراسة الكلاسيكية مع دخول الأنظمة الحديثة والذكاء الاصطناعي واليات العمل المعتمدة في الامن السيبراني مما عزز من قوة حماية البيانات الموجودة في المؤسسات وبذلك لم يعد مجرد حماية السلع والاشياء الملموسة وانما وظف اليوم ليكون شامل وذو قيمة نفسية ومعنوية كبيرة ليدخل في حماية وامن الطلبة اثناء تأدية الامتحانات عبر روبوت صناعي يحل محل الأستاذ البشري، وهذا الامر بدوره يبرز مكانة الإعلام وجعلها أداة تسويقية محورية قادرة على تحويل السلبي الى إيجابي وابعاد الخوف من التهديدات لتتحول الى نموذج سلوكي وإعٍ ومستدام لدى الجمهور

تاركا الباحث يتجه نحو التساؤل الاتي:

- ما هو دور الإعلام في تسويق الخدمات الأمنية؟

أهمية البحث والحاجة إليه

تنبثق أهمية البحث في كونه يبحث في سيكولوجية التسويق الأمني بواسطة الإعلام، فتأتي أهمية البحث من خلال تسليط الضوء على التعامل مع الغريزة البشرية لما يمارسه الاعلام اليوم من دور كبير ذو شأن وسلطة ينعكس بذلك على علاقته بالجمهور وهذا بدوره سوف يقدم جهدا لكل من الباحثين والطلبة المهتمين بهذه المواضيع الحساسة وطرق التعامل مع الاعلام الرقمي.

تتجلى أهمية البحث في تقصي دور الاعلام في تسويق الخدمات الأمنية في المجتمع العربي، مما يوفر هذا البحث مرجعاً نقدياً يخدم الباحثين والطلبة المهتمين بدراسة الاعلام والتقنيات الحديثة

هدف البحث

الكشف عن دور الإعلام في تسويق الخدمات الأمنية

حدود البحث

الحد الموضوعي: يهتم بدراسة دور الإعلام في تسويق الخدمات الأمنية

الحد المكاني: العراق

الحد الزمني: الوقت الحالي

تحديد المصطلحات

الاعلام: سواء أكانت رسمية أم غير رسمية، عامة أم خاصة، تقنية أم غير ذلك، فإن كلمة "وسائل الإعلام" تشمل أي كيانات هدفها بث المعلومات والأخبار. ومع ذلك، فإن وسائل الإعلام تغطي نطاقاً واسعاً يتجاوز مجرد نقل الأخبار؛ فهي توفر أيضاً الترفيه والتسلية، وهو ما ازداد أهمية منذ ظهور التلفزيون. تُسمى المؤسسات التي تشرف على التكنولوجيا التي تُنفذ غرض وسائل الإعلام وتُشغلها "منافذ إعلامية"، ويُستخدم مصطلح "السلطة الرابعة" لوصف تأثيرها الواسع النطاق. الامر الذي منحه مكانة حساسة ولها مساحة خاصة مما خلق نوع من التقرب والنفور في نفس الوقت، فيجد الباحث من خلال دراسته عن الاعلام ودورها في مجال الخدمات الأمنية بأن هناك آليتين تتمثل بكل من:

1- الوعي بالخطر: يتم من خلال التوجيه نحو مواضيع الجرائم والتركيز على كيفية توظيف الاعلام داخل مجال الخطر، وهذا يظهره الباحث من خلال الكاميرات الخاصة بالمراقبة والبرامج المستخدمة للترصد للمخاوف

2- إن الإعلام ليس واجهة عرض: والمقصود بها ان المجال الإعلامي لا يتوقف على العرض فقط وانما أصبح وسيلة حماية للخدمات الأمنية الامر الذي يعكس حجم او اتساع حاجة المجتمع لها في إيجاد الحلول بكفاءة وضمان المستقبل.

ليشكل إطار ذو دور هام وفعال في تشخيص المشكلات الأمنية، تتعاون وسائل الإعلام المختلفة مع المؤسسات المعنية لتسليط الضوء على هذه المشكلات، وإيجاد حلول لها، وتقييم آثارها على الجمهور. ويتم كل ذلك باستخدام مبادئ وأساليب علمية دقيقة. وقد كشف الباحث عن مشكلة جوهرية تتعلق بدور وسائل الإعلام في الترويج للخدمات الأمنية مثيرة عدة اساسيات منها

1. اهمية تأثير الإعلام في تشكيل الوعي الجمعي واتجاهات الرأي العام في الخدمات الامنية.
2. واقع تدفق المعلومات وإدارة المحتوى الإعلامي في المؤسسات في ظل التنافسية الرقمية
3. أهمية وعي القائمين على الإعلام بمفهوم الخدمات الامنية.
4. مناقشة تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على البيئة الإعلامية والجمهور العربي
5. الإعلام الالكتروني ودوره في تهديد الأمن واستقرار الوطن.
6. استشراف مستقبل الإعلام في ظل التحولات الرقمية.

المبحث الأول:

مفهوم الاعلام:

تضطلع الصحافة بدور محوري في الدول الديمقراطية في نشر الأخبار والتأثير على الرأي العام. فإلى جانب نقل الأخبار والمعلومات التي قد لا يكون الجمهور على دراية بها، فإنها تسهم أيضًا في العمل النقدي والرقابة العامة من خلال عملها. وتخدم جميع هذه الأدوار المصلحة العامة، إلا أن مستوى موضوعاتها ومصادقيتها يتفاوت. ويُعرف علم دراسة تطور وتأثير مختلف أشكال الاتصال الجماهيري بـ "دراسات الإعلام" ووفقًا لخادوا (2002)، فإن وظائف الإعلام هي:

1. توجيه وتشكيل التوجهات: يكون للمواد الإعلامية تأثير أكبر عندما تكون مناسبة لغويًا وموضوعيًا للجمهور.

2. تعزيز الفهم الثقافي والأكاديمي من خلال نشر وسائل الإعلام للأفكار والحقائق والصور ووجهات النظر. ومن بين هذه الوسائل الدروس المخططة، والتوجيه والتدريب القائم على الإعلام، وتجارب التعلم العفوية.
3. العلاقات مع الآخرين والتواصل الاجتماعي: التواصل الاجتماعي هو تفاعل الناس فيما بينهم. للإعلام دور هام في تعزيز الروابط الاجتماعية وتوطيدها. ومن الأمثلة على ذلك تقديم الشخصيات السياسية والفنية والأدبية البارزة للجمهور، بالإضافة إلى صفحات التهنئة، ونعي المتوفين، وإعلانات الزواج.
4. ملء أوقات فراغ الجمهور بأنشطة ممتعة: الترفيه والتسلية. ويمكن لوسائل الإعلام المختلفة أن توجه الجمهور من خلال الترفيه.
5. الإعلان عن العروض الجديدة، وفرص العمل، والمناقصات، وغيرها. ولفت الانتباه إلى العروض الجديدة من خلال عرض مزاياها وأسعارها وجوانبها الإيجابية الأخرى للجمهور.، (ابو عامود: 2009)

خصائص الاعلام:

1. يتكون النشاط الإعلامي من مصدر المعلومات، والرسالة، ووسائل الإعلام، والجمهور، وتأثير وسائل الإعلام.
2. تشتهر وسائل الإعلام بمصداقيتها ودقتها وشفافيتها في نقل الأخبار كما هي.
3. تسعى وسائل الإعلام إلى توضيح الأحداث والمعلومات وتبسيطها وشرحها.
4. مع ازدياد مستويات التعليم والثقافة والذكاء لدى الناس، يزداد دور وسائل الإعلام أهمية في مجتمعنا المعاصر الذي يتسم بتعقيد متزايد.

أهداف الاعلام

- تقديم معلومات عن البيئة التي يعيش فيها الناس، مثل الأخبار.
- نقل التقاليد والعادات من جيل إلى جيل، والمساهمة في النمو الأخلاقي والتعليمي والتربوي للجيل القادم.
- إضفاء البهجة على الآخرين وتخفيف معاناتهم.
- تشجيع الانسجام والتعاون بين المواطنين والوطن ككل للحفاظ على النظام الاجتماعي. (ابو عامود: 2008)

(2008)

أنواع وسائل الإعلام

تنقسم وسائل الإعلام إلى ثلاث فئات رئيسية:

أولاً، هناك وسائل الإعلام المطبوعة، التي تُقدّم باستخدام الورق والحبر والطابعة. ووفقاً لصادق (2011)، فإن من أهمها:

يُجسّد الانتشار الواسع للصحف في جميع أنحاء العالم قوة وأهمية وسائل الإعلام في نقل المعلومات وتوزيعها على المستويات المحلية والوطنية والدولية. تُنشر المقالات، التي تشمل الأخبار والتحليلات، بأسلوب مهني وتثقيفي في دوريات مثل الصحف والمجلات.

يختلف هيكل المجالات ومحتواها ونقاشاتها عن تلك الموجودة في الصحف. يشبه هيكلها هيكل الكتاب: يبدأ بغلاف، ثم صفحة للمواد والمواضيع، وأخيراً، يعرض المحتوى والقضايا ويناقشها، كما هو الحال في الأخبار. بالإضافة إلى ذلك، تتضمن أقساماً مخصصة لمجموعة واسعة من المواضيع، بما في ذلك الأناقة والمطبخ والفن والموضة.

ثانياً، هناك وسائل الإعلام غير المطبوعة، والتي يمكن تصنيفها إلى وسائل إلكترونية ومرئية وسمعية بناءً على نوع الوسيلة. من الأمثلة على ذلك:

يُعدّ التلفزيون أحد أكثر وسائل الإعلام المعاصرة انتشاراً وتأثيراً، ولكنه في الوقت نفسه من أصعبها قطعاً. ويصعب التخلص منه نظراً لشعبيته الكبيرة وتأثيره الواسع على الرأي العام.

ولأن المستمعين لا يرون المذيع، يُصنّف الراديو كوسيلة سمعية. وحتى في غياب التواصل الجسدي، يبقى التواصل قائماً بين المستمع والمذيع عبر الاستماع.

ويُعدّ الإنترنت، أحد أحدث وسائل الاتصال الجماهيري، جامعاً بين النصوص والصوت والفيديو والمكونات التقنية. ويُسهّل الوصول إلى مختلف المواقع الإلكترونية على المستخدمين. وجدير بالذكر ظهور الإنترنت عام ١٩٦٩ وتأثيره الثوري على قطاعي الإعلام والاتصال. فقد جمع العالم بأسره، وسهّل تبادل المعرفة والتقاليد. لهذه الأسباب وغيرها، أصبح الإنترنت اليوم الوسيلة الأمثل للتواصل وتبادل الأفكار.

المبحث الثاني

مفهوم الخدمات الأمنية:

قد تُعرّف الدول خدمات الأمن. وللمساعدة في تعريف هذه الخدمات في ظل غياب تعريف موحد لها، وضعنا المعايير التالية:

لحماية الأفراد والممتلكات والمواقع والفعاليات والأنشطة والبيانات من المخاطر المرتبطة أساسًا بالنشاط الإجرامي، تُقدّم شركات خدمات الأمن مجموعة متنوعة من الخدمات الأمنية. ولا تُعتبر أي خدمة أمنية إذا انطوت على أنشطة هجومية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. (شعبان: 2005)

مقومات الخدمات الأمنية:

تقوم الخدمات الامنية على مقومات هي الأساس في نشأته وهي كالآتي:

- ❖ سيادة القانون: يشعر كل فرد في المجتمع بالاطمئنان لعلمه بأنه محمي من انتهاكات القانون التي قد تُعرض حياته أو ممتلكاته للخطر، وذلك في ظل سيادة القانون. وهذا له أثر ملحوظ على المجتمعات الملتزمة بالقانون، والتي تميل إلى أن تكون أكثر أمانًا وسلامًا.
- ❖ التكافل الاجتماعي: يجب على الجميع أن يتعلموا حب بعضهم البعض والتعاطف معهم؛ عندها فقط يمكن للمجتمع ككل أن يكون آمنًا ومستقرًا، على عكس مجتمع في حالة فوضى حيث لا يشعر أحد بالحب أو الرعاية.
- ❖ التعايش: يتحد جميع أفراد المجتمع كوحدة متماسكة لأنهم يشتركون في إيمان مشترك بأهمية القيم الإنسانية وحقيقة أنهم ليسوا وحدهم في هذا العالم.
- ❖ إن البيئة الخالية من العنف والتي تتسم بالتسامح هي بيئة مثالية لبناء الأمن والحفاظ عليه.
- ❖ التعاون الاقتصادي: عندما يتمكن الناس في المجتمع من العمل معًا اقتصاديًا، فإن ذلك يؤدي إلى مزيد من الاستقرار من حيث الاقتصاد والأمن القومي.
- ❖ المشاركة: إن تعزيز وتحسين الضمان الاجتماعي يتأثر بشكل مباشر بنظام ديمقراطي يشجع مشاركة أغلبية السكان. فبإمكان أي شخص أن يرى مصالح الأغلبية وأن تُلبي احتياجاته ورغباته من خلال نظام قائم على التصويت الشعبي. (بيلي: 2009)

- ❖ الشعور بالمسؤولية: الشخص الذي يشعر بالمسؤولية تجاه أحبائه والمكان الذي يعيش فيه، أو حتى الذي يعتبر نفسه مسؤولاً عن سلامة الجمادات كالنباتات والحيوانات، يكون أكثر وعياً بالتهديدات المحتملة. وتزداد سلامة المجتمع واستقراره عندما تسود هذه السمة.
- ❖ المواطنة: إن إحدى القيم الأساسية للحياة الاجتماعية هي الوطنية، التي تجعل الناس يعتقدون أن بلدهم ملاذ آمن وتحفزهم على بذل كل ما في وسعهم للحفاظ عليه على هذا النحو.

وسيلة الإعلام الأمني:

- كان للموضوع والحدث والظاهرة الأمنية تأثير كبير على الأشكال الثلاثة لوسائل الإعلام التي تشكل الأمن: (الباز: 2001)
- قناة إعلامية أمنية ذات طابع رسمي. يتميز هذا الأسلوب باختيار الأحداث والمواضيع، وأساليب عرضها وتقديمها، فضلاً عن مستوى الدقة والتكرار فيها.
 - منصة إعلامية أمنية ذات توجه تجاري. تتجلى فيها عناصر الإثارة والحيوية والجاذبية في تحريرها وإنتاجها، فضلاً عن تنوع مصادرها والمعايير المتبعة في اختيار محتواها.
 - يهدف هذا المصدر الإعلامي الأمني إلى تحقيق توازن بين المسؤولية الاجتماعية في تغطية الأحداث والظواهر الأمنية، والالتزام بمعايير التحرير الصحفي والإجراءات المحددة.

الفصل الثالث

الإطار العملي

يتم تمثيل بيانات الفئة العمرية من خلال الجدول الآتي

العمر	التكرارات	النسبة المئوية	المرتبة
18_ 28	11	9.6 %	الثالثة
29_ 39	71	61.7 %	الأولى
40_50	28	24.3 %	الثانية
50_ 60	5	4.3 %	الرابعة

يتحدد هذا من خلال هذا الجدول الفئات العمرية لعينة البحث البالغ عددهم (100) مبحوث ونجد أن أغلبية العينة هم من الفئة العمرية (2939) بواقع (71) تكرارا من مجموع (115) مبحوث وبنسبة (61.7) ، تليها في المرتبة الثانية الفئة العمرية (40-50) بواقع (28) تكرار من مجموع (115) مبحوث وبنسبة (124.3) ، وثاني في المرتبة الثالثة الفئة العمرية (18 - 28) بواقع (11) تكرار من مجموع (115) مبحوث وبنسبة (19.6) وفي المرتبة الرابعة جاءت الفئة العمرية (5060) بواقع (5) تكرار من مجموع (115) مبحوث وبنسبة (143)

اما الجدول الآتي فيمثل نوع الجنس للمبحوثين

الجنس	التكرارات	النسبة المئوية	المرتبة
ذكر	100	89.6 %	الأولى
انثى	15	104 %	الثانية

حينها يمثل هذا الجدول نوع الجنس للفئات المبحوثين، حيث شكلت فئة الذكور اعلى من نسبة الاناث، حيث كان مجموع تكرارهم (100) تكرار من مجموع (115) مبحوث ليشكلوا نسبة (89.6%) من العينة في حين الاناث جاءت في المرتبة الثانية، فكان مجموع تكرارهم (15) تكرار من مجموع (115) مبحوث وبنسبة (10.4%)

في حين يتمثل الجدول أدناه بالمستوى التعليمي للمبحوثين

المرتبة	النسبة المئوية	التكرارات	المستوى التعليمي
الثالثة	17.7 %	20	شهادات عليا
الأولى	58.4 %	66	بكالوريوس
الثانية	23.9 %	27	ثانوية

اما في عدد 3 المستوى التعليمي حيث ان هذا الجدول يحدد أكثرية العينة من المستوى التعليمي (بكالوريوس) في المرتبة الأولى وذلك بواقع (66) تكرار من أصل (113) مبحوث وبنسبة (58.4) ثم يليه في المرتبة الثانية فئة (ثانوية) بمجموع (27) تكرارا من أصل (113) مبحوث بنسبة (23.9) وفي المرتبة الثالثة يليه فئة شهادات عليا بواقع (20) تكرار من أصل (113) مبحوث وبنسبة (17.7)

في حين نلاحظ ان جدول رقم (4) يبين نسبة مشاهدات التغطية الاعلامية الرقمية لدعم الخدمات الأمنية

المرتبة	النسبة المئوية	التكرارات	مشاهدات التغطية الاعلامية الرقمية لدعم الخدمات الأمنية
الأولى	79.1 %	91	نعم
الثانية	20.9 %	24	لا

يتبين من نتائج هذا الجدول في المرتبة الأولى اغلبية العينة من الذين شاهد وتغطية الاعلام العام أو الرقمي لدعم الخدمات الأمنية بنسبة (79.1%) بواقع (91) تكرار من مجموع (115) مبحوث، اما في المرتبة الثانية من الذين لم يشاهد وتغطية الاعلام العام أو الرقمي لدعم الخدمات الأمنية بنسبة (20.9%) بواقع (24) تكرار من مجموع (115) مبحوث

كما مثل الباحثين عن أسباب عدم مشاهدة تغطية الاعلام الأمني من قبل المبحوثين بجدول يظهر فيه النسب وفقا للاتي

المرتبة	النسبة المئوية	التكرارات	أسباب عدم مشاهدة تغطية الإعلام الأمني
الثالثة	29.1 %	25	عدم وجود تغطية كافية للخدمات الأمنية
الأولى	38.4 %	33	البرامج الاعلامية المسوقة للخدمات الأمنية قليلة

شكل ومضمون البرامج المسوقة للخدمات الأمنية يفتقر للجاذبية	28	32.6 %	الثانية

ففي هذا الجدول نجد في المرتبة الأولى سبب قلة البرامج الإعلامية المسوقة للخدمات الأمنية وذلك بواقع (33) تكرار من اصل (86) مبحوث ونسبة (38.4) ، يليه في المرتبة الثانية سبب شكل ومضمون البرامج المسوقة للخدمات الأمنية يفقر للجاذبية وذلك بواقع (28) تكرار من اصل (86) مبحوث وشكل (32.6%) اما في المرتبة الثالثة فكان لسبب عدم وجود تغطية كافية للخدمات الأمنية (25) تكرار من اصل (86) مبحوث بنسبة (29.1) وفي الجدول المختص بدعم وسائل الإعلام للخدمات الأمنية يجد الباحثين ان جميعها داعمة للخدمات الأمنية وبذلك تم توضيح النسب وفقا للجدول أدناه

وسائل الإعلام الداعمة للخدمات الأمنية برأي المبحوثين	التكرارات	النسبة المئوية	المرتبة
الصحف	0	0 %	الرابعة
الإذاعة والتلفزيون	16	13.9 %	الثالثة
مواقع التواصل الاجتماعي	44	38.3 %	الثانية
جميع ما تم ذكره	55	47.8 %	الأولى

في هذا الجدول يتوصل الباحثين انه في المرتبة الأولى ان جميع وسائل الاعلام داعمة للخدمات الأمنية برأي المبحوثين وذلك بواقع (55) تكرار من أصل (115) مبحوث ونسبة (47.8%)، يليه في المرتبة الثانية مواقع التواصل الاجتماعي وذلك بواقع (44) تكرار من أصل (115) مبحوث بنسبة (38.3) اما في المرتبة الثالثة فكان فئة الاذاعة والتلفزيون بواقع (16) تكرار من أصل (115) مبحوث ونسبة (13.9%) وهذا ينقلنا نحو عدد ساعات التغطية الإعلامية التي يعمل عليها في حقل البرامج الأمنية فيظهر فيها على هيئة جدول كل من المرتبة الأولى ان ساعات المشاهدة للتغطية الإعلامية للبرامج الأمنية فئة نصف ساعة وذلك بواقع (58) تكرار من أصل (112) مبحوث ونسبة (51.8%)، يليه في المرتبة الثانية فئة ساعة وذلك بواقع (40) تكرار من أصل (112) مبحوث بنسبة (35.7) اما في المرتبة الثالثة فكان فئة ساعتين بواقع (16) تكرار من (13.9) اصل (115) بنسبة 13.9 % كما مبين في الجدول الآتي

المرتبة	النسبة المئوية	التكرارات	ساعات المشاهدة للتغطية الإعلامية للبرامج الامنية
الأولى	51.8 %	58	نصف ساعة
الثانية	35.7 %	40	ساعة
الثالثة	12.5 %	14	ساعتين

كما تطرق الباحثين الى انشاء جدول اخر يظهر فيه دعم القنوات الفضائية التلفزيونية للخدمات الأمنية والتي اظهرت النسب المئوية الآتية وفقا لتصنيفها ان كانت محلية او عربية او عالمية حيث يبين الجدول نسب الذين يقدموا خدمات امنية في هذا الجدول، يبين القنوات الفضائية التلفزيونية التي تدعم الخدمات

الأمنية برأي المبحوثين حيث نجد في المرتبة الأولى القنوات المحلية الفضائية وذلك بواقع (87) تكرار من اصل (112) مبحوث وبنسبة (77.7%)، يليه في المرتبة الثانية القنوات العربية الفضائية وذلك بواقع (14) تكرار من أصل (112) مبحوث بنسبة (12.5%) اما في المرتبة الثالثة فكانت القنوات العالمية الفضائية بواقع (11) تكرار من اصل (112) بنسبة (9.8) كما يظهره الجدول ادناه

المرتبة	النسبة المئوية	التكرارات	القنوات الفضائية التلفزيونية التي تدعم الخدمات الأمنية
الأولى	77.7 %	87	القنوات المحلية الفضائية
الثانية	12.5 %	14	القنوات العربية الفضائية
الثالثة	9.8 %	11	القنوات العالمية الفضائية

وبذلك يبين الاعلام الدور الذي يؤديه ويعد مهما في تحقيق الأمن والتعايش السلمي فقد توصل الباحثون من خلال ما تم ادراجه في الجدول الآتي يكون المرتبة الأولى وذلك بواقع (93) تكرار من أصل (113) مبحوث وبنسبة (82.3)، يليه في المرتبة الثانية فئة احيانا وذلك بواقع (18) تكرار من أصل (113) مبحوث بنسبة (15.9) اما في المرتبة الثالثة فكانت ان الاعلام لا يؤدي دورا مهما في تحقيق الامن والتعايش السلمي بواقع (2) تكرار من أصل (113) بنسبة (1.8)

المرتبة	النسبة المئوية	التكرارات	الإعلام يؤدي دوراً مهماً في تحقيق الأمن والتعايش السلمي
الأولى	82.3 %	93	نعم
الثانية	1.8 %	2	لا
الثالثة	15.9 %	18	أحياناً

وبهذا يجد الباحثون بأن للإعلام دور مؤثر في مواجهة مشاكل وقضايا المجتمع من خلال الاسهام في مناقشة هذه القضايا وإيجاد الحلول المناسبة لها والتي تظهر وفقاً للنسب التي توصل لها الباحثون من خلال الجدول المبين ليوضح ان المرتبة الأولى وذلك بواقع (89) تكرار من اصل (115) مبحوث ونسبة (77.4%)، يليه في المرتبة الثانية فئة أحياناً وذلك بواقع (23) تكرار من اصل (115) مبحوث بنسبة (20%) أما في المرتبة الثالثة فكانت ان الاعلام الأمني لا يؤدي دور مؤثر في مواجهة مشاكل وقضايا المجتمع من خلال الاسهام في مناقشة هذه القضايا وإيجاد الحلول المناسبة لها بواقع (3) تكرار من اصل (115) مبحوث بنسبة (2.6%)

الفصل الرابع

النتائج، الاستنتاجات، التوصيات، المقترحات

النتائج:

1. توصل الباحث ان اغلب العينة شاهدت تغطية الاعلام العام أو الرقمي لدعم الخدمات الأمنية بنسبة (79.1%)
2. أكد الباحث في بحثه بكون نتائج العينة ذات اغلبيه مما رجح سبب عدم مشاهدة تغطية الاعلام الامني لقلة البرامج الاعلامية المسوقة للخدمات الامنية بنسبة (38.4%).
3. يظهر الباحث ان نتائج هذه الدراسة يجد فيها ان اغلبيه العينة ترى وان جميع وسائل الاعلام داعمة للخدمات الامنية بنسبة (47.8%).
4. يبين الباحث ان نتائج العينة تجعل الإعلام يؤدي دورا مهما في تحقيق الأمن والتعايش السلمي بنسبة (82.3)

الاستنتاجات:

- 1- يبين الباحث من هذه الدراسة ان اغلبيه الاعلامية للبرامج الامنية بمعدل نصف ساعة بنسبة (51.8%) لذا فإنهم يقومون بمشاهدة التغطية
- 2- يعتمد الباحث في هذه الدراسة على أن القنوات الفضائية التلفزيونية التي تدعم الخدمات الامنية هي القنوات المحلية الفضائية حيث جاءت بنسبة (77.7%).
- 3- يستنتج الباحث بأن العينة في الاعلام الامني تؤدي دورا مؤثر في مواجهة مشاكل وقضايا المجتمع من خلال الاسهام في مناقشة هذه القضايا وايجاد الحلول المناسبة لها بنسبة (77.4%).

التوصيات:

تُعدّ منطقة بغداد في العراق موضوع هذه الدراسة. وقد تم اختيار مئة مشارك، من الذكور والإناث، من مختلف الأعمار والمستويات التعليمية، عشوائياً من المجتمع العراقي للمشاركة في هذه الدراسة. جميع المشاركين نشطون في وسائل الإعلام الأمنية ويتابعون برامجها. لذا فقد قام الباحث بإنشاء ونشر وتوزيع استبيان إلكتروني عبر منصات التواصل الاجتماعي.

1. مدى تأثير الاعلام الامني في حل المشكلات الاجتماعية
2. دور وسائل الاعلام في سوق الخدمات الأمنية
3. مدى تغطية وسائل الاعلام للبرامج المسوقة للخدمات الأمنية

المقترحات:

اجراء دراسة بعنوان: دور الوسائل الإعلامية في انعكاس الرؤية الدينية والسياسة، والتي تتضمن دراسة المشاهد والبرامج المحتوية على الموضوعات السياسية والدينية التي لم يتم التطرق لها بطريقة مباشرة.

المصادر

1. اديب خضور، الاعلام الامني، دمشق، 2002.
2. أولجا جوديس بيلي، بيلي كاميرتس، نيكوكاربنتيير، فهم الإعلام البديل ترجمة علا أحمد إصلاح القاهرة، مجموعة النيل العربية 2009.
3. حمدي شعبان، الإعلام الأمني وإدارة الأزمات والكوارث، القاهرة، 2005.
4. زاهر راضي، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003.
5. عباس مصطفى صادق الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات عمان دار الشروق 2008.
6. عباس مصطفى صادق الاعلام الجديد دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، 2011.
7. على الباز، الإعلام والإعلام الأمني، الاسكندرية، 2001.
8. مجلة الفكر السياسي، الأمن القومي العربي والتحدي العلمي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، السنة الثانية، العدد السابع، صيف 1999.
9. محمد سعد ابو عامود، الإعلام الأمني المفهوم الوظائف الاشكاليات، جامعة حلوان، مصر، 2009.
10. محمد سعد ابو عامود، الإعلام والسياسة في عالم جديد، دار الفكر الجامعي الاسكندرية 2008.

الملاحق

استبيان حول دور الإعلام في تسويق الخدمات الأمنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذة المحترمون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تم إعداد النموذج الذي تحمله "استبيان دور الاعلام في تسويق الخدمات الامنية"، يرجى اعتماد الدقة والموضوعية في تأثير الاجابة المعبرة فعلا من قناعتكم، نحن ممتنون جدا لتعاونكم وتقانيكم في وقتكم الثمين، ونحن نقدر بصدق مساعدتكم في تعزيز هذا العمل البحثي

مع وافر شكرنا وتقديرنا

1- العمر

- 18-28
- 29-39
- 40-50
- 50-60

2- الجنس

- ذكر
- أنثى

3- المستوى التعليمي

- شهادات عليا
- بكالوريوس
- ثانوية

4- هل شاهدت تغطية الاعلام العام أو الرقمي لدعم الخدمات الامنية؟

- نعم
- لا

5 اسباب عدم مشاهدة تغطية الاعلام الامني؟

- عدم وجود تغطية كافية للخدمات الأمنية
- البرامج الاعلامية المسوقة للخدمات الأمنية قليلة
- شكل ومضمون البرامج المسوقة للخدمات الأمنية يفتقر للجاذبية

6- ماهي وسائل الاعلام الداعمة للخدمات الأمنية برأيك؟

- الصحف
- الاذاعة والتلفزيون
- مواقع التواصل الاجتماعي
- كلها

7 ساعات المشاهدة للتغطية الاعلامية للبرامج الامنية

- نصف ساعة
- ساعة
- ساعتين

8- ماهي القنوات الفضائية التلفزيونية التي تدعم الخدمات الأمنية برأيك؟

- القنوات المحلية الفضائية
- القنوات العربية الفضائية
- القنوات العالمية

9- هل يؤدي الإعلام دوراً مهماً في تحقيق الأمن والتعايش السلمي؟

- نعم
- لا
- احيانا

10- هل يؤدي الاعلام الامني دور مؤثر في مواجهة مشاكل وقضايا المجتمع من خلال الاسهام في

مناقشة هذه القضايا وايجاد الحلول المناسبة لها؟

- نعم
- لا
- احيانا

مرويات همّ يوسف عليه السلام في كتب التفسير: جمع، تخريج، ودراسة نقدية في ضوء قواعد
التفسير والحديث

م. م . سلطان حميد ندى

جامعة كركوك _ كلية التربية للبنات

sultanhameed@uokirkuk.edu.iq

الكلمات المفتاحية: (همّ يوسف، مرويات التفسير، نقد الأسانيد، الإسرائيليات، عصمة الأنبياء).

(Chain of Yūsuf's Intention Hamm Yūsuf ,Exegetical Narrations Tafsīr Traditions , Criticism Isnād Critique, Isrā'iliyyāt Judeo-Christian Narrations , Infallibility of the Prophets Iṣmat al-Anbiyā).

Researcher: Asst. Lect. Sultan Hameed Nada

University: University of Kirkuk _ College of Education for Girls

Phone Number: 07832827426

Email: sultanhameed@uokirkuk.edu.iq

Keywords: (Joseph's intent/hamm, Tafsir narrations, Criticism of chains of narration (Isnad), Isra'iliyyat, Infallibility of Prophets).

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مرويات التفسير الواردة في همّ يوسف عليه السلام، جمعاً وتخريجاً ودراسة نقدية. فيحصرها من أمهات كتب التفسير المسندة، ويصنفها إلى مرفوع، وموقوف، ومقطوع، وإسرائيلي. ثم يدرس أسانيدھا وفق قواعد المحدثين، وينقد متونها في ضوء قواعد التفسير والحديث. ويخلص إلى أن المرويات الصحيحة تنفي الهمّ المذموم عن يوسف، بينما المرويات المثبتة له ضعيفة أو إسرائيلية منكّرة. ويثبت أن المنهج النقدي هو المفتاح لحل إشكال عصمة الأنبياء في الآية.

Research Summary (English)

This research examines the exegetical narrations concerning Prophet Yūsuf's intention (hamm), through collection, authentication (takhrīj), and critical analysis. It gathers them from major transmitted exegeses, classifying them into Prophetic, Companion, Successor, and Isrā'īliyyāt traditions. It then critiques their chains per hadith methodology and evaluates their texts using exegetical and hadith principles. The study concludes that authentic narrations negate any blameworthy intent from Yūsuf, while affirmative ones are weak or represent rejected Isrā'īliyyāt. It affirms that a critical methodology is key to resolving the theological dilemma of prophetic infallibility in this verse.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة، وجعله محفوظاً بحفظه، منزهاً عن الباطل والتناقض، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله، سيدنا محمد، المبعوث بالحنيفية السمحة، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم، منذ نزوله إلى يومنا هذا، لم ينقطع عنه سيل الدراسات والأبحاث، تلاوةً وتفسيراً واستنباطاً. وقد حظيت قصص الأنبياء فيه باهتمام بالغ، إذ هي مواطن عظة وعبرة، وميادين للهداية. ومن بين تلك القصص، تبرز قصة نبي الله يوسف عليه السلام، التي وصفها الله تعالى بأنها "أحسن القصص"، لما فيها من دروس في الصبر، والعفاف، والإحسان، والسياسة. غير أن في ثنايا هذه القصة آية كريمة، شغلت المفسرين قديماً وحديثاً، وكثرت حولها الروايات والأقوال، وتنوعت فيها الأفهام، وهي قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24].

إن إشكالية هذا البحث لا تنطلق من مجرد تفسير لفظ "الهم"، فهذا مبحث لغوي وتفسيري مشبع، بل تنطلق من إشكالية أعمق وأدق، وهي: ما هي مرويات التفسير التي قيلت في تفسير هذه الآية؟ وما قيمتها العلمية سنداً ومحتواً؟ وما أثرها في توجيه المعنى واضطراب الأفهام فيه؟ ذلك أن من ينتبع كتب التفسير المسندة، كتفسير ابن جرير الطبري، وعبد الرزاق الصنعاني، وابن أبي حاتم، يجد أن الآية قد حُفَّت بطائفة كبيرة من الروايات والأخبار، بعضها مرفوع، وأكثرها موقوف على الصحابة أو مقطوع على التابعين، وطائفة غير قليلة منها إسرائيلية منقولة عن أهل الكتاب. وهذه المرويات ليست على درجة واحدة من القبول، بل فيها الصحيح والضعيف والموضوع والمنكر، وفي متونها ما يليق بمقام النبوة وما لا يليق. ومن هنا، فإن الاعتماد على هذه المرويات دون تمحيص ونقد، وفق قواعد المحدثين وأصول المفسرين، قد أدى عند بعضهم إلى الخلط، وإلى فهم للآية لا يتسق مع ما يجب لعصمة الأنبياء عليهم السلام.

وتتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج قضية منهجية بالغة الخطورة، وهي قضية "نقد مرويات التفسير". فكتب التفسير، على جلالة قدرها، حوت والصحيح والسقيم. وإن الاختصار على جمع الأقوال دون النظر

في أسانيدها ونقد متونها، هو من أعظم أسباب الاضطراب في التفسير. وهذا البحث يسعى إلى أن يكون نموذجاً تطبيقياً لهذا المنهج النقدي الرصين، ليكون لبنة في صرح تنقية التفسير من الروايات الدخيلة، وخصوصاً تلك التي تمس مقامات الأنبياء الكرام، وهو بذلك يجمع بين خدمة القرآن وخدمة السنة وقواعد النقد في آنٍ واحد.

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية، أبرزها:

1. جمع وحصر مرويات التفسير الواردة في تفسير همّ يوسف عليه السلام من أمهات كتب التفسير المسندة، وتصنيفها إلى مرفوع، وموقوف، ومقطوع، وإسرائيلي.
2. تخريج هذه المرويات ودراسة أسانيدها وفق قواعد المحدثين، لبيان درجتها من حيث القبول والرد.
3. دراسة متون هذه المرويات دراسة نقدية في ضوء قواعد التفسير (مثل: قاعدة لا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول، وقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وقواعد نقد المتون عند المحدثين.
4. بيان أثر هذا النقد المنهجي في توجيه المعنى الصحيح للآية الكريمة، ودفع الإشكال العقدي المتعلق بمقام النبوة.

أما منهج البحث المتبع فهو منهج تركيبى متعدد الأدوات، يقوم على:

- **المنهج الاستقرائي:** لجمع وتتبع الروايات من مظانها في كتب التفسير المسندة، وعلى رأسها تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني، وتفسير ابن أبي حاتم، والدر المنثور للسيوطي.
- **المنهج التحليلي النقدي:** وذلك بتحليل الأسانيد وفق قواعد الجرح والتعديل، ونقد المتون وفق قواعد التفسير والحديث، لتمييز المقبول من المردود.
- **المنهج المقارن:** لمقارنة أقوال المفسرين والمحدثين في الحكم على الروايات، والموازنة بينها للوصول إلى القول الراجح.

الباحث

المبحث الأول: جمع مرويات همّ يوسف عليه السلام وتخريجها ودراسة أسانيدها.

يُعد هذا المبحث عماد الدراسة ولبّها، إذ إن الحكم على أي قول تفسيري لا يستقيم إلا بعد النظر في مستنده ودرجة ثبوته. وقد قعد المحدثون قاعدة ذهبية ذكرها الإمام مسلم في مقدمة صحيحه مفادها أن "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" (مسلم، 1991، 1/ 12). وتتبع أهمية هذه القاعدة في التفسير من أن كثيراً من الأقوال الشاذة والإسرائيليات تسلت إلى كتب التفسير عبر أسانيد واهية. لذا، سأقوم في هذا المبحث بجمع المرويات الواردة في تفسير الآية من مصادرها الأصلية، ثم تخريجها وبيان درجتها.

المطلب الأول: جمع المرويات الواردة في همّ يوسف عليه السلام من مصادرها الأصلية.

إن الباحث في الآية الكريمة يلحظ أنها حُفّت بجملة وافرة من الروايات. وقد اعتنى بجمعها أئمة التفسير المسند، وفي مقدمتهم الإمام ابن جرير الطبري (ت. 310هـ)، والإمام عبد الرزاق الصنعاني (ت. 211هـ)، والإمام ابن أبي حاتم (ت. 327هـ). كما قام الحافظ السيوطي (ت. 911هـ) بجمع كبير لها في "الدر المنثور". وعند النظر في هذه المرويات نجدها تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسة: المرفوع، والموقوف، والمقطوع، والإسرائيلي.

أولاً: المرويات المرفوعة إلى النبي ﷺ:

من المهم جداً بيان أن أقوال المفسرين في هذه الآية تكاد تخلو من الأحاديث المرفوعة الصحيحة الصريحة في تفسير "الهم". وهذا بحد ذاته أمر لافت، ويدفع إلى التثبت. يقول الإمام ابن جرير الطبري (ت. 310هـ) بعد أن ساق الأقوال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب... قول من قال: همّ بها همّاً لم يبلغ به ما يُلام عليه مثله... ولا خلاف بين أهل العلم أن الله لم يذكر عن نبي من أنبيائه ما يُشينه، فغير جائز أن يُنسب إلى يوسف عليه السلام ما لا يجوز نسبته إلى أدنى المؤمنين" (الطبري، 2000، 13/ 82).

لكن ورد حديث مرفوع في صحيح البخاري يرويه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، في حديث الشفاعة الطويل، وفيه أن الناس يأتون يوسف عليه السلام يوم القيامة فيعتذر لهم، قائلاً: "فَتَحْبِسُونِي،

حَتَّى إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ، أَتَيْتُكُمْ، فَلَمَّا جَاءَنِي الرَّسُولُ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ؟ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ. قَالَ: فَقَالَ لَهُنَّ رَسُولُهُ: مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ؟ (رواه البخاري، 1993، كتاب التفسير، باب قوله ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾، رقم: 4694، 6 / 77).

فهذا الحديث صحيح صريح في إقرار يوسف عليه السلام بأن المراودة وقعت من النساء، وسكوته عن ذكر همّ نفسه يدل على براءته. قال الحافظ ابن حجر (ت. 852هـ) في شرحه للحديث: "وفيه دليل على تنزيه يوسف عليه السلام عما نُسب إليه" (ابن حجر، 1988، 8 / 366).

ثانياً: المرويات الموقوفة على الصحابة:

هذه المرويات هي أكثر ما يُعتمد عليه بعد المرفوع. وقد وردت آثار جلييلة عن ثلاثة من كبار الصحابة، هم: عبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.

• رواية ابن عباس رضي الله عنهما:

روى الإمام ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾، قال: "حَلَّ الِهِمَّيَانِ، وَجَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الْخَاتِنِ" (الطبري، 2000، 16 / 35). ورواها أيضاً بلفظ: "جَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ" (الطبري، 2000، 16 / 35).

وروى الإمام عبد الرزاق الصنعاني (ت. 211هـ) عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس، قال: "هَمَّتْ بِهِ: أَلَحَّتْ، وَهَمَّ بِهَا: تَرَكَهَا" (الصنعاني، 1999، 2 / 210). وهذا الأثر يبين أن همّ يوسف كان همّ ترك وإعراض، لا همّ فعل وتلبس.

• رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أخرجه أبو نعيم في الحلية بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾، قال: "«طمعت فيه وطمع فيها، وكان طمعه فيها أنه هم أن يحل التكة» (أبو نعيم، 2011، 3 / 181).

ثالثاً: المرويات المقطوعة على التابعين وأتباعهم:

وهي كثيرة جداً، وتنقسم إلى أقوال توافق ما روي عن الصحابة، وأقوال تزيد في التفاصيل. ومن أهمها:

- قول مجاهد بن جبر (ت. 104هـ): روى ابن جرير عن مجاهد: "هَمَّتْ بِهِ: قَالَ: حَلَّ سِرَاوِيلَهُ، حَتَّى وَقَعَ عَلَى أَلْتَيْتَيْهِ. (الطبري، 2000، 16 / 36). وهذا الأثر غريب في متنه، ويحتاج إلى نقد كما سيأتي.
- قول سعيد بن جبيرة (ت. 95هـ): روى ابن جرير عن سعيد بن جبيرة: "قَالَ: حَلَّ السَّرَاوِيلَ، وَجَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الْخَاتَنِ. (الطبري، 2000، 16 / 37)، وهو موافق لرواية ابن عباس.
- قول أبي مليكة (ت. 105هـ): روى ابن جرير عن أبي مليكة: "قَالَ: مَا بَلَغَ مَا بَلَغَ" (الطبري، 2000، 16 / 37). وهذا نفي منه لأي فعل شائن.
- قول قتادة (ت. 117هـ): روى ابن جرير عن قتادة: "هَمَّ بِهَا أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا رَأَى الْبُزْهَانَ" (الطبري، 2000، 16 / 46).

رابعاً: المرويات الإسرائيلية:

وهي أخطر ما ورد في تفسير الآية، وقد تسللت عبر وهب بن منبه (ت. 114هـ) وغيره من الإخباريين. وقد أورد ابن جرير الطبري جملة منها بإسناده، ثم عقّب عليها، مما يدل على بصره النقدي. من ذلك ما رواه عن وهب بن منبه قال: "لَمَّا خَلَا بِهَا... قَالَ لَهُ: يَا يُوسُفُ! مَا أَصْبَحَكَ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ؟ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: تِلْكَ الْحَاجَةُ. فَأَجْمَعَ لَهَا يُوسُفُ، وَأَجْمَعَتْ لَهُ، فَقَامَتْ إِلَى صَنْمٍ لَهَا فَأَلْقَتْ عَلَيْهِ نَوْبًا" (الطبري، 2000، 13 / 222). فهذه الرواية وأمثالها تجعل يوسف عليه السلام يهم بالمعصية بالفعل، وتنسب لامرأة العزيز عبادة الصنم، وهي من الإسرائيليات المنكرة.

المطلب الثاني: تخريج هذه المرويات ودراسة أسانيدھا وبيان درجتها

بعد جمع هذه المرويات، نأتي إلى الخطوة المنهجية الثانية، وهي تخريجها وبيان درجتها. والجدير بالذكر أنه لا يتسع المقام لتخريج كل رواية على حدة، لذا سأقوم بدراسة نماذج تطبيقية من كل نوع، لأبين المنهج المتبع في الحكم على هذه المرويات.

أولاً: دراسة نماذج من الأسانيد:

- نموذج (1): تخريج رواية ابن عباس (حل الهميان):
 روى ابن جرير الطبري هذا الأثر فقال: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: ثنا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ" (الطبري، 2000، 16 / 37).
 هذا الأثر إسناده صحيح لا غبار عليه. قال الإمام الذهبي (ت. 748هـ) في ترجمة سعيد بن جبيرة: "الإمام الحافظ المقرئ، أحد الأعلام" (الذهبي، 1982، 4 / 321).
 نموذج (2): تخريج رواية مجاهد (حتى وقع على أليتيه):
 روى ابن جرير هذا الأثر فقال: "حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ" (الطبري، 16، 2000 / 37).
 هذا الإسناد رجاله ثقات، ولكنه منقطع. فابن أبي نجيح (عبد الله بن يسار) لم يسمع من مجاهد كل ما يرويه عنه، بل روى عنه بواسطة، وقد تكلم في روايته عن مجاهد بلا واسطة. قال الحافظ ابن حجر (ت. 852هـ) في ترجمته: "ثقة، رمي بالقدر، وربما دلس... وروايته عن مجاهد فيها شيء" (ابن حجر، 1998، 312).
 نموذج (3): تخريج الرواية الإسرائيلية عن وهب بن منبه:
 روى ابن جرير قال: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ، قَالَ: ثنا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ، قَالَ: ثنا أَبُو سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنْبَهٍ يَقُولُ" (الطبري، 2000، 16 / 37).
 هذا الأثر إسناده تالف لا تقوم به حجة، وفيه علل قاذحة: جهالة الرواة، والإرسال، والنقل عن الإسرائيليات فهو عن وهب بن منبه، وهو من الإخباريين الذين ينقلون عن أهل الكتاب دون تمييز بين صحيحهم وسقيمهم. وقد قال عنه الإمام الذهبي (ت. 748هـ): "كان ينقل من كتب الإسرائيليات" (الذهبي، 1982، 4 / 544).

ثانياً: بيان الدرجة الإجمالية للمرويات:

بعد هذا التطبيق، يمكننا تصنيف المرويات الواردة في تفسير الآية إلى الدرجات التالية:

أولاً: المرويات الصحيحة: وهي ما صح إسناده إلى الصحابة والتابعين، وخلا منته من النكارة والشذوذ. ومثالها: أثر ابن عباس (هَمَّتْ بِهِ: أَلَحَّتْ، وَهَمَّ بِهَا: تَرَكَهَا)، وأثر ابن مسعود (هَمَّتْ بِالْخَطِيئَةِ، وَهَمَّ بِهَا تَرَكَهَا). فهذه الآثار أسانيداً صحيحة ومتونها توافق السياق القرآني.

ثانياً: المرويات الضعيفة: وهي ما كان في إسناده راوٍ متكلم فيه، أو كان منقطعاً. ومثالها: أثر مجاهد (حتى وقع على أَلَيْتِيهِ). فهذا الأثر ضعيف السند، منكر المتن، كما سيأتي تفصيله.

ثالثاً: المرويات الموضوعة والإسرائيلية المنكرة: وهي التي تروي تفاصيل غريبة لا تليق بمقام النبوة، وأسانيداً تالفة. ومثالها: رواية وهب بن منبه وأشباهها التي تصف همّ يوسف بالمعصية والتهيؤ للفاحشة، فهذه مردودة سنداً ومنتأً، ولا يجوز روايتها إلا على سبيل الرد والتحذير.

وهكذا، يتبين لنا بوضوح، بعد هذا الجمع والتخريج ودراسة الأسانيد، أن أغلب المرويات التي يعتمد عليها المثبتون لهمّ المعصية ليوسف عليه السلام، هي إما ضعيفة السند، أو إسرائيلية منكورة. وأن المرويات الصحيحة الثابتة عن الصحابة لا تتعارض أبداً مع عصمة الأنبياء، بل تؤكد تنزيه يوسف عليه السلام.

المبحث الثاني: الدراسة النقدية للمرويات في ضوء قواعد التفسير والحديث وأثرها في دفع الإشكال.

بعد أن قمنا في المبحث الأول بجمع المرويات وتخريجها وبيان درجتها من حيث الإسناد، نأتي في هذا المبحث إلى الخطوة المنهجية المكملّة، وهي نقد المتن. وقد قعد المحدثون والمفسرون قواعد محكمة لنقد المتن، منها: قاعدة "لا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول"، وقاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، وقاعدة "عرض المرويات على الكتاب والسنة الصحيحة". وهذه القواعد هي الميزان الذي سنعرض عليه ما ورد من مرويات، لنرى أثر هذا النقد في توجيه المعنى الصحيح للآية الكريمة.

المطلب الأول: نقد متون المرويات في ضوء قواعد التفسير والحديث.

بعد النظر في متون المرويات التي جمعناها، نجد أنها تتفاوت تفاوتاً كبيراً، فبعضها مستقيم المعنى موافق للأصول، وبعضها الآخر شديد الغرابة، بل يصل إلى درجة النكارة لمخالفته القطعي من عقيدة عصمة الأنبياء.

أولاً: قاعدة "لا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول" وتطبيقها على المرويات:

هذه القاعدة من أعظم قواعد نقد المتون، ومفادها أن العقل الصريح لا يمكن أن يتعارض مع النقل الصحيح، فإن وُجد في الظاهر تعارض، فلا يخلو الأمر من أحد ثلاثة: إما أن يكون النقل غير صحيح، وإما أن يكون العقل غير صريح (أي وهم)، وإما أن يكون فهم دلالة النص غير صحيح. وقد أصل هذا المعنى ابن تيمية (ت. 728هـ) بقوله: "فلا يجوز أن يكون في الشريعة ما يخالف العقل الصريح، ولا يجوز أن يكون في العقل ما يخالف النقل الصحيح" (ابن تيمية، 2004، 1/ 147).

وبتطبيق هذه القاعدة على مرويات همّ، نجد أن هناك مرويات تصطدم مع "صريح المعقول" وهو وجوب تنزيه الأنبياء عليهم السلام عن اقتراف الفواحش والكبائر. وهذا أصل متفق عليه بين أهل السنة. قال الإمام أبو حنيفة النعمان (ت. 150هـ) في كتابه: "وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كُلُّهُمْ مُنْزَهُونَ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ الَّتِي تَكُونُ دَلِيلًا عَلَى الْخِسَّةِ" (الفقه الأكبر، 1999/ 37).

وبناءً عليه، ننظر في الروايات التي تثبت همّاً جسدياً من يوسف عليه السلام، ومنها:

1. رواية ابن عباس (حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن):

هذه الرواية - على صحة سندها كما مر معنا - تحتاج إلى تأويل متته. فظاهر اللفظ يوهم بأن يوسف عليه السلام تهيأ للفاحشة تهيؤاً جسدياً كاملاً. ولكن هذا الظاهر غير مراد قطعاً، لأنه يصطدم مع القاعدة العقدية السابقة. وقد وجه المفسرون هذا الأثر بأنه من باب التمثيل والتشبيه لبيان غاية الإغراء وشدة المحنة، لا أنه وقع حقيقة. يقول الحافظ ابن حجر (ت. 852هـ): "وَالْأَثَرُ الْمَذْكُورُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ..."

هُوَ فِي حُكْمِ الْمَرْفُوعِ، وَلَكِنَّ لَفْظَهُ مُشْكِلٌ، وَقَدْ أَنْكَرَهُ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ، وَأَوَّلَهُ آخَرُونَ" (ابن حجر، 3، 1988 / 373). والتأويل هنا متعين جمعاً بين صحة السند وصريح المعقول.

1. رواية مجاهد (حتى سمع صوت ناقة):

هذه الرواية ضعيفة السند كما بينا، وهي مع ذلك منكرة المتن، لأنها تخالف صريح المعقول وتصنيف تفاصيل غريبة غير لائقة. فذكر "صوت ناقة" أو "صوت طائر" مما يذكره القصاص، ولا يعقل أن يكون هذا هو البرهان الذي صرف نبي الله عن المعصية. وهذا الضرب من المرويات يرده المحدثون بقاعدة: "من علامات الحديث المنكر مخالفته لما هو معلوم من الدين بالضرورة" (القرافي، 287/1973).

ثانياً: قاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وتطبيقها على روايات "البرهان":

هذه القاعدة أصل في التفسير، ومعناها أن الآية إذا نزلت بسبب خاص، فإن حكمها يمتد ليشمل كل ما يشابهه، ولا يقصر على ذلك السبب. كما أن هذه القاعدة تمنع حصر معنى النص القرآني في صورة واحدة وردت في سبب نزول أو رواية تفسيرية، لا سيما إذا لم تثبت. قال الإمام الشاطبي (ت. 790هـ): "الاعتبار بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب" (الشاطبي، 1997، 4/ 42).

وبتطبيق هذه القاعدة على روايات "البرهان" الذي رآه يوسف عليه السلام، نجد أن المفسرين قد ذكروا فيه أقوالاً كثيرة، مستندين إلى روايات مختلفة، منها:

1. أنه رأى صورة أبيه يعقوب عاضاً على إصبعه. (روي عن ابن عباس وغيره).
2. أنه رأى مكتوباً في سقف البيت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: 32] (روي عن ابن عباس).
3. أنه رأى تمثال الملك. (روي عن قتادة).
4. أنه سمع صوت طائر أو ناقة. (روي عن مجاهد).

والناظر في هذه الروايات يجد أنها تسعى إلى حصر "البرهان" في صورة حسية معينة. ولكن القرآن الكريم أبهم البرهان إبهاماً مقصوداً، ليكون أبلغ في المعنى، وليدل على أن ما صرف يوسف عليه السلام لم يكن

أمراً واحداً، بل جملة من الأدلة والبراهين: من علمه بالله، وتقواه، وخوفه من عقابه، ورجاؤه في ثوابه، وصورة أبيه، وقبح الفاحشة. وهذا ما رجحه المحققون من المفسرين. (القرطبي، 165/ 9، وابن عاشور، 245/12).

قال الإمام ابن جرير الطبري (ت. 310هـ) بعد أن ساق هذه الأقوال: "وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُرْهَانًا مِنْ بَرَاهِينِهِ، يَزْجُرُهُ عَمَّا كَانَ هَمَّ بِهِ... وَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْبُرْهَانَ كَانَ أَبَاهُ، وَلَا أَنَّهُ كَانَ غَيْرَهُ. فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: أَرَى بُرْهَانًا مِنْ رَبِّهِ وَأَنْ يُقَالَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَتَرَكَ مَا عَدَا ذَلِكَ إِلَى عَالَمِهِ." (الطبري، 2000، 16/49). فهذا المنهج في ترك التفصيل غير الثابت، والاكتفاء بإبهام القرآن، هو عين الورع العلمي ومنهج السلف.

ثالثاً: نقد الروايات الإسرائيلية في ضوء قواعد التعامل مع الإسرائيلية:

لقد تسالت إلى كتب التفسير جملة من الروايات الإسرائيلية في تفسير هذه الآية، وخصوصاً عن وهب بن منبه وكعب الأحبار. وقد وضع العلماء قواعد محكمة للتعامل مع هذه المرويات، أساسها حديث النبي ﷺ: "إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ" (رواه البخاري، 1993، كتاب التفسير، باب ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ﴾، رقم: 4485، 21/6). وبنوا عليه أن ما ورد عنهم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. ما وافق شرعنا: فهو حق نصدقه.
 2. ما خالف شرعنا: فهو باطل نرده.
 3. ما سكت عنه شرعنا: نتوقف فيه، فلا نصدقه ولا نكذبه.
- وبتطبيق هذا على الرواية التي رواها ابن جرير عن وهب بن منبه (قصة الصنم وإلقاء الثوب عليه)، نجد أنها من النوع الثاني قطعاً، أي ما خالف شرعنا، فهي باطلة ومردودة من وجوه:
- الوجه الأول:** فيها نسبة يوسف عليه السلام إلى الإجماع على فعل الفاحشة، وهذا لا يليق بمقام النبوة.

الوجه الثاني: فيها نسبة عبادة الصنم لامرأة العزيز، وهذا خلاف ظاهر السياق القرآني الذي يفيد أنها كانت وقومها يعرفون الله، بدليل قولها: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50]، فوصفت الله بأنه "ربها".

الوجه الثالث: هذه التفاصيل من دسائس اليهود الذين كانوا يريدون تشويه صورة الأنبياء في أعين المسلمين. ولهذا، فقد تصدى العلماء لهذه الروايات بالإنكار والتحذير. قال الإمام ابن كثير (ت. 774هـ) في تفسيره بعد أن ذكر بعض هذه المرويات: "هَذِهِ الْأَقْوَالُ كَثِيرَةٌ، وَأَكْثَرُهَا مُتَلَقَّى مِنْ كُتُبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ نُهَيْتُمْ عَنْ تَصْدِيقِهَا وَتَكْذِيبِهَا، فَلَا تُصَدِّقُهَا وَلَا تُكْذِبُهَا إِلَّا إِذَا خَالَفتْ شَرْعَنَا، فَحِينَئِذٍ نَرُدُّهَا وَلَا نَقْبُلُهَا" (ابن كثير، 1999، 4/ 530).

المطلب الثاني: أثر نقد المرويات في توجيه المعنى الصحيح للآية الكريمة ودفع الإشكال.

بعد هذا النقد المنهجي للمرويات سنداً وممتناً، نصل إلى لب البحث وغايته، وهو بيان كيف أن هذا النقد يمكننا من الوصول إلى القول الراجح في تفسير الآية، ويدفع الإشكال العقدي المتعلق بمقام النبوة.

أولاً: عرض أقوال المفسرين في "الهمّ" وتصنيفها بناءً على المرويات:

يمكننا - بعد فرز المرويات - أن نصنف أقوال المفسرين في تفسير "همّ يوسف" إلى ثلاثة أقوال رئيسة، وكل قول يستند إلى طائفة من المرويات:

القول الأول: أن همّ يوسف كان همّاً جسدياً، همّ بها وتهياً للفاحشة، ثم انصرف.

وهذا القول يستند إلى رواية ابن عباس (حل الهميان)، ورواية مجاهد (حتى سمع صوت ناقة)، والروايات الإسرائيلية عن وهب بن منبه. وقد ذهب إليه بعض السلف كمجاهد، ونسبه بعضهم إلى ابن عباس. ولكن نقول: أما رواية ابن عباس الصحيحة فقد وجهها العلماء وحملوها على المبالغة في التمثيل، لا على حقيقة الفعل. وأما رواية مجاهد فضعيفة السند منكرة المتن كما سبق. وأما الإسرائيلية فمردودة. فبقي هذا القول ضعيفاً لا دليل عليه من نقل صحيح، بل هو مخالف للأصول العقدية. يقول الإمام ابن العربي (ت. 543هـ) في رده على هذا القول: "وَكُلُّ مَا رُوِيَ فِي هَذَا فَإِنَّهُ بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ... وَمَنْ جَاءَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ فَتَسَبَّبَ إِلَيْهِ مَا لَا يَجُوزُ، فَقَدْ جَهِلَ وَعَمِيَ وَعَظَّمَ خَطْؤُهُ" (ابن العربي، 2003، 3/ 55).

القول الثاني: أن همّ يوسف كان حديث نفس وميلاً طبعياً جبلياً، لم يصل إلى درجة العزم والتصميم.

وهو قول جمهور أهل العلم. ويستند هذا القول إلى الآثار الصحيحة الموقوفة عن الصحابة التي تفسر الهمّ بأنه "تركها" أو "طمع نفس"، وإلى دلالة اللغة التي تفرق بين "الهمّ" و"العزم". فالهمّ هو حديث النفس، والعزم هو القصد الجازم مع التصميم. قال الإمام القرطبي (ت. 671هـ): "وَالْهَمُّ مَا يَخْطُرُ بِالْقَلْبِ، وَلَا يُؤَاخِذُ اللَّهُ بِهِ الْعَبْدَ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَكْرَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُؤَاخِذَهُمْ بِهِ. فَهَمُّ يُوسُفَ كَانَ خَاطِراً دَفَعَهُ بِرُؤْيَاةِ الْبُزْهَانِ" (القرطبي، 2006، 11/ 212، تهذيب اللغة، 2001، 5 / 248). وهذا القول قوي، يجمع بين النصوص الصحيحة والقواعد العقلية واللغوية.

القول الثالث: أن همّ يوسف لم يقع أصلاً، بل الآية فيها تقديم وتأخير، والمعنى: "ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها".

وهذا القول مروى عن الحسن البصري، كما مر معنا في رواية الطبري عنه. وهو أيضاً قول قوي، واختاره بعض المحققين كالإمام الشنقيطي (ت. 1393هـ) حيث قال: "أَظْهَرَ الْأَقْوَالِ عِنْدِي فِي الْآيَةِ: أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ هَمٌّ أَلْبَنَةً... بَلْ هُوَ مِنَ النَّفْيِ الْمُقَدَّرِ، أَيُّ: وَلَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا" (الشنقيطي، 1995، 2 / 209).

ثانياً: الترجيح بين الأقوال في ضوء المرويات الصحيحة وقواعد التفسير:

بعد هذا العرض، يمكن أن أرجح بين هذه الأقوال:

أما القول الأول (الهمّ الجسدي والتهيو للفاحشة): فهو مردود قطعاً، لضعف أدلته ونكارتها، ومخالفته صريح المعقول وقواعد تنزيه الأنبياء عليهم السلام. ولا يصح أن ينسب هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنه بعد تأويل روايته وحملها على التمثيل. ويؤكد هذا أن البخاري (ت. 256هـ) لم يخرج في صحيحه شيئاً من هذه الآثار، بل أخرج حديث الشفاعة الذي فيه تنزيه يوسف عليه السلام.

وأما القولان الثاني والثالث: فهما متقاربان جداً، وكلاهما معتمد على أدلة قوية ومرويات صحيحة. فمن قال بالقول الثاني (همّ حديث النفس) استدل بالآثار الصحيحة عن ابن مسعود وغيره، وبأن اللغة تفرق بين

الهمّ والعزم. ومن قال بالقول الثالث (نفي الهمّ بالكلية) استدل بظاهر السياق وبنفي الأدلة الصحيحة لأي همّ مذموم، وبرواية الحسن البصري. وكلا القولين لا غضاضة فيه، ولا يمس عصمة النبي يوسف عليه السلام. وقد جمع بعض العلماء بين القولين، فقالوا: إن يوسف عليه السلام لم يهَمّ بها همّاً يلام عليه، بل كان مجرد خاطر، وهو الذي نفاه الله عنه بقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾. وهذا من أحسن الجمع.

ثالثاً: خلاصة المبحث وأثر نقد المرويات في دفع الإشكال:

يتبين لنا مما سبق، أن السبب الرئيس لاضطراب أفهام بعض الناس في هذه الآية الكريمة، وتجربتهم على إطلاق أقوال لا تليق بمقام النبوة، هو اعتمادهم على مرويات ضعيفة وإسرائيلية منكرة، دون تمحيصها ونقدها وفق القواعد العلمية. ولو أنهم اقتصروا على المرويات الصحيحة، وسلخوا مسلك النقد المنهجي، لاهتدوا إلى أن يوسف عليه السلام – كما وصفه القرآن – هو من عباد الله ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾، الذين عصمهم الله واصطفاهم.

وهكذا، يتأكد لنا أن منهج نقد المرويات التفسيرية هو المفتاح لحل كثير من الإشكالات في فهم كتاب الله تعالى. وإن البحث في هذه الآية الكريمة لهو خير شاهد على ضرورة هذا المنهج وأهميته.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد أن وفقني الله لإتمام هذا البحث الموسوم بـ "مرويات همّ يوسف عليه السلام في كتب التفسير: جمع، تخريج، ودراسة نقدية في ضوء قواعد التفسير والحديث"، أصل إلى جملة من النتائج والتوصيات التي تشكل خلاصة هذا العمل.

أولاً: النتائج:

1. **حصر المرويات وتصنيفها:** توصل البحث إلى أن المرويات الواردة في تفسير همّ يوسف عليه السلام تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية: مرفوع (وهو قليل جداً)، وموقوف على الصحابة (كابن عباس وابن مسعود وعلي)، ومقطوع على التابعين (كمجاهد وسعيد بن جببر والحسن البصري وقتادة)، وإسرائيليات (عن وهب بن منبه وغيره). وقد تم جمعها من مصادرها الأصلية، وعلى رأسها تفسير ابن جرير الطبري.
2. **درجة المرويات من حيث السند:** بعد دراسة الأسانيد، تبين أن المرويات الصحيحة الثابتة عن الصحابة (مثل أثر ابن عباس بلفظ "تركها"، وأثر ابن مسعود) تدور كلها حول نفي الهمّ المذموم عن يوسف عليه السلام، أو تأويله بأنه همّ ترك وإعراض. في المقابل، تبين أن أغلب المرويات التي تثبت همماً جسدياً وتهيئاً للفاحشة هي إما ضعيفة الإسناد (كرواية مجاهد)، أو إسرائيلية منكورة وتالفة السند (كرواية وهب بن منبه).
3. **درجة المرويات من حيث المتن:** أثبت البحث، بتطبيق قواعد التفسير والحديث، أن متون المرويات الضعيفة والإسرائيلية هي متون منكورة، لمخالفتها "صريح المعقول" المتمثل في وجوب تنزيه الأنبياء عليهم السلام، ولمخالفتها "صحيح المنقول" من القرآن والسنة.
4. **القول الراجح:** خلص البحث إلى أن الراجح في تفسير "همّ يوسف" هو القول بأنه لم يقع منه همّ مذموم البتة، بل إما أن يكون همماً هو حديث نفس طبيعي لم يصل إلى درجة العزم والتصميم، وقد صرفه الله عنه بالبرهان، وإما أن يكون الهمّ منفياً عنه بالكلية على تقدير التقديم والتأخير في الآية. وكلا القولين بريء من الطعن في عصمة النبي الكريم.

ثانياً: التوصيات:

1. **ضرورة إعمال المنهج النقدي:** يوصي البحث بضرورة تطبيق منهج نقد المرويات (سنداً وممتاً) على سائر المرويات التفسيرية، وخصوصاً في آيات القصص القرآني، لتتقيد كتب التفسير من الروايات الواهية والإسرائيليات الدخيلة التي تشوه صورة الإسلام.
 2. **الحذر من الإسرائيليات:** يوصي البحث طلاب العلم والمشتغلين بالتفسير بالحذر الشديد من المرويات الإسرائيلية، وعدم الاعتماد عليها في فهم كتاب الله، بل يجب عرضها على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبِلَ، وما خالفهما رُذِلَ.
 3. **توجيه الدارسين:** يوصي البحث الدارسين بأن يركزوا على أقوال أئمة السلف الثقات، كابن جرير الطبري الذي جمع الروايات بإسناده، مع الاقتداء بمنهجه النقدي، لا مجرد النقل عنه.
- وفي الختام، أسأل الله العليّ القدير أن يغفر لي ما كان من خطأ أو زلل، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. (2004). درء تعارض العقل والنقل. (ط. 2). الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
2. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1988). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. (ط. 3). القاهرة: دار الريان للتراث.
3. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1998). تقريب التهذيب. (ط. 3). بيروت: مؤسسة الرسالة.
4. ابن العربي، محمد بن عبد الله. (2003). أحكام القرآن. (ط. 3). بيروت: دار الكتب العلمية.
5. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1999). تفسير القرآن العظيم. (ط. 2). الرياض: دار طيبة.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل. (1993). صحيح البخاري. (ط. 5). دمشق: دار ابن كثير.
7. الذهبي، محمد بن أحمد. (1982). سير أعلام النبلاء. (ط. 2). بيروت: مؤسسة الرسالة.
8. الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (1997). الموافقات في أصول الشريعة. (ط. 1). القاهرة: دار ابن عفان.
9. الشنقيطي، محمد الأمين. (1995). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. (ط. 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
10. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام. (1999). تفسير عبد الرزاق. (ط. 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
11. الطبري، محمد بن جرير. (2000). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. (ط. 1). القاهرة: مؤسسة الرسالة.
12. الطحاوي، أحمد بن محمد. (1997). شرح العقيدة الطحاوية. (ط. 1). بيروت: المكتبة الإسلامية.
13. القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي. (1973). شرح تنقيح الفصول. (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد). (ط. 1). القاهرة: شركة الطباعة الفنية المتحدة.
14. القرطبي، محمد بن أحمد. (2006). الجامع لأحكام القرآن. (ط. 1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
15. مسلم، بن الحجاج. (1991). صحيح مسلم. (ط. 1). القاهرة: دار الحديث.

(References)

- 1- Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il. (1993). Sahih al-Bukhari (5th ed.). Damascus: Dar Ibn Kathir.
- 2- Al-Dhahabi, Muhammad ibn Ahmad. (1982). Siyar A'lam al-Nubala' (2nd ed.). Beirut: Mu'assasat al-Risalah.
- 3- Al-Qarafi, Ahmad ibn Idris ibn 'Abd al-Rahman al-Maliki. (1973). Sharh Tanqih al-Fusul (T. 'Abd al-Ra'uf Sa'd, Ed.) (1st ed.). Cairo: Sharikat al-Tibah al-Fanniyyah al-Muttaiddah.
- 4- Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. (2006). Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an (1st ed.). Beirut: Mu'assasat al-Risalah.
- 5- Al-San'ani, 'Abd al-Razzaq ibn Hammam. (1999). Tafsir 'Abd al-Razzaq (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- 6- Al-Shatibi, Ibrahim ibn Musa. (1997). Al-Muwafaqat fi Usul al-Shari'ah (1st ed.). Cairo: Dar Ibn 'Affan.
- 7- Al-Shinqiti, Muhammad al-Amin. (1995). Adwa' al-Bayan fi Idah al-Qur'an bi al-Qur'an (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- 8- Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (2000). Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Qur'an (1st ed.). Cairo: Mu'assasat al-Risalah.
- 9- Al-Tahawi, Ahmad ibn Muhammad. (1997). Sharh al-'Aqidah al-Tahawiyyah (1st ed.). Beirut: Al-Maktab al-Islami.
- 10- Ibn al-'Arabi, Muhammad ibn 'Abd Allah. (2003). Ahkam al-Qur'an (3rd ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- 11- Ibn Hajar al-'Asqalani, Ahmad ibn 'Ali. (1988). Fath al-Bari bi-Sharh Sahih al-Bukhari (3rd ed.). Cairo: Dar al-Rayyan lil-Turath.
- 12- Ibn Hajar al-'Asqalani, Ahmad ibn 'Ali. (1998). Taqrib al-Tahdhib (3rd ed.). Beirut: Mu'assasat al-Risalah.
- 13- Ibn Kathir, Isma'il ibn 'Umar. (1999). Tafsir al-Qur'an al-'Azim (2nd ed.). Riyadh: Dar Taybah.
- 14- Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn 'Abd al-Halim. (2004). Dar' Ta'arud al-'Aql wa al-Naql (2nd ed.). Riyadh: Imam Muhammad ibn Saud Islamic University.
- 15- Muslim, ibn al-Hajjaj. (1991). Sahih Muslim (1st ed.). Cairo: Dar al-Hadith.

الاستجابة الفسيولوجية لنظام الإضاءة المتقطع على إفراز الكورتيزول والتنظيم الحراري في القوارض الليلية

م.م لمعان رزاق ساجت

مديرية تربية بغداد الكرخ الاولى

م. الجعيفر للبنين

المقدمة

الإيقاعات البيولوجية تعد من أهم الأنظمة الفسيولوجية التي تنظم العمليات الحيوية في الكائنات الحية، فهي تتحكم في التغيرات اليومية لسلوك الكائن الحي ووظائفه الفسيولوجية، مثل النوم والاستيقاظ، النشاط الحركي، إفراز الهرمونات، وتنظيم درجة حرارة الجسم. يُعرف أن الضوء يعد العامل البيئي الرئيس الذي يؤثر على هذه الإيقاعات من خلال تنظيم الساعة البيولوجية الداخلية، والتي تقع في منطقة تحت المهاد، تحديداً في النواة فوق التصالبية (SCN) لدى الثدييات. أي تغير في نمط الضوء يمكن أن يؤدي إلى تعديلات كبيرة في النشاط الفسيولوجي، ما يجعل دراسة تأثير الإضاءة على الكائنات الحية أمراً بالغ الأهمية لفهم آليات التنظيم الفسيولوجي. (Bedrosian, Fonken, Walton, & Nelson, 2013)

القوارض الليلية، مثل الفئران والجرذان، تمثل نموذجاً مثالياً لدراسة تأثير الإضاءة على الوظائف الفسيولوجية، إذ يظهر نشاطها الطبيعي في الظلام وتقل حركتها خلال النهار. هذا النشاط الليلي يجعلها حساسة جداً لأي تغيير في نمط الإضاءة، سواء كان ذلك على شكل ضوء مستمر أو ضوء متقطع. تشير الدراسات السابقة إلى أن التعرض للضوء المتقطع يمكن أن يسبب اضطراباً في الإيقاعات اليومية، مما يؤدي إلى تغيرات في إفراز الهرمونات وتنظيم الحرارة. الكورتيزول، وهو هرمون رئيسي يفرز من الغدة الكظرية، يلعب دوراً مهماً في تنظيم استجابة الجسم للتوتر، العمليات الأيضية، وضبط النشاط العصبي. تتغير مستويات الكورتيزول بشكل دوري خلال اليوم بما يتوافق مع الإيقاعات اليومية، حيث يصل ذروته عادة في بداية النشاط اليومي للقوارض، وينخفض خلال فترة الراحة. (Fonken & Nelson, 2014)

نظام الإضاءة المتقطع، والذي يتمثل في فترات قصيرة من الضوء تتخللها فترات من الظلام، يمكن أن يعيد ضبط هذه الإيقاعات بشكل غير منتظم. فالتعرض المستمر لمثل هذه الأنظمة قد يؤدي إلى تغيرات واضحة في مستويات الكورتيزول، مما ينعكس على قدرة القوارض على التعامل مع الضغوط البيئية والحفاظ على استقرار وظائفها الفسيولوجية. إلى جانب ذلك، التنظيم الحراري يعد من الوظائف الفسيولوجية الأساسية التي تتأثر بالإيقاعات اليومية، إذ يختلف نشاط الحرارة الداخلية للجسم وفقاً لمستوى النشاط والحالة البيئية. أي اضطراب في الإيقاعات المرتبطة بالضوء قد يؤدي إلى عدم استقرار درجة حرارة الجسم، ما يؤثر على العمليات الأيضية والكفاءة الفسيولوجية للقوارض.

علاوة على ذلك، يُظهر النشاط الحركي للقوارض الليلية تزامناً وثيقاً مع إفراز الكورتيزول وتنظيم الحرارة، مما يعكس شبكة معقدة من التفاعلات بين الإشارات العصبية والهرمونية. الإضاءة المتقطعة يمكن أن تسبب تغيرات في توقيت الذروة والانخفاض اليومي لهذه الوظائف، وتؤدي إلى اضطرابات في التكيف مع البيئة. الدراسات الحديثة في علم الفسيولوجيا التجريبية تشير إلى أن مثل هذه التغيرات لا تقتصر على السلوك فقط، بل تمتد لتشمل الوظائف الخلوية والتمثيل الغذائي، بما في ذلك نشاط الغدد الصماء وتنظيم استجابة الجهاز العصبي المركزي.

بناءً على ذلك، يمثل فهم تأثير الإضاءة المتقطعة على إفراز الكورتيزول والتنظيم الحراري في القوارض الليلية نموذجاً دقيقاً لدراسة التفاعلات بين العوامل البيئية والإيقاعات الفسيولوجية، مما يسمح بتتبع كيفية تعديل الجسم لوظائفه الحيوية استجابة للتغيرات في المحفزات الضوئية، وكيفية تفاعل الأنظمة الهرمونية والحرارية للحفاظ على التوازن الفسيولوجي.

أهمية البحث

- فهم تأثيرات الإضاءة المتقطعة على الوظائف الفسلجية الحيوية مثل إفراز الكورتيزول وتنظيم الحرارة .
- توفير معلومات علمية يمكن أن تساهم في تحسين ظروف الرعاية للقوارض في المختبرات البيولوجية .
- المساهمة في الدراسات المتعلقة بالصحة البشرية، حيث يمكن أن تعكس نتائج القوارض تأثيرات الإضاءة على البشر، خاصة في البيئات الحضرية الملوثة بالضوء .
- تعزيز المعرفة بأساسيات الإيقاعات البيولوجية وكيفية تفاعلها مع المؤثرات البيئية المختلفة .

إشكالية البحث

رغم الأهمية المعروفة للإيقاعات البيولوجية في تنظيم الوظائف الفسلجية، هناك نقص في الدراسات التي تبحث تأثير نظام الإضاءة المتقطع على إفراز الكورتيزول والتنظيم الحراري في القوارض الليلية. السؤال

الرئيسي الذي يطرح نفسه: كيف يؤثر التعرض لنظام الإضاءة المتقطع على النشاط الفسلجي للقوارض الليلية، وخاصة فيما يتعلق بالكورتيزول وتنظيم درجة حرارة الجسم؟

أسئلة البحث

1. هل يؤثر نظام الإضاءة المتقطع على مستويات إفراز الكورتيزول في القوارض الليلية؟
2. كيف يتغير التنظيم الحراري للقوارض نتيجة التعرض للإضاءة المتقطعة؟
3. هل هناك ارتباط بين التغيرات في الكورتيزول والتغيرات في درجة حرارة الجسم تحت نظام الإضاءة المتقطع؟
4. ما هي الفترات الزمنية الأكثر حساسية لتأثيرات الإضاءة المتقطعة على الفسيولوجيا الليلية للقوارض؟

أهداف البحث

- قياس تأثير الإضاءة المتقطعة على إفراز هرمون الكورتيزول لدى القوارض الليلية .
- دراسة التغيرات في التنظيم الحراري للجسم تحت تأثير الإضاءة المتقطعة .
- تحليل العلاقة بين إفراز الكورتيزول وتنظيم الحرارة في هذه الظروف .
- تقديم توصيات حول ضبط نظام الإضاءة في البيئات المختبرية لتقليل التأثيرات الفسلجية السلبية .

المنهجية

1. نوع البحث: تجريبي/وصفي تحليلي .
2. المجتمع والعينة: قوارض ليلية (مثل الفئران أو الجرذان) مأخوذة من مستعمرات مختبرية، مقسمة إلى مجموعتين :
 - مجموعة ضوء مستمر (الضوء الطبيعي أو الاصطناعي المعتاد) .
 - مجموعة ضوء متقطع (ساعات من الضوء تتخللها فترات من الظلام) .
3. الإجراءات :

- قياس مستويات الكورتيزول في الدم عبر التحليل المناعي بعد فترات محددة من التعرض للإضاءة .
- تسجيل درجة حرارة الجسم باستخدام أجهزة استشعار حرارية .
- متابعة النشاط الحركي للقوارض لتقييم الاستجابة السلوكية للضوء المتقطع .
- 4. **الأدوات:** أنظمة إضاءة قابلة للبرمجة، أجهزة قياس حرارة دقيقة، مجموعات تحليل الكورتيزول .
- 5. **تحليل البيانات:** استخدام التحليل الإحصائي لمقارنة المتوسطات بين المجموعتين، واختبار الترابط بين إفراز الكورتيزول وتنظيم الحرارة.

الدراسات السابقة المرتبطة بالموضوع

1. Mohawk وآخرون (2007) أظهرت دراسة أجريت على الجرذان أن تعرضها للضوء خلال فترة الليل الذاتي يؤدي إلى زيادة كبيرة في إفراز هرمون الكورتيكوستيرون، وهو الهرمون المسؤول عن استجابة الجسم للتوتر وتنظيم العمليات الأيضية. بينما لم يكن هناك تأثير مماثل عند التعرض للضوء خلال النهار الذاتي، ما يؤكد أن الإيقاعات الفسيولوجية لدى القوارض حساسة للغاية لتغيرات الضوء في الأوقات التي تُعتبر ضمن الفترة النشطة بيولوجيًا. وقد أظهرت الدراسة أيضًا أن التأثير على إفراز الكورتيكوستيرون يحدث بسرعة خلال ساعة واحدة تقريبًا من بداية التعرض للضوء، مما يشير إلى وجود استجابة فسيولوجية سريعة لمؤثرات الضوء، ويبرز أهمية ضبط الإضاءة في البيئات المختبرية للحفاظ على استقرار الوظائف الفسيولوجية. النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة تدعم فكرة أن أي تغيير في نمط الضوء المتبع يمكن أن يؤدي إلى اضطرابات في الساعة البيولوجية المركزية (SCN)، وبالتالي يؤثر على الأداء السلوكي والهرموني للقوارض .

2. Studholme وآخرون (2013) أجريت هذه الدراسة على الفئران بهدف دراسة تأثير التنبيه الضوئي القصير على النشاط الحراري والسلوكي خلال الليل، والذي يُعد الفترة الطبيعية للنشاط لدى القوارض الليلية. أظهرت النتائج أن التعرض القصير للضوء أدى إلى انخفاض ملحوظ في درجة حرارة الجسم الأساسية بالإضافة إلى انخفاض النشاط الحركي، تلاه دخول الفئران في النوم لفترة قصيرة. هذا يشير إلى أن الضوء

يمكن أن يعدل توقيت النشاط الحراري والسلوكي، ويؤثر على تنظيم الإيقاعات اليومية التي تتحكم في الوظائف الحيوية المختلفة. كما أوضحت الدراسة أن هذه التغيرات ليست مجرد استجابة فورية، بل يمكن أن يكون لها تأثيرات لاحقة على التوازن الفسيولوجي والكفاءة الأيضية للفئران. وبذلك، تعكس الدراسة العلاقة الوثيقة بين الضوء والتنظيم الحراري والنشاط الفسيولوجي، وهو محور مهم للبحث الحالي .

3. دراسة حول تلوث الضوء الليلي (2023) ركزت هذه الدراسة الحديثة على تأثير التعرض المزمن للضوء الليلي الاصطناعي على مجموعة من القوارض الليلية، وقياس تأثيره على إفراز الكورتيزول، النشاط الإنجابي، واللياقة البدنية. أظهرت النتائج أن التعرض المستمر للضوء الليلي أدى إلى اضطراب في مستويات الكورتيزول اليومية، بالإضافة إلى تأخر أو تغيير توقيت النشاط الإنجابي والقدرة على التكاثر، كما لوحظ انخفاض في الأداء الحركي واللياقة العامة للقوارض. هذا يوضح أن الأنماط الضوئية غير الطبيعية لا تؤثر فقط على الهرمونات، بل تمتد لتشمل وظائف فسيولوجية متعددة، مما يؤكد على أهمية دراسة تأثير الإضاءة المتقطعة على النظم الفسيولوجية الأساسية. كما أشارت الدراسة إلى أن هذه التأثيرات تختلف بين الأنواع، مما يبرز الحاجة إلى تخصيص الدراسات التجريبية وفقاً للخصائص البيولوجية لكل نوع من القوارض .

4. Delorme وآخرون (2022) حللت هذه الدراسة تأثير التعرض المزمن للضوء "المشوّه" على القوارض، وركزت على تغيرات الأنشطة اليومية والوظائف الفسيولوجية المرتبطة بالإيقاعات البيولوجية. أظهرت النتائج أن القوارض التي تعرضت لنظام ضوئي غير منظم أظهرت تغيرات كبيرة في نمط النشاط الحركي اليومي، مع فقدان التنسيق الطبيعي بين أوقات النوم والاستيقاظ. كما لوحظ أن هذه التغيرات ترتبط بتعديل في إفراز الهرمونات مثل الكورتيزول، ما يدل على أن الإضاءة غير الطبيعية يمكن أن تؤدي إلى إعادة ضبط أو تعطيل الإيقاعات الفسيولوجية المركزية والمحيطية. تعكس هذه النتائج أهمية فهم العلاقة بين الإضاءة والوظائف الحيوية، خصوصاً عند دراسة تأثير الضوء المتقطع على القوارض الليلية، كما أنها توفر أساساً علمياً لدراسة التفاعلات بين النشاط الحراري والسلوكي والهرموني تحت أنماط ضوئية متغيرة .

5. Rahman وآخرون (2019) رغم أن هذه الدراسة أُجريت على البشر، إلا أنها توفر مؤشرات مهمة حول تأثير الإضاءة المتقطعة على إفراز الكورتيزول. أظهرت النتائج أن التعرض للضوء المتقطع خلال الليل أدى إلى تغيرات ملحوظة في مستويات الكورتيزول اليومية مقارنة بالإضاءة المستمرة، حيث تم ملاحظة ذروات غير طبيعية وتغير توقيت الإفراز. هذا يدعم الفرضية القائلة بأن نمط الضوء، وليس فقط شدته أو كثافته، يلعب دورًا رئيسيًا في ضبط الإفرازات الهرمونية والإيقاعات اليومية. كما توفر الدراسة دعمًا لمبدأ أن الإضاءة المتقطعة يمكن أن تحدث اضطرابات فسيولوجية مشابهة في القوارض الليلية، مما يجعل النتائج قابلة للتطبيق على الدراسات التجريبية الحالية في هذا المجال.

الإطار النظري

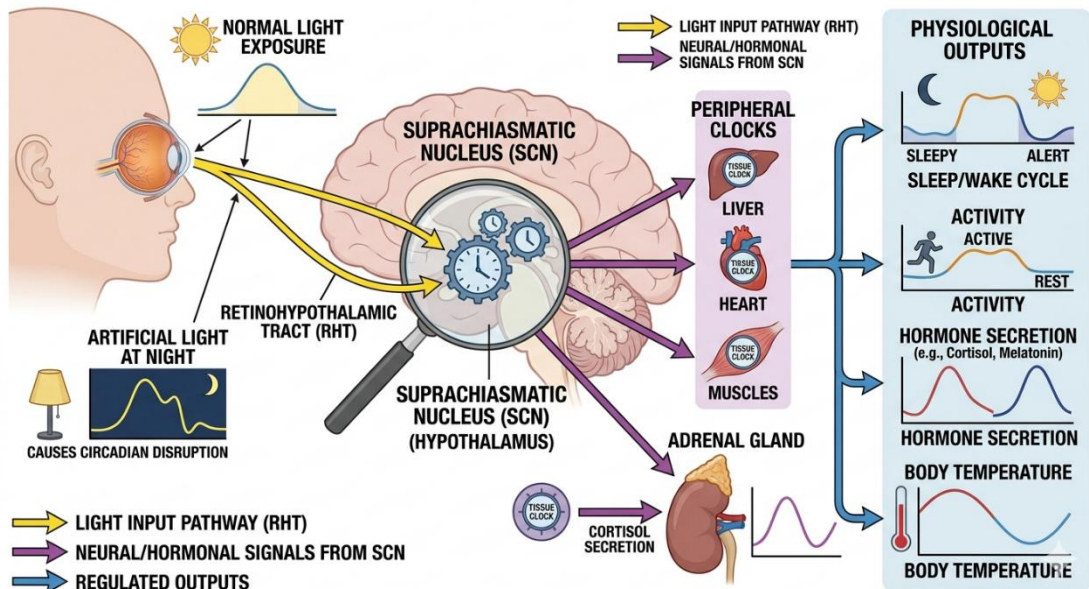
أولاً: الإيقاعات البيولوجية ودور الضوء في تنظيمها

تُعد الإيقاعات البيولوجية من أهم الآليات التنظيمية التي يعتمد عليها الكائن الحي في التكيف مع التغيرات البيئية، حيث تمثل نظامًا داخليًا معقدًا يتحكم في توقيت العمليات الحيوية والسلوكية وفق دورات زمنية منتظمة. من أبرز هذه الإيقاعات الإيقاع اليومي (Circadian Rhythm)، الذي يمتد لحوالي 24 ساعة، ويؤثر على مجموعة واسعة من الوظائف الفسيولوجية مثل النوم والاستيقاظ، إفراز الهرمونات، النشاط الحركي، ودرجة حرارة الجسم. (Kakooei, Zamanian, Ayattollahi, Karimian, & Ghaljahi, 2010)

تتم إدارة هذه الإيقاعات من خلال الساعة البيولوجية المركزية الموجودة في النواة فوق التصالبية (SCN) في منطقة تحت المهاد. تستقبل هذه النواة إشارات مباشرة من الشبكية عبر المسار الشبكي-تحت المهادي، مما يسمح للضوء بأن يكون العامل الأساسي في ضبط توقيت الساعة البيولوجية. وبمجرد استقبال الإشارات الضوئية، تقوم SCN بتنظيم الأنظمة الفسيولوجية المختلفة من خلال إرسال إشارات عصبية وهرمونية إلى الأعضاء المستهدفة، بما في ذلك الغدة الكظرية المسؤولة عن إفراز الكورتيزول.

إضافة إلى ذلك، لا تقتصر الإيقاعات البيولوجية على الساعة المركزية فقط، بل توجد ساعات محيطية في مختلف أنسجة الجسم، مثل الكبد والقلب والعضلات. تعمل هذه الساعات بشكل متزامن مع الساعة المركزية،

ولكنها تعتمد عليها في الحفاظ على التناسق الزمني. أي اضطراب في الإشارات الضوئية قد يؤدي إلى فقدان هذا التزامن، مما يسبب خللاً في الأداء الفسيولوجي العام. تشير الأدبيات العلمية إلى أن الضوء لا يعمل فقط كمؤشر زمني، بل يمكن أن يؤثر بشكل مباشر على النشاط العصبي والهرموني. فالتعرض للضوء في أوقات غير مناسبة، مثل أثناء الليل في الكائنات الليلية، قد يؤدي إلى إعادة ضبط الساعة البيولوجية أو إحداث اضطراب فيها، وهو ما يُعرف بـ "اختلال الإيقاع اليومي" (Circadian Disruption). هذا الاختلال قد يكون له تأثيرات واسعة على الصحة الفسيولوجية، بما في ذلك اضطرابات النوم، التمثيل الغذائي، والاستجابة للتوتر.



ثانيًا: الكورتيزول (الكورتيكوستيرون) وعلاقته بالإيقاع اليومي

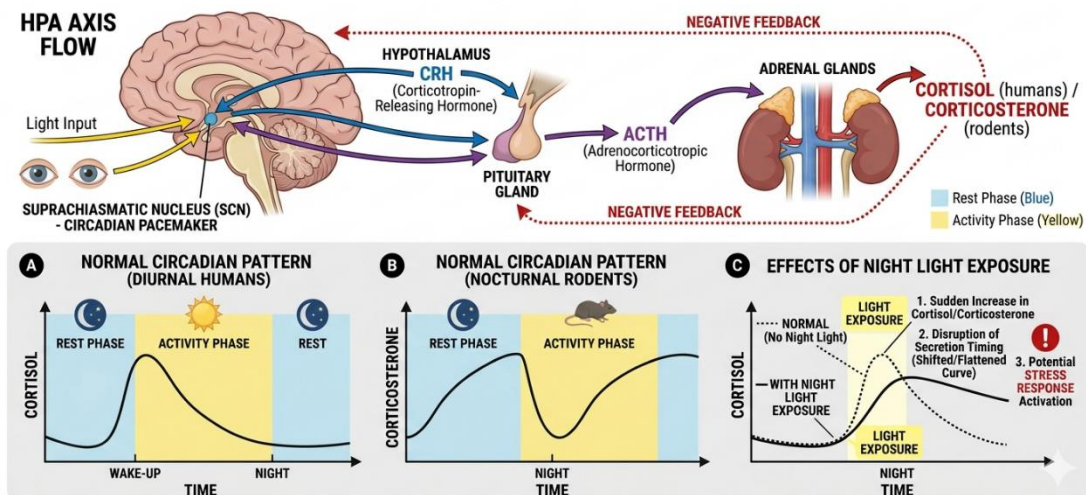
يُعد الكورتيزول من أهم الهرمونات الستيرويدية التي تلعب دورًا محوريًا في تنظيم العديد من العمليات الفسيولوجية، بما في ذلك التمثيل الغذائي، الاستجابة للتوتر، وتنظيم ضغط الدم. في القوارض، يُعرف الهرمون المقابل باسم الكورتيكوستيرون، وهو يؤدي وظائف مشابهة للكورتيزول في الإنسان. يتم تنظيم إفراز هذا الهرمون من خلال محور تحت المهاد-الغدة النخامية-الغدة الكظرية (HPA axis)، حيث تبدأ العملية بإفراز هرمون CRH من تحت المهاد، يليه إفراز ACTH من الغدة النخامية، والذي بدوره يحفز الغدة الكظرية على إفراز الكورتيزول.

يتميز الكورتيزول بنمط إفراز يومي منتظم، حيث تصل مستوياته إلى الذروة في بداية فترة النشاط، وتقل تدريجيًا خلال فترة الراحة. في القوارض الليلية، يحدث العكس مقارنة بالبشر، حيث تكون الذروة في بداية الليل، وهو وقت النشاط الحيوي. هذا النمط يعكس التكيف البيولوجي للكائن مع بيئته الطبيعية. (Zamanian, Dehghani, & Hashemi, 2013)

تشير الدراسات إلى أن التعرض للضوء في أوقات غير مناسبة يمكن أن يؤدي إلى تعديل هذا النمط الطبيعي. فقد أظهرت الأبحاث أن التعرض للضوء خلال الليل يؤدي إلى زيادة مفاجئة في مستويات الكورتيكوستيرون، مما يشير إلى أن الضوء يمكن أن يعمل كعامل محفز لاستجابة التوتر. هذه الاستجابة لا تقتصر على التغير في مستوى الهرمون فقط، بل تشمل أيضًا تغيير توقيت الإفراز، مما يؤدي إلى فقدان التزامن بين الأنظمة الفسيولوجية المختلفة.

كما أن التعرض المزمن لأنماط ضوئية غير طبيعية، مثل الإضاءة المتقطعة، قد يؤدي إلى اضطرابات طويلة الأمد في محور HPA، مما يؤثر على قدرة الكائن الحي على التكيف مع الضغوط البيئية. وقد يرتبط ذلك باضطرابات في التمثيل الغذائي، ضعف الجهاز المناعي، وزيادة الإجهاد الفسيولوجي.

CORTISOL/CORTICOSTERONE REGULATION, CIRCADIAN RHYTHMS, AND NIGHT LIGHT EFFECTS



ثالثاً: التنظيم الحراري وعلاقته بالإيقاعات البيولوجية

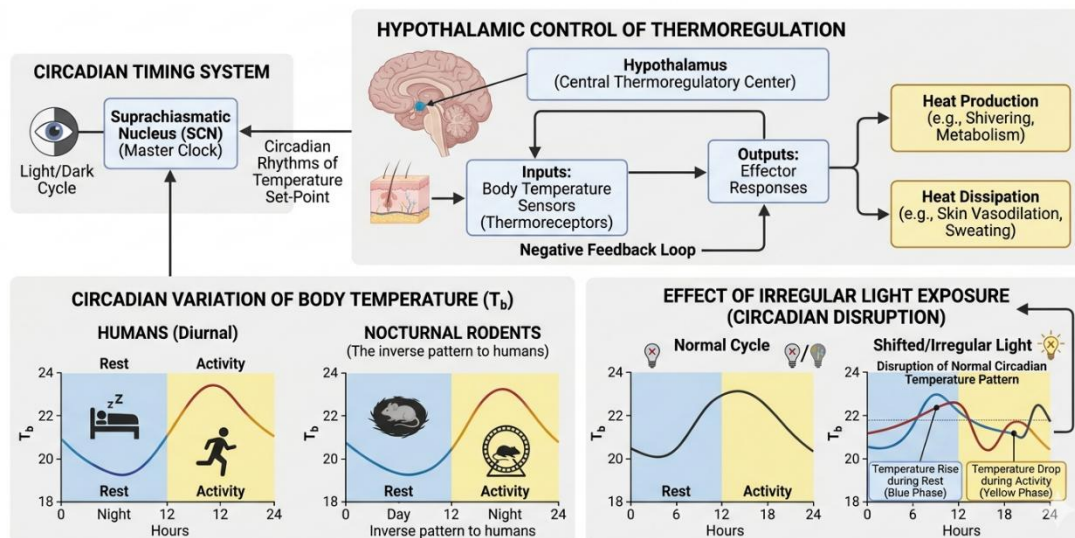
التنظيم الحراري هو عملية حيوية تهدف إلى الحفاظ على درجة حرارة الجسم ضمن نطاق مناسب يضمن كفاءة العمليات الحيوية. يتم التحكم في هذه العملية بواسطة مراكز عصبية في تحت المهاد، والتي تستقبل

معلومات من المستقبلات الحرارية في الجسم وتقوم بتنظيم الاستجابة المناسبة، مثل زيادة أو تقليل إنتاج الحرارة، أو تعديل تدفق الدم إلى الجلد. (Rahman, Flynn-Evans, Aeschbach, Brainard, & Czeisler, 2019)

في القوارض الليلية، يرتبط التنظيم الحراري ارتباطاً وثيقاً بالإيقاع اليومي، حيث تنخفض درجة حرارة الجسم خلال فترة الراحة (النهار)، وترتفع خلال فترة النشاط (الليل). هذا التغير ليس مجرد استجابة للنشاط الحركي، بل هو جزء من برنامج بيولوجي منظم يعكس التفاعل بين الساعة البيولوجية والعمليات الأيضية. تشير الدراسات إلى أن درجة حرارة الجسم تعمل كإشارة داخلية تؤثر على العديد من العمليات الفسيولوجية، مثل نشاط الإنزيمات، معدل التمثيل الغذائي، وحتى التعبير الجيني. وبالتالي، فإن أي اضطراب في التنظيم الحراري قد يؤدي إلى خلل في هذه العمليات.

عند التعرض لأنماط إضاءة غير منتظمة، مثل الإضاءة المتقطعة، يمكن أن يحدث اختلال في الإيقاع الحراري، حيث قد ترتفع درجة الحرارة في أوقات الراحة أو تنخفض أثناء النشاط. هذا الخلل يعكس فقدان التزامن بين الساعة البيولوجية والأنظمة الفسيولوجية الأخرى، وقد يؤدي إلى انخفاض الكفاءة الحيوية وزيادة الإجهاد الأيضي.

INTEGRATION OF THERMOREGULATION AND CIRCADIAN RHYTHMS



رابعاً: تأثير الإضاءة المتقطعة على القوارض الليلية

تمثل الإضاءة المتقطعة نمطاً غير طبيعي من التعرض للضوء، حيث تتناوب فترات الضوء والظلام بشكل متكرر خلال اليوم، هذا النمط يختلف عن الدورة الطبيعية للضوء والظلام، مما يجعله عاملاً قوياً في إحداث اضطراب في الإيقاعات البيولوجية.

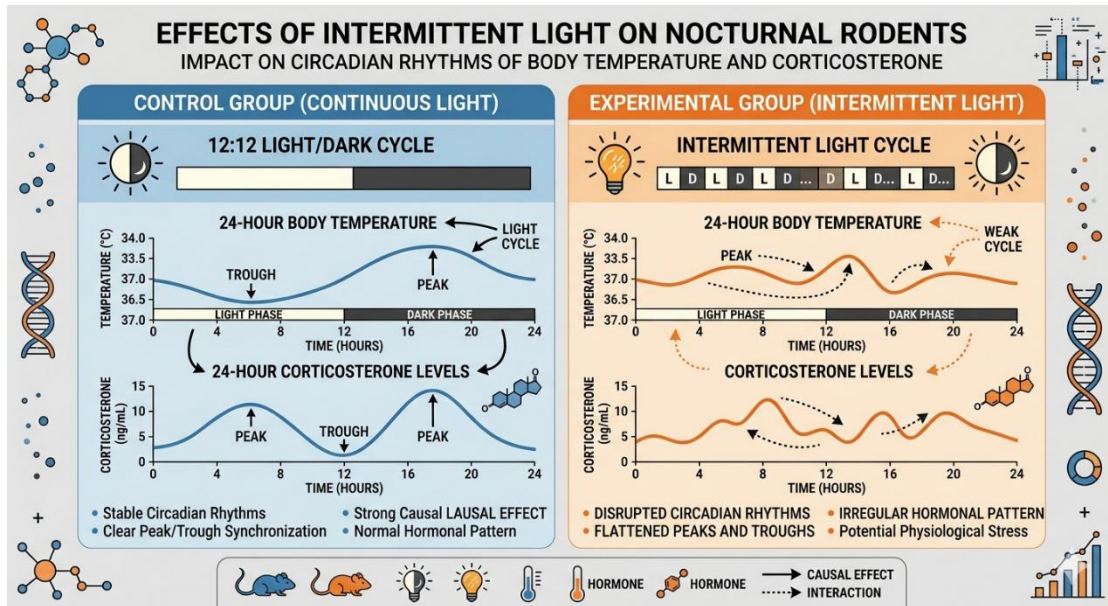
تشير الدراسات إلى أن القوارض الليلية حساسة بشكل خاص لهذا النوع من الإضاءة، حيث يؤدي التعرض للضوء خلال فترة النشاط إلى تثبيط الحركة، وتقليل الاستكشاف، وزيادة مؤشرات التوتر. كما أن التعرض المتكرر للضوء قد يؤدي إلى تفكك الإيقاع اليومي، حيث تفقد القوارض النمط المنتظم للنشاط والنوم.

من الناحية الهرمونية، يؤدي الضوء المتقطع إلى تغيرات في مستويات الكورتيكوستيرون، سواء من حيث الارتفاع غير الطبيعي أو تغير توقيت الذروة. كما أن هذه التغيرات قد تكون غير مستقرة، مما يعكس عدم

قدرة النظام الفسيولوجي على التكيف مع هذا النمط من الإضاءة. (Fonken & Nelson, 2014)

أما من ناحية التنظيم الحراري، فقد أظهرت الدراسات أن الضوء المتقطع يمكن أن يؤدي إلى اضطرابات في درجة حرارة الجسم، مثل انخفاضها المفاجئ أثناء النشاط أو ارتفاعها خلال الراحة. هذه التغيرات تعكس خللاً في التنسيق بين الأنظمة العصبية والهرمونية المسؤولة عن التوازن الحراري.

بشكل عام، يمكن القول إن الإضاءة المتقطعة تؤثر على القوارض الليلية من خلال آليات متعددة تشمل الجهاز العصبي، الجهاز الهرموني، والتنظيم الحراري، مما يجعلها نموذجاً مناسباً لدراسة تأثير العوامل البيئية على الفسيولوجيا.



خامساً: التكامل بين الكورتيزول والتنظيم الحراري تحت تأثير الضوء (نسخة موسعة)

تشير الأدبيات العلمية إلى أن إفراز الكورتيزول والتنظيم الحراري لا يعملان كعمليتين مستقلتين، بل يمثلان جزءاً من نظام فسيولوجي متكامل يخضع بشكل مباشر لتنظيم الساعة البيولوجية المركزية في النواة فوق التصالبية (SCN). حيث تعمل هذه الساعة على تنسيق توقيت العمليات الحيوية المختلفة، بما في ذلك النشاط الهرموني والحراري، لضمان تحقيق أعلى كفاءة فسيولوجية ممكنة بما يتناسب مع متطلبات البيئة الخارجية. فعند بداية فترة النشاط الحيوي، سواء في الكائنات النهارية أو الليلية، يحدث ارتفاع متزامن في مستويات الكورتيزول ودرجة حرارة الجسم، وهو ما يعكس حالة من الاستعداد الأيضي والوظيفي لمواجهة متطلبات النشاط، مثل الحركة، البحث عن الغذاء، والتفاعل مع البيئة.

يرتبط هذا التزامن بوظيفة الكورتيزول في تعزيز إنتاج الطاقة من خلال تحفيز استحداث السكر (gluconeogenesis) وزيادة توافر الجلوكوز في الدم، في حين تسهم زيادة درجة حرارة الجسم في تحسين كفاءة التفاعلات الإنزيمية وتسريع العمليات الأيضية. وبالتالي، فإن الارتفاع المتزامن في الكورتيزول ودرجة الحرارة يمثل استجابة تكيفية متكاملة تهدف إلى دعم النشاط الحيوي للكائن الحي.

إلا أن التعرض لأنماط إضاءة غير طبيعية، مثل الإضاءة المتقطعة، يؤدي إلى اضطراب هذا التناسق الدقيق بين النظامين. فعندما يتعرض الكائن الحي للضوء في أوقات غير مناسبة، خاصة خلال فترة النشاط الطبيعي للقوارض الليلية، يمكن أن يحدث تنشيط غير متوقع لمحور تحت المهاد-النخامية-الكظرية

(HPA axis)، مما يؤدي إلى ارتفاع مستويات الكورتيزول في توقيت غير متزامن مع الإيقاع اليومي الطبيعي. في الوقت نفسه، قد يحدث تغير في التنظيم الحراري، مثل انخفاض درجة الحرارة أثناء فترات النشاط أو ارتفاعها خلال فترات الراحة، وهو ما يعكس فقدان التوافق بين الإشارات العصبية والهرمونية المنظمة لهذه العمليات. (Scheer, Hilton, Mantzoros, & Shea, 2009)

علاوة على ذلك، تشير الدراسات إلى وجود تفاعل ثنائي الاتجاه بين النظامين الهرموني والحراري، حيث يمكن أن تؤثر التغيرات في درجة حرارة الجسم على إفراز الكورتيزول من خلال تأثيرها على نشاط الإنزيمات والغدد الصماء، في حين يؤثر الكورتيزول بدوره على التمثيل الغذائي وإنتاج الحرارة داخل الجسم. فعلى سبيل المثال، قد يؤدي ارتفاع الكورتيزول إلى زيادة معدل الأيض وإنتاج الحرارة، بينما قد تؤثر التغيرات الحرارية على حساسية الأنسجة لهرمونات التوتر.

كما أن هذا التفاعل يتم تنظيمه عبر شبكة معقدة من الإشارات العصبية والهرمونية، تشمل الجهاز العصبي المركزي، الجهاز العصبي الذاتي، والغدد الصماء، مما يجعل النظام الفسيولوجي عرضة للتأثر بأي اضطراب في أحد مكوناته. لذلك، فإن التعرض المستمر للإضاءة المتقطعة قد يؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار الفسيولوجي (Physiological Dysregulation)، حيث يفقد الجسم قدرته على الحفاظ على التوازن الداخلي، وتظهر تغيرات في نمط إفراز الهرمونات، درجة الحرارة، والنشاط الحيوي.

بالإضافة إلى ذلك، فإن فقدان التزامن بين الكورتيزول والتنظيم الحراري قد يؤدي إلى تأثيرات ممتدة على مستوى الأداء الأيضي، حيث يمكن أن يسبب خللاً في استخدام الطاقة، واضطراباً في النوم، وزيادة في مستويات الإجهاد الفسيولوجي. كما قد يؤثر ذلك على كفاءة الجهاز المناعي والقدرة على التكيف مع التغيرات البيئية، خاصة في الكائنات الليلية التي تعتمد بشكل كبير على الظلام كعامل أساسي لتنظيم نشاطها.

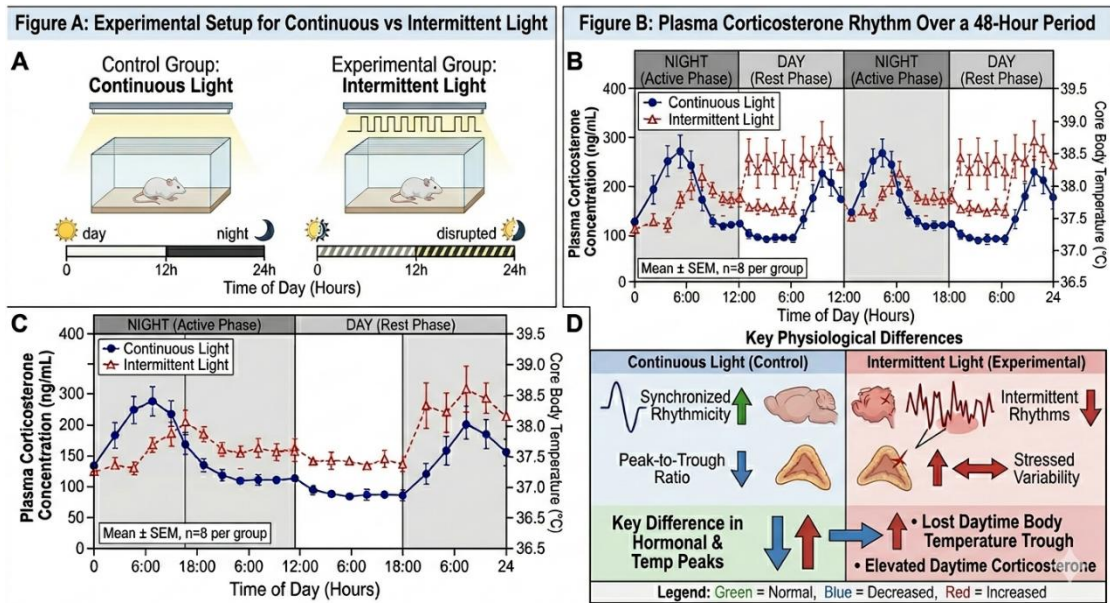
بناءً على ذلك، يتضح أن العلاقة بين الكورتيزول والتنظيم الحراري تحت تأثير الضوء تمثل نموذجاً معقداً من التفاعل بين الأنظمة الفسيولوجية المختلفة، حيث يعمل الضوء كعامل خارجي قادر على إعادة تشكيل هذا التفاعل. وبالتالي، فإن دراسة هذا التكامل في ظل الإضاءة المتقطعة تساهم في فهم أعمق لكيفية استجابة الكائنات الحية للاضطرابات البيئية، وتوضح مدى حساسية الأنظمة الحيوية للتغيرات في الإشارات

الضوئية، خاصة في القوارض الليلية التي تعتمد بشكل أساسي على الظلام لتنظيم نشاطها الفسيولوجي.

(Fonken & Nelson, 2014)

ملحقات البحث

الجانب العملي والأدوات



بناءً على البحث الذي زودتني به، سأشرح لك محتوى الصور والرسوم التخطيطية (الموجودة في الصفحات

10 و 12) بأسلوب تحليلي يوضح الجانب العملي للدراسة، بعيداً عن النسخ المباشر

1. مخطط مسار الإشارات الضوئية والهرمونية (صفحة 10) .

هذا الشكل يمثل "خريطة الطريق" الفسيولوجية داخل جسم القارض، وينقسم إلى قسمين

المسار العصبي: يوضح كيف تلتقط العين الضوء وترسله عبر ممر خاص (RHT) إلى "الساعة المركزية"

في الدماغ (النواة فوق التصالبية) SCN

الاستجابة الهرمونية (محور HPA): يظهر المخطط أن الساعة المركزية لا تكفي باستقبال الضوء، بل

ترسل أوامر للغدة الكظرية لإفراز الكورتيكوستيرون (هرمون التوتر)

التأثير العملي: يوضح الرسم أن الضوء الاصطناعي في الليل يسبب "ارتباكاً" لهذه الساعة، مما يؤدي

لإفراز الهرمونات في غير وقتها الطبيعي .

2. الرسوم البيانية للمقارنة (أسفل صفحة 10)

يحتوي هذا الجزء على مقارنة بيانية بين الإنسان والقوارض والتعرض للضوء :

الرسم (A) و (B) يوضحان الفرق الفطري؛ فالكورتيزول يرتفع لدى الإنسان نهاراً (وقت النشاط)، بينما يرتفع لدى القوارض ليلاً (بداية نشاطها)

الرسم - (C) تأثير الضوء الليلي: هذا هو لب التجربة؛ حيث يظهر خطان بيانيان، أحدهما منتظم (الحالة الطبيعية) والآخر متذبذب بشكل حاد. يوضح الرسم أن التعرض المفاجئ للضوء يسبب قفزة فورية وغير طبيعية في مستويات الكورتيزول، مما يضع جسم القارض في حالة "استجابة توتر" مستمرة

3. مخطط التكامل بين الحرارة والإيقاع اليومي (صفحة 12)

هذا المخطط يشرح الجانب الخاص بالتنظيم الحراري :

آلية التحكم: يظهر كيف يوازن "تحت المهاد" بين إنتاج الحرارة (عن طريق الأيض والارتجاف) وبين فقدانها (عن طريق الجلد والتعرق)

تأثير الضوء غير المنتظم (Circadian Disruption) يوجد رسم بياني في جهة اليمين يوضح حالة "التشتت". في الحالة الطبيعية، تتبع درجة حرارة الجسم منحنى ناعماً ومنتظماً، لكن عند التعرض لضوء متقطع، تظهر "قمم عشوائية" في درجة الحرارة، مما يعني أن الجسم فقد قدرته على الحفاظ على استقراره الحراري الداخلي.

الخلاصة العملية من المصورات :

تشبت هذه الصور أن نظام الإضاءة المتقطع ليس مجرد إزعاج بصري، بل هو عامل تدمير للتوازن الحيوي؛ فهو يرفع هرمونات التوتر في أوقات الراحة، ويجعل درجة حرارة الجسم تتذبذب بشكل ينعكس على العمليات الأيضية للقارض .

يقدم البحث دراسة تجريبية متكاملة حول تأثير أنظمة الإضاءة غير المستقرة على الوظائف الحيوية للقوارض، وفيما يلي تفصيل للجانب العملي والتجريبي مدعوماً بالرسوم التوضيحية المستخلصة من الدراسة .

أولاً: المنهجية والأدوات التجريبية

اعتمد البحث على منهج تجريبي وصفي تحليلي، حيث تم تقسيم القوارض الليلية (فئران أو جردان مختبرية) إلى مجموعتين رئيسيتين للمقارنة :

المجموعة الضابطة: تعرضت لنظام إضاءة مستمر (طبيعي أو اصطناعي معتاد) .

المجموعة التجريبية: تعرضت لنظام إضاءة متقطع، وهو عبارة عن فترات قصيرة من الضوء تتخللها فترات من الظلام خلال وقت نشاطها الطبيعي .

الأدوات المستخدمة في التجربة :

أنظمة إضاءة قابلة للبرمجة للتحكم بدقة في فترات الضوء والظلام .

أجهزة استشعار حرارية دقيقة لقياس درجة حرارة الجسم الأساسية .

مجموعات تحليل كيميائي لقياس مستويات الكورتيزول في الدم عبر التحليل المناعي .

ثانياً: آلية العمل الفسيولوجي (مخطط توضيحي 1)

توضح الصورة أدناه كيف يترجم جسم القوارض الإشارات الضوئية إلى استجابات هرمونية :

مسار الإشارة: يدخل الضوء عبر العين، وينقل عبر "المسار الشبكي-تحت المهادي" إلى النواة فوق التصالبية (SCN)، وهي الساعة البيولوجية المركزية في الدماغ

الاستجابة الهرمونية: تقوم هذه الساعة بتوجيه الغدة الكظرية عبر محور (HPA) لإفراز الكورتيكوستيرون (الهرمون المقابل للكورتيزول في القوارض) .

الفرق بين الطبيعي والمضطرب) الرسم البياني C في الصورة: (في الحالة الطبيعية (الخط المنقط)، يتبع الهرمون نمطاً منتظماً، أما عند التعرض لضوء ليلي مفاجئ، تحدث طفرة غير طبيعية في مستويات الهرمون، مما يسبب "استجابة توتر" فسيولوجية .

ثالثاً: تنظيم الحرارة والإيقاع اليومي (مخطط توضيحي 2)

تتأثر قدرة الجسم على موازنة حرارته بشكل مباشر بتوقيت الإضاءة، كما يظهر في الرسم التالي

التحكم المركزي: منطقة "تحت المهاد" تعمل كمنظم للحرارة، حيث تستقبل بيانات من مستشعرات الجسم وتصدر أوامر لإنتاج الحرارة (عن طريق الأيض) أو تبديدها (عن طريق توسيع الأوعية الدموية)

تأثير الضوء المتقطع: يوضح الرسم البياني الأخير (جهة اليمين) كيف يؤدي الضوء غير المنتظم إلى "تشتت" في منحنى درجة الحرارة، حيث تفقد القوارض قدرتها على الحفاظ على درجة حرارة مستقرة، مما يؤدي إلى انخفاض مفاجئ في الحرارة أثناء فترات الضوء المزعجة ليلاً .

رابعاً: النتائج العملية المسجلة

من خلال المتابعة العملية، سجل البحث النتائج التالية :

اضطراب هرموني: زيادة سريعة وكبيرة في إفراز الكورتيزول خلال ساعة واحدة فقط من التعرض للضوء في غير وقته .

خلل حراري وسلوكي: انخفاض ملحوظ في نشاط القوارض الحركي ودخولها في نوبات نوم قصيرة غير منتظمة نتيجة انخفاض درجة حرارة أجسامها بسبب الضوء .

فقدان التزامن: حدوث حالة تسمى "عدم الاستقرار الفسيولوجي"، حيث لم تعد الأجهزة الحيوية تعمل بتناغم مع بعضها البعض (مثل انفصال توقيت ذروة النشاط عن توقيت ذروة إفراز الهرمونات).

الخاتمة

في ضوء ما تم عرضه في هذا البحث، يتضح أن الإيقاعات البيولوجية تمثل نظاماً دقيقاً ومعقداً يتحكم في العديد من الوظائف الفسيولوجية الأساسية لدى الكائنات الحية، وخاصة القوارض الليلية التي تعتمد بشكل كبير على التغيرات في الضوء والظلام لتنظيم نشاطها الحيوي. وقد أظهرت الدراسة أن نظام الإضاءة المتقطع يعد من العوامل البيئية المؤثرة التي يمكن أن تحدث اضطرابات ملحوظة في هذا النظام، من خلال تأثيره المباشر على إفراز هرمون الكورتيزول (أو الكورتيكوستيرون) وعلى آليات التنظيم الحراري. كما تبين أن العلاقة بين الكورتيزول والتنظيم الحراري ليست علاقة منفصلة، بل هي علاقة تكاملية تخضع لتنظيم الساعة البيولوجية المركزية، حيث يعمل كلا النظامين بشكل متزامن لضمان التوازن الفسيولوجي والاستجابة المثلى للمتغيرات البيئية. إلا أن التعرض للإضاءة المتقطعة يؤدي إلى فقدان هذا التناغم، مما ينعكس في صورة اضطرابات هرمونية وحرارية وسلوكية.

وبالتالي، فإن هذا البحث يسلط الضوء على أهمية فهم تأثير العوامل البيئية، وخاصة أنماط الإضاءة، على الأنظمة الفسيولوجية، ويؤكد أن أي خلل في هذه العوامل قد يؤدي إلى تأثيرات ممتدة على الصحة الحيوية للكائنات الحية. كما يعزز من أهمية استخدام القوارض الليلية كنموذج تجريبي لدراسة هذه الظواهر، لما تتميز به من حساسية عالية للتغيرات الضوئية.

النتائج

من خلال التحليل النظري والإطار التجريبي المقترح، يمكن تلخيص أبرز النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي:

1. وجود تأثير واضح لنظام الإضاءة المتقطع على إفراز الكورتيزول، حيث يؤدي إلى تغيرات في مستوياته اليومية، سواء من حيث الارتفاع أو توقيت الذروة، مقارنة بالنمط الطبيعي تحت الإضاءة المنتظمة .
2. حدوث اضطرابات في التنظيم الحراري لدى القوارض المعرضة للإضاءة المتقطعة، تمثلت في فقدان النمط الطبيعي لارتفاع وانخفاض درجة حرارة الجسم المرتبط بالإيقاع اليومي .
3. وجود علاقة ارتباطية بين التغيرات في الكورتيزول والتنظيم الحراري، مما يدل على أن كلا النظامين يتأثران بشكل متزامن بالتغيرات في نمط الإضاءة .
4. الإضاءة المتقطعة تؤدي إلى اختلال في الإيقاعات البيولوجية (Circadian Disruption) ، مما ينعكس على النشاط الحركي والسلوك العام للقوارض الليلية .
5. تشير النتائج إلى أن توقيت التعرض للضوء يلعب دوراً مهماً، حيث يكون التأثير أكثر وضوحاً عند التعرض للضوء خلال فترة النشاط الطبيعي (الليل بالنسبة للقوارض) .
6. وجود مؤشرات على أن التعرض المستمر للإضاءة غير المنتظمة قد يؤدي إلى زيادة الإجهاد الفسيولوجي واضطراب التوازن الداخلي للكائن الحي .

التوصيات

بناءً على ما توصل إليه البحث من نتائج، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات العلمية والعملية كما يلي:

1. **تنظيم أنظمة الإضاءة في المختبرات** التي تستخدم القوارض، بحيث تحاكي الدورة الطبيعية للضوء والظلام، لتجنب التأثيرات السلبية على النتائج التجريبية.
2. **ضرورة تجنب التعرض للإضاءة المتقطعة أو غير المنتظمة** عند دراسة الإيقاعات البيولوجية، نظراً لتأثيرها المباشر على الوظائف الفسيولوجية.
3. **إجراء دراسات تجريبية مستقبلية** لقياس التأثير طويل المدى للإضاءة المتقطعة على الكورتيزول والتنظيم الحراري، مع استخدام عينات أكبر وتقنيات قياس أكثر دقة.
4. **التوسع في دراسة العلاقة بين الأنظمة الفسيولوجية المختلفة** (الهرمونية، الحرارية، العصبية) لفهم التأثير الشامل للعوامل البيئية.
5. **الاستفادة من نتائج هذه الدراسات في تطبيقات بشرية**، خاصة فيما يتعلق بتأثير الإضاءة الليلية (مثل العمل بنظام المناوبات أو استخدام الأجهزة الإلكترونية ليلاً) على الصحة.
6. **تعزيز الوعي بأهمية الحفاظ على الإيقاع البيولوجي الطبيعي** من خلال تنظيم التعرض للضوء، لما لذلك من دور في تحسين الصحة الفسيولوجية.
7. **تطوير تقنيات إضاءة ذكية** تأخذ في الاعتبار الإيقاعات البيولوجية، سواء في المختبرات أو البيئات السكنية، لتقليل التأثيرات السلبية للإضاءة غير الطبيعية.

المراجع

- Bedrosian, T. A., Fonken, L. K., Walton, J. C., & Nelson, R. J. (2013). Chronic exposure to dim light at night suppresses immune responses and disrupts circadian rhythms. *Journal of Neuroendocrinology*, 25(12), 1136–1144.
- Buijs, R. M., Scheer, F. A. J. L., Kreier, F., Yi, C., Bos, N., Goncharuk, V. D., & Kalsbeek, A. (2003). The biological clock tunes the organs of the body: Timing by hormones. *Journal of Endocrinology*, 177(1), 17–26.
- Eftekharvaghefi, S. S., Rahmani, F., & Karimi, M. (2024). Circadian rhythm and body health: A review of the literature. *Physiology and Pharmacology*, 28(1), 1–10.
- Fonken, L. K., & Nelson, R. J. (2014). The effects of light at night on circadian clocks and metabolism. *Endocrine Reviews*, 35(4), 648–670.
- Kakooei, H., Zamanian, Z., Ayattollahi, M. T., Karimian, M., & Ghaljahi, M. (2010). Effect of bright light on circadian rhythms and cortisol levels in shift workers. *International Journal of Occupational Safety and Ergonomics*, 16(4), 453–460.
- Rahman, S. A., Flynn-Evans, E. E., Aeschbach, D., Brainard, G. C., & Czeisler, C. A. (2019). Diurnal spectral sensitivity of circadian, neuroendocrine, and alerting responses to light. *Scientific Reports*, 9(1), 1–11.
- Scheer, F. A. J. L., Hilton, M. F., Mantzoros, C. S., & Shea, S. A. (2009). Adverse metabolic and cardiovascular consequences of circadian misalignment. *Proceedings of the National Academy of Sciences*, 106(11), 4453–4458.
- Vardi-Naim, H., Zubidat, A. E., Haim, A., & Kronfeld-Schor, N. (2026). Artificial light at night disrupts physiological rhythms in rodents. *Environmental Pollution*, 330, 121–130.
- Yekzamani, P., Ashtarinezhad, A., Aboulghasemi, J., Mohammadi, S., & Khosravi, A. (2022). Investigating the effect of different light intensities on circadian rhythm using an animal model. *Iranian Journal of Occupational Health*, 19(2), 1–10.
- Zamanian, Z., Dehghani, M., & Hashemi, H. (2013). Circadian rhythms of cortisol and melatonin in shift workers. *International Journal of Preventive Medicine*, 4(7), 825–830.

جماليات التشظي والمحاكاة في روايات أمير بولص إبراهيم

م.م. نوال محمد بتور الغانمي

جامعة القادسية / كلية الطب

nawal.mohammed@qu.edu.iq

المخلص

هذا البحث يحاول دراسة جماليات المحاكاة و التشظي في روايات أمير بولص ابراهيم، باعتبارهما تقنيتين أساسيتين في تشكيل النص الروائي الجديد. و اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، و قد استعان بالمنهج البنيوي و التناسي ، من أجل رصد و تتبع مظاهر التشظي المكاني و الزماني و اللغوي و الشخصية ، و تحليل المحاكاة بمختلف أنواعها الأدبية و الدينية و الشعبية. و قد توصل البحث إلى أن التشظي هو انعكاس لرؤية الكاتب لواقع ممزق من غير الممكن التعبير عنه ببناء سردي متماسك، أما المحاكاة فهي تتيح تشكيل النصوص السابقة من جديد و توظيفها في خدمة رؤيته الفكرية و الفنية ، و هذه التقنيات تكشف النقاب عن نظرة فلسفية متشائمة للواقع العراقي، فهي تعبّر عن قضايا الاغتراب و فقدان الهوية و التهجير القسري و الجنون كوسيلة للتهرب من الواقع، بالإضافة إلى أن تجربة الروائي أمير بولص تؤكد مقدرة الرواية القصيرة على فهم التقنيات السردية المتطورة، و هي بذلك تحقق مستويات مرتفعة من الإيحاء و التكثيف .

الكلمات المفتاحية: التشظي، المحاكاة، الرواية، أمير بولص ابراهيم.

Abstract

This research attempts to study the aesthetics of simulation and fragmentation in the novels of Amir Boulus Ibrahim, as two fundamental techniques in the formation of the new fictional text. The research adopts the descriptive-analytical approach, and draws upon structuralist and intertextual methodologies in order to observe and trace the manifestations of spatial, temporal, linguistic, and character fragmentation, and to analyze simulation in its various literary, religious, and folkloric types. The research concludes that fragmentation is a reflection of the writer's vision of a fragmented reality that cannot be expressed through a coherent narrative structure, whereas simulation allows for the re-formation of previous texts and their employment in the service of his intellectual and artistic vision. These techniques unveil a pessimistic philosophical outlook on the Iraqi reality, as they express issues of alienation, loss of identity, forced displacement, and madness as a means of escaping reality. Furthermore, the experience of the novelist Amir Boulus Ibrahim affirms the capacity of the short novel to comprehend advanced narrative techniques, thereby achieving high levels of suggestion and condensation.

Keywords: fragmentation, simulation, novel, Amir Boulus Ibrahim.

المقدمة

تعتبر الرواية القصيرة أحد الأجناس الأدبية التي شهدت تحسناً ملحوظاً في الأدب العربي المعاصر ، فقد تمكنت من تحقيق توازن دقيق بين كل من الإيجاز المعبر و التوسع السردى العميق ، لتغدو فناً قائماً بحد ذاته يتمتع بخصوصية جمالية و فنية . و العقود الماضية قد شهدت تحولات جوهرية في بنية الرواية القصيرة كانت متمثلة في تخطي الأشكال الكلاسيكية أو التقليدية للسرد باتجاه آفاق جديدة من التجريب و الابتكار، حيث تأثرت بتحولات ما بعد الحداثة التي جعلت التداخل و التشظي و المحاكاة صفات أساسية للخطاب الروائي الجديد.

وفي هذا الإطار ، تظهر تجربة الشاعر و الروائي العراقي أمير بولص إبراهيم كواحدة من التجارب المتفردة في هذا السياق ، فقد تمكن عبر رواياته من تقديم أنموذج روائي يتصف بجرأته في التناول و التجديد في الشكل، فقد عبّر عن هموم وطنية و إنسانية راسخة ترتبط بمعاناة المجتمع العراقي بشكل عام، و المكون السرياني بشكل خاص.

أولاً: مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة هذا البحث في أن الدراسات النقدية التي تطرقت لروايات أمير بولص إبراهيم مازالت محدودة ، رغم أن هذه النصوص تحمل تقنيات سردية مبتكرة تعكس تحولات الرواية العربية المعاصرة باتجاه المحاكاة و التشظي . و بالتالي فإن هذا البحث يطرح إشكالية أساسية متمثلة في : كيف تجلت جماليات المحاكاة و التشظي في روايات أمير بولص إبراهيم؟ .

ثانياً: أهمية البحث:

تتجسد أهمية هذا البحث في أنه يلقي الضوء على تجربة روائية عراقية معاصرة لم تتل الدراسة النقدية الكافية بعد، و يساهم كذلك في استيعاب آلية المحاكاة و التشظي في الرواية القصيرة العربية ، و يفتح آفاق جديدة لدراسة الصلة بين الجماليات السردية و القضايا الوطنية و الإنسانية في الأدب العراقي المعاصر .

ثالثاً: هدف البحث:

إن غاية هذا البحث هي تتبع مظاهر المحاكاة و التشظي في روايات أمير بولص ابراهيم القصيرة ، إلى جانب تحليل تقنيات السرد التي تبناها الكاتب في بناء نصوصه، و الكشف عن آلية استعمال هذه التقنيات للتعبير عن قضايا التهجير القسري و الهوية و الصراع النفسي و كشف الصلة بين البنى السردية المبتكرة و رؤية الكاتب الفكرية .

رابعاً: منهجية البحث:

هذا البحث قد اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النصوص الروائية، مع الاعتماد على المنهج البنوي في تحليل تقنيات السرد ، و كذلك المنهج التناسي في دراسة المحاكاة بمختلف أنواعها، و المنهج التفكيكي في تتبع مظاهر الانهيار و التشظي في البنية السردية. و الدراسة قد استعانت بالمراجع النظرية في التناص و السرديات ، بالإضافة إلى الرسالة الجامعية التي تطرقت إلى تقنيات السرد في روايات الروائي أمير بولص ابراهيم.

خامساً: خطة البحث

يتكون هذا البحث من ثلاثة مباحث، اضافة إلى تمهيد عن الرواية القصيرة وأمير بولص إبراهيم. ويتناول الفصل الأول جماليات التشظي في روايات أمير بولص من خلال الكشف عن التشظي الزمني والمكاني والشخصياتي واللغوي. فيما يتناول الفصل الثاني جماليات المحاكاة بأنواعها الدينية والأدبية والشعبية. أما الفصل الثالث فيتناول تقنيات التشظي والمحاكاة في تشكيل الفضاء السردى، من خلال تحليل الزمن والمكان والشخصية واللغة. ليختتم البحث بخاتمة تظهر أبرز النتائج.

التمهيد

أولاً: مفهوم الرواية القصيرة وخصائصها

الرواية القصيرة هي جنس أدبي يتوسط بين الرواية والقصة القصيرة، فهي تحجز موقعا لها فيما بين النوعين، وأبرز ما يميزها هو حجمها المتوسط الذي لا يتخطى المئتي ورقة ولا يقل عن الخمس وسبعين. وهي تتصف بأنها مكثفة وتركز على شخصية أساسية واحدة وحدث مركزي واحد، وهي قائمة على الوصف الفعال والمختصر، وتتميز بطبيعتها الخاصة في التعامل مع الشخصيات والزمان والمكان (الرمادي 2006، ص 52-55).

وكذلك فإن الرواية القصيرة هي عمل مبدع بصورة نثرية يحقق نوع من التوازن بين الإيجاز الواضح والمعبر وبين التوسع والاستفاضة السردية العميقة، وبصيغة أخرى هي فن توسيع الإيجاز (الجوخ، 2020، ص 38). وهناك اهتمام متصاعد بالرواية القصيرة في الأدب العربي المعاصر، وبشكل خاص في العراق، فقد برزت الكثير من الأعمال الروائية القصيرة الهامة منذ محاولات محمود أحمد السيد وذلك في عشرينيات القرن الفائت وحتى الوصول إلى التجارب المعاصرة التي تعكس التحولات الحاصلة في المجتمع العراقي.

وقد ذكر الباحث عمار إبراهيم عزت في الدراسة التي قام بها والتي تتعلق بالرواية القصيرة في العراق أن هذا الشكل الروائي قد شهد رواجاً متزايداً في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية حيث تعتبر رواية (نادية) عام 1957 لـ عبد القادر والتي يعتبرها بعض النقاد في مقدمة الروايات النسوية العراقية هي رواية قصيرة (عزت، 2023، ص 32).

أما في الأدب السرياني العراقي فقد تمكنت الرواية القصيرة من السير بخطوات متقدمة من خلال كتابها وأهمهم هيثم بهنام بردى والذي تمكن من طرح مواضيع هامة وذاتية وتاريخية تحمل تقانات وأساليب متعددة (حمادي، 2024، ص 7).

ثانياً: أمير بولص إبراهيم سيرته وأعماله

كانت ولادة الشاعر و الروائي و القاص أمير بولص ابراهيم عكو عام 1964 في منطقة برطلة ، أتم دراسته الأولية فيها ، و بعدها التحق بمؤسسة المعاهد الفنية و أتم دراسته في المعهد الزراعي في النمرود و نال شهادة الدبلوم الفني زراعة 1983-1984 ، و عقب ذلك عمل موظفاً في المدينة السياحية في سد الموصل 1996-2004 ، و بعدها أمين مكتبة و ذلك في كلية النور الجامعة في برطلة 2013-2014 (بوهراكة ، 2022، ص199) . و هو أحد أعضاء اتحاد الأدباء و الكتاب السريان، و كذلك أحد أعضاء الاتحاد العام للأدباء و الكتاب في العراق، إلى جانب أنه عضو في الهيئة التأسيسية لمندى برطلي للثقافة والفنون السريانية .

من ضمن أعماله الأدبية : مجموعات قصصية منها : سقطنا عام 2010 ، و أصابع الليل عام (2014) ، و كذلك ثقب في جدار طيني عام (2020) . و أيضاً له عدة مجموعات شعرية منها : (الصمت يصلي وحيداً) عام (2017) ، و (سراباً جسداً) عام (2018) .

بينما له عدة روايات قصيرة أبرزها : (نردة عاقر) عام (2017) و التي عبرها قام بتوثيق محنة التهجير و النزوح ، و كذلك (معزوفات لظل رأى) عام (2018) و التي من خلالها تم تصوير معاناة بلدة برطلة بعد أن سيطر عليها تنظيم داعش ، و (ينعى جسده) عام (2021) و التي كشفت عن سيكولوجية الرغبة و الجنون و انتشلت أثقال الرواية التقليدية لمواكبة صيرورة المجتمع الحديث (محمد ، 2018 ، ص43-44) .

إن أدب أمير بولص يتميز بأنه متمسك بهويته السريانية المسيحية ، إلى جانب انفتاحه على القضايا الإنسانية العامة ، مع تمكنه من توظيف تقنيات السرد الحديثة في رواياته القصيرة ، متخطياً بذلك الأشكال الكلاسيكية أو التقليدية باتجاه آفاق جديدة من التجريب و الابتكار .

المبحث الأول: جماليات التشظي في روايات أمير بولص

أولاً: مفهوم التشظي في الرواية الجديدة

يعتبر التشظي من أهم السمات التي تجعل الرواية الجديدة متميزة عن الرواية التقليدية فهو انعكاس لنظرة الكاتب و رؤيته لواقع من غير الممكن التعبير عنه ببناء سردي متماسك ، إلى جانب أنه تعبير عن انهيار المبادئ و القيم التي كانت منتشرة في المجتمعات التقليدية. وقد وجد الباحثون أن التوجه نحو التشظي في الرواية المعاصرة لم يأت من فراغ، إنما كان استجابة لحالة من التوتر و الاضطراب و القلق التي يحياها الإنسان المعاصر في ضوء التحولات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية المتسارعة .

و معنى التشظي في الرواية هو تفتت البنية السردية القائمة على مبدأ السببية و الترتيب الزمني المنطقي للوقائع و الأحداث، من أجل أن يحل مكانها بناء سردي قائم على التخطي و الاختزال و التداعي الحر . و هذا التشظي لا يتوقف على بنية الحبكة فقط ، إنما يمتد ليضم الشخصيات و اللغة السردية و المكان و الزمان . فالشخصيات تصبح ذات أوجه متعددة ، و يتحول الزمان إلى زمن نفسي غير مقيد بالتسلسل الزمني العادي ، أما المكان فيغدو فضاءً متشظياً غير خاضع لمنطق جغرافي واحد ، و تتحرر اللغة من قواعدها التقليدية لتصبح أداة للتعبير تحمل العديد من الإيحاءات.

هذا وإن الناقد محمد الباردي قد أكد أن الكتابة الجديدة لم تعد مرتكزة على عنصر الحكي التقليدي ، بل أولت اهتماماً بالجانب الفني ، وهذا ما نلاحظه في الأعمال الروائية الجديدة . فعلى سبيل المثال في رواية (أهداب الخشية) ، نجد أن الفصول ليست فصول بالمعنى المتعارف عليه، فقد أتت منفصلة و مستقلة و ليس بينها علاقة سببية ، فلا نلاحظ تطوراً في الفعل و لا استمرار للزمن ، أو حتى تسلسل زمني ، و لولا أنه يوجد بعض العناصر المكررة مثل المكان و بعض الأسماء المكررة لهذا في ضبابيات التداعي الحر (الباردي ، 2019 ، ص163-164) .

و هذا انعكاس لما أكده جيرار جينيت في تحليله للخطاب الحكائي ، حيث يدل على أن النص الجديد غير مهتم بما يدور أو يحدث (المضمون أو المحتوى) إنما بآلية أو كيفية الدوران (الشكل) ، و أن زمن الفعل ليس ما يهم في الحكاية المتشظية ، إنما كيفية إضاءته ، لهذا أتى تقديمه محكوماً بحسب مبدأ التبلور

(جينيت ، 1997، ص201) . و هذا تفسير لميل الكتاب الجدد إلى هدم البنية التقليدية للأحداث، و الالتجاء إلى تقنيات السرد غير الخطي ، و الاعتماد على الزمن النفسي عوضاً عن الزمن الموضوعي.

ثانياً: مظاهر التشظي في روايات أمير بولص

1.تشظي البنية الزمنية

تتجلى ملامح التشظي الزمني بوضوح في روايات أمير بولص، حيث يعتمد الكاتب إلى كسر التسلسل الزمني التقليدي عبر تقنيتي الاسترجاع والاستباق، مما يخلق بنية زمنية متشظية تعكس الحالة النفسية المضطربة للشخصيات.

ف نجد أن الراوي يستخدم الاسترجاع الخارجي في رواية نردة عاقر للعودة إلى ماضي البطل وطفولته، كما في قوله: "حدثتني والدتي عن ولدتي بعد إصراري عليها... كان عمري آنذاك عشرة سنوات" (أمير بولص، 2017، ص 5). كما يستخدم الاسترجاع الداخلي للإشارة إلى أحداث قريبة من زمن الحكاية، كما في المشهد الذي يصف فيه البطل استيقاظه على صوت أنفاس تتدحرج في جوف الطائرة (أمير بولص، 2017، ص 34). وهذا الاسترجاع يعكس وعي السارد بالزمن الحاضر والتجربة الحالية، ويتسبب في تغيير نظام السرد وتتابع الأحداث (الموافي، 1995، ص 157).

كما نجد التشظي الزمني يتجلى في رواية معزوفات لظل رأى من خلال تقنية الاستباق التي يستخدمها الراوي لاستشراف المستقبل، كقوله على لسان الجنية: "سأعود يوماً.. لا تقلق.. اقرعه ولا تخف.. صداه سيصل لعالم الجن والأنس" (أمير بولص، 2018، ص 33). وهذا الاستباق يعكس رغبة البطل في تحقيق الأمل والأمان في مستقبل يعود إليه المكان بكل ما فيه من حياة وبركة (يوسف، 1997، ص 81).

وفي رواية ينعى جسده، يتشظى الزمن بشكل أكبر، حيث يمزج البطل بين الماضي والحاضر والمستقبل في سياق واحد، كما في حديثه مع حبيبته التي ظهرت في المرأة: "أنتِ... ها هو حلمك قريب التحقق وستصبح مجنوناً وستكتب جنونك بقلمك" (أمير بولص، 2021، ص 51). وهذا المزج الزمني يعكس حالة الصراع النفسي التي يعيشها البطل، وتداخل الأزمنة في وعيه.

2. تشظي البنية المكانية

لا تقل البنية المكانية تشظياً عن الزمنية في روايات أمير بولص، فالأماكن تتعدد وتتداخل وتتحوّل من سياق إلى آخر، مما يعكس حالة التيه والضياع التي تعيشها الشخصيات. فالكاتب ينتقل بين بلدة برطلة التي تمثل الهوية والذاكرة، والطائرة التي تمثل الهروب والمجهول، والتلة التي تمثل الخوف والأساطير، وزقاق المجانين الذي يمثل الجنون والهروب من الواقع.

في رواية معزوفات لظل رأى، يصف الراوي البلدة التي خلت من سكانها: "كانت البلدة خالية من سكانها الذين سلكوا طرقاً للنجاة من مجهول ربما كانوا يتوقعونه بين ليلة وضحاها وما زال الدهول يرتسم على وجهه" (أمير بولص، 2018، ص 12). وهذا الوصف يعكس تحول المكان من فضاء حيوي إلى فضاء أشباح، مما يعكس التشظي المكاني الناتج عن التهجير القسري.

ويصور الراوي الكنيسة التي تحولت إلى مكان موحش: "جر قدميه مغادراً فضاء الكنيسة، شعر بأن الجدران والمصاطب ومناضد الصلاة والمذابح كلها تنظر إليه تترجى منه العودة الليلة القادمة" (أمير بولص، 2018، ص 33). وهنا يتجلى التشظي في تداخل الواقعي بالمتخيل، حيث تشخص الكنيسة وتتحوّل إلى كائن حي يناجي البطل.

أما في رواية نردة عاقر، فالطائرة تمثل فضاء متحركاً متشظياً يجمع بين رائحة المواد الغذائية والكتب والإنسان، مما يوحي بالضيق والاختناق، ويؤكد حالة العبور بين عالمين لا يستقران (أمير بولص، 2017، ص 11). وفي رواية ينعي جسده، يمثل زقاق إمارة المجانين مكاناً متشظياً يجمع بين الواقع والخيال، بين الحقيقة والوهم، حيث يقرأ البطل على يافطة صغيرة: "زقاق إمارة المجانين وأشباههم" (أمير بولص، 2021، ص 56).

3. تشظي الشخصيات

نجد ملامح التشظي في شخصيات روايات أمير بولص، حيث تظهر الشخصيات متعددة الأوجه، متضاربة الدوافع، غير مستقرة الهوية، خصوصاً الشخصيات التي تحمل صفات عجائبية كالظل والجنية وعظام الموتى، وهذه الشخصيات تجسد حالة الانكسار والضياغ التي يعيشها الإنسان المعاصر.

ففي رواية معزوفات لظل رأى، نجد شخصية الظل التي تمثل الجزء المعتم من الإنسان، والمنفصل عنه، والمتجول في أرجاء البلدة الخالية، وهو تجسيد متشظ للذات التي تركت جسدها وراحت تجول في المكان، وكأنها الروح التي فارقت الجسد. ويقول الظل عن نفسه: "أنا ظل لجسد تركني هنا وذهب ناجياً بنفسه من هؤلاء الذين دخلوا البلدة" (أمير بولص، 2018، ص 26). وهذا الإعلان عن الذات كظل يعكس التشظي الحاد في الهوية، فالذات لم تعد متماسكة بل تشظت إلى جسد وظل، بعد أن هجر الجسد الظل وهرب.

أما الجنية، فهي شخصية عجائبية أخرى تجسد التشظي بين الواقع والخيال، حيث تظهر للظل عاريةً إلا من ورقة توت تستر بها عورتها (أمير بولص، 2018، ص 54). وهذه الصورة تجمع بين المقدس (ورقة التوت التي ترمز للخطيئة الأولى) والدنس (الجسد العاري)، وبين الواقعي (الجسد الأنثوي) والمتخيل (الجنية)، مما يعكس تشظياً في الدلالات والمرجعيات.

وفي رواية ينعى جسده، تتشظى الشخصية الرئيسة بين كونها رجلاً عاقلاً وكاتباً، وكونها رجلاً مجنوناً يريد الدخول إلى عالم المجانين، بل يتقمص شخصياتهم. وهذا التشظي يتجلى في حوار الداخلي: "هكذا أنا في وحدتي رجل يعتقد الجنون وفي كواليسه يحاور الموتى عن الموت كيف يكون" (أمير بولص، 2021، ص 82). فهو يعتقد الجنون ويحاور الموتى، مما يخلق فضاءً سردياً متشظياً بين الحقيقة والوهم، بين الحياة والموت.

4. تشظي اللغة

نرى جماليات التشظي اللغوي في روايات أمير بولص من خلال استخدامه للغة شعرية تتسم بالكثافة والإيحاء، وتخلخل البنية النحوية التقليدية، وتلجأ إلى الصور البلاغية المكثفة والانزياحات اللغوية. وهذا

الأسلوب يندرج ضمن تجربة الكتابة الروائية الجديدة التي تتجاوز اللغة التقليدية إلى لغة شعرية تعكس تشظي الذات وانكسارها (كوهين، 2000، ص 36).

ففي رواية ينعي جسده، نجد اللغة تتشظى في مقاطع شعرية تتداخل مع النثر السردى، كما في قوله: "متسلفاً بثمالاته نصباء سرايباً، لكاتب لقي حقه في ظروف غامضة على لسان مقدمة أخبار جميلة" (أمير بولص، 2021، ص 82). فهذا النص يخلط بين السرد والشعر، بين الواقع والخيال، بين الحقيقة والإشاعة، مما يخلق فضاءً لغوياً متشظياً يعكس تشظي الذات والمعاناة.

وتتمثل صور التشظي اللغوي في رواية معزوفات لظل رأى من خلال التشخيص والمجاز المرسل، حيث يصف الراوي المنزل: "المنزل يشبه رجلاً شبع جلدًا ومن ثم قطع رأسه على خشبة قصاب ليتدحرج الرأس بين أقدام من قطعوه، ليبقى المنزل جسداً بلا رأس" (أمير بولص، 2018، ص 37). هذا التشخيص العنيف يحول المنزل من كيان مادي إلى كيان إنساني متشظٍ، مما يعكس مستوى عالياً من الاغتراب والضياع.

كما نرى التقابلية والتضاد اللغوي في نصوص أمير بولص، كقوله: "الكنيسة التي بدت خالية لكنها كمن بدأ يسمع شكوتها بأنها استبيحت وتم تدمير كثير من موجوداتها الثابتة والمتغيرة" (أمير بولص، 2018، ص 30). إن التضاد بين الثابت والمتغير يعكس تشظي المرجعيات في النص، ويحمل دلالات متعددة تصل إلى نقد الواقع المتغير الذي تهدمت فيه الثوابت (التميمي، 2014، ص 45).

المبحث الثاني: جماليات المحاكاة في روايات أمير بولص

أولاً: مفهوم المحاكاة

المحاكاة تعتبر من ضمن التقنيات النصية الهامة التي وفقاً لها تتشكل النصوص الإبداعية رغم أنواعها المختلفة، و التي معناها تضمين نص أدبي معين نصوص أو أفكار سابقة عليه من خلال التضمين أو الاقتباس أو الإشارة أو التلميح، من أجل أن تندمج هذه الأفكار أو النصوص مع النص الأصلية و تختلط فيه لتشكيل نص جديد متكامل (الزعيبي، 2000، ص 11).

هذا وإن المحاكاة في النصوص الروائية قائمة على استحضار نصوص سابقة (أدبية ، دينية ، شعبية) و إعادة صياغتها و توظيفها في إطار جديد، بحيث تأخذ دلالات جديدة تخدم رؤية الكاتب و الفكرة الأساسية له . و هذا نلاحظه بشكل واضح في روايات أمير بولص، حيث يقوم الكاتب بتوظيف نصوص دينية من الكتاب المقدس ، و موروثة شعبية من حكايات الجن و السير الشعبية ، و كذلك نصوص أدبية لأدباء كبار ، وهذا يؤدي إلى إثراء نصوصه و يعطيها العديد من الأبعاد الدلالية .

كما تعتبر المحاكاة من التقنيات النصية الهامة التي وفقاً لها تتشكل النصوص الإبداعية، هذا وإن المحاكاة قد تجلت بعدة أشكال في روايات أمير بولص إبراهيم القصيرة ، و من ضمنها المحاكاة الأدبية و الدينية و الشعبية (عسود ، 2024 ، ص 29).

ثانياً: أنواع المحاكاة في روايات أمير بولص

1. المحاكاة الدينية

لقد استلهم أمير بولص من النصوص الدينية المسيحية الكثير من الألفاظ والدلالات والصور، حيث أدمجها في رواياته بشكل فني مبدع، مما أضفى عليها قدسية خاصة وعمقاً دلالياً.

ف نجد المحاكاة الدينية في رواية نردة عاقر من خلال استحضار قصة النبي يونان، حيث يشبه البطل الطائفة بجوف الحوت: " تلك الطائفة التي بدأ يشبهها بجوف الحوت في قصة النبي يونان " (أمير بولص، 2017، ص 44). وهذا التشبيه ليس عابراً، إذ يحمل دلالات عميقة تتصل بالخلاص والنجاة، تماماً كما نجا يونان من جوف الحوت، هكذا يريد البطل أن ينجو من محنته بالاختباء في جوف الطائفة. والنص الذي استحضره الكاتب من الكتاب المقدس يقول: "ثم صلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت قائلاً: استغثت بالرب في ضيقي فاستجاب لي، ومن جوف الهاوية ابتهلت فسمعت صوتي " (الكتاب المقدس، يونان 2: 2-3). وهنا يمتزج النص الديني مع النص الروائي ليعبر عن أمل البطل في الخلاص والنجاة من وطنه الذي بات أشبه بالجوف المظلم.

أما في رواية معزوفات لظل رأى، فنجد المحاكاة الدينية في استحضار صلاة أبانا الذي في السموات، حيث يتخيل البطل الموتى وهم يصلون في الكنيسة: "أبانا الذي في السماء فليقدس اسمك" (أمير بولص، 2018، ص 40). وهذه المحاكاة مع النص الديني ليس مجرد اقتباس، بل هو استدعاء قدسية المكان ورتابة الصلاة في ظل الخراب الذي حل بالكنيسة، فالمسيح علم تلاميذه هذه الصلاة لتكون رمزاً للرجاء والصبر، والكاتب يستخدمها في سياق يختلف تماماً عن سياقها الأصلي، ليعبر عن حالة من الرجاء المفقود في بلدة هجرها أهلها.

كما تتمثل المحاكاة الدينية في رواية ينعي جسده من خلال استحضار قصة امرأة لوط التي نظرت وراءها لتتحول إلى عمود ملح: "كأن كل شيء خلفه يتلاشى من خارطة البلدة... خوفاً من أعجوبة تصيبه كما حدث لامرأة لوط حين نظرت وراءها لتتحول إلى كومة من ملح عندما احترقت سدوم وعمورة" (أمير بولص، 2021، ص 69). وهذا النص يتناص مع قصة لوط في الكتاب المقدس، حيث أن المرأة تحولت إلى عمود ملح لأنها نظرت إلى الخلف (سفر التكوين 19: 26). وهنا يستخدم الكاتب هذه العبرة ليعبر عن رغبة البطل في عدم النظر إلى الماضي المؤلم، والتركيز على المستقبل، لكن التلاشي الذي يحدث للبلدة يعني أن الماضي ينهار أمامه حتى لو لم ينظر إليه.

2. المحاكاة الأدبية

يلجأ أمير بولص إلى محاكاة نصوص أدبية معروفة، سواء كانت شعرية أو نثرية، ويعيد صياغتها في سياق روائي جديد، مما يخلق حواراً بين نصوصه ونصوص الآخرين، ويمنح رواياته أبعاداً ثقافية متعددة. ففي رواية نردة عاقر، يستحضر الكاتب بيت شعري لمحمود درويش ويقوم بتغيير في مفرداته بما يخدم سياقه الروائي: "مسافر ووطني حقيبة وليست ككل الحقائق" (أمير بولص، 2017، ص 73). وهذا النص يتناص مع بيت درويش الأصلي الذي قال فيه: "وطني ليس حقيبة وأنا لست مسافر" (درويش، 2005، ص 362). فالكاتب يحول الوطن إلى حقيبة محمولة، فيعكس المعنى الأصلي للشعر، ليؤكد هشاشة الوطن الذي أصبح كشيء يمكن حمله أو تركه، وهذا نوع من المحاكاة الساخرة التي تعكس انكسار مفهوم الوطن في ظل التهجير.

كما يستحضر الكاتب رواية الحب في زمن الكوليرا لغابرييل غارسيا ماركيز، ويجعل البطل يقرأها في الطائرة: "أطلع العنوان الحب في زمن الكوليرا لغابرييل غارسيا ماركيز... حب يطارده وباء الكوليرا في الكاريبي... وبقاء السفينة في عرض البحر" (أمير بولص، 2017، ص 30). وهذه المحاكاة تعكس تشابهاً بين الحب في زمن الحرب والحب في زمن الكوليرا، فكلاهما يطارده وباء وألم، وكلاهما يعيش في ظل مخاطر تهدد وجوده، مما يعكس الحالة الإنسانية العامة بمعاناتها وتحدياتها.

وفي رواية ينعى جسده، نرى المحاكاة الأدبية في استحضار شخصية زوربا من رواية نيكوس كازانتزاكيس، وهي شخصية متحررة من قيود المجتمع، تعيش الحياة بشغف وترقص في وجه الأحزان. يقول البطل: "زوربا أيها الرجل الراقص الراض للحياة والمحب لها في آن واحد... قل لي كيف كنت تقهر الحياة وأنت تحبها وتلتصق بها وأنت ترفضها" (أمير بولص، 2021، ص 13). وهذا الاستحضار يعكس رغبة البطل في أن يكون مثل زوربا، قاهراً للحياة من خلال المزج بين الحب والرفض، بين القبول والاحتجاج، مما يعكس حالة التمرد على الواقع المأساوي.

كما يستحضر الكاتب شخصية كلود كاتيل مؤرخ الجنون، في قوله: "أين أنت يا كلود كاتيل وتاريخ الجنون الذي كتبته لتجعلني أبحث عن الجنون لأصبح مجنوناً... وها أنا أحاول أن أعثر على كتابك لكي أسجل اسمي في ذلك التاريخ" (أمير بولص، 2021، ص 78). وهذه المحاكاة تعكس إيمان البطل بأن الجنون ليس مرضاً بقدر ما هو وسيلة للهروب من واقع مرير، وطريق إلى معرفة أعمق بالذات والعالم، وهو ما يجعل الرواية تتخذ منحى فلسفياً عميقاً.

3. المحاكاة مع الموروث الشعبي

اهتم أمير بولص بإحياء التراث الشعبي في رواياته القصيرة، وجعله جزءاً من التصميم الخيالي، من خلال استحضار حكايات الجنيات والألعاب الشعبية والأساطير التي كانت متداولة في المجتمع الموصلي. وهذا الاهتمام يعكس وعي الكاتب بأهمية التراث في تشكيل الهوية، وفي التعبير عن الذاكرة الجمعية للمجتمع.

ويتجسد الموروث الشعبي في رواية نردة عاقر من خلال لعبة النرد التي تحمل دلالات الحظ والصدفة، ومن خلال الحس السيء الذي يجلبه البطل مع هذه النردة التي بقيت عاقر لم تتجب لحظة كان يتمناها. ويقول البطل: "أطلقت عليها نردة عاقر لأنها لم تتجب لحظة كنت أتمناها وعاشت معي طيلة تلك الأعوام" (أمير بولص، 2017، ص 74-75). فهذه النردة ليست مجرد أداة لعب، بل هي رمز للفشل والإحباط، وقدر الإنسان الذي لا يرضى عنه.

أما في رواية معزوفات لظل رأى، فنرى المحاكاة مع الموروث الشعبي في قصة الجنية التي تظهر للظل عارية إلا من ورقة توت، وترقص بتغنج لتثيره، وكم بقي يتذكر حكايات الجنيات التي كان يسمعها في صغره (أمير بولص، 2018، ص 54). وهذه الحكايات كانت متداولة بين الناس في القرى والأرياف، ترويها الجدات عن ظهور الجنيات في أوقات معينة، وعن خطفهن للأطفال، وعن زواجهن من البشر. وقد استفاد الكاتب من هذه الموروثات لتجسيد حالة الفانتازيا والدهشة في نصوصه، وللتعبير عن وحشة المكان بعد خلوه من البشر.

كما يذكر الكاتب الألعاب الشعبية التي كان يلعبها الأطفال في برطلة، مثل الكلي والداما والريس، التي تمثل جزءاً من الذاكرة والوجدان الجمعي للمجتمع. يقول الراوي: "يلعبون ألعاباً شعبية الكلي والداما والريس" (أمير بولص، 2018، ص 42). وهذه الألعاب، رغم بساطتها، تحمل دلالات عميقة تتصل بالهوية والذاكرة، وبالتشبث بالتراث في مواجهة التغيير والتهجير.

وقد اهتم الكاتب في إحياء التراث عن طريق الكتابات الروائية، فهذه الموروثات جعلها جزءاً من التصميم الخيالي، من خلال إحياء الذكريات والإحساس بقيمة تلك الأشكال وأحيائها كقيمة جوهرية مرتبطة بالذاكرة، والسيماء بعد التهجير والخراب الذي حل بمدينة الكاتب (برطلة) (عصود، 2024، ص 36).

المبحث الثالث: تقنيات التشظي والمحاكاة في تشكيل الفضاء السردي

أولاً: الزمن بين التشظي والمحاكاة

يمثل الزمن الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الرواية، و في روايات أمير بولص يتسم الزمن بالتشظي والانكسار، مبتعداً عن الزمن التقليدي المنتظم إلى زمن نفسي يعكس وعي الشخصيات وأحاسيسها. وهناك علاقة وثيقة بين مفهوم التشظي الزمني ومفهوم المحاكاة، فالتشظي يتجلى في عدم الانتظام الزمني، بينما تتجلى المحاكاة في استرجاع الأحداث الماضية ومحاكاتها للحاضر أو العكس.

في رواية نردة عاقر، نجد أن الزمن يتشظى بين ثلاث مستويات زمنية: زمن الحاضر الذي تقع فيه أحداث الهروب على متن الطائرة، وزمن الماضي الذي تستحضره المذكرات والذكريات، وزمن المستقبل الذي يستشرفه البطل في أحلامه وتطلعاته. هذا التشظي الزمني يعكس حالة القلق والاضطراب النفسي التي يعيشها الأبطال، وهو يشبه إلى حد كبير تقنية تيار الوعي التي تتدفق فيها الأفكار والذكريات دون ترتيب منطقي (همفري، 1975، ص 42).

كما أن الزمن في رواية معزوفات لظل رأى يتشظى من خلال المزج بين الزمن الحقيقي الذي تقع فيه أحداث التهجير والخراب، والزمن المتخيل الذي يحدث فيه لقاء البطل بالجنية وعظام الموتى. فالأحداث المتعلقة بالواقع تأتي في إطار زمني خطي متتابع، بينما الأحداث المتعلقة بالخيال والفانتازيا تأتي في إطار زمني حلقي غير خطي، يتداخل فيه الماضي والحاضر والمستقبل في آن واحد. وهذا المزج بين الزمنين يعكس قدرة الكاتب على خلق فضاء سردي متعدد الأبعاد.

وقد تمكن الكاتب أمير بولص من توظيف الانتقالات المتماسة وعدد كبير من القفزات الزمنية في رواياته القصيرة عبر استعمال التقنيات الزمنية التي تتحكم في تحركات الأحداث وتوقفها، وتسهم هذه التقنيات في إبطاء أو تسريع الزمن (بحراوي، 1990، ص 119). وهذا الاستخدام الواعي للزمن يعكس تجربة روائية متطورة تمزج بين التقليد والتجديد، بين محاكاة الأساليب الكلاسيكية والتشظي ما بعد الحداثي.

ثانياً: المكان بين الواقع والمتخيل

يعد المكان من المقومات الأساسية في روايات أمير بولص، فهو لا يقتصر على كونه خلفية للأحداث، بل يتحول إلى فضاء يعكس هوية الشخصيات وتطلعاتها وأحزانها، ويتجلى التشظي المكاني في تعدد الأمكنة وتناقضها، بينما تتجلى المحاكاة في استحضار الأمكنة التراثية والدينية وإعادة صياغتها في سياق جديد.

وفي رواية معزوفات لظل رأى، نجد أن المكان يتشظى بين البلدة التي تهجر وأهلها، والكنيسة التي تخلو من المصلين، والمقبرة التي تخرج منها الموتى، والتلة التي تسكنها الجنيات. فكل مكان يحمل دلالاته الخاصة، ويعكس جانباً مختلفاً من الواقع العراقي المتأزم. فالبلدة تمثل الوطن المسلوب، والكنيسة تمثل الدين المهدد، والمقبرة تمثل الموت المحيق، والتلة تمثل الخوف والأساطير.

وقد وصف الراوي البلدة بعد التهجير بقوله: "كانت البلدة خالية من سكانها الذين سلكوا طرقاً للنجاة من مجهول ربما كانوا يتوقعونه بين ليلة وضحاها وما زال الذهول يرتسم على وجهه" (أمير بولص، 2018، ص 12). وهذا الوصف يعكس تحول المكان من فضاء حيوي عامر بالسكان إلى فضاء أشباح موحش، مما يعكس التشظي المكاني الناتج عن التهجير القسري.

وفي رواية ينعى جسده، يدور المكان حول زقاق إمارة المجانين، الذي يتحول إلى فضاء متشظٍ بين الواقع والخيال، بين المألوف والغريب، بين العادي والمدهش. فالبطل يدخل هذا الزقاق للبحث عن المجانين، ويكتشف أنهم ليسوا مجانين حقيقة، بل أناس يعيشون في عزلة وتهميش، تحولوا إلى مجانين ليتخلصوا من الواقع القاسي (أمير بولص، 2021، ص 56).

وتبرز المحاكاة المكانية في استحضار الكنيسة كمكان ديني مقدس، حيث يتم محاكاة الطقوس الدينية والصلوات والترانيم التي كانت تقام فيها. وفي رواية معزوفات لظل رأى، يصف الراوي الكنيسة بعد أن خلت من المصلين: "الكنيسة التي بدت خالية لكنها كمن بدأ يسمع شكوتها بأنها استبيحت وتم تدمير كثير من موجوداتها الثابتة والمتغيرة" (أمير بولص، 2018، ص 30). وهنا تتجلى المحاكاة عبر تشخيص المكان ومنحه صفات إنسانية، فهو يشكو ويتألم، مما يعكس ارتباط الكاتب بالوجداني بالكنيسة كرمز للهوية والذاكرة.

ثالثاً: الشخصية بين التشظي والمحاكاة

تتشظى الشخصيات في روايات أمير بولص بين الواقعي والخيالي، بين الإنساني والعجائبي، مما يعكس حالة التيه والاضطراب التي يعيشها الفرد في المجتمع المعاصر. وتتجلى المحاكاة من خلال استحضار شخصيات تراثية وأسطورية وإعادة تشكيلها بما يخدم السياق الروائي.

و تشظى الشخصية الرئيسة الظل في رواية معزوفات لظل رأى بين كونه ظلاً لجسد حقيقي، وكونه شخصية مستقلة تتجول وتفكر وتحس. هذا التشظي في الهوية يبين انقسام الذات العراقية بين من هاجر ومن بقي، بين من تولى عن وطنه ومن بقي فيه وإن كان ظلاً. ويقول الظل عن نفسه: "أنا ظل لجسد تركني هنا وذهب ناجياً بنفسه من هؤلاء الذين دخلوا البلدة" (أمير بولص، 2018، ص 26). فالجسد هنا يمثل الواقع المادي الذي هاجر، بينما الظل يمثل الروح التي بقيت مرتبطة بالمكان، مما يعكس تشظي وجودي عميق.

أما شخصية الجنية فتمثل محاكاة للموروث الشعبي والأسطوري، فهي كائن عجائبي استحضره الكاتب من التراث الشفهي، وقام بإسقاط الصفات الإنسانية عليه، وجعله يتفاعل مع الظل في مشاهد تتراوح بين الواقعي والخيالي. وتمثل الجنية كذلك تشظي في الهوية، فهي أنثى أزلية تسكن المكان، وتجمع بين الصفات الإنسانية والعناصر الأسطورية، مما يخلق فضاء سردي متعدد الأبعاد (أمير بولص، 2018، ص 50).

وتتجه الشخصية الرئيسة في رواية ينعى جسده، إلى تقمص الجنون، وهو نوع من المحاكاة، إذ يحاكي سلوك المجانين في محاولة للهروب من واقع مر. ويقول البطل: "من الممكن أن يكون هؤلاء المجانين على شاكلة من يراهم من غيرهم من المجانين، عدائيين ومريبين أم سيكونون على شاكلة آدم وحواء على قدر من الثقافة" (أمير بولص، 2021، ص 50). وهذه المقارنة بين المجانين وآدم وحواء تنير تساؤلات فلسفية حول طبيعة الجنون والثقافة، وتبين تشظي الشخصية بين قطبين: الجنون الظاهر والثقافة الباطنة.

وتتجلى المحاكاة في استحضار شخصية آدم وحواء في رواية ينعى جسده، حيث يعيد الكاتب تقديم هاتين الشخصيتين الأسطورتين في صورة جديدة، بوصفهما مجانين أو أشباه مجانين يعيشان في زقاق مهمل،

بعيداً عن المجتمع، محافظين على ثقافتهم وإنسانيتهما رغم عزليتهما. وهذه المحاكاة تخلق تقوم بخلق تناس مع النص الديني، وتعيد صياغة الأسطورة الأولى بما يلائم الواقع العراقي المعاصر.

رابعاً: اللغة بين التشظي والمحاكاة

تعتبر اللغة من أهم عناصر التشظي والمحاكاة في روايات أمير بولص، حيث نرى اللغة في صور متشظية تارة وفي صور شعرية تارة أخرى، وتتضمن محاكاة لأجناس أدبية مختلفة. وقد استطاع الكاتب أن يجعل اللغة تعكس حالة التمزق والضياغ التي يعيشها الأبطال، وذلك باستخدام صور بلاغية مكثفة، وإيقاعات موحية، ومقاطع شعرية تتداخل مع النثر.

ونرى المحاكاة الأسلوبية في رواية ينعى جسده من خلال إقحام قصيدة النثر في سياق السرد، مما يخلق تناس بين نوعين أدبيين (الشعر والنثر). فنرى قوله:

"رجل يصنع من شرايينه حبلاً"

ينشر عليها خطيئته الوحيدة في أجزاء كالمسلسلات التلفازية المدبلجة

ويصنع من وردته سكاكين

لتدخنها العرافات

مصغياً إلى نبوءاتهم الكاذبات

ليصدقهن حالماً بأنه رجل يمتطي عرش الحياة

إلا أنه يسلم جلد له ليكون رقيباً

يدون عليه قصيدة مهداة إلى روحه

ينعى فيها جسده" (أمير بولص، 2021، ص 82).

فهذه المقاطع الشعرية تحمل إيقاع حزين، وتقوم بالتعبير عن معاناة البطل الذي أدرك أنه أصبح مجنون، وقرر أن ينعي جسده قبل أن يرحل. والمحاكاة هنا تتمثل في تحويل المأساة إلى قصيدة، وتحويل الحياة إلى كتابة، وتحويل الجسد إلى نص.

كما نرى المحاكاة الأسلوبية في رواية معزوفات لظل رأى من خلال توظيف التشخيص والمجاز، حيث يتحول المنزل إلى جسد مقطوع الرأس، والكنيسة إلى قديسة تن من الوجع، والبلدة إلى عجوز ميتة. وهذا النوع من المحاكاة يضيف على النص عمق نفسي وبعد دلالي، ويجعل الأمكنة والأشياء تقوم بعكس أحاسيس الشخصيات وحالتها النفسية.

كما أن استخدام التضاد اللغوي يعد أحد أنواع المحاكاة الأسلوبية، إذ يحاكي الكاتب من خلاله تعقيدات الواقع وتناقضاته، كما في قوله: "الكنيسة التي بدت خالية لكنها كمن بدأ يسمع شكوتها بأنها استباحت وتم تدمير كثير من موجوداتها الثابتة والمتغيرة" (أمير بولص، 2018، ص 30). والتضاد بين الثابت والمتغير يحاكي تناقض الواقع نفسه، ويعكس مدى تمزق المفاهيم والثوابت في المجتمع العراقي.

الخاتمة

إن روايات أمير بولص القصيرة تعتبر نموذجاً متفرداً للرواية الجديدة التي تنمرد على الأشكال التقليدية، و تتجه إلى تقنيات الحداثة و ما بعد الحداثة، من أجل التعبير عن واقع متشظٍ من غير الممكن الإمساك به من خلال بنية سردية متماسكة . و هذا البحث قد حاول تتبع جماليات التشظي و المحاكاة في هذه الروايات ، و انتهى إلى جملة من النتائج من الممكن أن نجملها بالتالي :

1- يتمثل التشظي في روايات أمير بولص على عدة مستويات : الزمني عبر الاسترجاع و الاستباق و تخطي التسلسل الزمني ، و المكاني عبر تعدد الأمكنة و تشخيصها و تناقضها ، و الشخصية عبر ظهور شخصيات ذات أوجه متعددة و متشظية الهوية ، و اللغوية عبر استعمال صور بلاغية مكثفة و لغة شعرية متشظية .

2- تكمن المحاكاة في روايات أمير بولص عبر التناص بأنواعه الثلاث : الأدبي (استحضار نصوص أدبية و شخصيات روائية مشهورة) ، الديني (استحضار نصوص الكتاب المقدس و تحويرها) ، و الشعبي (استحضار الموروثات الشعبية و حكايات الجنيات) .

3- هذه التقنيات تكشف عن نظرة فلسفية متشائمة للواقع العراقي ، حيث أن التشظي يعكس حالة الضياع و التشرذم التي يعيشها المجتمع، و المحاكاة تعكس سعي الكاتب للتشبث بالهوية و الذاكرة وسط هذا التمزق .

4- إن رواية (معزوفات لظل رأى) تجسد النموذج الأكثر بروزاً للتشظي ، فهو يجمع بين الإنساني و العجائبي ، و بين الواقعي و الخيالي، في فضاء سردي متشظٍ للتعبير عن مأساة التهجير القسري، أما رواية (ينعي جسده) تجسد النموذج الأهم للمحاكاة، عبر استحضار نصوص دينية و أدبية متنوعة ، و صياغتها مجدداً في سياق روائي جديد .

5- أفلح أمير بولص في توظيف جماليات المحاكاة و التشظي لخدمة قضايا وطنية و إنسانية عميقة ، مثل قضية الاغتراب و فقدان الهوية و التهجير و الجنون كوسيلة للهروب من الواقع ، وهذا يجعل رواياته ليست نصوص أدبية فقط ، إنما شهادات حية على واقع صعب و أليم عاشته العراق في آخر عقدين .

6- إن تجربة أمير بولص تؤكد أن الرواية القصيرة رغم أن حجمها قصير لها القدرة على فهم تقنيات سردية متطورة، و تحقيق مستويات مرتفعة من الإيحاء و التكثيف ، وهذا يؤدي لجعلها فناً أدبياً مكتملاً قيمته لا تقل عن الرواية الطويلة.

7- إن الهوية السريانية المسيحية للكاتب تشكل عنصراً هاماً في تشكيل رواياته ، فهي تبدو في استحضار النصوص الدينية، و كذلك الأماكن المقدسة (الكنائس) ، و الشعائر و الطقوس (الصلوات و الترانيم) ، وهذا يجعل رواياته تتمتع بخصوصية دينية و ثقافية تميزها عن سواها من الأعمال الروائية العراقية.

قائمة المصادر والمراجع

1. أمير بولص إبراهيم. (2017). نردة عاقر (رواية قصيرة). الموصل: منشورات نون، ط1.
2. أمير بولص إبراهيم. (2018). معزوفات لظل رأى (رواية قصيرة). الموصل: منشورات نون، ط1.
3. أمير بولص إبراهيم. (2021). ينعى جسده (رواية قصيرة). الموصل: دار ماشكي للطبع والتوزيع، ط1.
4. الباردي، محمد. (2019). جماليات التشظي وتفتت الحبكة وانحلال الحكاية في رواية (أهداب الخشية). مجلة العلوم الإنسانية، العدد 04.
5. بحراري، حسن. (1990). بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية). بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1.
6. بوهراكة، فاطمة. (2022). موسوعة الشعر العراقي الفصيح 1932-2022. بغداد: دار المريا، ط1.
7. التميمي، فاضل عبود. (2014). شعرية الطباق في رواية (زينب وماري وياسمين). مجلة الرقيم، العدد 6.
8. جينيت، جيرار. (1997). خطاب الحكاية: بحث في المنهج (ترجمة محمد معتصم وآخرون). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط2.
9. الجوخ، حسن. (2020). الرواية القصيرة. مصر: دار مينا بوك، ط1.
10. حمادي، أحمد عدنان. (2012). التناص وتداخل النصوص: المفهوم والمنهج دراسة في شعر المتنبي. عمان: دار المأمون للطباعة والنشر، ط1.
11. درويش، محمود. (2005). الأعمال الشعرية الكاملة. بيروت: دار رياض الريس للكتب والنشر، ط1.
12. الرمادي، أبو المعاطي خيرى. (2006). الرواية المصرية القصيرة في الربع الأخير من القرن العشرين. مصر: مكتبة بستان المعرفة، ط1.

13. الزعبي، أحمد. (2000). التناص نظرياً وتطبيقاً. عمان: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط2.
14. عسواد، زينب منخي. (2024). تقنيات السرد في روايات أمير بولص إبراهيم القصيرة (رسالة ماجستير). جامعة القادسية، كلية الآداب.
15. عزت، عمار إبراهيم. (2023). الرواية القصيرة في العراق (دراسة في اشكالية النوع السردى). أطروحة دكتوراه. جامعة ذي قار.
16. كوهين، جون. (2000). النظرية الشعرية (بناء لغة الشعر) (ترجمة أحمد درويش). القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ط4.
17. محمد، ماجد حامد. (2018). موسوعة شعراء الموصل في العصر الحديث 1900-2017. العراق: دار نون للنشر والطباعة والتوزيع، ط1.
18. الموافي، ناصر عبد الرزاق. (1995). القصة العربية... عصر الإبداع. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
19. همفري، روبرت. (1975). تيار الوعي في الرواية الحديثة (ترجمة محمود الربيعي). القاهرة: دار غريب، ط1.
20. يوسف، آمنة. (1997). تقنيات السرد في النظرية والتطبيق. سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1.

سبل الكشف عن وسائل مقاصد الشريعة

د. سعد عبد الرزاق السكندрани

Dr. Saad Abdul Razzak Al-Iskandarani

dr.iskandaranisaad@gmail.com

ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن مسالك استنباط وسائل مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو مجال لم يحظَ باهتمام كافٍ في الدراسات المقاصدية المعاصرة رغم غناها. وتتطرق من سؤال محوري: ما سبل الكشف عن وسائل مقاصد الشارع بما يُسهم في ترشيد استثمار الموارد تحقيقاً لمقصد الاستخلاف والتمكين في الأرض؟ معتمدةً المنهج الاستقرائي التحليلي التأصيلي في استجلاء هذه المسالك من مصادر التشريع. وقد خلص البحث إلى أن مسالك الكشف تتوزع بين مسالك نصية: كالأمر والنهي الابتدائي، والسنة المتواترة، وعمل الصحابة رضي الله عنهم. ومسالك اجتهادية: كالعقل، والفطرة، والتجارب والأعراف. وتم التعمق بمسلك الاستقراء كونه يعد العمدة الجامعة بينها، إذ اعتمده جمهور الأصوليين حجةً معتبرة في إثبات المقاصد ووسائلها وفق ضوابط دقيقة تتعلق بالمستقرى والنصوص المستقرة ونتائج الاستقراء.

الكلمات المفتاحية: مقاصد الشريعة - وسائل المقاصد - الاستقراء - المسالك النصية - المسالك الاجتهادية - الفطرة.

abstract

This study seeks to uncover the methodological pathways for deriving the means (*wasā'il*) of Islamic legal objectives (*maqāṣid al-sharī'a*) — a domain that has received insufficient scholarly attention in contemporary *maqāṣid* studies despite their richness. The study proceeds from a central question: what are the pathways for identifying the means to the Lawgiver's objectives, in a way that contributes to the rational utilisation of resources in pursuit of the objective of stewardship and empowerment on earth (*maqṣad al-istikhlāf*)? It adopts an inductive, analytical, and foundational methodology in elucidating these pathways from the sources of Islamic law. The study concludes that the pathways fall into two categories: textual pathways — such as primary explicit commands and prohibitions, mass-transmitted Sunnah, and the practice of the Companions — and juristic pathways — such as reason, natural human disposition (*fiṭra*), and empirical experience and custom — with particular depth given to induction (*istiqrā'*) as the overarching method unifying them all, which the majority of legal theorists have recognised as a valid proof in establishing objectives and their means, subject to precise criteria governing the scholar conducting the induction, the texts being examined, and the conclusions drawn.

Keywords: Islamic legal objectives (*maqāṣid al-sharī'a*) — means of the objectives (*wasā'il al-maqāṣid*) — induction (*istiqrā'*) — textual pathways — juristic pathways — natural human disposition (*fiṭra*).

المقدمة:

ذخرت المكتبة الإسلامية بدراسات غزيرة حول مقاصد الشريعة، غير أنَّ هذا البحث يروم بيان مسالك الكشف عن وسائل المقاصد، وهذا ما يحتاج إلى (فقه الفقه)⁽¹⁾ أي الغوص في دلالات النصوص وإشاراتها وضم بعضها إلى بعض، ليكون لبنة إضافية في هذا الصرح الأصولي. ومحاولة رائدة للتجديد في العلوم الإسلامية بما يوائم مستجدات الواقع العربي والإسلامي، عبر الإشارة إلى سبل الكشف عن الوسائل بالتأصيل لها من مصادر التشريع، تأكيداً لإمكانية امتلاك هذه الوسائل واستثمارها. وذلك سعياً للإجابة عن السؤال المحوري: ما هي سبل الكشف عن وسائل مقاصد الشارع، بما يسهم في ترشيد استثمار الموارد في العصر الحديث؛ تحقيقاً لمقصد الاستخلاف والتمكين في الأرض؟ وذلك ضمن مطلبين اثنين؛ وفق الآتي:

❖ المطلب الأول: أنواع سبل الكشف عن وسائل مقاصد الشارع

تتنوع طرق الكشف عن الوسائل بين مسالك نصية وبين مسالك اجتهادية غير نصية.

أ- مسالك نصية؛ ومنها:

أولاً- الأمر والنهي الابتدائي التصريحي: الأمر معلوم أنه إنما كان أمراً لاقتضائه الفعل؛ فوقع الفعل عند وجود الأمر به مقصود للشارع، وكذلك النهي معلوم أنه مقتضى لنفي الفعل أو الكف عنه؛ فعدم وقوعه مقصود له... وإنما قُيِّد بالابتدائي تحرراً من الأمر أو النهي الذي قصد به غيره؛ كقوله تعالى: { فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ } [الجمعة 9] فإن النهي عن البيع ليس نهياً مبتدأً، بل هو تأكيد للأمر بالسعي؛ فهو من النهي المقصود بالقصد الثاني، فالبيع ليس منهياً عنه بالقصد الأول، كما نُهي عن الربا والزنا مثلاً، بل لأجل تعطيل السعي عند الاشتغال به. وكذا قُيِّد بالتصريحي تحرراً من الأمر أو النهي الضمني الذي ليس بمصرح به.⁽²⁾

وقد عبّر ابن عاشور عن هذا المسلك؛ بتتبعه على (أدلة القرآن الواضحة الدلالة) التي يضعف احتمال أن يكون المراد منها غير ما هو ظاهرها بحسب الاستعمال العربي، بحيث لا يَشْكُ في المراد منها

1 - انظر: الزركشي، محمد بن عبد الله (ت794). البحر المحيط في أصول الفقه. تح: محمد تامر. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1-1421هـ=2000م. 4: 521.

2 - انظر: الشاطبي، أبو إسحاق (ت790هـ). الموافقات. تح: مشهور بن حسن آل سلمان. القاهرة: دار ابن عفان، ط1-1417هـ=1997م 3: 135.

إلا من شاء أن يُدخل على نفسه شكًا لا يعتدُّ به؛⁽¹⁾ مثل ما يؤخذ من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران 200] وقوله تعالى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [التوبة 41] ففي كل آية من هذه الآيات تصريح بوسيلة شرعية أو تنبيه على مقصد، كالأمر بالمصابرة والرباط، والمجاهدة بإنفاق المال وبذل الأنفس.

ثانياً - السنة المتواترة: وهي قسمان:

القسم الأول: المتواتر اللفظي: وهو ما تواتر لفظه ومعناه، ومثاله قول النبي ﷺ: «الحرب خدعة»⁽²⁾. وكذا مثل قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»⁽³⁾.

القسم الثاني: التواتر المعنوي هو ما تواتر معناه دون لفظه. ومثاله: أحاديث رفع اليدين في الدعاء، فقد ورد عنه ﷺ نحو مئة حديث في قضايا مختلفة أنه ﷺ رفع يديه في الدعاء، وكل قصة منها لم تتواتر، والقدر المشترك بينها - وهو الرفع عند الدعاء - تَوَاتَرَ باعتبار مجموع الطرق.⁽⁴⁾ وقد ألحق الشاطبي الاستقراء الأكثر بالتواتر المعنوي؛ بقوله: ((وإنما الدليل على المسألة ثابت على وجه آخر هو روح

1 - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر (1393هـ). مقاصد الشريعة الإسلامية. تح: محمد الحبيب ابن الخوجة. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1425هـ=2004م.. 3: 62.

2 - متفق عليه. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تح: محمد زهير الناصر. بيروت: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1-1422هـ=2002م. كتاب الجهاد والسير. باب: الحرب خدعة. رقم: 3030. 4: 64. مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ). صحيح مسلم. تح محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: مطبعة البابي الحلبي. 1374هـ=1955م. كتاب الجهاد والسير. باب جواز الخداع في الحرب. رقم: 1739. 3: 1361. وقد أورده الإمام السيوطي ضمن الأحاديث المتواترة. انظر: السيوطي، جلال الدين. قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة. بيروت: المكتب الإسلامي. تح: مفتي البقاع شيخنا خليل الميس رحمه الله تعالى. ط1-1405هـ=1985م. ص255.

3 - متفق عليه، واللفظ لمسلم. صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق. رقم: 7311. 9: 101. صحيح مسلم. كتاب الإمارة. باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة..». رقم: 1920. 3: 1523.

4 - انظر: السيوطي، جلال الدين (911هـ). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. تح: أبو قتيبة الفاريابي. الرياض: دار طيبة. 2: 631.

المسألة، وذلك أن هذه القواعد الثلاث _الضروريات، الحاجيات، التحسينيات_ لا يرتاب في ثبوتها شرعاً أحد ممن ينتمي إلى الاجتهاد من أهل الشرع، وأن اعتبارها مقصود للشارع. ودليل ذلك استقراء الشريعة والنظر في أدلتها الكلية والجزئية وما انطوت عليه من هذه الأمور العامة على حد الاستقراء المعنوي الذي لا يثبت بدليل خاص، بل بأدلة منضاف بعضها إلى بعض، مختلفة الأغراض بحيث ينتظم من مجموعها أمر واحد تجتمع عليه الأدلة، على حد ما ثبت عند العامة جود حاتم،⁽¹⁾ وشجاعة سيدنا علي ؑ وما أشبه ذلك.⁽²⁾

وقريب من هذا القسم التواتر العملي، الذي يحصل لأحاد الصحابة ؓ من تكرار مشاهدة أعمال الرسول الله ﷺ بحيث يستخلص من مجموعها مقصداً شرعياً. فعلى سبيل المثال تشاور النبي ﷺ في كل محطة من محطات السيرة تؤكد تواتراً عملياً لمقصد المشاركة ونفي الاستبداد، فضلاً عن نص القرآن الكريم على ذلك: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران 159] وقوله تعالى: {وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى 38]

ثالثاً- عمل الصحابة ؓ: فهم أول المقاصدين تفكيراً وتطبيقاً، وفعلهم ؓ هو المستند الأقوى للقواعد والمسائل الفقهية والأصولية. وذلك لأنهم كانوا أبرر قلوباً، وأعمق علماً، وأقل تكلفاً.⁽³⁾ وقد عرفوا مقاصد الشريعة فحصلوها، وأسسوا قواعدها وأصلوها، وجالت أفكارهم في آياتها، وأعملوا الجد في تحقيق مبادئها وغاياتها.. وكيف لا وقد كانوا أول من قرع ذلك الباب، فصاروا خاصة الخاصة ولباب الباب، ونجوماً يهتدي بأنوارهم أولو الألباب؟!⁽⁴⁾

1 - هو: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي القحطاني، أبو عدي: فارس، شاعر، جواد، جاهلي. يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد. شعره كثير، ضاع معظمه، وبقي منه ديوان صغير. وأخباره كثيرة في كتب الأدب والتاريخ. وأرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ. انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله (ت276هـ). الشعر والشعراء. القاهرة: دار الحديث. 1423هـ. 1: 235.

2 - الشاطبي. الموافقات. 2: 81.

3 - انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت751هـ). إعلام الموقعين عن رب العالمين. تح: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت: دار الكتب، ط1-1411هـ = 1991م. 4: 114.

4 - انظر: الشاطبي. الموافقات. 1: 7.

وقد سمح النبي ﷺ للصحابه ﷺ بالاجتهاد، بل وشجّعهم على ذلك في غير ما موضع وحادثة، ومن أشهر الوقائع حين أرسل النبي ﷺ الصحابي معاذ بن جبل⁽¹⁾ إلى اليمن، فقد اجتهد معاذ برأيه فعلاً، ومن ذلك استبداله زكاة الحبوب بثياب، فقد قال لأهل اليمن: «اِثْنُونِي بِعَرَضٍ ثِيَابٍ خَمِيسٍ⁽²⁾ أَوْ لَبِيسٍ فِي الصَّدَقَةِ مَكَانَ الشَّعِيرِ وَالذَّرَةِ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ وَخَيْرٌ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ»⁽³⁾ وهذا اجتهد منه ﷺ على حادثة سنّه حينها _ في دفع العروض في الصدقة بما يوافق مصلحة الطرفين: أهل اليمن وأصحاب النبي ﷺ في المدينة. وفي القصة إشارة إلى أن فعله كان من شأن النبي ﷺ تجويز مثله.⁽⁴⁾ وبعد وفاة النبي ﷺ استمر اعتبار الصحابة ﷺ للمقاصد ووسائلها، ومنه اجتماعهم ﷺ في (سقيفة بني ساعدة) للمشاورة حول من يولونه الخلافة عليهم، بعد وفاة الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه؛⁽⁵⁾ لإدراكهم بأن تعيينهم إمام على المسلمين يحققون مصلحة عظيمة للإسلام والمسلمين. وبهذا يكون قد تمت الإشارة للمسالك النصية، وبات الانتقال للمسالك الاجتهادية.

ب- مسالك غير نصية (اجتهادية):

تنقسم المسالك الاجتهادية إلى ثلاثة مسالك: العقل، الفطرة والتجارب. وفق الآتي:

- 1 - هو: أبو عبد الرحمن الخَزَرَجِي، ثُمَّ الْجُشَمِيُّ. شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها، بعثه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قاضياً إلى اليمن. هو أعلم الناس بالحلال والحرام. مات بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة، وَهُوَ = اِثْنِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ. انظر: الأصبهاني، أبو نعيم (ت430هـ). معرفة الصحابة. تح: عادل العزاوي. الرياض: دار الوطن، ط1-1419هـ=1998م. 5: 2431. وانظر: ابن عبد البر، يوسف (463هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تح: علي البجاوي. القاهرة: مكتبة نهضة مصر. 1380هـ=1960م. 3: 1407.
- 2 - كساء أسود مربع له علمان، والمشهور خميس بالسين، وهو ما طوله خمسة أذرع (أو لبيس) بفتح اللام وكسر الموحدة المخففة فعيل بمعنى ملبوس. انظر: القسطلاني، أحمد (ت923هـ). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية. ط7. 1323 هـ.. 3: 40.
- 3 - البخاري. صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب العرض في الزكاة. 2: 116. رقم: 1447.
- 4 - انظر: ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تح: محمد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة، د. ط-1379هـ = 1960م. 3: 82.
- 5 - انظر: البخاري. صحيح البخاري. كتاب أصحاب النبي ﷺ. باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً». رقم: 3667. 5: 6

المسلك الأول: العقل: لمعرفة المصالح والمفاسد في حال غياب النص. وهذا ما يُعبر عنه بعُرف الأصوليين بالاستدلال⁽¹⁾ وكذا يدخل في باب **المصلحة المرسلة**. وقد اختلف فيه وفق ثلاثة مذاهب: (2)

أولها: نفيه والاقتصار على اتباع كل معنى له أصل؛ فلا يجوز أن يكون المعنى دليلاً حتى يستند إلى أصل. واحتج لهذا القول القاضي أبو بكر الباقلاني⁽³⁾ رحمه الله بأن قبح هذا الباب كونه ليس له أصل، ويفضي إلى أن يبقى أهل النظرية بمنزلة الأنبياء ﷺ ولم ينسب ما يروونه إلى الشريعة، وهو ذريعة إلى إبطال أئمة الشريعة، وإلى أن يفعل كل واحد ما يرى. ثم يختلف ذلك باختلاف الزمان، والمكان، وأصناف الخلق، فيبطل ما درج عليه الأولون؛ ولأنه لو جاز ذلك لكان العاقل ذو الرأي العالم بوجوه السياسات إذا راجع المفتين في حادثة، وأعلموه أنها ليست منصوصة، ولا أصل لها يضاهيها يجوز له حينئذ العمل بالأصوب عنده، وهذا صعب لا يستجري عليه متدين.

وقد أجابه الإمام القرافي رحمه الله عن إيراد منزلة الأنبياء عليهم السلام بقوله: "إن أراد أنهم ورثتهم، فهو حق، وإن أراد أنهم يحكمون بالهوى، والعقل المحض، فلا نسلم أن الأنبياء كذلك، فلا معنى لهذا الكلام. وأما قوله: العالم بالسياسة إذا أخبره المفتون بعدم الأصول، فيكون له الأخذ برأيه. قلنا: لا يلزم ذلك؛ فإن مالكا رحمه الله يشترط في المصلحة أهلية الاجتهاد؛ ليكون الناظر متكيفاً بأخلاق الشريعة، فينبو

1 - عرّفه إمام الحرمين بقوله: "هو معنى مشعر بالحكم مناسب له فيما يقتضيه الفكر العقلي، من غير وجدان أصل متفق عليه، والتعليل المنسوب جار فيه". انظر: الجويني. **البرهان في أصول الفقه**. 2: 161. وانظر: السمعاني، أبو المظفر منصور (ت489هـ). **قواطع الأدلة في الأصول**. تح: محمد الشافعي. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1-1418هـ=1999م. 2: 259.

2 - انظر التفصيل: الجويني، عبد الملك بن عبد الله (ت478هـ).. **البرهان في أصول الفقه**. تح: صلاح عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1-1418هـ=1997م. 2: 161-162.

3 - هو: محمد أبو بكر بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بالباقلاني. الملقب بشيخ السنة ولسان الأمة. المتكلم على مذهب أهل السنة وأهل الحديث وطريقة أبي الحسن الأشعري إمام وقته من أهل البصرة، سكن بغداد وسمع من القطيعي وابن ماشا وغيرهما وإليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته. توفي سنة 403هـ. انظر: تغري بردي، يوسف (ت874هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. مصر: دار الكتب. 4: 234. وانظر: ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي اليعمرى (ت799هـ). **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. تح: محمد الأحمدى أبو النور. القاهرة: دار التراث للطبع والنشر. د.ط - د.ت. 2: 228.

عقله وطبعه عما يخالفها، بخلاف العالم بالسياسات إذا كان جاهلاً بالأصول، فيكون بعيد الطبع عن أخلاق الشريعة، فيهجم على مخالفة أخلاق الشريعة من غير شعور".⁽¹⁾

ثانيها: وهو جواز اتباع وجوه الاستصلاح والاستصواب قربت من موارد النص أو بعدت إذا لم يصد عنها أصل من الأصول الثلاثة الكتاب والسنة والإجماع. أي أن يكون الثابت مصالح شبيهة بالمصالح الثابتة في أصول الشرع غير خارجة عنها.⁽²⁾

ثالثها: هو المعروف من مذهب الشافعي رحمه الله ومعظم أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله وهو التمسك بالمعنى وإن لم يستند إلى أصل على شرط قربيه من معاني الأصول الثابتة. وقد عَضِدَ الإمام الشافعي رحمه الله رأيه بقوله: "من سَبَرَ أحوال الصحابة ﷺ وهم القدوة والأسوة في النظر؛ لم يرَ لواحدٍ منهم في مجالس الاشتوار تمهيد أصل واستثارة معنى ثم بناء الواقعة عليه، ولكنهم يخوضون في وجوه الرأي من غير التفات إلى الأصول كانت أو لم تكن، فإذا ثبت اتساع الاجتهاد واستحال حصر ما اتسع منه في المنصوصات، وانضم إليه عدم احتقال علماء الصحابة ﷺ تطُّبُّبُ الأصول؛ فأرشد مجموع ذلك إلى القول بالاستدلال".⁽³⁾ ولعلَّ هذا المذهب هو الأصوب لرجاحته وفعاليته.

المسلك الثاني - الفطرة: إن ابتناء مقاصد الشريعة على وصف الشريعة الإسلامية الأعظم وهو (الفطرة). ومعنى وصف الإسلام بأنه: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم 30]: أي الأصول التي جاء بها الإسلام هي من الفطرة، ثم تتبعها أصول وفروع هي من الفضائل الذائعة المقبولة. فجاء بها الإسلام وحرَّضَ عليها، إذ هي من العادات الصالحة المتأصلة في البشر، والناشئة عن مقاصد من الخير سالمة من الضرر. فهي راجعة إلى أصول الفطرة، وإن كانت لو تركت الفطرة وشأنها لما شهدت بها ولا بضدِّها. فلما حصلت اختارتها الفطرة، ولذلك استقرت عند الفطرة واستحسنتها.⁽⁴⁾

1 - القرافي، شهاب الدين أبو العباس أحمد (ت874هـ). نفائس الأصول في شرح المحصول. تح: عادل عبد الموجود وعلي معوض. مَكَّة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز. ط1-1416هـ=1995م. 9: 4091-4092.

2 - انظر: السمعاني. قواطع الأدلة في الأصول. 2: 259. وقد نسب الإمام الجويني رحمه الله هذا الرأي بالبرهان للإمام مالك رحمه الله ونسب له الإفراط وإفتائه باستحداث القتل. والواقع أن مالك لم يقل بهذا. قال: ابن شماع: ما نقله إمام الحرمين لم ينقله أحد من علماء المذهب ولم يخبر أنه رواه نقلته، إنما ألزمه ذلك. وقد اضطرب إمام الحرمين في ذكره ذلك عنه كما اتضح ذلك من كتاب البرهان. انظر: عليش، محمد المالكي (1299هـ). منح الجليل شرح مختصر خليل. بيروت: دار الفكر. 1409هـ = 1989م. 7: 513.

3 - انظر: الجويني. البرهان في أصول الفقه. 2: 162 - 163.

4 - انظر: ابن عاشور. مقاصد الشريعة الإسلامية. 3: 183.

لكن ترك تقدير المصالح لما يضعه كل واحد من مقاييس خاصة لمعرفة الخير والشر والمصلحة والمضرة يؤدي إلى تعارض المصالح والمنازعات، وإن الإسلام راعى هذه الحقيقة حين بيّن أن مقاييس كل مصلحة هي الخلق المستمد من الفطرة، وهي المعروف، أي تلك الأسس الأخلاقية التي أقرتها جميع الديانات والمذاهب السابقة على اختلاف نزعاتها وطبيعتها، كاعتبار الصدق والوفاء محل تقدير واحترام، واعتبار الكذب والخيانة محل احتقار واستتكار. وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمرنا أن نطلب منه سبحانه الهداية إليه في كل صلاة: صراط الذين أنعم عليهم ربهم، فلم يغضبوه ولم يضلوا طريقه.⁽¹⁾

المسلك الثالث - التجارب والخبرات: يقول تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل 43] ومعناه سلّوا كل من يُذكرُ بعلمٍ وتَحْقِيقٍ.⁽²⁾ وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث.⁽³⁾

وفي قبوله ﷺ مقترح الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه بجنح الخندق، وهو أمر لم تكن تعرفه العرب من قبل، دليل على أن الإسلام لا يضيق ذرعاً بالاستفادة مما عند الأمم الأخرى من تجارب تفيد الأمة وتنفع المجتمع. وقبول رسول الله ﷺ هذه المشورة دليل على مرونته. واستعداده لقبول ما يكون عند الأمم الأخرى من أمور حسنة، وقد فعل الرسول ﷺ مثل ذلك أكثر من مرة. فإن مما تحيّمه مصلحة أتباعه في كل زمان وفي كل بيئة أن يأخذوا بأحسن ما عند الأمم الأخرى مما يفيدهم، ولا يتعارض مع أحكام شريعتهم وقواعدها العامة، والامتناع عن ذلك جمود لا تقبله طبيعة الإسلام.⁽⁴⁾ فمصالح الدارين وأسبابها ومفاسدها لا تُعرف إلا بالشرع، فإن خفي منها شيء طلب من أدلة الشرع وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس المعبر والاستدلال الصحيح. وأما مصالح الدنيا وأسبابها ومفاسدها فمعروفة بالضرورات والتجارب والعادات والظنون المعبر، فإن خفي شيء من ذلك طُلب من أدلته، ومن أراد أن يعرف المتناسبات والمصالح والمفاسد راجعاً راجعاً فليعرض ذلك على عقله، بتقدير أن النصّ لم يرد به ثم يبني

1 - انظر: علّال، الفاسي. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط5-1413هـ =

1993م. ص 192

2 - انظر: الرازي، فخر الدين (ت606هـ). مفاتيح الغيب=التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط3-1420هـ. 20: 211.

3 - السعدي، عبد الرحمن (ت1376هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تح: عبد الرحمن اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط1-1420هـ=2000م. ص 441.

4 - انظر: السباعي، مصطفى (ت1384هـ). السيرة النبوية - دروس وعبر. بيروت: المكتب الإسلامي. ط3-1405هـ = 1985م. 120-121.

عليه الأحكام فلا يكاد حكم منها يخرج عن ذلك إلا ما تعبد الله به عباده ولم يفهم على مصلحته أو مفسدته، وبذلك تعرف حسن الأعمال وقبحها.⁽¹⁾

ويدخل في هذا الباب قاعدة (العادة محكّمة)⁽²⁾ فاعتبار العادة والعرف رجع إليه في الفقه، في مسائل لا تُعد كثرة.⁽³⁾ والقاعدة تعني أن العادة عامة كانت أم خاصة تجعل حكماً لإثبات حكم شرعي لم ينص على خلافه بخصوصه، فلو لم يرد نص يخالفها أصلاً، أو ورد ولكن عاماً، فإن العادة تُعتبر. والعادة في اللغة مأخوذة من المعاودة، بمعنى التكرار، فهي بتكرارها ومعاودتها مرة بعد أخرى صارت معروفة مستقرة في النفوس والعقول، متلقاة بالقبول من غير علاقة ولا قرينة حتى صارت حقيقة عرفية.⁽⁴⁾ ومن أمثلة اتخاذ النبي ﷺ لوسيلة عرفية بسياسته الخارجية رواية أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يكتب إلى العجم، قيل له: إن العجم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم، «فَاضْطَنَعَ خَاتِماً مِنْ فِصَّةٍ».⁽⁵⁾

والخلاصة والله أعلم في المسالك الاجتهادية، أنه لا بد منها تعصيماً للنصوص، وسدّاً للإجمال التشريعي غير المفصل، لا سيما في مجال (المصالح المرسلة). وأن الشرع عمل على تحريك العقول وإطلاقها من قيودها، ورفع عنها ما كان يعطلها من أوهام وخرافات، وطعمها بقيمه وأحكامه، ثم ترك لها مجالاً واسعاً لتعمل وتتزكى. وهذا وجه آخر من وجوه حفظ العقل.

❖ المطلب الثاني: الاستقراء عمدة طرق الكشف عن وسائل مقاصد الشارع.

يُعرّف الاستقراء: بالنتيج لمعرفة حالة الشيء المقصود. ويستقرئها إذا سار فيها ينظر حالها وأمرها.⁽⁶⁾ وتختلف تعريفات الاستقراء بحسب أنواعه وأقسامه وثمرته، فمن تعريفاته المعاصرة: "صياغة قاعدة عامة

1 - انظر: ابن عبد السلام، عز الدين (660هـ). قواعد الأحكام في مصالح الأناس. تح: طه سعد. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ط- 1414هـ = 1991م. 1: 10.

2 - انظر: ابن نجيم، زين الدين (970هـ). الأشباه والنظائر. تح: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1- 1419هـ = 1999م. ص 79.

3 - انظر: السيوطي، جلال الدين (911هـ). الأشباه والنظائر. بيروت: دار الكتب العلمية. 1403 هـ. ص 89.

4 - انظر: الزحيلي، محمد. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة. دمشق: دار الفكر. ط1- 1427هـ=2006م. 1: 298-300.

5 - صحيح مسلم. كتاب اللباس والزينة. باب في اتخاذ النبي ﷺ خاتماً. رقم: 2092. 3: 1657.

6- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (170هـ). العين. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط- 1406هـ=1986م مادة: قرو. 5: 203.

من تتبّع حالات جزئية كثيرة، أو تجميع أدلة جزئية متعدّدة لا يقوى أي منها على إفادة القطع".⁽¹⁾ كذا يُعرّف بأنه تقرير أمر كلي بتتبع جزئياته.⁽²⁾

الاستقراء يجمع بين المسالك النصية وغير النصية للكشف عن وسائل المقاصد؛ ومن النصوص التي يُستأنس بها للدلالة على الاستقراء التاريخي؛ قوله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} [الأنعام 11] فها هنا دعوة لاستقراء حالهم بالنظر المتتابع لمعرفة أحوالها وخواصها. وكقوله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام: {إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح 27] فكأنه حكم عليهم بعد استقراء لمعاشرته لهم ألف سنة إلا خمسين عاماً. وكما في قوله تعالى: {فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [يونس 88] حيث أخبر سيدنا موسى عليه السلام عن قومه من استقراء حالهم في مصر.⁽³⁾ وثبت في السنة أن رسول الله ﷺ قال: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ وَهِيَ أَنْ يَجَامَعَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ مُرْضِعٌ»⁽⁴⁾ حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ»⁽⁵⁾. فهنا النبي ﷺ بنى حكمه على استقراء جملي لأحوال روم وفارس. والصحابه الكرام رضي الله عنهم، يتمثل استخدامهم للاستقراء في عدّة صور، كتحديد السنن الفعلية مثل حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حين قالت: «مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْتِ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهُ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ».⁽⁶⁾ فهنا كلام أم المؤمنين رضي الله عنها مبني على استقراءها

1- هذا تعريف د. سعد الدين العثماني في "نظرات منهجية في علم أصول الفقه"، مقال منشور في مجلة (الفصل) السعودية. العدد: 123. ص 27.

2 - هذا تعريف د. نور الدين الخادمي. بعنوان: "المقاصد الاستقرائية"، حقيقتها حبيبتها ضوابطها، منشور في مجلة العدل، العدد: 33. 1428هـ. ص 63.

3 - وقد عبّ الشنقيطي بقوله: وَذَلِكَ بِذَلِيلِ الْإِسْتِقْرَاءِ، وَهُوَ دَلِيلٌ مُعْتَبَرٌ شَرْعًا وَعَقْلًا. انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت 1393هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر. 1415هـ = 1995م. 8: 313.

4- انظر: النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (676هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط 2-1392هـ = 1972م. 10: 16.

5- صحيح مسلم. كتاب النكاح. باب جواز الغيلة، وهي وطء المرضع، وكراهة العزل. رقم: 1442. 2: 1066.

6- متفق عليه، واللفظ للبخاري. صحيح البخاري. كتاب الحدود. باب إقامة الحدود والانتقام لحرمان الله. رقم: 6786. 8:

160. صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب مباحته ﷺ للأثم واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرمانه. رقم: 2327. 4: 1813.

لمجمل معاشرتها للنبي ﷺ، ويقاس عليه الأحاديث التي يرد فيها: "كان يفعل ﷺ كذا وكان يحب كذا ويكره كذا".

وقد توسّع العلماء في الاعتماد على الاستقراء كثيراً، مما دلّ على أنه حجة لديهم. فمن ذلك اعتمادهم عليه في التقعيد الأصولي والفقهية وغيرهما، ومعلوم أن القواعد لا تقبل إلا بإسنادها إلى دليل صحيح. فمثلاً قام علماء الحنفية باستقراء فتاوى أئمتهم السالفين؛ ليستخرجوا من ذلك المعاني والضوابط التي التزموا بها في فتاويهم. كذا القواعد والضوابط الفقهية يقوم الجزء الأكبر منها على الاستقراء، مثل قاعدة (الأمر بمقاصدها)⁽¹⁾ التي هي إحدى أركان الفقه وأمّهات القواعد الأصولية، التي تُردُّ إليها الأحكام لدرجة اعتبرها الإمام الشافعي رحمه الله بأنها تعادل ثلث العلم.⁽²⁾ كما كان الاستقراء أحد الوسائل التي اعتمدها العلماء في تحديد القرائن وتعيين الغُرف والعادة، كتحديد أقصى مدّة الحمل. بالإضافة لكثير من التقاسيم الأصولية، وطائفة من الفروع الفقهية، وترجيح بعض الأدلة على بعض.⁽³⁾

وقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله الاستقراء كأحد أنواع الحجج العقلية من علم المنطق بقوله: "الاستقراء هو أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلية تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكماً في تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكلي به".⁽⁴⁾ واستدل رحمه الله بالاستقراء على ثبوت المقاصد في الشريعة الإسلامية، فبعد أن قطع بأن مقصود الشرع تقليل القتل، قال: "...وكان هذا التفاتاً إلى مصلحة، عُلم بالضرورة كونها مقصود الشرع لا بدليل واحد وأصل معين، بل بأدلة خارجة عن الحصر".⁽⁵⁾

1- انظر في ذلك مثلاً: ابن نجيم، زين الدين (970هـ). الأشباه والنظائر. تح: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1-1419هـ = 1999م. ص 15. وانظر: الكرابيسي، أسعد بن محمد (ت570هـ). الفروق. تح: محمد طوموم. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ط1-1402هـ = 1982م. 1: 33.

2 - انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الأشباه والنظائر. القاعدة الأولى. 1: 8-9.

3- الزهر، محمد أيمن. الاستقراء ومجالاته في العلوم الشرعية. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية. المجلد 29. العدد الأول-2013. ص 462.

4- الغزالي، أبو حامد (505هـ). معيار العلم في فن المنطق. شرح أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1-1410هـ = 1990م. ص 148.

5- الغزالي، أبو حامد (505هـ). المستصفى. د.تح. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1-1402هـ = 1983م. وكذا في سياق كلامه عن المصلحة المرسل. 1: 179.

وقد اعتمد الإمام القرافي رحمه الله على الاستقراء؛ فقال: "استقراء الشريعة يقتضي أن ما من مصلحة إلا وفيها مفسدة، ولو قلّت على البعد، ولا مفسدة إلا وفيها مصلحة وإن قلّت على البعد".⁽¹⁾ ومسائل الأصول قطعية، ولا يكفي فيها الظن، ومدرکہا قطعي، ولكنه ليس المسطور في الكتب، بل معنى قول العلماء: إنها قطعية، أن من كثر استقراؤه وإطلاعه على أقضية الصحابة ﷺ ومناظرتهم، وفتاويهم، وموارد النصوص الشرعية ومصادرها، حصل له القطع بقواعد الأصول، ومن قصر عن ذلك لا يحصل له إلا الظن.⁽²⁾

وحاول الإمام ابن تيمية رحمه الله وضع منطق جديد يقوم على الاستقراء التجريبي؛ ليكون بذلك أحد رؤاد المنهج الاستقرائي.⁽³⁾ وإذا كان الاستقراء عند أهل المنطق هو استدلال جزئي على كلي، فهو عند ابن تيمية رحمه الله استدلالاً بأحد المتلازمين على الآخر، ويجعل بذلك الاستقراء نوعاً واحداً يرجع إلى دلالة الالتزام. وهذا اللزوم يحصل به الاستدلال بأي وجه حصل اللزوم، وكلما كان اللزوم أقوى وأتم وأظهر، كانت الدلالة أقوى وأتم وأظهر.⁽⁴⁾ واعتمد تلميذه ابن القيم رحمه الله في تقرير قطعية قاعدة سدّ الذرائع، على استقراء النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار الواردة عن الصحابة الكرام ﷺ، فاستدل بتسعين وتسعين دليلاً لإثبات قطعية سدّ الذرائع.⁽⁵⁾ وكذا كان الاستقراء عمده في السياسة الشرعية؛ حيث قال: "ومن له ذوق في الشريعة، وإطلاع على كمالاتها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد: تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها وحسن فهمه فيها: لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة".⁽⁶⁾

وأما الإمام الشاطبي رحمه الله فالاستقراء عنده هو أهم وأقوى طريق لمعرفة وإثبات مقاصد الشريعة ووسائلها. فكلام الإمام الشاطبي مليء بذكر الاستقراء استشهاداً به أو إحالة عليه أو تنويعاً بقيمته

1- القرافي، أبو العباس (684هـ). شرح تنقيح الفصول. تج: طه سعد. الناشر: مصر: شركة الطباعة الفنية المتحدة. ط1-1393هـ=1973م. 1: 87.

2- القرافي. نفائس الأصول في شرح المحصول. 3: 247.

3- انظر: الزين، محمد حسن. منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري. بيروت: المكتب الإسلامي. ط1-1979م. ص155.

4 - انظر: ابن تيمية، أحمد الحرّاني (ت728هـ). الرد على المنطقيين. بيروت: دار المعرفة. 201-202.

5 - انظر: ابن القيم. إعلام الموقعين عن رب العالمين. 3: 108.

6 - انظر: ابن القيم. الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية. مكتبة دار البيان. د.ت - د. ط. ص 4.

وأهميته، فقد ذكر الاستقراء ما يقارب المئة مرة في أجزاء كتاب "الموافقات" الأربعة.⁽¹⁾ بل إن من خاصية الموافقات هي الاعتماد على الاستقراء وربطه بالكشف عن المقاصد،⁽²⁾ وقد جاء في خطبة كتابه اعتماده على الاستقراءات الكلية دون الاقتصار على الأفراد الجزئية.⁽³⁾ ومن شواهد ذلك قوله: "وإنما الأدلة المعتبرة هنا المستقراء من جملة أدلة ظنية تضافرت على معنى واحد حتى أفادت فيه القطع؛ فإن للاجتماع من القوة ما ليس للافتراق، ولأجله أفاد التواتر القطع، وهذا نوع منه، فإذا حصل من استقراء أدلة المسألة مجموع يفيد العلم، فهو الدليل المطلوب".⁽⁴⁾

ومن المعاصرين الإمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله الذي جعل أول وأعظم طرائق الاستدلال طريق الاستقراء⁽⁵⁾. وفي تفسيره (التحرير والتنوير) حدد مقاصد ثمانية أصلية للقرآن الكريم معتمداً على الاستقراء. والحاصل أن الاستقراء أحد السبل المعتمدة في بناء نظرية ابن عاشور المقاصدية، من خلال ترتيب العلم بمقاصد الشريعة وإثبات مقاصد الشريعة.⁽⁶⁾ وكذا تحدث رشيد رضا⁽⁷⁾ عن مقاصد القرآن في كتابه الشهير (الوحي المحمدي)، حيث ذكر عشرة مقاصد عامة لإصلاح البشرية⁽⁸⁾.

1 - انظر: الريسوني، أحمد. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي. د.تج. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية رقم: 1، ط5- 1428هـ = 2007م. 285 - 302.

2 - شلال، عراك جبر. إشكالية التأصيل في مقاصد الشريعة. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات. ط1- 2016م. ص 232.

3 - الشاطبي. الموافقات. 1: 9.

4 - انظر: المصدر نفسه. 1: 28.

5 - ابن عاشور. مقاصد الشريعة الإسلامية. 3: 56.

6 - الحسني إسماعيل. نظرية المقاصد عند ابن عاشور. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ط1- 2005. 3: 59-60.

7 - هو: رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين منلا علي خليفة القلموني البغدادي الاصل الحسيني (1282-1354هـ) ولد في القلمون شمال لبنان. مفسر ومفكر وأديب ومصلح. رحل إلى مصر فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له. اعتبره البعض من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهوروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري، من مؤلفاته: (تفسير القرآن الكريم) - لم يكمله - و(يسر الإسلام وأصول التشريع العام). انظر: عبد اللطيف، عبد الرحمن. مشاهير علماء نجد وغيرهم. د.تج. الرياض: دار اليمامة، ط1- 1392هـ = 1972م. 1: 288.

8 - انظر: رضا، محمد رشيد (ت1354هـ). الوحي المحمدي. د.تج. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1- 1426هـ = 2005م. 1: 121.

وبعد التأكيد على أن الاستقراء عمدة العلماء وحجة لديهم، أشير هنا لضوابط العمل به للكشف عن مقاصد الشارع ووسائلها، وفق أركانه الثلاثة: أ- المستقرئ ب- نصوص الاستقراء ج- نتائج الاستقراء: (1)

أ- من ضوابط المستقرئ: إن إعمال المقاصد ينبغي أن يحصل ممن هو أهل للنظر والاستدلال، وهو الشخص المتمكن في اختصاصه، وفق ما فصل فيه الأصوليون. (2) وعليه ينبغي تفويض أمثال هذه المصالح إلى العلماء بحكمة الشرائع الفضلاء. (3) الذي لا يصدر عنه رأي بمجرد التشهي والأغراض، وخبط في عمائة. (4) وعملية الكشف هي عملية تراكمية تطورية، فحتى لو كان النظر ضعيفاً، فليفرض الطرح فرضاً مجرداً؛ ليكون تهيئةً لناظر يأتي بعده، كما في الحديث: «فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِهِ». (5) وهذا ما يعول عليه الباحث لجبره قصوره مع الحرص على أن يطيل التأمل ويجيد التثبت في إثبات مقصد شرعي. وإياه والتساهل والتسرّع في ذلك. فيكون بذلك مقتنياً آثار الأئمة الراسخين ليستضيء بأفهامهم. (6) بإنصاف، ودون تعصب محتكماً للدليل. (7)

ب- من ضوابط النصوص المستقراء: أن تكون ثابتة وغير منسوخة ونحو ذلك مما يشترط للعمل به من الأدلة الشرعية، وإن كان للعلل فلا بد من ظهورها وانضباطها ومناسبتها وعدم قصورها. أما الوقائع، فلا بد أن يُنظر إليها هل يمكن أن تدخل ضمن العمومات الشرعية، فإن لم تدخل فهذا لا بد من التتبع

1 - انظر: شلال. إشكالية التأصيل في مقاصد الشريعة. 274-275. ومن الدراسات المعاصرة والموسعة أيضاً في موضوع الضوابط: حرز الله، عبد القادر. ضوابط اعتبار المقاصد في مجال الاجتهاد وأثرها الفقهي. الرياض: مكتبة الرشد، ط1-1428هـ = 2007م. مج 1. 428 صفحة.

2 - انظر: أبو يعلى، محمد بن الحسين (ت458هـ). العدة في أصول الفقه. تح: أحمد المبارك. بيروت: دار الكتب العلمية، ط2-1410هـ=1990م. 5: 1594. وانظر: البخاري، عبد العزيز بن أحمد (ت730هـ). كشف الأسرار شرح أصول البزدوي. بيروت: دار الكتاب الإسلامي. 4: 14.

3 - ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت595هـ). بداية المجتهد ونهاية المقتصد. القاهرة: دار الحديث، د.ط- 1425هـ = 2004م. 3: 96.

4 - الشاطبي. الموافقات: 5: 131.

5 - الترمذي. سنن الترمذي. أبواب العلم. باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع. رقم: 2656. 5: 33. وقال الترمذي: هو حديث حسن صحيح.

6 - انظر: ابن عاشور. مقاصد الشريعة الإسلامية. 3: 138.

7 - انظر: المصدر نفسه. 3: 54-55.

لأكثر عدد قدر الإمكان، وذلك مثل مراعاة العوائد والأعراف والتي يشترط فيها أن لا تكون مخالفة للشرع. وينبغي أن يتوَقَّر بها: التكرار بأن تكون نتيجة الاستقراء قد تكرر تقريرها في النصوص الشرعية، كما هو الحال في التيسير ورفع الحرج، ومنع الضرر والضّرار. والتأكيد بأن تكون نتيجة الاستقراء قد تمّ تأكيد مضمونها في مواضع كافية، وذلك بعدم استثناء موضع ولا حال مما يشملها. والإنتشار بأن ينتشر هذا المعنى في أبواب الشريعة، دون اقتصار على باب واحد من أبوابها.⁽¹⁾

كذا يشير الشاطبي لضرورة مراعاة في كل باب خصوصياته وقواعده الكلية؛ بقوله: "إنَّ لِلْخُصُوصِيَّاتِ خَوَاصَّ يَلِيْقُ بِكُلِّ مَحَلٍّ مِنْهَا مَا لَا يَلِيْقُ بِمَحَلٍّ آخَرَ كَمَا فِي النِّكَاحِ مَثَلًا، فَإِنَّهُ لَا يَسُوْغُ أَنْ يَجْرِيَ مَجْرَى الْمَعَاوِضَاتِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.. بَلْ لِكُلِّ بَابٍ مَا يَلِيْقُ بِهِ، وَلِكُلِّ خَاصٍّ خَاصِّيَّةٌ تَلِيْقُ بِهِ لَا تَلِيْقُ بغيره".⁽²⁾ كذا يراعى في باب العبادات أن الأصل فيه التعمُّد وعدم التعليل؛ من باب التسليم.⁽³⁾ على عكس السياسية التي تدور مع المصلحة الشرعية المعتمدة.

ج- من ضوابط نتائج الاستقراء: الثبوت والظهور والانضباط والاطراد. والمراد بالثبوت أن تكون تلك المعاني مجزوماً بتحققها أو مظنوناً ظناً قريباً من الجزم.

والمراد بالظهور: الاتّضاح، بحيث لا يختلف الفقهاء في تشخيص المعنى، ولا يلتبس على معظمهم بمشابهه، مثل حفظ النسب الذي هو المقصد من مشروعية النكاح.

والمراد بالانضباط: أن يكون للمعنى حدٌ معتبر لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، بحيث يكون القدر الصالح منه؛ لأنّ يعتبر مقصداً شرعياً قدراً غير مشكّك، مثل حفظ العقل إلى القدر الذي يخرج به العاقل عن تصرفات العقلاء الذي هو المقصد من مشروعية التعزير بالضرب عند الإسكار.

والمراد بالاطراد: أن لا يكون المعنى مختلفاً باختلاف أحوال الأقطار والقبائل والأعصار. وقد تتردّد معان بين كونها صلاحاً تارة وفساداً أخرى، فتوكلّ إلى نظر علماء الأمة وولاة أمورها الأمناء على مصالحها من أهل الحل والعقد، ليعيّنوا لها الوصف الجدير بالاعتبار في أحد الأحوال دون غيره. وذلك مثل القتال

1 - الشاطبي. الموافقات. 4: 70.

2 - المصدر نفسه. 5: 227.

3 - انظر: المؤلف نفسه. الاعتصام. 3: 38.

والمجادة. فقد يكون ضرراً إذا كان لشق عصا الأمة، وقد يكون نفعاً إذا كان للذب عن الحوزة ودفع العدو. فبمثل هذه المعاني بشروطها هذه يحصل اليقين بأنها مقاصد شرعية.⁽¹⁾

خلاصة: إن الاستقراء في أصله دليل مشترك بين مختلف التخصصات العلمية، ولا يقدح عدم تمامه بالشرعيّات، كما هو حاصل بالعقليّات. فعند جمهور الفقهاء والأصوليين الاستقراء الناقص حجة ويرتقي إلى مرتبة القطع؛ لأنه يعمل بغلبة الظن. وإن كان نصّاً ابتدائياً صريحاً قطعياً يفيد مقصداً شرعياً، فإن تضافر الأدلة والنصوص ولو كانت ظنيّة، ترتقي للقطع ويحتج بها كالتواتر المعنوي. وهذا البحث يفتح الباب على سؤالٍ مكمل: ما قواعد وسائل المقاصد وضوابط إعمالها؟ لا سيما أن الكشف عن مقاصد الشارع ووسائلها من أدقّ الأمور وأخطرها، مما يُوجب التنبّه والحذر، والاستتارة بتقوى الله والالتجاء إليه، فهو القائل: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة 282]

1 - ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية: 3: 165 - 169. وما بعدها. مختصراً.

لائحة المصادر:

- الأصبهاني، أبو نعيم (ت430هـ). **معرفة الصحابة**. تح: عادل العزازي. الرياض: دار الوطن، ط1-1419هـ=1998م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**. تح: محمد زهير الناصر. بيروت: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1-1422هـ=2002م.
- البخاري، عبد العزيز بن أحمد (ت730هـ). **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**. بيروت: دار الكتاب الإسلامي.
- الترمذي، أبو عيسى محمد (ت279هـ). **سنن الترمذي**. تح: أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي. ط2-1395هـ=1975م.
- تغري بردي، يوسف (ت874هـ). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. مصر: دار الكتب. د.ط.
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله (ت478هـ). **البرهان في أصول الفقه**. تح: صلاح عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1-1418هـ=1997م.
- ابن تيمية، أحمد الحرّاني (ت728هـ). **الرد على المنطقيين**. بيروت: دار المعرفة.
- ابن حجر. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. تح: محمد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة، د.ط-1379هـ=1960م.
- حرز الله، عبد القادر. **ضوابط اعتبار المقاصد في مجال الاجتهاد وأثرها الفقهي**. الرياض: مكتبة الرشد، ط1-1428هـ=2007م. مج 1.
- الحسني إسماعيل. **نظرية المقاصد عند ابن عاشور**. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ط1-2005.
- الخادمي، نور الدين. "المقاصد الاستقرائية"، **حقيقتها حجيتها ضوابطها**، منشور في مجلة العدل، العدد: 33. 1428هـ.
- الرازي، فخر الدين (ت606هـ). **مفاتيح الغيب=التفسير الكبير**. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط3-1420هـ.
- رضا، محمد رشيد (ت1354هـ). **الوحي المحمدي**. د.تح. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1-1426هـ=2005م.
- ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت595هـ). **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**. القاهرة: دار الحديث، د.ط-1425هـ=2004م.

- الريسوني، أحمد. **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**. د.تح. الولايات المتحدة الأميركية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية رقم: 1، ط5- 1428هـ = 2007م.
- الزحيلي، محمد. **القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة**. دمشق: دار الفكر. ط1- 1427هـ=2006م.
- الزركشي، محمد بن عبد الله (ت794). **البحر المحيط في أصول الفقه**. تح: محمد تامر. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1- 1421هـ=2000م. 4: 521.
- الزهر، محمد أيمن. **الاستقراء ومجالاته في العلوم الشرعية**. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية. المجلد 29. العدد الأول-2013.
- الزين، محمد حسن. **منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري**. بيروت: المكتب الإسلامي. ط1-1979م.
- السباعي، مصطفى (ت1384هـ). **السيرة النبوية - دروس وعبر**. بيروت: المكتب الإسلامي. ط3- 1405هـ = 1985م.
- السعدي، عبد الرحمن (ت1376هـ). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تح: عبد الرحمن اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط1- 1420هـ=2000م.
- السمعاني، أبو المظفر منصور (ت489هـ). **قواطع الأدلة في الأصول**. تح: محمد الشافعي. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1- 1418هـ=1999م.
- السيوطي، جلال الدين (ت911هـ). **الأشباه والنظائر**. بيروت: دار الكتب العلمية. 1403 هـ.
- الشاطبي، أبو إسحاق (ت790هـ). **الموافقات**. تح: مشهور بن حسن آل سلمان. القاهرة: دار ابن عفان، ط1- 1417هـ=1997م؟
- شلال، عراك جبر. **إشكالية التأصيل في مقاصد الشريعة**. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات. ط1- 2016م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت1393هـ). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت: دار الفكر. 1415هـ = 1995م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (1393هـ). **مقاصد الشريعة الإسلامية**. تح: محمد الحبيب ابن الخوجة. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1425هـ=2004م.

- ابن عبد البر، يوسف (463هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تح: علي البجاوي. القاهرة: مكتبة نهضة مصر. 1380هـ=1960م.
- ابن عبد السلام، عز الدين (660هـ). قواعد الأحكام في مصالح الأنام. تح: طه سعد. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ط- 1414هـ = 1991م.
- عبد اللطيف، عبد الرحمن. مشاهير علماء نجد وغيرهم. د.تح. الرياض: دار اليمامة، ط1-1392هـ=1972م.
- عثماني، سعد الدين. مجلة (الفصل) السعودية. العدد: 123.
- علال، الفاسي. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط5-1413هـ = 1993م.
- عليش، محمد المالكي (1299هـ). منح الجليل شرح مختصر خليل. بيروت: دار الفكر. 1409هـ = 1989م.
- الغزالي، أبو حامد (505هـ). المستصفى. د.تح. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1-1402هـ=1983م. وكذا في سياق كلامه عن المصلحة المرسل.
- الغزالي، أبو حامد (505هـ). معيار العلم في فن المنطق. شرح أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1-1410هـ=1990م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (170هـ). العين. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط-1406هـ=1986م.
- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي اليعمرى (799هـ). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تح: محمد الأحمدى أبو النور. القاهرة: دار التراث للطبع والنشر. د.ط - د.ت.
- القراقي، أبو العباس (684هـ). شرح تنقيح الفصول. تح: طه سعد. الناشر: مصر: شركة الطباعة الفنية المتحدة. ط1-1393هـ=1973م.
- القراقي، شهاب الدين أبو العباس أحمد (ت874هـ). نفائس الأصول في شرح المحصول. تح: عادل عبد الموجود وعلي معوض. مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز. ط1-1416هـ=1995م.
- القسطلاني، أحمد (ت923هـ). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. القاهرة: المطبعة الكبرى الأميرية. ط7. 1323 هـ.. 3: 40.

- مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ). **صحيح مسلم**. تح محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: مطبعة البابي الحلبي. 1374هـ=1955م.
- ابن القيم. **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**. مكتبة دار البيان. د.ت - د. ط.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت751هـ). **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. تح: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت: دار الكتب، ط1-1411هـ = 1991م.
- ابن نجيم، زين الدين (970هـ). **الأشباه والنظائر**. تح: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1-1419هـ = 1999م.
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (676هـ). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2-1392هـ = 1972م.
- أبو يعلى، محمد بن الحسين (ت458هـ). **العدة في أصول الفقه**. تح: أحمد المبارك. بيروت: دار الكتب العلمية، ط2-1410هـ=1990م.

The Role of Audit Committee Characteristics in Enhancing Financial Transparency and the Quality of Accounting Reports: A Practical Guide from Iraqi Banks Listed On the Iraq Stock Exchange

Dr. Nadia Talib Salman^{1st}

Middle Technical University / Administrative Polytechnic College – Baghdad, Iraq

nadia@mtu.edu.iq

Fatimah Fezea hadab^{2nd}

Aliraqia University / Economics and Administration College, Baghdad, Iraq

fatimah.f.hadab@aliraqia.edu.iq

Abstract_ *In this study was to examine the characteristics of audit committee and the effect on the auditor opinion quality and timeliness of financial disclosure in Iraqi commercial banks listed on the Iraq Stock Exchange (ISX) for the period 2008-2024. The unbalanced panel data was collected by scanning 302 annual reports from 20 listed commercial banks and then creating bank-year observations using a structured Arabic language automated extraction pipeline with the Google Gemini API, which yielded 175 bank-year observations for the base model and 135 for the extended model. The study employs random effects and fixed effects panel regression model with cluster-robust standard errors to test the hypothesis, with six robustness checks using two model specifications. The findings suggest an empirical relationship between audit committee independence and professional expertise with auditor opinion quality, and support the governance function of audit committees. These attributes do not necessarily enhance the timeliness of disclosures, however, by contrast. However, the only variable that is statistically significant for timeliness for both specifications and all robustness checks is digital transformation ($\beta = 0.096$, $p < 0.01$, Fixed Effects). The results support the regulatory mandates relating to audit committee independence and professionalization and provide empirical underpinning for the need to invest in digital transformation to reduce the financial reporting delay problem of emerging market banking institutions.*

Keywords: Audit Committee Characteristics, Financial Reporting Quality, Auditor Opinion Index, Financial Disclosure Timeliness, Digital Transformation, Panel Data, Iraqi Banking Sector.

1. Introduction

Financial disclosure has become an important aspect of financial reporting in banks as it plays a vital role in depositor confidence, regulatory oversight and capital market stability, and consequently, the quality and credibility of financial reporting in banks have become main research issues in corporate governance [1], [2]. The audit committee is one of the important internal governance mechanisms for the external audit process, involving supervision of financial reporting integrity and compliance with the standards involved [3] [4]. It is often associated with independence, professional expertise, frequency of meetings and other supporting tools like risk management committees [5] and [6]. Previous research found a positive link between the audit committee characteristics and financial reporting quality in Jordan [7], Ghana [8], the GCC countries [9] and Bangladesh [10]. Much of this evidence, however, applies to non-financial corporations or to an economy with a more robust regulatory framework, which may not be representative of banking institutions in economies with less robust disclosure norms and enforcement capacity. This relationship is important in the context of the Iraqi banking sector. Geopolitical uncertainty, macroeconomic volatility, and governance issues have impacted Iraq's institutional environment, making it difficult to make transparent financial reports [11], [12]. In 2024, it ranked 21st out of 100 countries in the Corruption Perceptions Index [13] and the IMF has identified gaps in banking supervision, corporate governance and financial transparency [14] as weaknesses in its economy. 20 commercial banks are trading on ISX, but disclosures differ between and between individual banks over time, due to differences in governance structures and institutional capacity. Digital transformation is also relevant to the banking operations, reporting and auditing. The use of technologies like electronic payment systems, core banking platforms, mobile banking applications and data analytics is anticipated to enhance the efficiency and timeliness of reporting, minimize manual processes, and expedite the preparation of audited financial statements [15], [16]. The evidence concerning the impact of digital transformation on disclosure delay is still scarce in the emerging-market banks.

The characteristics of the audit committee and financial reporting quality in Iraqi banks have received very less attention and research on the panel data system. This paper attempts to bridge this gap by developing an unbalanced panel data sample of 20 ISX listed commercial banks over the period 2008-2024. The data were retrieved from 302 annual reports available in the official ISX website [17] via a structured automated data pipeline, which included using the Google Gemini API [18]. The observations for the final sample total 175 with Model A and 135 with Model B (plus the frequency of committee meetings). This study looks at two primary questions. First it examines the association between audit committee attributes and auditor opinion quality in terms of independence, professional competence, risk audit committee and audit committee meeting frequency. Second, it investigates if there is any link between digital transformation and the timeliness of financial disclosure.

The theoretical framework is based on the Agency Theory [19] and Signaling Theory [20]. Agency Theory considers the audit committee as a monitoring mechanism to alleviate the information asymmetry, and Signaling Theory says that independence and expertise are signals to market participants as to reporting quality. This study makes several contributions,

including: (1) it studies the audit committee of Iraqi banks using a longitudinal panel data; (2) it employs a two-model estimation approach to the disclosure data which are not evenly distributed; (3) it attempts to measure the quality of auditor opinion as the accounting report quality; (4) it utilizes an AI-assisted extraction tool to convert Iraqi banks' annual reports into structured research data [18].

The empirical results reveal that the accounting report quality is significantly and positively correlated with audit committee independence, professional expertise, and risk committee presence in both models with regression coefficient $\beta = 0.053$ and 0.063 ($p < 0.05$) respectively. There were six robustness checks and these results are invariant. However, audit committee characteristics do not have significant relationships with the financial disclosure timeliness. Digital transformation ($\beta = 0.071$, $p < 0.05$) and auditor size ($\beta = 0.152$, $p < 0.01$) are rather significant. This implies that governance is more useful in improving the quality of the report, and technology is more useful in increasing the speed of the report. The rest of this paper follows the organization: In Section 2, the theoretical background is discussed and the hypotheses developed. This is followed by the method, methodology of data construction, and estimation approach in Section 3. Results are presented and discussed in Section 4. The implications for practice, policy and future research are presented in Section 5.

2. Theoretical Framework, Literature Review, and Hypotheses Development

2.1 Theoretical Framework

2.1.1 Agency Theory

The idea of the audit committee as a governance tool to mitigate information asymmetry and agency costs due to separation of ownership and control comes from the Agency Theory developed by Jensen and Meckling [19]. In banking, agency problems are exacerbated because the assets are opaque, the financial intermediation is complex, and the management possesses information over shareholders, regulators and depositors [20], [21]. Audit committees can play a part in resolving these conflicts by monitoring the audit process, the integrity of the financial statements, and the accounting and disclosure practices, all in the interest of aligning those practices with the interests of the stakeholders [8, 22]. In this view, the effectiveness of audit committees relies on their independence, professional expertise and regularity of meetings – independence helps to reduce managerial influence, professional expertise helps to provide an audit on delicate reporting decisions, and regularity of meetings ensures that the committee can more adequately deal with reporting matters [5, 23]. In Iraqi banks, where market and law enforcement have weak positions, Agency Theory proposes that the audit committee can help reduce the effects of weak discipline in the bank by increasing financial reporting quality [11], [24].

2.1.2 Signaling Theory

An alternative idea comes from Signaling Theory, originally proposed by Spence, which implies that companies with more efficient governance systems could enhance their auditing

and disclosure reporting to signal better reporting and quality [20], [25]. The independence and expertise of audit committee members can therefore be a good indicator of transparency and information transparency. This has a special significance for the Iraqi listed banks as transparency is not well established and the problem of corruption has a negative impact on confidence [13]. Well-constructed audit committees may identify those banks that stand out from those with weaker audit committees, and show investors, regulators and depositors that they are more public in their activities. The most visible product of the external auditing process is the auditor opinion which is a major means of conveying governance and reporting quality to the capital market [26].

2.2 Literature Review

2.2.1 Audit Committee Independence and Financial Reporting Quality

The key elements of the audit committee's effectiveness will also be related to the independence of the audit committee members – they should be able to conduct an effective audit without being influenced by conflicts of interest, and they should be independent from management in making accounting judgments [5] [6]. This relationship is generally confirmed by previous evidence. Both Al-Rassas and Kamardin [7] and Bansah, Asare, and Asubonteng [8] identified positive relationship between audit committee independence and earnings quality for Jordan and Ghana, respectively. Al-Dhamari, Alfarag, and Al-Gamrh [9] reported that in the GCC countries, independence is associated with a decrease in real earnings management. But, the evidence isn't universal. Asante-Appiah and Lambert [11] state that independence might not work if there are weak regulatory and institutional conditions without authority, expertise, or support, and Chronopoulos et al. [23] agree that the relationship is contingent on regulatory and institutional conditions. Abdullahi [27] also reported a negative correlation in the Nigerian commercial banks. The mixed results warrant a closer examination of this relationship for Iraqi banks because the environment differs in these institutions when compared to the developed markets.

2.2.2 Audit Committee Expertise and Financial Reporting Quality

Audit committee expertise includes the background members bring in financial reporting, as well as their professional accounting credentials – including CPA – which enhances the capacity to evaluate accounting treatments, and to communicate with external auditors [5], [6]. Naturally, previous research has confirmed that financial expertise increases audit quality in Indian listed banks [5], improves financial reporting quality in Jordanian firms [6] and supports sustainable bank performance in Bangladesh [10]. In emerging markets, knowledge and skills might be more pertinent since external monitoring from regulators, analysts, and institutional investors is not as sophisticated [12], [24]. Internal professional expertise is particularly relevant to minimising reporting failures and improving financial reporting quality where the presence of the Big4 auditors is quite restricted in Iraq.

2.2.3 Audit Committee Meeting Frequency and Financial Reporting Quality

The frequency of committee meetings indicates the committee's activity in the monitoring of financial reporting [23]. Committees can review financial statements, audit plans, internal controls, accounting issues and external auditor concerns at frequent meetings. A positive link between meeting frequency and reporting quality was identified in U.S. banks by Chronopoulos et al. [23] and in Jordan by Alqatamin and Alqatamin [6]. Also, meetings can be reactive, responding to existing issues rather than preventing them [28]. This ambiguity results in context-dependent relationship and provides substantial empirical evidence at Iraqi banks, due to the absence of the meeting frequency in some banks before 2012.

2.2.4 Risk Committee and Financial Reporting Quality

To audit committee oversight, there is also a governance element, provided by a separate risk committee [3]. Risk committees keep track of credit risk, operational risk and technology risk which can have an impact on the reliability of financial information [9]. Their involvement can indicate even better integrated risk governance and can enhance the quality of the reporting by including risk-relevant information in the audit process [4]. In the Middle Eastern banking environment, evidence of risk committees is still inconclusive, even though Al-Dhamari, Alfarag and Al-Gamrh [9] indicate that the risk-related governance mechanisms are related to reduced earning management in the GCC economies. This study brings to light such evidence in the context of the Iraqi banks and the presence of risk committees in these banks is still not widespread.

2.2.5 Digital Transformation and Financial Disclosure Timeliness

Digital transformation in banking, such as electronic payment systems, core banking platforms, mobile banking, data analytics, and digital audit tools, should increase the timeliness of financial reporting by eliminating manual intervention, speeding up data collection, and facilitating faster audits [15], [16], [29]. Previous research indicates that digital accounting and AI-based technologies can enhance audit effectiveness, accuracy, and timeliness [15, 16]. Although digital transformation is in its early stages with many banks in Iraq, the impact on disclosure timeliness needs to be examined directly with empirical research.

2.3 Hypotheses Development

Based on the Agency Theory, Signaling Theory, and existing empirical studies, the study formulates two hypotheses:

Hypothesis 1 (H1): Audit committee characteristics, including independence, professional expertise, meeting frequency, and risk committee existence, are positively associated with accounting report quality in Iraqi listed banks.

Agency Theory implies that an independent, knowledgeable, and active audit committee yields more effective mechanism of monitoring, and it is less likely to provide a qualified or adverse opinion [19], [8]. This is further supported by signaling Theory, which suggests that robust audit committee characteristics could indicate the degree of financial reporting integrity to

external stakeholders [20] [25]. While previous emerging market research has tended to find positive relationships with governance quality among auditors [7, 9, 10], the Iraqi banking sector needs to be directly tested because of its limited enforcement, concentrated ownership and low Big4 auditor presence.

Hypothesis 2 (H2): Digital transformation is positively associated with financial disclosure timeliness in Iraqi listed banks.

It is expected that digital technologies will reduce the reporting period by enhancing data collection, processing, aggregation, and support of the audit procedures [15], [16]. Thus, audit committee attributes are expected to have an impact on the quality of the report, but disclosure timeliness might be more strongly related to technological capabilities.

3. Research Methodology

3.1 Research Design and Sample

The present study follows the unbalanced panel data method using financial and governance data of all 20 commercial banks listed on the Iraq Stock Exchange (ISX) for the period from 2008 to 2024 [17]. Design features that capture variation across banks, across time, controls for unobserved bank-specific heterogeneity and reflect gradual changes in Iraqi banking governance. The dataset was built up using 302 annual reports and only those with reliable financial and governance information for the bank year were included. It generated two sets of estimation samples: the first sample consisted of 175 observations for Model A (excluding variables related to the audit committee meetings because of limited early disclosures); the second sample consisted of 135 observations for Model B (which includes the full set of variables related to the audit committee meetings). The smaller sample of the Model B is indicative of the lesser level of disclosure of meeting frequency prior to 2013, which is a typical limitation in emergin market archival research [11] [12]. One observation was available for the year of 2025, so it was not included.

3.2 Data Collection

The official ISX portal [17] was used to directly obtain annual reports. Governance and financial information was extracted from the 302 annual reports that were scanned as PDFs, using a structured automated extraction pipeline and the Google Gemini API [18]. Most reports were written in Arabic, and presented in non-standardized formats, hence the ability of Gemini to process multi-lingual reports and extract structured numeric and categorical variables from unstructured text. In the data cleaning process, the variables extracted were cross-checked with the secondary data sources available, and range, cross-period and continuity checks were performed. Unrealistic or conflicting values were checked, and uncorrelated values were considered missing data.

3.3 Variable Measurement

3.3.1 Dependent Variables

Financial Disclosure Timeliness (Y1 — FDT Index). The primary indicator of timeliness of financial disclosure is the ratio of:

$$FDT_{it} = 1 - \frac{\text{ReportingLag}_{it}}{365}$$

Where ReportingLag is the number of days between the fiscal year-end and the date that the external audit report is signed. The index value is on a scale from 0 to 1, with higher numbers signifying improved disclosure. The mean, standard deviation and skewness of the variable are 0.706, 0.168 and -0.67 respectively, which are appropriate for panel GLS estimation.

Accounting Report Quality (Y2 — Auditor Opinion Index). Accounting report quality is measured using the auditor opinion index:

$$\text{OpinionIndex}_{it} = \frac{\text{AuditOpinionScore}_{it}}{4}$$

In which the score of the audit opinion is recorded as 4 (unqualified/clean opinion), 3 (unqualified opinion with explanatory paragraph), 2 (qualified opinion), and 1 (adverse or disclaimer of opinion). The index values are between 0.25 and 1.00, the larger the numbers, the better the auditor's opinion and the higher the quality of the financial reporting [26]. The measure is used as the primary indicator since quality measures could lead to circular measurement issues when the components are correlated with the study's independent variables [11]. To complement the results presented in Table 8, results based on the composite audit quality score derived from annual reports (AQ_composite) are presented in Table 8b as supplementary analysis. The partial r between AQ_composite and the primary outcome measure is 0.926, indicating that the auditor opinion index is a good dependent variable for empirical inference.

3.3.2 Independent Variables

AC_Independence. An indicator with a value of 1 if the annual report includes a statement that the majority of members of the audit committee are independent of management, that none of the members of the audit committee holds an executive position, and that none of the members of the audit committee have any material financial relationship with management; otherwise, 0. This is in line with the “categorical” approach to disclosure of independence in the annual reports of Iraqi Banks [7] [8].

AC_Expertise. An indicator that is 1 if at least one audit committee member is a certified public accountant or has a professional accounting qualification, and 0 if none of the members of the audit committee are certified public accountants or have a professional accounting

qualification. This reflects the professional financial knowledge highlighted in the literature related to audit committees [5] and [6].

AC_MeetingFreq. To account for the occurrence of zero formal audit committee meetings and limit the positive skewness of the frequency of such meetings, the number of meetings was logged, as $\text{Log}(1 + \text{MeetingFreq})$, where the maximum number of meetings was 25 and the skewness was greater than 2. This variable is only present in model B [23].

RiskCommittee. A binary indicator that is set to 1 if the annual report includes a formal risk management committee other than the audit committee, and to 0 if the annual report does not have a formal risk management committee other than the audit committee [9].

3.3.3 Control Variables

AuditorSize. A binary variable that takes the value of 1 if the external auditor works for one of the Big4 international audit firms (PricewaterhouseCoopers, KPMG, Deloitte or Ernst & Young) and 0 if not. The involvement of big 4 auditors is likely to have an influence on the audit report timeliness and the auditor opinion outcomes [5], [8] and big 4 auditors have a relationship with audit quality.

DigitalTransform. Measured on the bank's digital transformation index (based on a binary indicator across five pillars): core digital banking infrastructure, advanced technologies (AI, blockchain), cyber security systems, customer facing digital services, information technology infrastructure. Log is used to decrease positive skewness. DigitalTransform represents the technological context of the audit committee governing (H2) and is the primary predictor in it.

3.4 Model Specification

The two dependent variables have base panel regression specification as follows:

Model for Accounting Report Quality (H1):

$$\begin{aligned} \text{OpinionIndex}_{it} &= \alpha_i + \beta_1 \text{AC\_Independence}_{it} + \beta_2 \text{AC\_Expertise}_{it} + \beta_3 \text{RiskCommittee}_{it} \\ &+ \beta_4 \text{AuditorSize}_{it} + \beta_5 \text{DigitalTransform}_{it} + \varepsilon_{it} \end{aligned}$$

Model B extends this specification by adding $\beta_6 \text{MeetingFreq}_{it}$

Model for Financial Disclosure Timeliness (H2):

$$\begin{aligned} \text{FDT}_{it} &= \alpha_i + \beta_1 \text{AC\_Independence}_{it} + \beta_2 \text{AC\_Expertise}_{it} + \beta_3 \text{RiskCommittee}_{it} \\ &+ \beta_4 \text{AuditorSize}_{it} + \beta_5 \text{DigitalTransform}_{it} + \varepsilon_{it} \end{aligned}$$

Where α_i represents either a bank-specific fixed effect or a random effect, depending on the outcome of the Hausman specification test.

3.5 Estimation Strategy and Diagnostic Testing

For each dependent variable, the Hausman specification test [30] is used to choose the fixed effects (FE) or random effects (RE) estimation method. The Hausman p-values for Models A and B in the accounting report quality equation are 0.0733 and 0.9071, respectively, whereas the Hausman test for all the remaining equations is not statistically significant [31]. Model A is used to estimate RE with financial disclosure timeliness ($p = 1.000$), Model B is used to estimate FE with financial disclosure timeliness ($p < 0.001$).

To correct for potential serial correlation within the banks and heteroskedasticity across banks, all specifications employ bank-level cluster-robust standard errors. The Breusch-Pagan test for the accounting report quality equation has a p-value of 0.713, which means that there is no evidence of heteroskedasticity. Model A has a Durbin-Watson statistic equal to 2.064, which implies that there is no first-order autocorrelation. The Breusch-Pagan test for the timeliness equation shows mild heteroskedasticity ($p = 0.025$), and the Durbin-Watson statistic for Model A is 1.028, which means there is borderline autocorrelation. FE estimation and cluster-robust standard errors are used to address these issues and give valid inference under these circumstances.

Variance inflation factors (VIFs) are used as a measure of multicollinearity. The VIF values for the substantive regressors are low ranging from 1.01 to 1.14, showing no serious multicollinearity. The substantive implication of this value for the VIFs is not of concern because the intercept VIF is 5.29 and the other values are less than 1. The substantive implication of this value for the VIFs is not of concern because the intercept VIF is 5.29 and the other values are less than 1.

3.6 Robustness Analysis

All main findings are tested for stability in six alternative specifications: (S1) baseline model with all variables; (S2) extended model with meeting frequency added to the sample; (S3) dropping DigitalTransform from the model; (S4) dropping RiskCommittee from the model; (S5) dropping all controls and retaining only the four audit committee variables; and (S6) pre-2020 subsample to evaluate whether the main findings are driven by recent changes in governance. In all of these specifications the main criterion for determining parameter stability is AC_Independence and sample sizes and R^2 values are reported as supporting evidence. Random effects estimation is used throughout to ensure consistency of specifications.

4. Empirical Results

4.1 Descriptive Statistics and Sample Characteristics

Table 1 presents the analytical sample of 20 commercial banks that are listed in the Iraq Stock Exchange (ISX) during the period 2008-2024. The final sample includes 175 observations of bank years for Model A, which excludes audit committee meeting frequency to obtain the largest possible sample, and 135 observations of bank years for Model B, including audit

committee meeting frequency data that is available primarily since 2013. The smaller sample for the Model B is consistent with other emerging market archival data where the frequency of audit committee meetings is not widely reported in previous years [11, 12].

Table 1: Sample Composition — Iraqi Listed Banks, 2008–2024

Bank Code	Model A (N=175)	Model B (N=135)	First Year	Last Year	Coverage (Years)
Ashur International Bank	11	9	2008	2021	14
BAIB	5	5	2016	2024	9
BCIH	11	6	2012	2023	12
BCOI	6	4	2008	2019	12
BEFI	11	5	2008	2022	15
BELF	9	5	2010	2022	13
BIIB	3	2	2009	2023	15
BMOI	8	6	2008	2024	17
BNAI	6	5	2014	2021	8
Baghdad Bank	10	8	2008	2021	14
GBC	10	6	2008	2023	16
Investment Bank	11	9	2008	2023	16
KDB	13	13	2008	2024	17
Mansour Bank	9	8	2008	2019	12
Middle East Investment Bank	8	8	2008	2021	14
National Bank	5	5	2008	2019	12
SBC	12	11	2008	2023	16
SPEC	5	5	2018	2023	6
UBC	11	5	2009	2024	16
Union Bank Of Iraq	11	10	2009	2024	16

The descriptive statistics of the Model B sample (N = 135) are shown in Table 2. The mean value of AC_Independence is 0.289 (SD = 0.455) which means that audit committees in Iraqi banks comply with the independence requirement only 28.9% of the bank-years observations, which reflects the early stage of corporate governance development in Iraqi banks [14]. The more common category of AC_Expertise has a mean of 0.711, meaning 71.1% of observations have at least one member of the audit committee who has a CPA or equivalent professional qualification. RiskCommittee has a mean of 0.319, while AC_MF_log records a mean of 0.848 (SD = 1.143). Most of the banks (mean = 0.891, SD = 0.190) had an unqualified opinion (Y2_alt = 1.000), with most banks reporting a qualified opinion (Y2_alt = 0.900). The financial disclosure timeliness index (Y1_FDT) is 0.706 (SD = 0.164), which is the average of 107 days' reporting lag. Wider variability is observed across reporting quality dimensions with the computed mean AQ_composite being 0.492 with a standard deviation of 0.207. The mean score for AuditorSize is 0.007 in controls, which means that less than 1% of the observations include Big4-affiliated auditors, while DigitalTransform has a mean of 0.428 (SD = 0.412) suggesting a significant variation in the adoption of their technology in the Iraqi listed banks.

Table 2: Descriptive Statistics — Iraqi Listed Banks, 2008–2024

Variable	Mean	SD	Min	Q1	Median	Q3	Max
AC_Independence	0.2889	0.4549	0	0	0	1	1
AC_Expertise	0.7111	0.4549	0	0	1	1	1
AC_MF_log	0.8477	1.143	0	0	0	2.0794	3.2581
RiskCommittee	0.3185	0.4676	0	0	0	1	1
Y1_FDT	0.7061	0.1635	0.2521	0.6096	0.7205	0.8384	0.9973
Y2_alt	0.8907	0.1898	0.25	0.75	1	1	1
ReportQuality	0.4918	0.2066	0.0625	0.3875	0.45	0.6666	0.9
AuditorSize	0.0074	0.0861	0	0	0	0	1
DigitalTransform	0.428	0.4117	0	0.1495	0.3756	0.62	2.3979

The correlation analysis and the multicollinearity diagnostics show that the major empirical relationships are supported by the study hypotheses and that multicollinearity is not a significant concern. AC_Independence and AC_Expertise are positively correlated with the auditor opinion index (Y2_alt) ($r = 0.239$ and $r = 0.280$; $p < 0.01$ respectively) and AC_MF_log and RiskCommittee exhibit weaker positive relationships with Y2_alt ($r = 0.149$ and $r = 0.164$; $p < 0.10$ respectively). The relationships with AQ_composite, especially with AC_Independence ($r = 0.751$) and AC_Expertise ($r = 0.618$) indicate that there is some overlap in measurement, which reinforces concern about this overlap and suggests that Y2_alt should be used as the main outcome measure. DigitalTransform is positively associated with financial disclosure timeliness (Y1_FDT) ($r = 0.244$ and $p < 0.01$) which is preliminary support for H2. Lastly, multicollinearity cannot affect the estimates because the VIF values for the independent variables are close to 1 (between 1.011 and 1.104) and no pairwise correlation between independent variables exceeds 0.231.

4.2 Model Selection and Regression Diagnostics

The Hausman specification tests and regression diagnostics are presented in Table 3 for each model. The Hausman test in Model A ($H = 10.073$, $p = 0.073$) and Model B ($H = 2.132$, $p = 0.907$) favor the random effects estimation for the accounting report quality equation (Y2_alt). For financial disclosure timeliness (Y1_FDT), Model A also provides RE estimation ($p = 1.000$), whereas for fixed effects estimation ($p < 0.001$), Model B provides support. However, the negative Hausman statistic for Y1_FDT Model A ($H = -29.906$) is considered a sign of a non-positive definite covariance matrix, and hence model selection is based on the corresponding p-value [30], [31].

The Breusch-Pagan test suggests that there is mild heteroskedasticity in model A (Y2_alt) ($p = 0.025$) but this is mitigated by using bank-level cluster-robust standard errors. Breusch-Pagan p-values are also reported with values of more than 0.07, which is considered no significant heteroskedasticity. The Durbin-Watson statistics for the primary outcome models are 1.902 and 1.955, indicating that no first-order auto-correlation exists. DW values of 1.028 and 1.390 suggest that there is a possibility of positive autocorrelation in the timeliness equation, which is addressed using cluster-robust standard errors. The DW values of the two supplementary models, AQ_composite, are also satisfactory, with values of 1.873 and 2.064.

Table 3: Model Selection and Regression Diagnostics

Model Label	Hausman H	Hausman p	Model	Breusch -Pagan	Durbin-Watson	N	R ² (within)
Y2_alt — Model A	10.07	0.0733	Random Effects	0.025	1.902	175	0.0906
Y2_alt — Model B	2.132	0.9071	Random Effects	0.0736	1.955	135	0.1463
Y1_FDT — Model A	-29.906	1.000	Random Effects	0.9395	1.028	175	0.0779
Y1_FDT — Model B	98.433	0	Fixed Effects	0.7132	1.39	135	0.0993
Y2_supp — Model A	0.497	0.9922	Random Effects	0.5874	1.873	135	0.8238
Y2_supp — Model B	1.045	0.9838	Random Effects	0.1009	2.064	135	0.9538

4.3 Audit Committee Characteristics and Accounting Report Quality (H1)

The panel regression results for the primary dependent variable (auditor opinion index, Y2_alt) for Models A and B are shown in Table 4. The results substantiate Hypothesis 1.

Table 4: Panel Regression — Y2: Auditor Opinion Index [PRIMARY] (H1)

Variable	Coefficient (β)	Std. Error	t-statistic	p-value	R ² (within)	Estimation
Y2_alt — Model A (N=175)						
const	0.801***	0.0381	21.029	0.000	0.0906	Random Effects
AC_Independence	0.052**	0.0229	2.291	0.0232	0.0906	Random Effects
AC_Expertise	0.076**	0.0366	2.105	0.0367	0.0906	Random Effects
RiskCommittee	0.048**	0.0221	2.206	0.0287	0.0906	Random Effects
AuditorSize	0.072***	0.0225	3.214	0.0016	0.0906	Random Effects
DigitalTransform	0.004	0.0304	0.134	0.8937	0.0906	Random Effects
Y2_alt — Model B (N=135)						
const	0.782***	0.0442	17.695	0.000	0.1463	Random Effects

AC_Independence	0.062**	0.025	2.512	0.0132	0.1463	Random Effects
AC_Expertise	0.097**	0.0404	2.406	0.0175	0.1463	Random Effects
AC_MF_log	0.017	0.0157	1.08	0.2823	0.1463	Random Effects
RiskCommittee	0.0372	0.0255	1.461	0.1463	0.1463	Random Effects
AuditorSize	0.0384	0.0405	0.947	0.3454	0.1463	Random Effects
DigitalTransform	-0.0127	0.0414	-0.307	0.7594	0.1463	Random Effects

Notes: *** $p < 0.01$, ** $p < 0.05$, * $p < 0.10$.

In Model A (N = 175, not including meeting frequency), auditor opinion quality is positively and significantly related to AC_Independence ($\beta = 0.0525$, $p = 0.023$), AC_Expertise ($\beta = 0.0769$, $p = 0.037$), and RiskCommittee ($\beta = 0.0487$, $p = 0.029$). AuditorSize is also positive and significant ($\beta = 0.0723$, $p = 0.002$), which is consistent with previous Big4 audit quality evidence [8] and DigitalTransform is insignificant ($\beta = 0.0041$, $p = 0.894$), indicating that digital transformation is more related to timeliness than auditor opinion quality. The results of the model B (N = 135, also with meeting frequency) support the main results: AC_Independence ($\beta = 0.0629$, $p = 0.013$) as well as AC_Expertise ($\beta = 0.0973$, $p = 0.018$) are positive and significant; AC_MeetingFreq is positive but not significant ($\beta = 0.0170$, $p = 0.282$), suggesting a possibly reactive relationship between meeting frequency and opinion quality of auditors. In contrast, the risk committee and auditor size are still positive and negligible, probably attributable to the smaller sample size. In summary, both models support the hypothesis H1, which indicates that there is a positive relationship between audit committee characteristics and accounting report quality of listed banks in Iraq.

4.4 Digital Transformation and Financial Disclosure Timeliness (H2)

Table 5 shows the regression results from the panel for financial disclosure timeliness index (Y1_FDT) in Models A and B. Results indicate consistency of non-significant attributes for all audit committee attributes for both specifications. AC_Independence reports $\beta = 0.010$ ($p = 0.723$) in Model A and $\beta = -0.011$ ($p = 0.765$) in Model B; AC_Expertise reports $\beta = 0.012$ ($p = 0.688$) and $\beta = 0.002$ ($p = 0.944$); RiskCommittee reports $\beta = -0.004$ ($p = 0.879$) and $\beta = 0.004$ ($p = 0.903$); and meeting frequency reports $\beta = 0.020$ ($p = 0.122$) in Model B. The results showed that p-values of the audit committee governance characteristics were not significant as they ranged between 0.122 and 0.944, which is considered not to affect the financial disclosure speed in the listed banks in Iraq. This null result implies that audit committee activities are more correlated with the credibility and quality of financial reports (as measured by auditor opinion ratings) than with aspects of operations, like the timeliness of reporting after the fiscal year-end.

Table 5: Panel Regression — Y1: Financial Disclosure Timeliness (H2)

Spec.	Variable	β	SE	t-stat	p	Sig.	R ²	N / Model
A	const	0.6501	0.0302	21.508	0.000	***	0.078	175 / RE
A	AC_Independence	0.0100	0.0280	0.355	0.723		0.078	175 / RE
A	AC_Expertise	0.0120	0.0297	0.403	0.688		0.078	175 / RE
A	RiskCommittee	-0.0041	0.0266	-0.153	0.879		0.078	175 / RE
A	AuditorSize	0.1516	0.0532	2.849	0.005	***	0.078	175 / RE
A	DigitalTransform	0.0707	0.0298	2.375	0.019	**	0.078	175 / RE
B	AC_Independence	-0.0111	0.0371	-0.300	0.765		0.099	135 / FE
B	AC_Expertise	0.0021	0.0301	0.071	0.944		0.099	135 / FE
B	AC_MF_log	0.0203	0.0130	1.560	0.122		0.099	135 / FE
B	RiskCommittee	0.0036	0.0293	0.122	0.903		0.099	135 / FE
B	AuditorSize	-0.0270	0.0490	-0.552	0.582		0.099	135 / FE
B	DigitalTransform	0.0958	0.0325	2.945	0.004	***	0.099	135 / FE

Conversely, financial disclosure timeliness is positively and significantly associated with DigitalTransform in both specifications: Model A (RE: $\beta = 0.0707$, SE = 0.0298, $t = 2.375$, $p = 0.019$) and Model B (FE: $\beta = 0.0958$, SE = 0.0325, $t = 2.945$, $p = 0.004$). After controlling for time-invariant bank-specific factors, the higher the FE coefficient, the more effective digital transformation is at improving timeliness. AuditorSize is also positive and significant ($\beta = 0.1516$, SE = 0.0532, $t = 2.849$, $p = 0.005$) in Model A, in line with the efficiency of internationally affiliated auditors, but insignificant in Model B due to the large amount of cross-sectional variation being captured by the fixed effects. Within group R²% in Models A and B is 0.078 and 0.099 respectively. Conclusively, the findings in general support H2 which states that the relationship between digital transformation and financial disclosure timeliness of Iraqi listed banks is positive.

4.5 Robustness Analysis and Supplementary Results

Robustness Checks. Six alternative specifications were tested for consistency of the key findings in table 6. The positive and significant AC_Independence coefficient is found in all five primary specifications from 0.051 ($p = 0.027$, S5: Core X only) to 0.063 ($p = 0.013$, S2: Baseline Model B). In the pre-2020 subsample (N = 133), it is still positive, but not significant ($\beta = 0.054$, $p = 0.064$), which means that the result is not due to the recent governance

improvements. The coefficients of the other two variables, DigitalTransform (S3) and RiskCommittee (S4), are also stable: $\beta = 0.052$ ($p = 0.027$) and $\beta = 0.061$ ($p = 0.012$). For financial disclosure timeliness (Y1_FDT), AC_Independence is not significant at all in all of the robustness specifications, with coefficients ranging from -0.001 ($p = 0.981$) to 0.037 ($p = 0.234$). The results help validate the results of the governance quality relationship and that the causal mechanism of governance is different from that of timeliness.

Table 6: Robustness Checks — AC_Independence Coefficient across 6 Specifications

Specification	AC_Independence β	P-value	Sig.	R ² (within)	N
Y2_alt					
S1: Baseline Model A	0.0525	0.0232	**	0.0906	175
S2: Baseline Model B	0.0629	0.0132	**	0.1463	135
S3: No DigitalTransform	0.0515	0.0271	**	0.1051	175
S4: No RiskCommittee	0.0606	0.0116	**	0.0767	175
S5: Core X Only	0.0508	0.0272	**	0.0965	175
S6: Pre-2020 Subsample	0.0535	0.0641	*	0.0866	133
Y1_FDT					
S1: Baseline Model A	0.01	0.7228	ns	0.0779	175
S2: Baseline Model B	0.0067	0.8372	ns	0.1576	135
S3: No DigitalTransform	0.006	0.8359	ns	0.0392	175
S4: No RiskCommittee	0.0079	0.7727	ns	0.0867	175
S5: Core X Only	-0.0007	0.9808	ns	0.0608	175
S6: Pre-2020 Subsample	0.0374	0.2336	ns	0.0233	133

Supplementary Analysis. The results are reported in table 7 under the composite audit quality score (AQ_composite). The one-way relationship between governance quality and AQ_composite is confirmed with both the audit committee variables in the two specifications, as they are all positively and significantly related. The R² values within the groups are however very high, as seen in Model A (0.824) and Model B (0.954) indicating a potential for measurement overlap. The partial correlation between AC_Independence and AQ_composite is very similar to the correlation that would be expected from two near-circular measures, as both have been measured from the same annual report documents, with the same automated pipeline, as outlined in Section 3. Thus, the results are reported for methodological transparency, but the main inferences are based on the Auditor Opinion Index in Table 6, which is a more structurally independent and theoretically valid measure of the quality of account reports.

Table 7: Supplementary Analysis — AQ_composite as Alternative Dependent Variable

Variable	β	Std. Error	t-stat.	p-value	Sig.	R ² (within)	N / Model
Model A							
const	0.2429	0.0196	12.404	0.00	***	0.8238	175 / RE
AC_Independence	0.3052	0.017	17.955	0.00	***	0.8238	175 / RE
AC_Expertise	0.2123	0.0177	11.996	0.00	***	0.8238	175 / RE
RiskCommittee	0.0188	0.018	1.043	0.2988		0.8238	175 / RE
AuditorSize	0.2897	0.024	12.084	0.00	***	0.8238	175 / RE
DigitalTransform	0.0015	0.017	0.091	0.9276		0.8238	175 / RE
Model B							
const	0.1958	0.011	17.792	0.00	***	0.9538	135 / RE
AC_Independence	0.2623	0.0067	39.262	0.00	***	0.9538	135 / RE
AC_Expertise	0.2247	0.0103	21.788	0.00	***	0.9538	135 / RE
AC_MF_log	0.07	0.004	17.43	0.00	***	0.9538	135 / RE
RiskCommittee	0.012	0.0067	1.786	0.0765	*	0.9538	135 / RE
AuditorSize	0.1207	0.0108	11.174	0.00	***	0.9538	135 / RE
DigitalTransform	-0.008	0.0109	-0.742	0.4597		0.9538	135 / RE

5. Discussion

5.1 Audit Committee Characteristics and Accounting Report Quality

The results confirm H1 and reveal a positive and significant relationship between the accounting report quality and audit committee independence and professional expertise in both model specifications and all six robustness checks. The significant positive relationship between AC_Independence ($\beta = 0.053$ in Model A; $\beta = 0.063$ in Model B, $p < 0.05$) lends

support to the Agency Theory which posits that independence will have a positive impact on the monitoring of financial reporting [19]. As the stability across robustness specifications ($\beta = 0.051-0.063$) shows, the concept of independence acts as a substantive monitoring mechanism in Iraqi banks, rather than simply as a formal governance mechanism. The result shows similarity with that of Jordan [7] and Ghana [8] and also the GCC region [9] but contradicted Abdullahi [27]. The impact could be a reflection of the fact that internal monitoring plays a more significant role than external monitoring in Iraq [12]. Similarly, AC_Expertise is also statistically significant ($\beta = 0.077$, in Model A and 0.097 , in Model B, $p < 0.05$), and is consistent with previous research in India [5] and Jordan [6] indicating that independence and expertise are complementary attributes of AC effectiveness [23]. Table 2 shows that the ratio of mean AuditorSize (i.e. 0.007) is small, pointing further to the significance of internal professional expertise [12, 24]. RiskCommittee is positive and significant ($\beta = 0.049$, $p = 0.029$), and meeting frequency is positive and insignificant, indicating that these two factors are not that significant in explaining the data once independence and expertise are taken into account [23], [28].

5.2 Digital Transformation and Financial Disclosure Timeliness

The results of H2 indicate that digital transformation positively and significantly affects the financial disclosure timeliness in both models: Model A (RE: $\beta = 0.071$, $p < 0.05$) and Model B (FE: $\beta = 0.096$, $p < 0.05$). It is in accordance with the efficiency arguments of Al-Okaily [15] and Johri et al. [16] which show that digital banking infrastructure and automated data processing decreases the time needed for audit work and preparation of financial statements even in the early stage of the digital banking adoption in Iraqi banks. In contrast, the audit committee characteristics are not significant predictors of timeliness with p values ranging from $0.122-0.944$. This indicates that audit committees primarily can impact the credibility and quality of the financial reports, whereas the speed of reporting is more related to administrative and technical procedures. Reporting quality is related to governance mechanisms, and timeliness is related to technology investment [23].

5.3 Theoretical Contributions

The results provide three theoretical implications for audit committee effectiveness. First, Agency Theory predictions of audit committee independence and expertise [19] also hold true for the Iraqi banking sector, so that certain internal mechanisms can mitigate the effect of the ineffectiveness of external monitoring. Second, the importance of audit committee variables to accounting report quality, not to disclosure timeliness, helps to explain the limited scope of audit committee governance. Independence and expertise are more of a sign of reporting integrity and auditor opinion quality, rather than efficiency from a signaling standpoint. Third, the positive impact of digital transformation on timeliness and the non-significant impact on report quality suggest that governance and technology are complementary; governance will help monitor and report quality, and technology will help operational efficiency and timeliness.

5.4 Practical Implications

The results indicate that the quality of auditor opinion may be enhanced by strengthening the independence and professional qualifications of auditors in accordance with the Central Bank of Iraq and banking regulations, given that these effects continue to be found for six specifications, including the pre-2020 subsample. More transparency about audit committee independence, skills, and work would further enhance accountability. The FE result for digital transformation ($\beta = 0.096$, $p = 0.004$) indicates that technology adoption positively impacts the efficiency of the audit cycle for bank boards and management, which could help to decrease reporting delay, increase investors' confidence and facilitate regulatory compliance. Audit committee quality is a helpful client-level governance measure and a proxy for reporting risk in the Iraqi market for external auditors.

5.5 Limitations

This study has a number of limitations. First, the level of independence and expertise of the audit committee is measured as a binary variable by reference to disclosures made in the annual report, which may not be a complete reflection of the depth of expertise, or the actual working practice of the committee. Second, there was only a small number of Big4 auditors in the sample which limits the extent to which the results can be generalised to the wider auditor market. Third, the panel design does control for the time-invariant bank-specific heterogeneity, but it is impossible to completely eliminate the possibility of reverse causality, in which banks experiencing positive audit opinions invest more in their governance structures. Fourth, the sample size used for Model B ($N = 135$) might limit the power to identify less strong relationships for the meeting frequency and risk committee factors. The restrictions indicate possible future research to be conducted with the use of more detailed governance indicators, larger panel datasets at regional level and instrumental variable techniques to overcome endogeneity.

6. Conclusion

The present study aimed to investigate whether the audit committee features affect the transparency and quality of the accounting reports of Iraqi listed banks in 2008–2024. The study uses unbalanced panel datasets comprising 175 bank-year observations for Model A and 135 observations for Model B, and estimates panel GLS models with cluster-robust standard errors to give three main findings. The auditor opinion index is positively and significantly correlated with independence and expertise of the audit committee. The result of AC_Independence is still significant in six specifications ($\beta = 0.051 - 0.063$; $p < 0.05$), while the result of AC_Expertise is significant in Model A ($\beta = 0.077$; $p < 0.05$) and Model B ($\beta = 0.097$; $p < 0.05$) and thereby supports H1 and confirms the relevance of Agency Theory in the Iraqi banks. Second, that financial disclosure timeliness is positively related to digital transformation is supported by the Model B fixed effects result ($\beta = 0.096$, $p = 0.004$), which indicates that the adoption of technology increases the speed at which financial disclosures are made. Second, financial disclosure timeliness is positively related with digital transformation, as suggested by the fixed effects result in Model B ($\beta = 0.096$, $p = 0.004$) showing that technology adoption enhances disclosure timeliness. Third, for models and robustness checks audit committee characteristics do not significantly affect disclosure timeliness, suggesting that audit committees increase the credibility and quality of the disclosure, but not its timeliness.

The results suggest a need for increased auditor requirement for audit committee independence and professional qualifications, the need for digital transformation by banks to address delays in reporting, and the potential for audit committee quality as a useful bank-level indicator of the risk of delay in auditors' reports. The study makes several contributions to the literature, such as using long panel evidence of Iraqi banks, adopting a two-model approach for the data of disclosure disclosures, employing the auditor opinion index to prevent circular measurement, and showing the usefulness of the extraction of Arabic annual reports using the API of the Gemini system. More detailed governance measures, instrumental variables and comparing MENA datasets, and designs of regulatory interventions could be used in future research.

References

- [1] M. Yousefi Nejad, A. S. Khan, and J. Othman, "A panel data analysis of the effect of audit quality on financial statement fraud," *Asian Journal of Accounting Research*, vol. 9, no. 4, pp. 422–445, Aug. 2024, doi: 10.1108/AJAR-04-2023-0112.
- [2] P. Velte, "Sustainable auditing governance in a changing landscape: Cross-country evidence on the effect of traditional and innovative audit mechanisms on fraud risk," *Journal of Innovation & Knowledge*, vol. 10, no. 4, Art. no. 100143, 2025, doi: 10.1016/j.jik.2025.100143.
- [3] A. Bonrath and M. Eulerich, "Internal auditing's role in preventing and detecting fraud: An empirical analysis," *International Journal of Auditing*, vol. 28, no. 4, pp. 615–631, 2024, doi: 10.1111/ijau.12342.
- [4] H. Wang and L. Chen, "Internal audit independence, legal person governance structure, and financial reporting quality," *China Journal of Accounting Research*, vol. 18, Art. no. 103053, May 2025, doi: 10.1016/j.cjar.2025.103053.
- [5] L. Kalia, S. Kumar, and N. Sharma, "Board characteristics and audit quality: The moderating effect of board independence change," *Cogent Business & Management*, vol. 11, no. 1, Art. no. 2414506, Nov. 2024, doi: 10.1080/23311975.2024.2414506.
- [6] D. A. Alqatamin and R. M. Alqatamin, "Audit committee characteristics and financial reporting quality: Evidence from the emerging market," *Risk Governance and Control: Financial Markets & Institutions*, vol. 14, no. 3, pp. 86–95, 2024, doi: 10.22495/rgcv14i3p9.
- [7] A. A. Al-Rassas and H. Kamardin, "Audit committee characteristics, audit quality and earnings management: Evidence from Jordan," *Australasian Accounting, Business and Finance Journal*, vol. 17, no. 4, pp. 92–115, 2023, doi: 10.14453/aabfj.v17i4.07.
- [8] J. Bansah, E. Asare, and K. Asubonteng, "Audit committee effectiveness, audit quality and earnings management: Evidence from Ghana," *Cogent Business & Management*, vol. 11, no. 1, Art. no. 2315318, Feb. 2024, doi: 10.1080/23311975.2024.2315318.
- [9] S. Al-Dhamari, N. Alfarag, and T. Al-Gamrh, "Audit committee characteristics and real earnings management: Evidence from GCC economies," *Corporate Governance*, vol. 24, no. 3, pp. 644–663, 2024, doi: 10.1108/CG-05-2023-0174.
- [10] R. Karim, M. M. Roshid, B. K. Dhar, M. Nahiduzzaman, and B. C. Kuri, "Audit committee characteristics and sustainable firms' performance: Evidence from the financial sector in Bangladesh," *Business Strategy & Development*, vol. 7, Art. no. e70059, 2024, doi: 10.1002/bsd2.70059.

- [11] R. Asante-Appiah and B. Lambert, "When governance fails to govern: Rethinking audit quality and firm value in weak institutional environments," *Journal of Risk and Financial Management*, vol. 19, no. 3, Art. no. 225, Mar. 2026, doi: 10.3390/jrfm19030225.
- [12] M. A. S. Al-Faryan, "Agency theory, corporate governance and corruption: An integrative literature review approach," *Cogent Social Sciences*, vol. 10, no. 1, Art. no. 2337893, Apr. 2024, doi: 10.1080/23311886.2024.2337893.
- [13] Transparency International, "Corruption Perceptions Index 2024 — Iraq," Transparency International, Berlin, Germany, 2025. [Online]. Available: <https://www.transparency.org/en/cpi/2024/index/irq>
- [14] International Monetary Fund, "Iraq: 2024 Article IV Consultation — Staff Report," IMF Staff Country Reports, no. 2024/128, May 2024, doi: 10.5089/9798400275357.002.A001.
- [15] M. Al-Okaily, "The influence of digital accounting on auditing efficiency: Evidence from the banking sector," *Journal of Financial Reporting and Accounting*, vol. 22, no. 2, pp. 301–318, 2024, doi: 10.1108/JFRA-01-2023-0043.
- [16] A. Johri, A. Sayal, K. M. Chong, M. Khoja, Chaithra N., J. Jha, and N. Tyagi, "Enhancing audit quality and reducing costs: The impact of AI in banking and financial services," *Frontiers in Artificial Intelligence*, vol. 8, Art. no. 1718854, Jan. 2026, doi: 10.3389/frai.2025.1718854.
- [17] Iraq Stock Exchange (ISX), "Official Website of the Iraq Stock Exchange," 2026. [Online]. Available: <http://www.isx-iq.net/isxportal/portal/homePage.html> [Accessed: Apr. 20, 2026].
- [18] Google, "Gemini API Documentation," Google AI for Developers, Mountain View, CA, USA, 2024. [Online]. Available: <https://ai.google.dev/gemini-api/docs> [Accessed: Apr. 26, 2026]
- [19] M. C. Jensen and W. H. Meckling, "Theory of the firm: Managerial behavior, agency costs and ownership structure," *Journal of Financial Economics*, vol. 3, no. 4, pp. 305–360, Oct. 1976, doi: 10.1016/0304-405X(76)90026-X.
- [20] M. Spence, "Job market signaling," *The Quarterly Journal of Economics*, vol. 87, no. 3, pp. 355–374, Aug. 1973, doi: 10.2307/1882010.
- [21] N. Neiroukh and D. Çağlar, "Unveiling the nexus between audit quality and financial performance: A strategic adaptation approach through earnings management and corporate governance," *SAGE Open*, vol. 15, no. 1, 2025, doi: 10.1177/21582440251391115.
- [22] L. Laeven and R. Levine, "Bank governance, regulation and risk taking," *Journal of Financial Economics*, vol. 93, no. 2, pp. 259–275, Aug. 2009, doi: 10.1016/j.jfineco.2008.09.003.

- [23] D. K. Chronopoulos, A. L. Kokas, and J. O. S. Wilson, "Audit committee oversight and bank financial reporting quality," *Journal of Business Finance & Accounting*, vol. 51, no. 1–2, pp. 281–315, Jan./Feb. 2024, doi: 10.1111/jbfa.12738.
- [24] A. S. A. Hubais, M. R. A. Kadir, Z. O. Bilal, and M. N. Alam, "The impact of auditor integrity on audit quality: An exploratory study from the Middle East," *International Journal of Professional Business Review*, vol. 8, no. 1, Art. no. e01254, 2023, doi: 10.26668/businessreview/2023.v8i1.1254.
- [25] Y. Yao, M. Smith, and J. Lennox, "The signaling effect of tone: The influence of key audit matters' tone on bank lending decisions," *Finance Research Letters*, vol. 64, Art. no. 106192, Feb. 2025, doi: 10.1016/j.frl.2025.106192.
- [26] D. Wijaya and M. Saputra, "The effect of audit quality on audit opinion and its implications on firm value: Evidence from Indonesian state-owned enterprises," *Cogent Business & Management*, vol. 11, no. 1, Art. no. 2347396, 2024, doi: 10.1080/23311975.2024.2347396.
- [27] M. A. Abdullahi, "Impact of Audit Committee Independence and Expertise on Financial Reporting Quality of Listed Commercial Banks in Nigeria," *African Journal of Business and Economic Development*, vol. 4, no. 2, pp. 17–26, Feb. 2024.
- [28] N. Tuan, D. A. Tuan, and N. N. K. Dung, "Factors affecting risk-based audit and quality audit," *Emerging Science Journal*, vol. 8, no. 3, pp. 1094–1109, Jun. 2024, doi: 10.28991/ESJ-2024-08-03-019.
- [29] A. Hassanein, A. Zalata, and K. Hussainey, "Do forward-looking disclosures affect audit fees? Evidence from the UK," *International Journal of Auditing*, vol. 28, no. 2, pp. 234–253, 2024, doi: 10.1111/ijau.12315.
- [30] J. A. Hausman, "Specification tests in econometrics," *Econometrica*, vol. 46, no. 6, pp. 1251–1271, Nov. 1978, doi: 10.2307/1913827.
- [31] B. H. Baltagi, *Econometric Analysis of Panel Data*, 6th ed. Cham, Switzerland: Springer, 2021, doi: 10.1007/978-3-030-53953-5.

Performing Propriety: Gender as Ritual and Repetition in Edith Wharton's The Age of Innocence

Assistant. Lecture Muna Mohammed Hasan

General Direction of Education in Najaf Ashraf

Shajarat AL-Durr

Secondary School for girls

muna.mohammed.ha@ut.ac.ir

تجسيد الامتثال للأعراف: الجندر بوصفه طقسًا وتكرارًا في رواية عصر البراءة لإديث وارثون

المدرس المساعد منى محمد حسن

المديرية العامة للتربية في النجف الأشرف

ثانوية شجرة الدر للبنات

muna.mohammed.ha@ut.ac.ir

Abstract

The study examines *The Age of Innocence*, a novel written by Edith Wharton and focus at how it portrays gender. The novel explains a world in which people offer completely to social rules about how men and women should act. The study argues that gender in the novel is not fixed or stable. Instead, it is something individuals do again and again through a small actions like present to the opera, hosting dinner parties, and following the rules of marriage. The character follows to these rules as May Welland does, she is accepted. When the character reject them as Ellen Olenska does, she is forced to leave. The study shows how the novel builds gender as a kind of social performance rather than a fixed identity according to Butler's (1990) theory of gender performativity and literary criticism of Wharton's work. It also deals with the relation of these notions to Wharton's vision of manners, class, and family life in Old New York.

Keywords: Gender Performance; Edith Wharton; *The Age of Innocence*; Ritual; Social Convention.

الخلاصة

تتناول هذه الدراسة رواية "عصر البراءة" لإديث وارتن وتركز على كيفية تصويرها للجنس. تشرح الرواية عالمًا يخضع فيه الناس تمامًا للقواعد الاجتماعية المتعلقة بسلوك الرجال والنساء. وتجادل الدراسة بأن الجنس في الرواية ليس ثابتًا أو مستقرًا بل هو سلوك يكرره الأفراد مرارًا وتكرارًا من خلال أفعال بسيطة كحضور الأوبرا، واستضافة حفلات العشاء والالتزام بقواعد الزواج. عندما تلتزم الشخصية بهذه المتطلبات، كما تفعل ماي ويلاند، تُقبل. أما عندما ترفضها الشخصية الأخرى، كما تفعل إيلين أولينسكا، تُجبر على الرحيل. توضح الدراسة كيف تبني الرواية الجنس كنوع من الأداء الاجتماعي وليس كهوية ثابتة وفقًا لنظرية بتلر (1990) حول أداء الجنس والنقد الأدبي لأعمال وارتن. كما تتناول الدراسة علاقة هذه المفاهيم برؤية وارتن للأخلاق والطبقة الاجتماعية والحياة الأسرية في نيويورك القديمة.

الكلمات المفتاحية: أداء الجنس (الأداء الجندي)، إديث وارتن، عصر البراءة، الطقوس، الأعراف الاجتماعية.

Introduction

Edith Wharton was an American writer born in 1862 in New York City. Her family was wealthy and knew the world of “Old New York” from the inside, and her writing was about the class she lived in. Wharton paid close attention to the small social rules that controlled people’s lives, especially the lives of women, and she wrote many novels and short stories about upper-class American society. She became the first woman to win the Pulitzer Prize for Fiction, in 1921, for *The Age of Innocence*. This very accurate depiction of how people were "supposed" to behave is due to her familiarity with this world, and makes this novel an excellent source on gender and social rules. *The Age of Innocence* (1920) is a novel by American author Edith Wharton that follows the journey of a young man, Newland Archer, who's engaged to May Welland, but finds himself drawn to her cousin, Ellen Olenska. “Old New York” is a novel which operates in accordance with other, unspoken rules. The rules are known to all and everyone tries to abide by them, but on most occasions no one ever writes down the rules. Individuals have to conform to a manner of dress, manner of speech and behavior in public. This society was found to be a non-verbal one by Wharton, who had stated that this society communicated with signs and gestures. In this world, unwritten rule was more important than any written rules (Henderson, 2013). In this research follows the observation of working patterns of these social rules as if it were a script. This script should be modelled by characters at all times and so in the case of gender it is paramount. In this novel we are not presented with men and women playing stereotypical roles. Rather it demonstrates how important it is for them to continue the process of gender, again and again, via micro-gestures: going to the opera, having dinner, engaging in the appropriate protocols of courtship and marriage. This is an adaptation of the ideas of Judith Butler (1990) and his theory of gender performativity. However, according to Butler, gender is not something that one possesses. It is an action performed by an individual, often repeated, by simple acts and gestures in daily life. The concept can be taken to read Wharton's novel by providing a way to see why someone who follows this 'rule' (May Welland) is accepted and rewarded by her society, and someone who does not (Ellen Olenska) is dismissed. This study follows that thread through this novel and back to Wharton's broader range of notions about manners, class, and family life in Old New York.

Aim of the Study

The study show that the gender in Edith Wharton's *The Age of Innocence*. It is not concerned with the 'essential', the 'stable' and the 'fixed' in one's gender. Rather, it views the act of gender as a kind of performance, a carefully orchestrated sequence of practices and performances—such as going to the opera, having a dinner- or some ritual or action of courtship and marriage. The aims of the studies are also to compare two characters. May Welland follows the rules of her society and for this reason she's accepted. Ellen Olenska has transgressed the rules

and for that reason, she is forced out. By comparison between these two women the study hopes to demonstrate that the gender in the novel functions more as a script, and less as a fixed identity. Drawing on the concept of Judith Butler (1990) gender performativity, the concept of “gender” as something a person does rather than something a person has is utilized within the boundaries of the research to study this. This concept is useful for explaining the importance of repetition of the right behavior in the novel, how violation of or refusal to go along with it results in punishment. The focus of this study is to make this notion of gender relate to Wharton's representation of class and family life in Old New York.

Purpose of the Study

The purpose of this study is to synthesize the ideas of gender as performance introduced by Judith Butler, with the theoretical framework that could be found in the literary criticism of Wharton's works. Some of this criticism speaks out concerning “gender roles” in a more general sense, and does not scrutinize the actual construction of the gender roles in the story. This study is focused on two particular scenes of this novel. The first one is the opening opera scene: characters are introduced by the act of observing and being observed by others. The second is the farewell dinner for Ellen Olenska—a celebration, even a ritual, of society to say their farewells and in effect set her out on her own. In both sceneries, it is these gestures and social etiquette that are determining instances when gender is performed, reinforced, or sanctioned. May creates counterpoint to this in her quiet presence in these same scenes; although May is still there, is still “close,” and is allowed to perform the script correctly, Ellen is rejected for her transgression of the script. The study aims to shed light on the two scenes and, through these, put into perspective that gender in *The Age of Innocence* is not a given role that characters possess, but is one that is constructed by repeated, public actions.

Significance of the Study

The interest of this work is that it is an integration of two things which are often separated: a close reading of a classic American novel, and a contemporary theory of gender. Many studies of Wharton's works have focused on a plot or themes in general. Both topics of manners and social class are explored, but not without the occasional pause to wonder about how gender is constructed in small everyday things like a dinner party or opera night. In this study they aim to try to fill this void in a deep examination of these little things and revealing what little things they are. This research is also important as it is always in touch with its sources in every step. Many studies on this topic use theory inappropriately – it's not clear where an idea is from, or how an idea relates to the text. In this study an attempt is made to overcome this issue. Each offer of accusation is connected to the ideas that have been raised in the various texts, and it is clear which of the ideas are taken from Judith Butler's theoretical perspective, from the

criticism on Wharton, and which from the author's own reading of the novel. Thus, it facilitates an easier flow of argument and easier verification of it. Last of all, this study contributes to the discussion of *The Age of Innocence* that is going on in general. Instead of a given 'background' to the story, gender is a plot which the characters have to engage in scene for scene. This corresponds with the notion expressed in the title of the study: The idea of 'social propriety' as something that is performed, repeatedly, with ritual and repetition. Through this method, this research contributes in a small way but very significant in giving readers to consider the issue of gender in Wharton's novel.

Methodology

This study is based on the use of a qualitative approach. It centers on a careful reading of the novel and has a single central theory through which they will be read: Judith Butler's (1990) theory of gender performativity, taken from her book *Gender Trouble*. This theory is well suited to the study as it does not view gender as a possession which the character is born with, but it is rather something the character "acts" in many repetitions of behaviour. This dovetails the *Age of Innocence*'s depiction of the behavior of its characters in public spaces. There are two sources of evidence, one being the school's and the other the novel itself. Careful analysis of the text leads to conclusions about the relationships of social class, etiquette and gender in Wharton's world of Old New York. Of special concern in this study are the social rituals, which appear in the study throughout the novel—from going to the opera to entertaining guests to following social gestures of courtship and marriage. These rituals are considered as performative acts - not a mere manifestation of gender, but a construction and imposition of gender - one scene at a time. To prove this argument, the study is supported by two characters who take different ways in life. May Welland carries out these rites properly and regularly and thus becomes perfectly accepted in the community. However, Ellen Olenska can't do those same rituals and be expected to, and as such, is rejected. By juxtaposing these two routes, the fact that gender in the novel is not to be viewed as a fixed identity into which a character can be born is made clear. Instead, it is a performance that needs to be reproduced properly and this performance can have real social effects, just as Butler's theory predicts.

Literature Review

Although there are a considerable number of studies on *The Age of Innocence*, there still are some things unattempted in understanding novel's representation about social norms, which the current study tries to fill. Pirnajmuddin and Shahpoori Arani (2011) offer a useful cultural reading, drawing on Bourdieu's concept of "distinction" to interpret the social rituals of the novel as indicators of class and taste, rather than personal choice. This is a compelling explanation of the mechanisms of social differentiation, but it doesn't delve deeply enough into how these rituals themselves produce gender specifically, and it treats social class as the dominant category, leaving gender less explored by comparison. Christine Dunn Henderson (2013) offers one of the most useful accounts for this study. She argues that in Old New York,

custom carries more weight than written law. People follow unspoken rules more closely than they follow actual laws. Henderson also shows that May Welland's innocence is not something natural. It is something constructed by the people around her. Wharton makes this point directly, describing May as a woman "cunningly manufactured by a conspiracy of mothers, aunts, grandmothers, and long-dead ancestresses." This interpretation is the closest to a performative reading of character. But it situates the argument in a broadly political-philosophical lexicon of custom and agency, and does not link these discoveries to gender theory, which restricts how far the implications of May's manufactured innocence are pushed (Henderson, 2013). It is worth expanding the conversation to physical and architectural space to discover how interiors encode gendered meaning, and how Ellen Olenska's distinctive house, packed with art, shows her divergence from the expectations of women in Old New York (Tsimpouki, 2020). But this spatial focus tends to perceive gender as something mirrored by space rather than something actively generated through repetitive behaviour, which is exactly the emphasis this research aims to add. It is vital to note that love in the book is said to be an "artifice" or a performance, since the work starts and ends with allusions to opera and art (Bulamur, 2022). This comes very close to reading the novel as a performance. Bulamur does indeed connect the idea of performance to gender in some places. For example, she shows how May is trained to perform innocence, and how men observe women's clothing and behavior through the shared gaze of an operatic lens. But this connection to gender remains small. It appears here and there within a larger argument about art and artifice, and never develops into a full-fledged theory of gendered performance, as Butler's (1990) did. This gap—between observing gender as performance and actually constructing a theory about it—is what this study attempts to bridge. Finally, a feminist study finds that Wharton employs a "duplicious voice" of outward acquiescence and covert opposition to the patriarchal system, viewing Ellen Olenska as a type of surrogate for Wharton herself whose exile matches the author's own suppressed revolt (Yang, 2016). This is a provocative interpretation, but it approaches resistance mostly as a matter of the authorial concealed purpose, rather than as something that is embedded in the repetitive social behaviour of the characters, and therefore does not provide a systematic explanation of how gender is enacted and enforced inside the fictional world of the book. In short, all these studies revolve around the same words: performance, convention, artifice. But none of them names or employs a genuine theory of gendered performance. This is a powerful but untheorized intuition that permeates existing criticism. My research takes this intuition and directly applies Butler's (1990) performative framework, making clear and explicit what current critics have only alluded to without naming it.

Research Problem

Custom, class, taste unveil the scene of all these studies, and give the impression of the tacit rule of these elements in Old New York. Henderson (2013) is the most explicit with regards to the genders and success and failure. She demonstrates that May can play innocent so she is okay, whereas, Ellen is not. She displays how May plays innocent for she to be accepted; Ellen shows her that she does not play as the rules are and she is ostracized. Two more pieces would be added in the pictures with Tsimpouki (2020) and Bulamur (2022). They demonstrate how individuals are impacted by space, art and performance within their place in society. But, not one of them truly depicts Ellen's tale as a failure of gender performance, not in those actual words. None of these studies, moreover, synthesizes all this into one, true theory on gender performance. With this research I would like, to fill the gap. I think about gender performance in reference to the same passage that these researchers think about.

Research Questions

1. How does Edith Wharton's *The Age of Innocence* show gender as something people perform through repeated social rituals, rather than something natural?
2. Why is May Welland accepted by society while Ellen Olenska is pushed out, when both are judged by the same unwritten gender rules?
3. How does the novel's ending, set a generation later, show whether these gender rituals change over time or stay mostly the same?

Chapter One: Gender as Ritual in Old New York (fully corrected)

The Opera Scene: Performance from the First Page

Novel opens at the opera, not at main protagonists' house. It was not only amusing, but part and parcel of social duties of New York's elite class to go late to the opera in their exclusive style of carriage and be spotted by others (Pirnajmuddin and Shahpoori Arani, 2011). There are also allusions that refer to opera and art, and it is clear Wharton expects readers to appreciate this as a whole acting out the plot as a type of performance (Bulamur, 2022). Newland's conservative and carefully orchestrated landing and May's calculated modesty isn't random. What they seem to be finding as I read, are little pieces of information which these characters—Newland and May—are sharing with the audience for it to know that they are doing exactly what a gentleman and a young lady should.

May Welland: The Character Who Performs Gender “Correctly”

May's innocence is not an inherent but a built one (Henderson, 2013). Wharton describes May as a "lady 'cunningly' manufactured by a 'conspiracy' of mothers, aunts and grandmothers" (1920, cited in Henderson, 2013). This indicates that May has been brought up to behave in a

certain way over the years. She learnt to smile rather than make complaints, to make suggestions rather than airing her opinion, to drive people further up the wall because they could not but be charmed by her unknowingness when she actually knew otherwise. At the end of the narrative, after May's death, Newland is discovering through his son, Dallas, that May knew of his love for Ellen all along, but kept it a secret out of the faithful, blithely unaware wife. This indicated that May was doing a 'what' gender, rather than a 'who' gender.

Ellen Olenska: The Character Who Breaks the Script

Ellen Olenska is boarding a train back to New York, without her husband, with whom she left Europe. There's just about nothing about her that fits into May's unwritten script, something she performs so adeptly. Ellen's home décor, her clothing, her manner of speaking—are all contrary to New York sensibilities. In fact, her taste is a refined and cultured one—one that has been influenced by the years she has spent in Europe. However, that doesn't necessarily apply to New York. It perceives it as strange, even uncouth and not something to be admired (Pirnajmuddin and Shahpoori Arani, 2011). The fact that her house is so full of international art and furniture which in New York seem strange and out of place – small dark wood tables, a small Greek bronze sculpture, old Italian paintings; the fact that Ellen has got that all is strange. This is a testimony to the divergence from the New York norm, which generally dictates that the interior space of a home is to reflect strict social rules (Tsimpouki, 2020). May's farewell dinner to Ellen, just prior to her departure for Europe, is called a “tribal rally” — a ritual where the family gathers around Ellen in immaculate good intentions and politeness, and de facto push her out of their way (Henderson, 2013). While no one says anything negative, all know what's going on. This is a way of expressing indirectly (through ceremony and silence) the community's punishment of those members of the community who are not successful in fulfilling their expected gender and family role.

Newland Archer: A Man Who Also Performs a Role

Newland Archer believes that he is a different type of man than the ones swarming around him; a man who can outsmart the ways of Old New York. Despite all of these things, Archer's revolt is mainly rhetoric (Henderson, 2013). Archer's “Women ought to be free—as free as we are” (Wharton, 1920) is such a radical moment only to be quickly glossed over on the opposite side in conventional, safe ways, after it has passed (Henderson, 2013). Archer's association of his words with his actions on this level of character mirrors Yang (2016)'s description of Wharton's authorial voice: outward acquiescence paired with covert opposition. Archer marries May and gives up Ellen. As an elderly man in Paris, he decides not to go up and visit Ellen again. His entire life has been a by-the-script existence as the respectable New York gentleman, even though a part of him always craved something else.

Change Over Time: The Next Generation

By the end of the novel, Archer's son Dallas is a young man, many years later. Dallas is much more open with his father than Archer ever was with his parents, and he is about to marry Fanny Beaufort, the daughter of a man who was once a social pariah (Henderson, 2013). This is an indication that the rigid restrictions enacted by Old New Yorkers have eased somewhat. However, although rituals and social judgment may have been updated in content, there is no indication that gender is no longer being performed. It has simply been reinvented for the next generation.

Conclusion

This study clarifies the meaning of “performance” in relation to gender in *The Age of Innocence*. Small actions like going to the opera, holding dinner parties, and following courtship rituals are repeated over and over again. Old New York has rigid ideas about what a man or woman should be, and these actions are repeated so often under this pressure that they begin to seem “normal,” as if they were never a choice at all. But according to Butler’s theory of gender performance, these rituals are not normal. They are a form of control. The contrast between May Welland and Ellen Olenska demonstrates precisely how powerful this system is. May is accepted, and plays the game carefully. Ellen does not want to play the game, she gets ostracized. Thus, gender is not something a character simply possesses. It is something that they have to constantly do to keep people from not liking them. There is a connection to something of a greater magnitude in the novel as well: Wharton's depiction of etiquette, class and family life in Old New York. There is no way to really disentangle all that from the notion of gender as performance. These characters are caught in such loops of repeated action and when one of them show impersonation and breaks the loop he's ostracized. This is truly to be deplored as the only tragedy in the novel. The "gender" and the "social correctness", together with the characters that they play, have to be acted round the clock, endlessly repeated... otherwise, one is in danger of being cast out.

Works Cited

Bulamur, A. N. (2022). Artifice of love in Edith Wharton’s *The Age of Innocence*. *American Literary Realism*, 54(2).

Butler, J. (1990). *Gender trouble: Feminism and the subversion of identity*. Routledge.

Henderson, C. D. (2013). Custom, change, and character in Edith Wharton’s *The Age of Innocence*. In A. Ward & L. Ward (Eds.), *Natural right and political philosophy: Essays in honor of Catherine and Michael Zuckert*. University of Notre Dame Press.

Pirnajmuddin, H., & Shahpoori Arani, F. (2011). Edith Wharton’s *The Age of Innocence*: A cultural studies reading. *Studies in Literature and Language*, 2(1).

Tsimpouki, T. (2020). Gender politics and architectural space in Edith Wharton’s *The Age of Innocence*.

Wharton, E. (1920). *The Age of Innocence*. D. Appleton & Company.

Yang, H. (2016). A compromise and resist world: Feminism analysis of *The Age of Innocence*. *English Language Teaching*, 9(6).